

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله
كلية اللغة العربية وآدابها و اللغات الشرقية
قسم اللغة العربية وآدابها

الاتّساق النصّي في الحديث النبويّ الشريف دراسة و تطبيقاً
في ((جمع النهاية في بداية الخير والغاية مختصر صحيح
البخاري لابن أبي جَمْرَة))

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها تخصّص الدراسات اللغويّة
التطبيقية

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد حساني

إعداد الطالب:

عبد الحميد بوترعه

السنة الجامعية

1438هـ-1439هـ/2017م-2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله
كلية اللغة العربية وآدابها و اللغات الشرقية
قسم اللغة العربية وآدابها

الاتّساق النصّي في الحديث النبويّ الشريف دراسةً و تطبيقاً
في ((جمع النهاية في بداية الخير والغاية مختصر صحيح
البخاري لابن أبي جَمرة))

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها تخصّص الدراسات اللغوية
التطبيقية

إعداد الطالب:

عبد الحميد بوترعه

السنة الجامعية

1438هـ-1439هـ/2017م-2018م

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

شكر وعرّفان

الحمد لله حمد الشاكرين والشكر لله شكر الحامدين، الحمد لله، و الشكر له عزّ وجلّ على عظيم فضله و توفيقه لنا في إنجاز هذا البحث و على كلّ نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى .

والشكر والتقدير والعرّفان إلى الأستاذ الدكتور أحمد حساني، وقد شرفنا بإشرافه على هذه الأطروحة، ومتابعته لنا في إنجازها بكرم تواضعه، وحسن تعامله، وسعة صدره، وإفادة توجيهاته التي دلّلت لنا الصعاب وعلمّت أماننا درب البحث مادّةً ومنهجًا.

كما نتقدّم بالشكر والتقدير إلى كلّ من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد حتى إتمام هذا العمل .

الباحث

مقدمة

تُعَدُّ لسانيات النصِّ فرعاً من فروع اللسانيات حيثُ تتوجَّه إلى دراسة النصِّ كوْنُهُ يُشكِّلُ بنيةً كَلِيةً لا تتوقَّف عند حدود الجملة لتهتمَّ بالكشف عن العلاقات والروابط الداخلية والخارجية بين مكُوناته، وأجزائه سواءً أكانت كلماتٍ أم جملاً بحيث يتَّضح بذلك عند المتلقِّي ما يحمله من دلالاتٍ، و ما يتضمَّنُهُ من مقاصد و أهداف.

وقد وضع علماء النصِّ مجموعة من القواعد والمعايير بتوافرها يكون النصُّ كاملاً متماسكاً متَّسقاً في بنيته، منسجماً في دلالته، ومن هاته الضوابط و المعايير " الاتساق " الذي يقصد به ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكِّلة لنصٍّ أو خطاب ما حيث يهتمُّ فيه بالوسائل اللغويَّة الشكليَّة التي تصل بين العناصر المكوَّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته كما عرّفه محمد خطابي، ويُعْنَى بتحقيق الترابط الكامل بين بداية النصِّ وآخره دون الفصل بين المستويات اللغويَّة المختلفة، وما يجعل النصَّ محتفظاً بكيئونه واستمراريته كما بيَّن أحمد عفيفي.

ونظراً لأهميَّة هذا المعيار النصِّي ارتأينا أن يكون موضوع دراستنا لِنُقَصِّل فيه البحث بالدراسة و التحليل بين النظرية و التطبيق، وهذا من خلال الكشف عن دوره في تحقيق تماسك النصِّ النبويِّ و توجيه دلالته، فاتَّخذنا لذلك كتاب "جمع النهاية في بداية الخير والغاية مختصر صحيح البخاري " لابن أبي جَمْرَةَ الأندلسي (ت695هـ) مُدَوَّنَةً لهذا.

الحديث النبويِّ الذي يُعَدُّ المصدر الثاني بعد القرآن الكريم للتشريع الإسلامي وهو كلام النبيِّ محمد ﷺ الأعلى من كلام فصحاء المخلوقين فصاحةً وبلاغةً ، فكان بذلك بحثنا هذا موسوماً بـ:

"الاتساق النصي في الحديث النبوي الشريف دراسةً و تطبيقاً في ((جمع النهاية في بداية الخير والغاية مختصر صحيح البخاري لابن أبي جَمرة))".

ونشير هنا إلى أنَّ الدراسات النصية قد تعدّدت وتنوّعت في مختلف النصوص العربية كالنص القرآني والنص النبوي وغيرها بين كتب مطبوعة، وبحوث أكاديميّة، ودراسات مختلفة نذكر منها: لسانيات النص لمحمد خطابي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية صبحي إبراهيم الفقي، نسيج النص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصّاً الأزهر الزناد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي أحمد عفيفي، في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي نور الدين عتر، الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره عيد محمد شبايك، الحديث النبوي في النحو العربي محمد فجال، المعايير النصية في القرآن الكريم أحمد محمد عبد الراضي، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية كمال عزالدين، أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية (في الموطأ) لمحمد سعيد عبد الله، الأدب النبوي محمد بن عبد العزيز الخولي، التأويل النحوي في الحديث الشريف "أطروحة دكتوراه" فلاح إبراهيم نصيف الفهدي، الحذف والتقدير في صحيح البخاري دراسة نحوية دلالية "مذكّرة ماجستير"، سهام رمضان محمد الزعبوط...إلخ. ولعلّ بحثنا هذا ينضافُ إلى تلك الدراسات اللغويّة، فيكون بذلك إضافةً إلى ما غفل عنه غيرُنا في العمل على الكشف عمّا يَحْمِلُهُ النصّ النبويّ من دلالاتٍ و أساليبٍ من خلال هذه الدراسة النصيّة .

ويهدف بحثنا هذا إلى الكشف عن الدور الفاعل الذي يُحقِّقه الاتساق النصِّي بمختلف أدواته وعناصره في تحقيق تماسك نص الحديث النبوي الشريف، وتلاحم مكوّناته الإفرادية منها و التركيبية، وأثره في توجيه دلالاته وجمالية أسلوبه انطلاقاً من نسقه الداخلي و سياقاته الخارجية معتمدين في ذلك على الدراسة التطبيقية في المدونة المذكورة .

وانطلاقاً من موضوع الدراسة فقد تمحورت إشكالية البحث الرئيسة في السؤال الآتي:

فيم يتجلى دور الاتساق النصِّي في تحقيق تماسك بنية الحديث النبوي و توجيه دلالاته و نظم أساليبه في كتاب "جمع النهاية في بداية الخير و الغاية مختصر صحيح البخاري" ؟

وتفرّع عن هذه الإشكالية الأسئلة الآتية:

- 1- ما هي أبرز المعايير النصية وما مفهومها في الدراسات اللغوية عند القدامى والمحدثين؟.
- 2- من هو ابن أبي جمرة الأندلسي ؟ وما طبيعة كتابه "جمع النهاية في بداية الخير والغاية" موضوعاً ومنهجاً وغايةً؟.
- 3- كيف كان حضور " الإحالة " في نص الحديث النبوي و فيم يبرز دورها الدلالي و الأسلوبي فيه ؟.
- 4- ما الدور الذي يقوم به "الاستبدال" كأداة نصية في اتساق الحديث النبوي الشريف و دوره الدلالي و الأسلوبي فيه؟.
- 5- ما مفهوم "الحذف" وما هي أصنافه ؟ وكيف كان حضوره في الحديث النبوي وأثره في دلالاته و جمالية أسلوبه ؟.

6- ما مفهوم "الوصل" وما أصنافه ؟ وكيف كان حضوره بصُورِهِ المختلفة في الحديث النبويّ

الشريف في جعله بنيةً واحدة، مترابطة أجزاءه، واضحة دلالاته ؟.

7- ما أهمية "التكرار" بمختلف أنماطه و أغراضه في تحقيق تماسك النص النبويّ في بُعْدَيْهِ التركيبي

والدلالي؟.

وانطلاقاً من إشكاليّة البحث الرئيسة، وإشكالاته الفرعيّة رأينا أن نُقسّم بحثنا على خمسة فصول

مُصدِّراً بمقدّمة متبوعة بفصلٍ تمهيديّ عام، مذيلاً بخاتمة ؛ فالفصلُ التمهيديّ تضمّن أولاً مفاهيم

نصيّة ، وقفنا فيها على كلّ من النصّ والجملة و الخطاب عند القدماء و المحدثين ،

كما وقفنا على مفهوم " الاتّساق النصّي " و أدواته . وثانياً: الإمام البخاريّ وكتابه "الجامع

الصحيح" حيث ضمّ ترجمة للإمام البخاريّ و التعريف بكتابه "الجامع الصحيح"، ثمّ الوقوف على

الحديث النبويّ الشريف، دوره في التشريع الإسلاميّ و مكانته في الدراسات اللغويّة، وثالثاً ابن أبي

جرّة وكتابه " المختصر"، وفيه ترجمة للمؤلّف وتعريف بكتابه المختصر "جمع النهاية في بداية الخير

والغاية " مضموناً ومنهجاً .

وتناولنا في الفصل الأوّل الموسوم بـ"الإحالة في أحاديث الكتاب" مفهوم الإحالة، وأصنافها،

ووسائلها، ومن ثمة دراسة حضورها في الحديث النبويّ ودورها التركيبيّ و الدلاليّ وهذا باستقراء

نصوص حديثيّة عدّة و شرحها شرحاً مجملًا، ثمّ تتبّع صور " الإحالة " فيها، ودورها الدلاليّ و

الأسلوبيّ .

وفي الفصل الثاني الموسوم بـ " الاستبدال في أحاديث الكتاب " عرضنا مفهوم الاستبدال وأصنافه ودوره في تماسك النص، ومن ثمة دراسة حضوره في الحديث النبوي ودوره الدلالي والأسلوبي باستقراء وتتبع حضوره وتنوع صوره في النصوص الحديثية بعد شرحها شرحاً مجملًا.

أما الفصل الثالث الموسوم بـ " الحذف في أحاديث الكتاب " فقد تضمن أيضا " مفهوم الحذف في الحديث النبوي ودوره الدلالي و الأسلوبي " بالوقوف على مجموعة صور الحذف فيها مع الكشف عن أثره في تماسك بنيتها النصية، وانسجام دلالاتها .

وفي الفصل الرابع " الوصل في أحاديث الكتاب " تناولنا في مبحثين أولاهما حول مفهوم الوصل وأصنافه ودوره في اتساق النص وجمالية أسلوبه، وثانيهما دراسة حضور الوصل في الحديث النبوي الشريف ودوره الدلالي و الأسلوبي انطلاقًا من الوقوف على المعنى الإجمالي لكل نص حديثي موضوع الدراسة، ومن ثمة تتبع صور الوصل الواردة فيه والكشف عن أثرها في اتساق بنيته وانسجام دلالاته .

وفي الفصل الخامس الموسوم بـ " التكرار في أحاديث الكتاب " مبحثان: الأول تطرقنا فيه إلى مفهوم التكرار وأصنافه وأثره في التماسك النصي ، والثاني حول حضور التكرار في الحديث النبوي ودوره الدلالي و الأسلوبي، وهذا بالوقوف على مجموعة من النصوص الحديثية و شرح معناها المجمل أولًا، ثم دراسة صور التكرار الحاضرة فيها، و الأثر الدلالي و الأسلوبي لها في البنية النصية للحديث الشريف .

وتبعًا لطبيعة الموضوع فإنّ المنهج الذي اتّبّعناه في هذا البحث هو المنهج الوصفي المشفوع بالتحليل بقراءة النص النبويّ الحديث الشريف كما جاء في سياقاته الوارد فيها كونه نصًّا مقدّسًا بعد كلام الله عزّ وجلّ، إضافةً إلى ذلك اعتماد الاستدلال كوسيلة أساسيّة في الكشف عن دور الأدوات النصيّة في خلق تماسك النص النبويّ. وهذا كلّ انطلاقًا من كتب الأحاديث النبويّة و شروحاتها المختلفة من ناحيةٍ و من الدراسات النصيّة قديمها و حديثها كروافد لتحقيق تلك الغاية و الوصول إلى هذا الهدف من ناحيةٍ أخرى.

وقد تنوّعت مصادر هذا البحث ومراجعته؛ فكانت المدوّنة المذكورة هي المصدر الأساس إضافة إلى غيرها من الكتب والدراسات المختلفة التي ذكرنا بعضها فيما سبق فضلًا عن كتب شروح الحديث النبويّ لاسيما شروح "صحيح البخاري" المختلفة .

أمّا الصعوبات وعلى الرّغم من وفرة المراجع الهامّة للموضوع قديما وحديثا فإنّ الصعوبة البارزة تكمنُ في الشعور بالتردّد في التصدّي لتحليل واستنباط مقاصد و أبعاد الحديث النبويّ كونه يُمثّل ثاني نصّ مقدّس بعد كتاب الله ؛ فهو صادر عن النبيّ المصطفى محمد ﷺ، وما يترتّب على كلّ تصوّر واجتهاد من أحكامٍ و توجيهاتٍ ، لكن على الرّغم من ذلك فقد كان سنْدُنا في تجاوز هذه الصعوبة هو اعتماد المصادر و المراجع التي تُعنى بشرح الحديث النبويّ ودراسة معانيه .

ولا يَسْعُنَا بعدَ كلّ هذا البحث إلّا أنْ نجزل الشكر والتقدير للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور أحمد حساني على عظيم صبره، وكبير جهده، في إشرافه و متابعته لنا في إنجاز هذا البحث الذي ينضاف إلى سلسلة الدراسات اللسانية و البحوث اللغويّة.

وفي الأخير الله نسأل التوفيق والسداد في هذا البحث الذي نحسب أنه يُعدّ واحدًا من
الإسهامات العلمية في دراسة ثاني نصٍّ مُقدّسٍ بعد كتاب الله و هو الحديث النبويّ الشريف، وما
يُميّزه من تلاحُمٍ في بنياته و انسجامٍ في دلالاته ومقاصده، فما كان فيه من صوابٍ وسدادٍ فمن
الله، وما كان فيه من نقصٍ وتقصيرٍ فمن أنفسنا وحسبنا في ذلك أنه جهدٌ بشريٌّ لا يبلغُ الكمالَ
مهماُ مُحاولٌ، كونهُ اجتهدًا، فالله نسأل القبولَ والثوابَ .

الفصل التمهيديّ

أولاً: مفاهيم نصية

أ- النصّ والجملّة والخطاب

ب- الدراسات النصية عند القدامى والمحدثين

ج- الاتّساق النصّي

ثانياً- الإمام البخاري وكتابه "الجامع الصحيح"

أ- ترجمة للإمام "البخاري"

ب- تعريف كتاب "الجامع الصحيح"

ثالثاً- ابن أبي جمرة وكتابه "المختصر"

أ- تعريف "ابن أبي جمرة"

ب- شروح واختصارات كتاب "صحيح البخاري"

ج- تعريف كتاب "جمع النهاية في بداية الخير والغاية"

– أولاً: مفاهيم نصية

أ – النصّ والجملة والخطاب:

إنّ مفهوم النصّ شائكٌ وملتبسٌ وغائمٌ، قُدِّمَتْ بِصَدَدِهِ تصوّراتٌ متباينةٌ، وذلك لارتباطه بحقول معرفية مختلفة، مِنْ لسانیاتٍ و سیمیائیاتٍ ونظریاتٍ نصیّةٍ، وهو مفهوم یُثیرُ مفاهیم مجاورَةً له، مثل الخطاب، والأثر الأدبیّ. وإشکالیّة النصوص الشفویة وغيرها¹. فما مفهومه وما الذي یمتاز عن الجملة والخطاب.

1 – النصّ:

– لغة: رفعك الشيء. نصّ الحديث ینصّه نصّاً: رفعه. وكلّ ما أظهر، فقد نصّ ینصّ: نصّ الحديث إلى فلان أيّ رفعه، ونصّت الطیبة جیدها، رفعته. ونصّ المتاع نصیّاً: جعل بعضه على بعض. ونصّ الدابة ینصّها نصّاً: رفعها فی السیر، قال أبو عبید: النصّ التحریک حتی تستخرج من الناقة أقصى سیرها. ونصّ كلّ شيء: منتهاه وغایته².

وجاء فی مختار الصحاح: « نصّ الشيء رفعه وبأبه ردّ ومنه منصّة العروس بكسر المیم، ونصّ الحديث إلى فلان رفعه إليه. ونصّ كلّ شيء منتهاه. وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه: إذا بلغ النساء نصّ الحقائق، یعنی منتهى بلوغ العقل...»³

¹ تأویلات النصّ وبلاغة الخطاب نحو تأویل تقابلي، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بیروت، لبنان، ط1، 1431هـ/2010م.

² ینظر: لسان العرب، ابن منظور، اعت وتصّ أمین محمد عبد الوهاب ومحمد الصادة العبدی، دار إحياء التراث العربی ومؤسسة التاریخ العربی، بیروت، لبنان، ط3، 1419هـ/1999م، 162/14-163.

³ مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، تق یحي مراد، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007، ص377.

ومّا ذكره الفيروز أبادي أيضا أن النصّ «الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والتوقيف، والتعيين على

شيء ما، وسير نص ونصيص: جد رفيع، والنصّة: العصفور، ونصنصه: حركة وقلقلة».¹

وهو عند الشريف الجرجاني ما ازداد وضوحًا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي، ويغتمّ بغمي كان نصًّا في بيان محبته وما لا يحتمل إلا معنى واحداً . وقيل: ما يحتمل التأويل.²

وفي المعجم الوسيط النصّ: « نصّ الشواء نصيصا: صوّت على النار. والقدر: غلّت ونصّ على الشيء نصًّا: عيّنه وحدّده، ويقال: نصّوا فلانا سيّدًا: نصّبوه . والشيء: رفعه وأظهره... ونصّ الحديث: رفعه وأسندته إلى المحدث عنه، والمتاع جعل بعضه فوق بعض . وفلانا: أقعده على المنصة، والشيء: حرّكه . ويُقال: نصّ فلانًا: استقصى مسألته عن الشيء حتى استخرج كل ما عنده. انتص الشيء: ارتفع واستوى واستقام. والنصّ: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف. وما لا يحتمل إلا معنى واحداً أو لا يحتمل التأويل. والنصّ عند الأصوليين: الكتاب والسنة...»³.

فالذي يتبيّن في المعنى اللغويّ للنصّ أنّه يدور حول مفاهيم أساسية من: منتهى الشيء وغايته، الاستقصاء إلى المنتهى، الإظهار، الرفع أو الارتفاع، ضمّ الشيء إلى الشيء. فهذه المعاني تقترب من التعريف الاصطلاحي للنصّ - الذي سنفصّل فيه القول - بشكل أو بآخر، فالنصّ يظهر فيه

¹ القاموس المحيط، الفيروز أبادي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، باب الصاد، فصل النون، ص 815-816.

² كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/2005م، ص167.

³ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات في إحياء التراث، القاهرة، مصر، 1960، ط1، 983/2:1.

صاحبه ما يريد أن ينتهي إليه، وهو يضم مجموعة الجمل التي تتلاحم فيما بينها، وهو أقصى الشيء بعد الجملة.

- اصطلاحًا:

لتحديد المعنى الاصطلاحي لكلمة "نص" لابد أن نقف على هذا المصطلح وما قصده اللغويون من ورائه قديمًا عند علماء العربية، وحديثًا عند اللسانيين في دراساتهم اللغوية والأدبية فمادة (نصص) كما سبق وأن عرضنا كان لها حضور كبير في معاجمنا العربية كونها لفظة أصلية ليست مؤلفة ولا دخيلة. لكن كيف استعملها نحاتنا و فقهاؤنا؟.

يعرض محمد الشاوش بعضا من ذلك إذ أورد قول ابن هشام: « النص جماعة على منع ذلك كله»¹ وقوله « الغايات لا تقع أخبارا ولا صلوات ولا صفات ولا أحوالا، نصّ على ذلك سيبويه وجماعة من المحققين ». ² وقول ابن جني: « اعلم أنّ إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص و المقيس على النصوص ». ³ وقول الإستراباذي : « فهو نصّ في المعنى المقصود... لكونه نصّا في المعنى المقصود ». ⁴ وغير ذلك من استعمالات النحاة وحتى الفقهاء

¹ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1424هـ/2003م، 256/1.

² المصدر نفسه، 348/1.

³ الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1431هـ/2010م، ص169.

⁴ شرح الكافية، الإستراباذي، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م، 462/1.

التي ظلت حتى عصر الإستراباذي تستعمل استعمال المصدر الدال على معنى الحدث لا بمعنى المنصوص. وهذا لا يمتّ بصلة إلى معنى النص في يومنا هذا.¹

أمّا النصّ حديثاً، فقد تعدّدت تعريفاته وتنوّعت، فبعض التعريفات كما يقول أحمد عفيفي تعتمد على مكوناته الجملية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية التي تجعل الملفوظ نصاً.² ونعرض بعض التعريفات فيما يأتي:

- النصّ عند Halliday و Hasan Ruqaiya "هاليداي ورقية حسن" « كلمة النص تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أيّ فقرة Any passage، منطوقة أو مكتوبة written، Spoken، مهما طالت أو امتدّت... والنصّ هو وحدة اللغة المستعملة، وليس محدّداً بحجمه... والنص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة... وأفضل نظرة إلى النص أنّه وحدة دلالية A
semantic unit، وهذه الوحدة ليست شكلاً Form لكنّها معنى Meaning...»³

¹ ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، 184/1 - 186.

² ينظر: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، 21/1.

³ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ/2000م، 29/1 - 30.

- والنصّ عند Hjelmslev "هلمسليف" يأخذ في معناه الواسع، ويشير بهاته اللفظة إلى أي ملفوظ منطوقا كان أو مكتوبا، طويلا أو مختصرا، جديدا أو قديما ؛ فكلمة (قف) (Stop) تعدّ نصّا مثلها مثل (رواية الورد) (The Roman of the Rose).¹

- ويذهب "برينكر" Brinker و"إيزنبرج" Isenberg و"شتاينتز" Steinitz وغيرهم إلى أنّ النصّ تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أنّ الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص. ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثمّ يمكن بعد ذلك وصفها على أنّها وحدة مستقلة.²

- وهو عند Weinrich "فاينرش": « وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل ».³

- والنصّ عند Hertman "هارتمان" متتالية من الكلمات تكوّن ملفوظا منجزا. أمّا "تيتزمان" Titzmann فيطلق النص على ملفوظات شديدة التنوّع، مستعملة في مقامات شديدة التنوّع هي أيضا ويمكن أن تصدر عن متكلم واحد أو أكثر من متكلم . أمّا بيتوفي (Petofi) فالنصّ عنده هو وحدة لغويّة متكوّنة من أكثر من جملة.⁴

¹ ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ص20.

² ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، 22/1.

³ المصدر نفسه، 24/1.

⁴ ينظر: أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 82/1 - 83.

- والنصّ كما يراه Roland Barthes "رولان بارت" ليس وثيقة تعتمد لمعرفة بيئة الأديب وعصره، وإنما النصّ في حدّ ذاته هدف، « فالأدب ليس إلّا لغة، أي نظام من العلامات، وليس جوهره في الرسالة التي يحملها، وإنما هو في نظامه بالذات».¹

- أمّا عند Todorov "تودروف" فالنصّ يمكن أن يكون جملة، كما يمكن أن يكون كتاباً بأكمله، فأهمّ ما يحدّده هو استقلالته وانغلاقه.²

- والنصّ عند Robert De Beaugrande "روبرت دي بوجراندي" وWolfgang Iser "والفغانغ دريسلر" حدث تواصل يُلزم لكونه نصّاً أن تتوفّر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد منها وهي: السبك - الحبك - القصد - القبول - الإخبارية - المقامية - التناص.³

هذا عند الغرب، أمّا عند الباحثين العرب فالنصّ عُرّف بالموازاة مع ذلك تعريفات شتى متباينة الاتجاهات والتي نذكر منها:

- الأزهر الزناد يرى أنّ النصّ علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدالّ ووجه المدلول. ويتوفّر في مصطلح (نصّ) في العربية، وكذلك في مقابله في اللغات الأعجمية Texte معنى (النسيج). فالنصّ نسيج

¹ ينظر: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، ص22.

² ينظر: المصدر نفسه، ص22.

³ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 33/1-34.

من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحدٍ هو ما نطلق عليه مصطلح (نص).¹

- أمّا صلاح فضل فيرى ضرورة بناء مفهوم النصّ من جملة المقاربات التي قدّمت له في البحوث البنيوية و السيميولوجيّة الحديثة دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة، فالنصّ ليس مجرد لغة، وليس مجرد اتّصال، وليس مجرد كتابة، وليس تتابعا لجمل مترابطة يراعى فيه الظروف الخارجية أحداثا وزمانا ومكانا، إنّه يتكوّن من كلّ ذلك وأكثر.²

- والنصّ عند سعيد يقطين « بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية، ضمن بنية نصية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محدّدة ». ³ وقد ركّز في تعريفه هذا على ثلاثة عناصر: عنصر بنيويّ يقوم على بنية دلاليّة يستوعب النص من خلالها دالاً ومدلولاً، وبنية نصيّة مجموعة مكوّنات بنيات داخلية، وبنية ثقافية اجتماعية هي التي تحدّد النص، وعنصرا إنتاجيّاً من خلال أفعال إنتاجية تقوم بها الذات إزاء ذاتها وإزاء الموضوع، وعنصر ثالث وهو أنّ النصّ في إطار بنيات ثقافية واجتماعية محدّدة يتحدّد النصّ في زمن مرهون بسياق اجتماعي وثقافي محدّدين.⁴

- ويأتي تعريف محمد خطابي للنصّ انطلاقاً من مفهومه عند هالداي ورقية حسن إذ أنّ النصّ هو وحدة دلالية لها ترتيبها الخاص وليست الجمل إلاّ الوسيلة التي يتحقّق بها النص، ولن يكون النص

¹ ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م، ص12.

² ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص27 - 28.

³ انفتاح النص الروائي النص والسياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001م، ص32.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص32 - 34.

نصًا ما لم يعتمد على مجموعة الوسائل اللغوية التي تخلق له النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة.¹

- أمّا النعمان بوقرة فالنصّ في منظوره شكل لغويّ تكوّن وفق قواعد محدّدة لا يتحقّق فهمه إلاّ على مستويّين هما:

- المكوّنات السطحية التي تمثّل علامات لغويّة تربطها علاقات نحويّة لتشكيل المعنى.

- المكوّنات العميقة التي تمثّل تصوّرات تربطها علاقات دلالية.²

والذي يتّضح من كثير التعريفات وتنوّعها وإن تعدّدت وجهاتها فقد ركّزت على البُعدين الداخلي البنيويّ للنصّ أو الخارجي الوظيفي، أو حتّى التداولي.³ ويمكن أن نقرّ أنّ من التعريفات الجامعة التعريف الذي نقله كل من الدكتور سعد مصلوح والدكتور سعيد بحيري عن "روبرت دي بوجراند" و "الفغانغ دريسلر" أنّه «حدث تواصل يُلزم لكونه نصّا أن يتوفّر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد منها وهي: 1 - السبك أو الربط النحوي Cohésion، 2 - الحبك أو التماسك الدلالي Cohérence، 3 - القصد Intentionality، 4 - القبول أو المقبولية Acceptability، 5 - الإعلام أو الإخبارية Informativity، 6 - المقامية Situationality، 7 - التناص Intertextuality».⁴

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطايي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م، ص13-14.

² ينظر: مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص1، 2008م، ص56.

³ ينظر: انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، ص29.

⁴ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 33/1 - 34.

- أنواع النصّ:

يمكن تقسيم النص إلى قسمين: نص مفتوح، ونص مغلق:

1- النصّ المفتوح: هو مثل الوصفات الطبية المطوّلة، واللغة التي تدور بين الطلاب، ولغة الفصول في المدارس بين الأساتذة والطلاب، وهو أيضا النص الذي حدث له تناس بالمساس بنصوص أخرى وإدراج بعضها في النص.

2- النصّ المغلق: وهو مثل الرسائل المستعملة في خدمة الجنود بالقوات المسلحة والتي ترسل خلال الأجهزة اللاسلكية، ومثل نصوص المناقصة والمزاد، ونصوص قوائم الطعام وغيرها، وهو أيضا النص الذي اكتفى بنفسه ولم تدخل أيّ تدخلات أجنبية من نصوص أخرى أي لم تحدث له عملية التناس.¹

- مفهوم الجملة:

لقد حاول اللغويّون على مرّ العصور تعريف الجملة، فكان هناك تباين كبير في تحديد مفهومها، حيث يقول محمد إبراهيم عبادة: « ليس للجملة تعريف متفقّ عليه عند النحويين العرب شأنهم في ذلك شأن غيرهم من اللغويين القدماء والمحدثين »². وهو نفسه حاصل في الدراسات اللغوية عند الغرب حيث صرّح بذلك دي بوجراند قائلا: « لقد اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة Sentence دون غيره،

¹ ينظر: المصدر نفسه ، 57/1.

² الجملة العربية، محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984، ص209.

ومن المقلق أنّ هذا التركيب الأساسي قد أحاط به الغموض وتباينت صُورُ التعريف به حتى في وقتنا الحاضر...»¹ ومع كثرة الاختلافات في التعاريف إلّا أنّ هناك شبه إجماع على اعتبارها وحدة الكلام وقاعدته، وأنها بالأساس عملية إسنادية تشتمل على مكوّنين هما المسند والمسند إليه، يضاف إليها عنصر أو أكثر من ذلك إذا لم تكف العملية الإسنادية بذلك²

لكن نكتفي هنا بذكر تعريف واحد لمصطفى الغلاييني: «الجملة قول مؤلف من مسند ومسند إليه، فهي المركب الإسنادي شيء واحد مثل: قوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾»³. ولا يشترط فيما نُسَمِّيه جملة، أو مركباً إسنادياً أن يفيد معنى تامّاً مكتفياً بنفسه. كما يشترط ذلك فيما نسمّيه كلاماً. فهو قد يكون تام الفائدة: نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾»⁴. فسَمِّيَ كلاماً أيضاً. وقد يكون ناقصاً نحو: (مهما تفعل من خير أو شر) فلا يُسمَّى كلاماً، ويجوز أن يسمّى جملة أو مركباً إسنادياً، فإن دُكر جواب الشرط، ففيل: (مهما تفعل من خير أو شرّ تلاقه) سَمِّيَ كلاماً أيضاً لحصول الفائدة التامة»⁵.

¹ ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، ص 67. نقلا عن النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص 88.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 68.

³ سورة الإسراء: 81.

⁴ سورة المؤمنون: 01.

⁵ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، تح وتع: منصور علي عبد السميع، وثناء محمد سالم، ومحمد محمود القاضي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط 2، 1434هـ/2013م، ص 690 - 691.

- أنواعها:

قسّم النحاة العرب الجملة أقسامًا عديدة، وكان الاهتمام الأكبر عندهم بهذا الموضوع واضحاً في ما خصّ به ابن هشام "الجملة" وأقسامها وما يتعلّق بها في كتابه الموسوم بـ "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" حيث خصّص جزءه الأوّل لبحث المفردات والثاني لبحث الجمل.¹ فقسّم الجملة باعتبارات عديدة:

1- تقسيم على أساس الإسناد: اسمية، فعلية، ظرفية.

2- تقسيم على أساس التركيب: كبرى وصغرى، وذات الوجه وذات الوجهين.

3- تقسيم على أساس الوظيفة الإعرابية: جمل لا محلّ لها من الإعراب، وجمل لها محل من الإعراب.²

كما قسّم النحاة المتأخرون واللغويّون المتأخرون الجملة تقسيماتٍ عديدةً باعتبارات مختلفة.³

مما نذكره في سياق الجمل وعلاقتها بالنص تقسيم الأزهر الزناد الجملة إلى قسمين: جملة نظام، وجملة نصية.

- جملة نظام: **System sentence** وهو شكل الجملة المجرد الذي يولّد جميع الجمل

الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما.

¹ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، صيدا بيروت دط ، 2003م، 14/1.

² ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1411هـ/1991م، 433/2، 497.

³ ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نخلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1408هـ/1988م، ص23، والجملة العربية تأليفها وأقسامها فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ/2002م، ص157.

- جملة نصية: **Texte sentence** وهو الجملة المنجزة فعلا في المقام، وفي هذا المقام

تتوفّر ملابسات لا يمكن حصرها، يقوم عليها الفهم والإفهام، وتتعدّد الجمل في المقام الواحد

وعلى لسان شخص واحد نظريًا إلى ما لا نهاية له.¹

3- مفهوم الخطاب:

- **الخطاب لغة:** من الفعل خطب جاء في لسان العرب: «الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام،

وقد خَاطَبَهُ بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان... قال الجوهري: خطبتُ على المنبر خُطبة

بالضمّ، وخطبت المرأة خُطبة بالكسر، واختطب فيهما... وذهب أبو إسحاق إلى أنّ الخُطبة عند

العرب: الكلام المنشور المسجّع، والخطبة مثل الرسالة التي لها أوّل وآخر... وخُطِب بالضمّ خطابة

بالفتح صار خطيبا». ²

- **أمّا اصطلاحا:** فهو كما ذكر محمد الشاوش نقلا عن التهانوي: «توجيه الكلام نحو الغير

لإفهام، ثم نقل إلى الكلام الموجّه نحو الغير للإفهام». وفي هذا الحدّ بيان لانتقال الكلمة (خطاب)

في الدلالة على معنى الحدث المتحقّق بصيغة المصدر إلى الدلالة على المعنى الذي يدلّ عليه اسم

الذات، على أنّ استعمال النحاة لهذه اللفظة بالمعنى الحديثي أغلب وأفشى.³

¹ نسيج النص، الأزهر الزناد، ص14.

² لسان العرب، ابن منظور، 4/135، وينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، باب الباء فصل الخاء، ص107 - 108، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات في إحياء التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1972م، ص286 - 287.

³ أصول تحليل الخطاب في النظرية اللغوية العربية، محمد الشاوش، 194/1 - 195.

4- أوجه الاختلاف بين الجملة والنص:

لقد حدّد دي بوجراند الفروق بين كلّ من الجملة والنص في مبحث موسوم بـ " النص في مقابل الجملة "Text versus sentence" يمكن أن نذكر أهمّ هذه الاختلافات فيما يأتي:

1- النصّ نظام فعّال على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي.

2- الجملة كيان قواعدي خالص يتحدّد على مستوى النحو فحسب، أمّا النصّ فحقّه أن يعرف تبعاً للمعايير الكاملة للنصّية.

3- الحكم بأنّ تركيباً ما يُعدّ جملةً يتمّ بمقارنة هذا التركيب بالأنماط التي تسمح بها القواعد النحوية. أمّا التمييز بين ما يُعدّ نصّاً، وما لا يُعدّ نصّاً فلا يتمّ بمثل هذه المقارنة الآلية: فكأنّ النصّ مقبولاً أو غير مقبول يتمّ بحسب درجة معقّدة لا بحسب تقابل ثنائي.

4- ينبغي للنصّ أن يتّصل بموقف يكون فيه تفاعل مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف، وهذه البيئة الشاسعة تسمّى سياق الموقف. أمّا التركيب الداخلي للنصّ فهو سياق البنية. وأمّا الجمل فهي أقلّ تأثراً بهذه العوامل بحيث يمكن للمرء أن يخطّط جملاً لا يمكن أبداً أن تردّ دون تكلف.

5- النصّ تجلّ لعمل إنساني ينوي به شخص أن يُنتج نصّاً ويوجّه السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقاتٍ من أنواعٍ مختلفة. أمّا الجملة فهي ليست عملاً ولهذا كانت ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية لاقتصار استعمالها على تعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحويّة فحسب.

6- النصّ توالٍ من الحالات، فالحالة المعلوماتية، والحالة الانفعالية، والحالة الاجتماعية لمستعملي النصّ عُرضة للتغيّر بواسطة النصّ . أمّا الجمل فيجري النظر إليها بوصفها عناصر من نظام ثابت متزامن لتنطبق الضوابط انطباقاً مطّرداً (على سبيل الوجوب والصواب) أو لا تنطبق أبداً.

7- الأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر ممّا تنطبق على الجمل لأنّ الوعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحويّة.

8- العوامل النفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل.

9- النصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتصاد الجمل لغيرها من الجمل.¹

5- العلاقة بين النصّ والخطاب:

انطلقت تحديدات الغربيين للنصّ من دوافع وموجّهات عديدة فتباينت بذلك تعريفاتهم ، سواء تلك التي تعتبر النصّ والخطاب شيئاً واحداً أو التي تفصل بينهما فصلاً تامّاً كاعتبار مادّة التعبير

المستعملة في كليهما بين خطيّة النصّ وصوتية الخطاب وغير ذلك من الاعتبارات.²

يكاد يجمع أغلب اللغويين أنّ النصّ يمثّل المظهر الشكلي المجرد للخطاب، بينما يعني الخطاب الممارسة الفعلية الاجتماعية للنصّ ؛ فعلم النصّ يُعرّف أنّه الدراسة اللغويّة التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظّم بناء مختلف النصوص، وعن المعايير التي تميّز النصّ عن اللانصّ . بينما

¹ ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند تر تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ/1998م، ص88 - 94.

² ينظر: تأويلات النصّ وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ/2010م، ص131 - 132.

تحليل الخطاب هو دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه أي يرجع إلى العلاقة بين النص والسياق، لكن أكبر علماء هذين العلمين لا يفرّقون إلا نادرا بين هذين المصطلحين مع تأكيدهم على ضرورة أن تشتمل الدراسة النص والسياق معًا كما هو عند Van Dijk "فان دايك" و"دي بوجراند" وغيرهما¹. ولعلّ الفرق الوحيد كما يرى فان دايك أنّ ما يطلق عليه العالم الأنجلو-سكسوني "تحليل الخطاب" (Discourse analysis) يقابله في بعض الدول الأوروبية مصطلح علم النص (Science du texte).² والذي نرجّحه أن لا ضرورة للفصل بين النص والخطاب لاسيما أنّ أيّ فرق بينهما يمكن أن يظهر فهو سرعان ما يتلاشى في الدراسة والتحليل التي تشتمل على دراسة بنية النص والخطاب، كما يرى محمد الشاوش سيزيد الشقة بين النظرية والواقع اتساعا وبُعْدا. وستتجسّم آثار اتساع هذا الخرق في إقامة أصناف من الوحدات والظواهر اللغوية إلى صنف تابع للحملة واللغة والنظام، وآخر تابع للنص والإجراء والاستعمال. وليس التفرّع في العلم شرًّا في حدّ ذاته. إنّما الشرّ في التفرّع الذي يُقام على حدود واهية بين الفروع، فتكون النتيجة التفتّت والتكرار والتنازع في قسمة مختلف الظواهر، والمسائل اللغوية على مختلف العلوم.³

¹ ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، ص73 - 75.

² ينظر: المصدر نفسه، ص76. وينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك : تر سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص14 والنص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص91.

³ ينظر: أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 101/1 - 102.

ب- الدراسات النصّية عند القدامى والمحدثين:

1- مفهوم نحو النصّ وعوامل تأسيسه:

لقد كان ظهور اللسانيات النصّية أو ما يسمّى بنحو النصّ كامتداد طبيعي للدراسات اللغويّة المتمثّلة في نحو الجملة في اتجاهاتها المختلفة حين لم تعد الجملة كافية لكلّ مسائل الوصف والتحليل اللغويّ سواء من حيث البنية الشكلية أو الدلالية، أو الجانب التداولي، والسياق الثقافي العام، كان من الحتم أنّ يوجد نحوٌ جديد يرمي إلى الوصول إلى إيفاء هذا التحليل حقّه من الدراسة ليلعب دوره - النص - بذلك في التواصل اللغويّ بين المخاطب والمخاطب.¹

فعلم النصّ يُعدّ فرعاً معرفياً جديداً تكوّن بالتدرّج في النصف الثاني من القرن العشرين، وبعد ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهاراً عظيماً، وتقوم المراجع المتخصصة الوفيرة شاهداً على الدرجة العالية التي يسهم بها هذا الوافد الجديد إسهاماً حاسماً مع العلوم اللغوية في تطور علم اللغة بشكل عام.²

- نَحْوُ النصّ في الدراسات العربيّة:

لكنّ قبل الحديث في بدايات هذا العلم عند الغربيّين نقف أولاً على جهود علماء العربية القدامى في الدراسات النصّية كونهم يشكّلون مرحلة كبيرة وحلقة شاسعة في مراحل بناء الفكر الإنساني عامة والفكر اللغوي خاصة.

¹ ينظر: مقال: "مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص"، رشيد عمران، لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، الجزء الأول، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات - النصّ وتحليل الخطاب - جامعة ابن زهر، المغرب، ط1، 1434هـ/2013م، ص379-380

² ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي، فولفجانج هانيه من و ديتر فيهفيجر، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ص3.

فالبَدْءُ مِنَ الصَّفَرِ المنهجيّ في هذا المقام - مقام الدراسة النصيّة - كما يقول إبراهيم الفقي يعني إهدار أربعة عشر قرناً من النتاج اللسانيّ المتميّز الذي هو إنجاز قوم من أعْلَمِ الناس بفقه العربية وأسرار تركيبها، فلنْ يتحقّق طموحٌ في وضع نظريّة علميّة دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث والإفادة من الدراسات الحديثة والإخلاص للبحوث التطبيقية.¹

فإذا نظرنا إلى البلاغيّين فإنّنا واجدون إشارات نصية كبيرة واضحة في قضايا كثيرة. من ذلك ما عرضه محمد خطابي في إشارة الجاحظ في كتابه: "البيان والتبيين" إلى أهميّة الفصل والوصل وذلك أثناء سرد الجاحظ لتعريفات البلاغة، حيث عدّ البلاغة متمثلة في معرفة الفصل والوصل، أضف إلى ذلك جهد الجرجاني في هذا الباب "حول ما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض" أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى². فالجرجاني انطلق من مجموعة من الأسس والقواعد التي تنظّم عطف المفرد على المفرد وعطف الجملة على الجملة وغيرها لاستثمار ذلك في الفصل والوصل بلاغيّاً³، كما ورد مصطلح التضام (Collocation) عنده عند حديثه عن أنّ الكلمة لا تكون مفيدة « إلّا بضَمّ كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة... وقالوا لفظة متمكّنة ومقبولة وفي خلافه: قلقة ونائية ومستكرهة إلّا وغرضهم أنْ يعبروا بالتمكّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق و النُبُو عن سوء التلاؤم، وأنّ الأولى لم تَلقُ بالثانية

¹ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 83/1.

² دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص222.

³ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص97 - 101.

في معناها...»¹. ويقف إبراهيم الفقي على الآية القرآنية التي حللها الجرجاني وهو قوله تعالى:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَ يَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ

وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾². وكيف كان تحليله يقرب إلى حد كبير من التحليل النصي إذ يقول:

« فنلاحظ هنا حديثه عن الارتباط، وهذا يلتقي مع صلب علم اللغة والنص، وربط كذلك بين

(قيل) في أول النص، و(قيل) في آخره، وذلك ربط الأول بالآخر، وهذا أيضا من صميم علم

النص»³. كما كان حضور المصطلحات النصية واضحا في كلام البلاغيين وعلماء التفسير كـ "المناسبة

والتماسك والاتساق والانسجام والتكرير والربط والمرجع (الإحالة)" وغيرها عند الزركشي والسيوطي

والفخر الرازي وابن عاشور وغيرهم.⁴

إضافةً إلى ذلك فلم يكن الدرس النحوي بدوره بعيداً عن الدراسات النصية في مختلف القضايا

النحوية، لكن هذا ليس يعني تأسيسهم لعلم النص، وضبط منهجية تقوم عليها تطبيقاته ومفاهيمه

لكنهم كانوا على اطلاع ومعرفة واسعة بترابط النص كونه وحدة متماسكة تتلاحم أجزأؤه الواحد

منها مع الآخر كما يقول عيسى جواد الدواعي: « والحق أنّ النص لم يكن أبداً خارج مجال الدرس

النحوي العربي، وإن غابت المصطلحات الدالة عليه... ولو أننا أمعنا النظر في ما جاء على ألسنة

النحويين لوجدنا اهتماما كبيرا بالنصوص المتكاملة، إنّ لم نقل إنّ نظريتهم كانت قائمة على أساس

وحدة النصوص وتماسكها، غير أنّ تلك النظرة كانت ضمنية في أعمالهم، فلم يصرحوا بها إلّا في

¹ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 44 - 45.

² سورة هود: 44.

³ علم اللغة النصي، إبراهيم الفقي، 84/1 - 85.

⁴ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 97 - 207، وعلم اللغة النصي، إبراهيم الفقي، 83/1 - 87.

مواطنٌ قليلة...»¹.

ووقف على نماذج وأمثلة على ذلك، كربطهم الكلام بالفائدة التي لا يمكن تحصيلها إلا من الجمل كما صرح به ابن جني في الخصائص²، وكتصريحهم بوحدة النصوص في مواطن عدّة كحديث السهيلي (ت581هـ) عن (أم) المنقطعة المشوبة المعنى بالإضراب والاستفهام³، وكذلك ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) وتصريحه بأنّ القرآن الكريم نصّ واحد متكامل في سياق عرضه اختلاف النحويّين في (لا) النافية في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾⁴ وغيرهم من النحاة الذين عاجلوا بعض المسائل انطلاقاً من كون النص وحدة متماسكة مع عدم تصريحهم بها إلا في مواطن قليلة.⁵

- نحو النصّ في الدراسات الغربيّة:

أمّا نحو النصّ⁶ في الغرب فهو أوّلاً من حيث المصطلح ترجمة للمصطلح الغربي (Text grammar) أو (The grammar of the text) ويقصد به الباحثون في هذا المجال مجموعة القواعد النحوية النصيّة التي تنظّم عالم النصّ أو تنظّم بناء النصّ.⁷

¹ مقال " التماسك النصي في الدرس العربي"، عيسى جواد الوداعي، لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجزء الأول، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جامعة ابن زهر، المغرب، " ص 347 - 348.

² ينظر: الخصائص، ابن جني، ص 57- 67.

³ ينظر: نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/1992م، ص205.

⁴ سورة القيامة: 01.

⁵ ينظر: لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجزء الأول، " التماسك النصي في الدرس العربي"، عيسى جواد الوداعي، ص 347 - 353.

⁶ نحو النصّ له تسميات كثيرة: لسانيات النص، علم النص، علم لغة النص، نحو النص، علم اللغة النظامي، لسانيات القول، تحليل الخطاب... للمزيد ينظر: لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجزء الأول، مقال "عندما تسافر النظرية - لسانيات النص نموذجاً -"، حافظ إسماعيلي علوي، ص326

⁷ مقال "نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي"، عبد المهدي هاشم الجراح، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم والآداب، جامعة العلوم والتكنولوجيا، إربد، الأردن،، مج33 ع1، 2006م، ص72.

وهو يستهدف ما هو أكثر عمومية وأكثر شمولية، فهو ينطلق من جهة بكل أشكال النص الممكنة، وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها، ويعني من جهة أخرى بمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية.¹

« وهو يدرس النص من حيث هو بنية مجردة تتولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ (نص) ويكون ذلك برصد العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة، مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها، وهي في هذا تتقاطع في موضوعها مع جميع العلوم المتعلقة بدراسة النص وتجمعها، فتتجاوزها لأنها أقصاها تجريدا في ما تقيمه، فلا تهتم بالمضمون إنما تبحث في ما يكون به الملفوظ نصا...»² هذا من حيث المفهوم، أما بداياته فيبدو أن الباحثين اختلفوا، وتعددت آراؤهم في ذلك، فمنهم من يُرجع الإرهاصات الأولى لظهور لسانيات النص إلى Zellig Harris "زيليج هاريس" بكتابة "تحليل الخطاب" عام 1952م، ومنهم من يشير إلى أن الأمريكية Nye "ناي" هي صاحبة قصب السبق في هذا المجال.³ ومحاولات أخرى كمحاولات Isenberg "أيسنبرج" و Harweg "هارفج" وغيرهم.⁴ إلا أن أغلب الآراء تتجه إلى أن "فان دايك" هو الذي وضع تصوّرا كاملا لنحو النص منذ بداية عام 1972 متجاوزا الآراء التي كانت مطروحة عن نحو النص ومحاولا إقامة أنحاء النص في كتابه: "بعض مظاهر نحو النص" (Some aspects of text grammar) حيث كان يقرن بين النص والخطاب في معنى واحد، الأمر الذي أفلح عنه عام 1977 في كتابه (Text

¹ علم النص متداخلات النص، فان دايك، تر سعيد حسن بحيري، ص14

² نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص18

³ ينظر: لسانيات النص وتحليل الخطاب الجزء الأول، مقال "عندما تسافر النظرية - لسانيات النص نموذجا -"، حافظ إسماعيلي علوي، ص304.

⁴ ينظر: مقال "نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي"، عبد المهدي هاشم الجراح، مج33، ع1، ص72.

(and context) محاولاً إقامة نحو عام للنص يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية.¹

وهناك أيضاً الكثير من اللغويين المعاصرين الذين أسهموا في تشكّل هذا العلم مثل "شتمبل Stempel" و"جليسون Gleason"، و"شميت Schmidt" و"دريسلر Dressler"، و"برينكر Brinker" وغيرهم.²

– دواعي تشكّل علم النص:

1- التواصل والتفاعل بين أطراف الكلام لا يتحقق باستعمال كلمات معزولة أو حتى عبارات وجمل محدودة، وإنما يتأتّى ذلك من خلال إنجازات كلامية أوسع وأشمل ممثلة في النص أو الخطاب، كما يرى ميشيل مايير (Michel Meyer) من أنّ الجملة لا تتحقّق ولا تكتسب هويتها إلاّ في إطار الخطاب أو السياق، وعملية عزلها هي ممارسة مقصودة وليست معطى طبيعياً قائماً بذاته.³

2- في دراسة بعض الظواهر التركيبية والوقوف على بعض الوحدات اللغوية تكون الحاجة ملحة للدراسة في إطار النص مثل الضمائر، والروابط، وأزمنة الفعل، والإشارة وغيرها، وهذا بالعودة إلى سياق التلقّظ والظروف المحيطة بإنتاج النص.⁴

3- الارتباط الوثيق بين "نحو النص" و "تحليل الخطاب" وتركيز بعض المذاهب النقدية الجديدة على النص كبنية كليّة، لا على الجمل باعتبارها فرعاً . كان هذا عاملاً اجتذبت النصوص علم النحو، مع

¹ ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص33، وينظر: انفتاح النص الروائي النص والسياق، سعيد يقطين، ص14 - 15.

² المصدر نفسه، ص33.

³ ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، ص64 - 65.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص65 - 66.

وجود تلك المذاهب باتجاهاتها النصية ليظهر التحول من نحو الجملة إلى نحو النص فيشمل النص وسياقه وظروفه ومعانيه وكل ما يحيط به.¹

4- تغيّر الدرس اللساني في نظريته إلى اللغة وذلك للإحساس الطاعني بالوظيفة الاجتماعية للغة، وإلى ضرورة وجود الدور التواصلية الذي يعده علماء اللسانيات جوهر العمليات الاجتماعية.² وهذا ما يؤكّده تمام حسان في أنّ الأعراض الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر ممّا تنطبق على الجمل. والوعي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية.³ هذه بعض العوامل التي كانت وراء بناء نحو النص، الذي فتح آفاقاً أوسع للدراسة اللغوية في فضاء أكثر شمولاً بتحليل البنية اللغوية للنص في موقف وجانب ثقافي، وتداولي، واجتماعي، يفهم غرضه في الوصف، والتحليل.

2- المعايير النصية:

إنّ جملة المعايير النصية تنطلق ممّا سُمّي بـ "النصية" حيث الضوابط والركائز التي تجعل من النص نصّاً، ويقوم عليها التحليل النصي، وقد حدّدها "دي بوجراند" في سبعة معايير في قوله: « وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية Textuality أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها ».⁴

¹ ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص 37.

² ينظر: المصدر نفسه، ص 40.

³ ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر تمام حسان، ص 92 - 93.

⁴ المصدر نفسه، ص 103.

1- الاتساق (Cohésion) (السبك، الربط النحوي): وهو يترتب على إجراءات تبدو بها

العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط.

2- الانسجام (Cohérence) (الحبك، التماسك): وهو ما يتركز على الترابط المفهومي،

أي المعنى والجانب الدلالي.

3- المقصدية (Intentionality) (القصد): وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون

صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام... وأنّ مثل هذا النص

وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.¹

4- المقبولة (Acceptability) (القبول): وهو يتضمن موقف مستقيل النص إزاء كون

صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام.² أي

ترتبط بموقف المتلقي من قبول النص.³

5- المقامية (Situationality) (رعاية الموقف): وتعلق بمناسبة النص للموقف.⁴

¹ ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر تمام حسان، ص 103.

² النص والخطاب والإجراء، ص 104.

³ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم الفقي، 33/1.

⁴ المصدر نفسه، 34/1.

6- التناصّ (Intertextuality): وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة

به، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة.¹ وهو يأخذ بُعد التضمين كأن تتضمّن بنية نصية ما عناصر سردية أو تيمية من بنيات نصية سابقة، وتبدو وكأنّها جزء منها، لكنّها تدخل معها في علاقة.²

7- الإعلاميّة (Informativity): وهي العامل المؤثّر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على

الوقائع النصية في مقابلة البدائل الممكنة. ولكلّ نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع.³

هذه المعايير السبعة التي صنّفها سعد مصلوح ثلاثة أصناف كما يأتي:

1- ما يتصل بالنص في ذاته وهما معيار الاتساق والانسجام.

2- ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقّيًا، وهما معيارا المقصدية والمقبولية.

3- ما يتصل بالسياق المادّي والثقافي المحيط بالنص، وتلك المعايير هي: الإعلامية، والمقامية والتناص.⁴

¹ النص والخطاب والإجراء، ص105.

² انفتاح النص الروائي النص والسياق، سعيد يقطين، ص99.

³ ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ، تر: تمام حسان، ص105.

⁴ ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص76.

3- علاقة نحو الجملة ونحو النص:

لا شك أنّ بانطلاق نحو النص انطلقت معه آفاق الدراسة اللغوية لتخرج من مستوى التحليل على مستوى الجملة لتتسع إلى مستوى أرحب، وهو التحليل على مستوى النص كون الجملة جزءاً من النص وما يقدمه الجزء لا يغطي الحاجة لما يقدمه الكل.

وأجرى الباحثون دراسات فراحوا يقارنون فيها بين النحويين ممّا يلتقيان فيه وما يفترقان حوله.¹ ومن هاته الآراء نعرض السؤال الذي طرحه الدكتور محمد الشاوش حول علاقة لسانيات الجملة بلسانيات النص، علاقة انفصال أم علاقة اشتغال . وقد عرض تصوّرين من آراء الدارسين ثمّ أشار إلى تصوّر ثالث ؛ فأما الرأي الأوّل فاتجه إلى اعتبار النص والجملة كيانين منفصلين كلّ له صنفه الشكلي الذي يمايزه على الآخر، ولا يمكن أن يكون أحدهما متولّداً من الآخر. والرأي الثاني اعتبر نحو الجملة جزءاً من نحو النص بالضرورة والعكس غير صحيح. أمّا الرأي الثالث وهو استيعاب الجملة للنص، و منطلقه تقدير أفعال في البنية العميقة بما يمثّل مكوّنات عملية القول، فهي عملية عمادها الانطلاق من تقدير فعل القول في بداية كلّ جملة أو نص فيضحي للنص محلّ في الجملة يتحكّم فيه فعل القول، وهو ما يمثّله ظاهرة الحكاية في النحو العربي.²

ومع تباين هذه الآراء، واختلاف التوجّهات فإنّ الأهم أنّ نحو الجملة يظلّ حيّاً وفعّالاً ولا يمكن تجاهله أو طرحه، لأنّه كما يمثّل الحرف نواة الكلمة، والكلمة نواة الجملة، فكذلك الجملة تمثّل نواة

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 72 - 92. وينظر: لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجزء الأوّل، "مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص"، رشيد عمران، ص 387 - 389.

² ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 100/1 - 101. وينظر: نسيح النص، الأزهر الزناد، ص 18 - 20.

النص، فالنص عبارة عن متتاليات من الجمل في الأغلب. والعلاقات النصية هي في معظمها علاقات قائمة بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، ثم بين الكلمات داخل عدّة جمل، فلا يمكن الاستغناء عن كليهما، فعلم النص قائم على نحو الجملة، ولا يمكن الفصل بينهما، غير أنّ تجاوز نحو النصّ حدود الجملة في التحليل يسمح بطرح إمكاناتٍ متعدّدة للفهم، وفضاءات أوجب للتفسير.¹

ج- الاتّساق النصّي:

إذا كنّا قد عرفنا أنّ الاتّساق واحد من المعايير السبعة التي تجعل النصية للنص، وبه تتحدّد العلائق الكامنة في البنية الشكلية للنص حتى تتّضح المفاهيم والأبعاد الدلالية المتضمنة بين جملها انطلاقاً من الكلمة الواحدة وصولاً حتى التتابعات الجمالية في النص الواحد، أو حتى في نصوص عديدة، فنقف أولاً على المعنى اللغويّ لهذا المصطلح، ومن ثمة نتبيّن بزيادة تفصيل معناه الاصطلاحي كما حدّده العلماء والباحثون عرب وغرب.

- التعريف اللغويّ:

جاء في اللسان: الاتّساق مِنْ وَسَق. الوَسَقُ والْوَسَقُ: مكيّلة معلومة، وقيل: هو حمل بغير وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ، والأصل في الوَسَق الحمل، وكلّ شيء وَسَقْتُهُ فقد حملته. والوَسُوق: ما دخل فيه الليل وما ضمّ. وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انضم فقد اتسق. والطريق يأتسق ويتسق

¹ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم الفقي، 49/1 - 51.

أي ينضم واتسق العمر: استوى وفي التنزيل ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾¹. والاتساق: الانتظام.²

وجاء في القاموس المحيط: الاتساق من الفعل وَسَقَ وَسَقَهُ يَسِقُّهُ: جَمَعَهُ وَحَمَلَهُ، وَسَقَ الحنطة توسيقاً جعلها وَسَقًا وَسَقًّا. وأوسق البعير حملة. والنخلة كثر حملها. واتَّسَقَ: انتظم.³

وقال أبو بكر الرازي (ت666هـ): الاتساق من وسق الوسق، مصدر وسق الشيء أي جمعه وحمله وبابه وعد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾⁴. فإذا جَلَّ الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجتمعت له فقد وسقها، والوسق أيضا ستون صاعا. قال الخليل: الوسق حمل البعير والوفر حمل البغل والحمار. والاتساق الانتظام، وأوسق البعير حمَّله حمَّله.⁵

وجاء في منجد اللغة والأعلام: الاتساق وسق يسق وسقا الشيء: حملة. وجمعه . والبعير حملة الوسق، وسقت النخلة حملت وقرأ. اتسق الأمر: انتظم واستوى.⁶

إنَّ باستقراء جلِّ ما جاء في المعاجم العربية حول كلمة "الاتساق" نجد أنَّ المعنى اللغوي لها تراوح بين معانٍ محدَّدة وهي: الحمل والجمع، والانتظام والاستواء، والضم. ولا شكَّ أنَّ هذا له صلة بالمعنى الاصطلاحي لـ "الاتساق" بشكل أو بآخر؛ فالنص يحمل ويضمّ وحدات لغويّة من أصغر وحدة وهي

¹ سورة الانشقاق: 16 - 18.

² ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 299/15 - 301.

³ ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، باب القاف فصل الواو، ص 1190 - 1191.

⁴ سورة الانشقاق: 17.

⁵ مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ص 409.

⁶ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 29، 1986م، ص 810 - 811.

الصوت التي تتشكّل منها الكلمة، فالجملة، فالتتابع من الجمل والعبارات، كما أنّ هذه المكونات للبنية اللغوية للنصّ تأتي بنسقٍ مستوٍ وشكلٍ منتظم.

- التعريف الاصطلاحي:

كما هو شأن المصطلحات الكثيرة التي ترجمت من لغة أخرى إلى العربية شهدت الكثير من الاختلافات والتباين في المفاهيم المترجمة في المجال التداولي العربي ومن تلك المفاهيم مفهوم الاتساق والانسجام من خلال الترجمة العربية لمصطلحي (Cohésion) و (Cohérence)،

فالانساق (Cohésion)¹ مصطلح نجده عند كل من محمد خطابي ومحمد الشاوش.² ويطلق عليه إلهام أبو غزالة لفظ (التضام)³، أما تمام حسان فعنده (السبك)⁴، وهو عند أحمد عفيفي (السبك، أو الربط أو التضام)⁵. وعند محمد الأخضر الصبيحي (الانسجام)⁶، وسمّاه إبراهيم الفقي (التماسك الشكلي)⁷، وعند الأزهر الزناد (الربط التركيبي والتماسك)⁸. وعند سعيد حسن بحيري (الربط النحوي).⁹

¹ ينظر: لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجزء الأول، "عندما تسافر النظرية" - لسانيات النص نموذجاً - حافظ إسماعيل علوي، ص 326-327.

² لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 13.

³ ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وآخرون، مركز نابلس للكمبيوتر، مطبعة دار الكتاب، 1413هـ/1992م، ص 11.

⁴ النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تمام حسان، ص 103.

⁵ نحو النص، أحمد عفيفي، ص 90.

⁶ مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، ص 86.

⁷ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، 96/1.

⁸ ينظر: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ص 25 - 15.

⁹ علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 1، 1413هـ/1993م، ص 141.

هذه بعض الصور عن هذا التباعد سواء من حيث الترجمة أو من حيث الأبعاد المفهومية من وراء هذا المصطلح وغيره من المصطلحات اللسانية الأخرى.

لكنّ الأهمّ في كل هذا ما المقصود بـ "الاتساق" وما طبيعته وما هي أدواته، وأبرز مظاهره؟.

تدلّ كلمة اتّساق منذ كتاب (Cohésion English) لـ هاليداي ورقية حسن على مجموع الوسائل اللسانية الرابطة بين عناصر الجملة وبين الجمل والتي تسمح ملفوظ ما شفوي أو كتابي بأن يبدو في شكل نص. وتلجّ اللسانيات المتجاوزة للجملة ونحو النص على الواسمات (روابط تناسقية) عن أثر هذا النحو من التناسق. ويعتبر د سلكتا (1975: 30) قصد الربط بين وحدة النص المتناقضة باعتبارها شيئاً شكلياً مجرداً والخطاب باعتباره ممارسة اجتماعية ملموسة أنّ اتساق النص يتحدّد لسانيّاً في مستوى التنظيم (الداخلي والمجرد) للنص. فموضوع اللسانيات النصية هو تنظيم الاتّساق.¹

- والاتّساق كما عرّفه دي بوجراند هو ما يترتّب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية Surface على صورة وقائع يؤدّي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقّق لها الترابط الرصفيّ، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط.²

¹ ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو بالاشتراك مع بان ميشال آدام وآخرون، تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مر صلاح الدين الشريف، دار سيناتر/المركز الوطني للترجمة تونس، 2008، ص 100 - 101.

² ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 103.

واعتبره أحمد عفيفي المعيار الذي يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي. والمقصود بظاهر النص تلك الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها، وهذه الأحداث والمكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية ولكنها لا تشكل نصا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكيونته واستمراريته.¹

وأورد محمد خطابي مفهوم الاتساق عند كل من هاليداي ورقية حسن، فهو مفهوم دلالي إذ يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص. ويبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلّق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر يفترض كلّ منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحلّ الثاني إلا بالرجوع إلى الأول وعندما يحدث هذا تتأسّس علاقة اتساق. كما ذكر محمد خطابي أنّ الاتساق لا يتمّ في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتمّ أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم، حيث أنّ المعاني تتحقّق كأشكالٍ، والأشكال تتحقّق كتعابير.²

أمّا إبراهيم الفقي فقد عدّ "الاتساق" يمثّل " التماسك الشكلي" الذي يقابله الانسجام، أيّ "التماسك الدلالي". وقد جمع تعريفه للاتساق بين التماسك الشكلي والتماسك الدلالي حيث يقول: "فالتماسك النصي هو أهم عناصر الموضوع، بمعنى أن التحليل النصي يعتمد أساسا على التماسك في تحقيق النصية من عدمه، فالتماسك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضا بالعلاقات

¹ ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص90.

² ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص15.

بين جمل النص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب مثل السور المكونة للقرآن الكريم، ويهتم أيضا بالعلاقات بين النص وما يحيط به، ومن ثم يحيط التماسك بالنص كاملا داخليا وخارجيا...".¹

وربطَ محمد الأخضر الصبيحي مفهوم الاتساق بالبنية: « ويعني مفهوم البنية وجود علاقات متنوعة ومتداخلة بين عناصر النص ومقاطعها يعبر عنها بالانسجام والتماسك يجسد ذلك في النص وسائل لغوية عديدة تسمى أدوات الربط (Les Connecteurs) ». ² ويضيف مُبيِّنًا أهميّة هذه الوسائل « ولا تكمن أهميّة وسائل الربط في أنّها تكفل للنص ترابطه فحسب بل تيسّر أيضا للسامع أو القارئ متابعة الخطاب وفهمه ». ³ ويقصد بالوسائل جملة الأدوات النصية التي تسهم في اتساق النص وترابطه، من إحالة واستبدال وغيرها.

والمقصود بالاتساق عند نعمان بوقرة التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة للنص من خلال عناصر لسانية معيّنة في النظام اللساني. ⁴

- أدوات الاتساق النصي:

بغية كشف الترابط البنيوي للنص يتبع المتلقّي سلسلة من الإجراءات الوصفية والتصنيفية والإحصائية لإبراز الأنساق النصية المؤدّية لوظيفة الربط بداية من الجملة الثانية في المنجز الكلامي، إذ

¹ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم الفقي، 97/1.

² مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، ص86.

³ المصدر نفسه، ص87.

⁴ ينظر: مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، ص36.

يكون هدفه توصيف كيفية تشكيّلها ووسائل هذا التشكيل وهي المعروفة في نحو النص بأدوات الاتساق.¹ وأقوال العلماء حول هذه الأدوات المحقّقة للتماسك النصي متعدّدة، وتشهد اختلافا في غالبها على الرغم من أنّ هناك أدوات مشتركة بينهم وهذا مؤشّر كبيرٌ على أهميّة تلك الأدوات الرئيسة للتماسك . ومن أبرز من تحدّث عن هذه الأدوات هاليداي ورقية حسن ؛ فقد قام كتابهما "الاتساق في الإنجليزية" (Cohésion in English) على خمس أدوات هي: الإحالة (Reference)، الاستبدال (Substitution)، الحذف (Ellipsis)، الوصل (Conjunction)، الاتساق المعجمي (Lexical Cohesion) . ثمّ قسّم الإحالة إلى: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة. كما تنقسم الإحالة إلى نوعين: 1 - إحالة مقامية (خارجية)، 2 - إحالة نصية (داخلية). والنصية تنفرّع إلى نوعين: 1 - إحالة قبلية (لما سبق) ، 2 - إحالة بعدية (لما تأخّر).²

وقسّم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع: أ - استبدال اسمي، ب - استبدال فعلي، ج - استبدال قولي، وهو ما قسّم عليه الحذف . أمّا الوصل فعندهما أربعة أنواع: 1 - الوصل الإضافي، 2 - الوصل العكسي، 3 - الوصل السبي، 4 - الوصل الزمني . و بالنسبة للاتّساق المعجمي الذي يقابل الاتّساق النحويّ - وهو ما ذكرناه في الأدوات الأربعة الأولى - يأتي عندهما متفرعا إلى نوعين: أ -

¹ ينظر: المصدر السابق ، ص36.

² ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم الفقي، ص115 - 116. ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص11 - 17.

التكرير، ب - التضام.¹ هذه هي وسائل الاتساق في نظر هاليداي ورقية حسن، وهي موجودة في البنية اللغوية للنص.

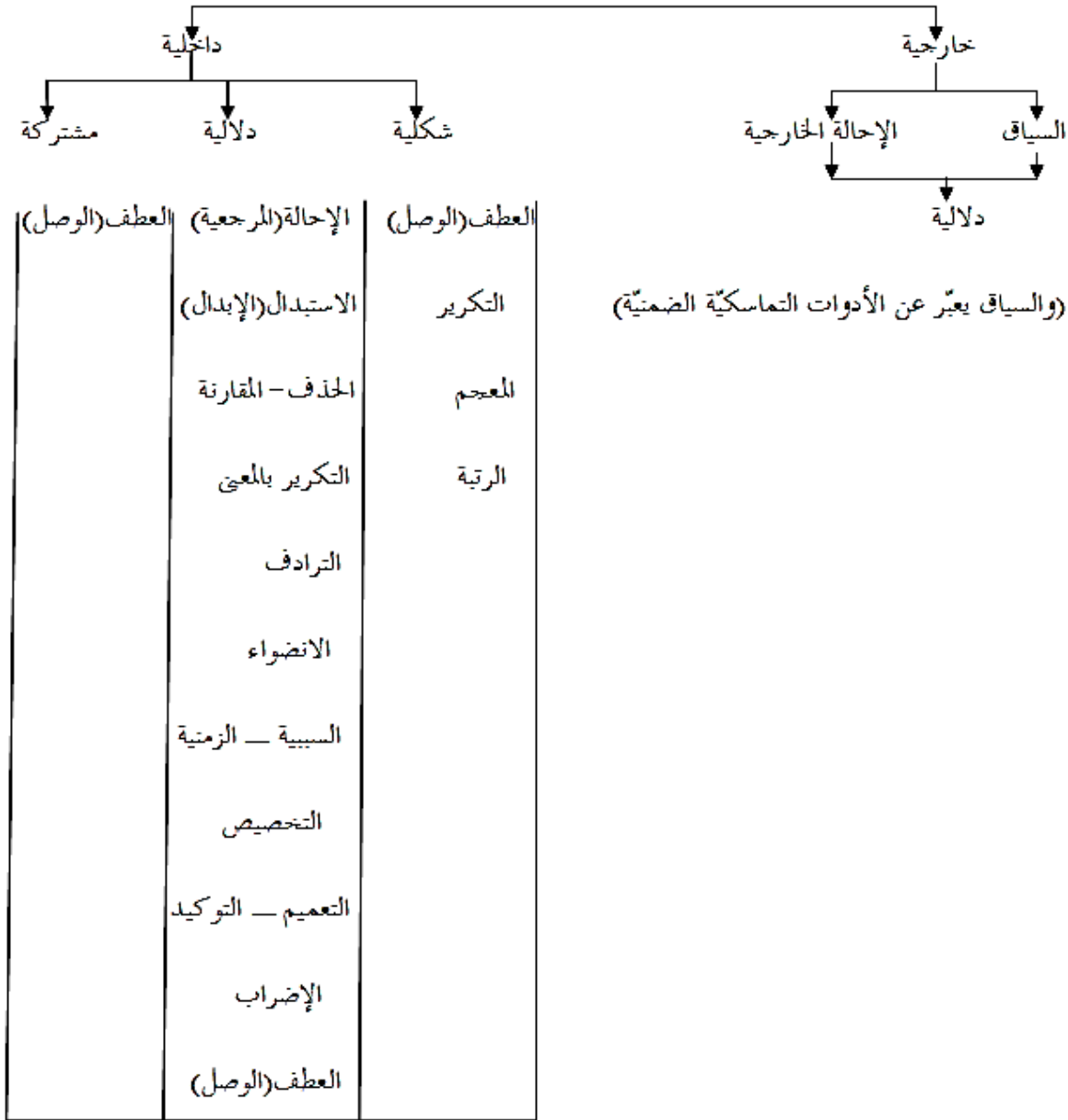
وقد صنف إبراهيم الفقي أدوات الاتساق النصي انطلاقاً مما هو عند كل من هاليداي ورقية حسن، لكن معتمداً في ذلك أيضاً على منظوره للتماسك النصي بوجهيه التماسك الشكلي والتماسك الدلالي . حيث قال: « ومن هذا العرض الموجز يتضح أنّ أدوات التماسك النصي كثيرة ومتنوعة بين الخارجية والداخلية، وبين الدلالية والشكلية والمشاركة بينهم... »². وقد أجملها في مخطط يمكن اعتباره ملخصاً لهذه الأدوات³ التي سنركز على أهمّها في دراستنا للكشف عنها، ودورها في البنية اللغوية للحديث البنيوي الشريف فيما سيأتي (في فصول البحث):

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 16 - 25.

² علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم الفقي، 119/1.

³ ينظر: المصدر نفسه، 120/1.

أدوات الاتساق (التماسك)



(والسياق يعبر عن الأدوات التماسكية الضمنية)

- أهمية الاتساق النصي:

يمكن أن نبين أهمية الاتساق في مجموعة من النقاط كالاتي:

1- التركيز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي.

2- إعداد روابط التماسك المصدر الوحيد للنصية.

3- التعرف على ما هو نص وما غير ذلك.

4- الربط بين الجمل المتباعدة زمنياً.¹

5- توفير عناصر الترابط بين عناصر النص، ويعبر عن الترابط بين جزء وآخر من أجزاء النص سواء على مستوى التابع الجملي، أو على مستوى الجملة الواحدة وبنائها الداخلي.

6- الترابط الحاصل عن الاتساق هو الذي يجعل السامع أو القارئ قادراً على إرجاع العناصر المنسيّة المسكوت عنها. (أو المضمرة في النحو العربي).

7- مظاهر الترابط ليست مجرد سمات وخصائص تضاف إلى النص ويحلّى بها بل هي أمر ضروري لتأويل النص وإدراك معناه.²

8- لا تكمن أهمية وسائل الربط في أنّها تكفل للنصّ ترابطه فحسب، بل تُيسّر للسامع أو القارئ متابعة الخطاب وفهمه « فمستهلك النص المنطوق أو المكتوب يعتمد في تفاعله مع الكلام على إدراك الروابط وعلاقات التضام بين أجزائه، وهذا التفاعل يقود إلى ملء الفجوات التي تتخلّل أجزاء النص، وتهيء له حضوره الكليّ ».³

¹ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 100/1.

² ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 150/1.

³ مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ص 87 - 88، نقلاً عن: الأسلوبية ونظرية النص، خليل إبراهيم، ص 135.

- ثانيا: الإمام البخاري وكتابه "الجامع الصحيح"

أ- ترجمة للإمام "البخاري":

1- مولده ونسبه:

أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف يَرْذُزِيَّة¹. الجعفي بالولاء البخاري الحافظ الإمام في علم الحديث². والبخاري قيل له الجعفي لأنَّ أبا جده أسلم على يدي أبي جد عبد الله الميسندي؛ وبما جعفي فنسبت إليه لأنَّه مولاه من فوق. وعبد الله قيل له: مُسْنَدِي لأنَّه كان يطلب الميسند من حديثه³.

وُلِدَ الإمام البخاري يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومئة، وقيل أنَّ ولادته كانت لاثني عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر، ودُفِن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومئتين بِحَرَّتْنِك. عاش اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما. وكان خالد بن أحمد بن خالد الذهلي أمير خراسان قد أخرج من بخارى إلى حَرَّتْنِك، ثم حجَّ خالد المذكور فوصل إلى بغداد، فحبسه الموفق بن المتوكل أخو المعتمد الخليفة فمات في حبسه⁴.

¹ اختلف في اسم جده، فقليل إنَّه (يزدبه) بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وكسر الذال المعجمة وبعدها باء موحدة ثم هاء ساكنة، وقيل هو (يزدزبه) ببدال وزاي وباء معجمة بواحدة، وقيل كان هذا الجد مجوسيا مات على دينه. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت)، 190/4، وينظر: هامش سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط وصالح السمر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 391/12.

² وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، 188/4. 189.

³ تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواديها، الخطيب البغدادي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 323/2-324.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، 324/2 ووفيات الأعيان، 190/4.

كان شيخًا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير، وسمّي البخاري بضمّ الباء وفتح الخاء وبعد الألف راء نسبة إلى بخارى، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر.¹

2- نشأته وعلمه:

طلب أبو عبد الله العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ.² فقد رحل في طلب الحديث إلى أكثر مُحدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبّال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلها، واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرّده في علم الرواية والدراية،³ فقليل أنّ أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحويّ قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: أُنّهت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثمّ خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوما فيما كان يقرأ للناس: "سفيان عن أبي الزبير، عن إبراهيم". فقلت له: يا أبا فلان إنّ أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع على الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأحكم كتابه فقال: صدقت: فقال له بعض أصحابه: ابن كم أنت إذ رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة فلما طعنت في ست عشرة سنة، حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمّي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع

¹ ينظر: وفيات الأعيان، 190/4.

² ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين المزي، تح بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، 438/24.

³ وفيات الأعيان، 189/4.

أخي وتخلّفت بها في طلب الحديث، فلمّا طعنت في ثمانى عشرة جعلت أصنّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنّفت كتاب "التاريخ" إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة، وقال: قلّ اسم في التاريخ إلّا وله عندي قصة، إلّا أنّي كرهت تطويل الكتاب.¹

وروي عن محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، أنّه يسمع أباه يقول: ذهبْتُ عَيْنًا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لها: يا هذه، قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك، شكّ البلخي، فأصبحنا وقد ردّ الله عليه بصره.² ومّا ذكر عنه أنّ حاشد بن إسماعيل قال: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يَخْتَلِفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيّام فكنا نقول له: إنّك تختلف معنا ولا تكتب فما معنك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما: إنّكما قد أكثرتما عليّ وألحمتما، فأعرضا عليّ ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلّها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه. ثم قال: أترون أنّي أختلف هذرا وأضيّع أيامي؟ فعرفنا أنّه لا يتقدّمه أحد.

قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدّون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسونه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممّن يكتب عنه. قال: وكان أبو عبد الله عند ذلك شابّ لم يخرج وجهه.³

¹ تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، 325/2، ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، 393/12.

² ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 393/12.

³ تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، 334/2.

كما ذكر أنّ البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مئة حديث فقلبوها متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث في الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأنّ المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه؛ فما زال يلقي عليه واحدًا بعد واحدٍ حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه؛ فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم ضدّ ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه؛ فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه؛ ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلّهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه؛ فلما علّم البخاري أنّهم فرغوا التفت إلى الأوّل منهم فقال: أمّا حديثك الأوّل فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فردّ كلّ متن إلى إسناده وكلّ إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين كذلك، وردّ متون الأحاديث كلّها إلى أسانيدها و الأسانيد إلى متونها، فأقرّ له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.¹

وروى الإمام النووي (676هـ) عن صالح بن محمد جزرة قال: « أنّ البخاري كان يجلس ببغداد وكنت أستملي له ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا ». كما روى عن الإمام محمد بن إسحاق

¹ وفيات الأعيان، ابن خلكان، 189/4، وينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 408/12.

بن خزيمة قوله: « ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ من محمد بن إسماعيل البخاري. »¹

وقد ذكر ما سمعه محمد بن حمدويه من محمد بن إسماعيل البخاري قوله: أحفظ مئة ألف حديث صحيح ومئتي ألف حديث غير صحيح، ونقل عن الإمام الدرامي قوله: رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من أبي عبد الله البخاري.²

وذكر الذهبي (748هـ) ما نقله محمد بن أحمد غنجار عن البخاري قوله: « كتبت عن ألف شيخ وأكثر، وعن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده ». وقوله أيضا « لقيت أكثر من ألف رجل أهل الحجاز، والعراق، والشام، ومصر، لقيتهم كراتٍ، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد من محدثي خراسان، منهم: المكي بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وابن شقيق، وقتيبة، وشهاب بن معمر و... »³

3- شيوخه وتلاميذه:

بالتوسع رحلة البخاري، وكثرة روايته، وعظم عنايته كثر عدد شيوخه والآخذين عنه والمستفيدين منه فنذكر من شيوخه:

¹ ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 70/1.

² ينظر: المصدر نفسه، 68/1 - 69.

³ ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 407/12.

بمكة أبو الوليد أحمد بن محمد الأزقي، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وإسماعيل بن سالم الصائغ وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي.

وبالمدينة إبراهيم بن المنذر الخزامي، ومطرف بن عبد الله، وإبراهيم بن حمزة، وأبو ثابت محمد بن عبيد الله، وعبد العزيز بن عبد الله الأوسي.

وبالشام محمد بن يوسف الفريابي، وأبو نصر إسحاق بن إبراهيم، وآدم بن أبي إياس وأبو اليمان الحكم بن نافع.

و ببخارى محمد بن سلام البيكندي، وعبد الله بن محمد المسندي، وهارون بن الأشعث وأقراهم. وبنيسابور يحيى بن يحيى، وبشر بن الحكم، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأقراهم.

وبالبصرة أبو عاصم النبيل، وصفوان بن عيسى، وبدل بن المحرب، وحرمى بن عمارة، وعفان بن مسلم، ومحمد بن عرعة وأبو الوليد الطيالسي.

وبالكوفة عبد الله بن موسى، وأبو نعيم، وأحمد بن يعقوب، وإسماعيل بن أبان، والحسن بن الربيع، وخالد بن مخلد، وسعيد بن حفص.

وبمصر عثمان بن صالح، وسعيد بن أبي مريم، وعبد الله بن صالح، وأحمد بن شبيب، وأصبغ بن الفرج، وسعيد بن عيسى، وسعيد بن كثير بن عفير.

وبالجزيرة أحمد بن عبد الملك الحراني، وأحمد بن يزيد الحراني، وعمرو بن خلف، وإسماعيل بن عبد الله الرقي، وأقرانهم.¹

أمّا تلاميذه والآخذون عنه فهم كثير أكثر من أن يحصر؛ فقد كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفاً يأخذون عنه. ونذكر منهم: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحريريّ الإمام، وصالح بن عبد الله مطين، وعبد الله بن محمد بن ناجية، وآخر من حدث عنه ببغداد الحسين بن إسماعيل المحامليّ.²

4- مصنّفاتهُ:

للإمام البخاري كثير من المؤلفات أهمّها وأشهرها: كتاب "التاريخ" و"الجامع الصحيح". فكتاب "التاريخ" قال فيه: « فلما طعنت في ثمانى عشرة جعلت أصنّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنّفت كذلك كتاب "التاريخ" إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة، وقال: « قلّ اسم في التاريخ إلّا وله عندي قصّة، إلّا أنّي كرهت تطويل الكتاب »³ كما قال: « لو نشر بعض إسنادي هؤلاء لم يفهموا كيف صنّفت كتاب "التاريخ" ولا عرفوه . ثمّ قال: صنّفته ثلاث مرات.⁴

¹ ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، 71/1 - 72.

² ينظر: المصدر نفسه، 72/1 - 73 وطبقات الخنابلة، أبو الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، السعودية، ت 1999م، 243/2، وينظر: تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، 322/2 - 323.

³ تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، 325/2، وينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 400/12.

⁴ المصدر نفسه، 325/2، وينظر: سير أعلام النبلاء، 403/12.

ومّا ذكر الخطيب البغدادي أنّ البخاري قال: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب "التاريخ" الذي صنّفه، فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيّها الأمير، ألا أريك سحرا؟ قال: فنظر فيه عبد الله، فتعجّب منه، وقال: "لست أفهم تصنيفه". وقال أبو العباس بن سعيد: لو أنّ رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب التاريخ.¹

وكتاب "التاريخ" هو ثلاثة كتب في التاريخ، وهي تواريخ رجال، أشهرها (الكبير) وهو مشهور، ثم (الأوسط) وهو المطبوع باسم (الصغير)، ثم يليهما (الصغير). وقد أفاد كلّ من ألف في الرجال من أتى بعد الإمام من "تاريخه" واقتبس منه، ونقل عنه، فهو عمدة عندهم.²

أمّا كتابه "الجامع الصحيح" فهو ما جمع فيه الإمام البخاري الحديث النبوي الشريف، وقال فيه العلماء أنّه أوّل مصنّف صنّف في الصحيح المجرّد، واتفق الجمهور على أنّ صحيح البخاري ومسلم أصحّ الكتب المصنفة³، وروى النووي من جهات عن البخاري قوله: «صنّف كتاب الصحيح لست عشرة سنة خرّجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله».⁴

وذكر ابن حجر العسقلاني ما سمع عن البخاري قوله: «ما أدخلت في كتابي الجامع إلّا ما صحّ وتركت من الصحيح حتى لا يطول»⁵. فهو أكثر الكتب في الإسلام وجد عناية من العلماء على مرّ العصور، فهناك شروحه، واختصاراته، والجمع بينه وبين "صحيح مسلم" وغيره والتعريف برجال

¹ ينظر: المصدر نفسه، 326/2.

² ينظر: هامش، طبقات الحنابلة، 242/2 - 243.

³ ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، 73/1.

⁴ المصدر نفسه: 74/1.

⁵ هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة مصر، ط1، 1407هـ/1986م، ص9.

البخاري من شيوخ الإمام أو أسماء الصحابة المذكورين فيه، وغير ذلك من الدراسات التي أفادت كثيراً.¹

وقد ذكرنا أنّ البخاري له كثيرٌ من المؤلفات، وهذا ما أوردنا بعضه، ويمكن أن نذكر بعضها فيما يأتي:

- التاريخ الكبير - التاريخ الأوسط - التاريخ الصغير - الجامع الكبير - خلق أفعال العباد - الضعفاء الصغير - الضعفاء الكبير - المسند الكبير - التفسير الكبير - كتاب الهبة - أسامي الصحابة - كتاب الوحدان - كتاب المبسوط - كتاب العلل - كتاب الكني - كتاب الفوائد - الأدب المفرد - جزء رفع اليدين - برّ الوالدين - كتاب الأشربة - قضايا الصحابة والتابعين - كتاب الرقاق - كتاب فيه مئة ألف حديث - الجامع الصغير - جزء القراءة خلف الإمام - الكني المجردة - كتاب الاعتصام - كتاب الردّ على الهرجسية - كتاب السنن في الفقه - المشيخة - انتقاء البخاري من حديثه لأهل بغداد - التاريخ في معرفة رواة الحديث - التواريخ والأنساب - أخبار الصفات.²

5- زهده وورعه:

الإمام البخاريّ زيادة على ما اتّسم به من حفظ ودراية واجتهاد في التحصيل و الرواية، فإنّه كان ورعاً، وزاهداً، وهذا ما ذكره الإمام النووي فيما رواه عن محمد بن أبي حاتم وراق البخاري قال: كان البخاري إذا كنت معه في سفرنا جمعنا بيت إلاّ في القبط أحياناً فكنت أراه يقوم في ليلته خمس عشرة

¹ ينظر: هامش طبقات الحنابلة، الفراء البغدادي الحنبلي، 242/2.

² ينظر: سيرة الإمام البخاري (سيد الفقهاء وإمام المحدثين)، عبد السلام المباركفوري، نقل وتعليق: عبد العليم بن عبد العظيم البستوي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، السعودية، ط1، 1422هـ، 261/1 - 314.

مرة إلى عشرين مرة في كل مرة يأخذ القداحة فيروي نارا بيده ويسرج ثم يخرج أحاديث بعلمها، ثم يضع رأسه، وكان يصلّي في وقت السّحر ثلاث عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة، ورأيت استلقى على قفاه يوماً ونحن بـ"فربر" في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول: ما أتيت شيئاً بغير علم قطّ منذ عقلت فأبي علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث في أمر العدو فأحببت أن أستريح وأخذ أهبة ذلك فإن غافصنا (فاجأنا العدو) عدو كان بنا حراك¹.

وأورد الخطيب البغدادي ما قاله أبو سعيد بكر بن منير: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بصناعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بريح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بريح عشرة آلاف درهم فردّهم، وقال: إنّي نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا - يعني الذين طلبوا أول مرة - ودفع إليهم بريح خمسة آلاف درهم، وقال: لا أحبّ أن أنقض نيتي.²

كما كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلّي بهم، ويقرأ في كلّ ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن. وكان يقرأ في السّحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السّحر في كلّ ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة، وتكون ختمة عند الإفطار كل ليلة.

¹ ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، 75/1 - 76.

² تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، 330/2.

وذكر أبو سعيد بكر بن منير أنّ محمد بن إسماعيل كان يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أيش هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعاً، ولم يقطع صلاته.¹ وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت هانئ بن النضر يقول: كنّا عند محمد بن يوسف الفريابي بالشام، وكُنّا ننتزّه ففعل الشاب في أكل الفِرْصاد (التوت) ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يراحمنا في شيء ممّا نحن فيه، ويكبّ على العلم.²

6- بعض أقواله وما قيل فيه:

- ممّا قاله الإمام البخاري:

- ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.³
- أمّا المادح والذامّ عندي سواء، وأرجو أن ألقى الله عزّ وجلّ ولا يطالبني أيّ اغتبت أحدا.⁴
- ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.⁵
- كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلاّ صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.⁶

¹ المصدر السابق، 331/2.

² سير أعلام النبلاء، الذهبي، 405/12.

³ المصدر نفسه، 411/12.

⁴ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، 68/01.

⁵ تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، 327/2.

⁶ سير أعلام النبلاء، الذهبي، 395/12.

- كان القاضي الوليد بن إبراهيم البخاري من تلامذة الإمام البخاري وهو قاضٍ في الريّ يقول: «
لما بلغت مبلغ الرجال تآقت نفسي إلى طلب الحديث، فقصدت محمد بن إسماعيل البخاري وأعلمته
مرادي، فقال لي:

يا بني لا تدخل في أمر إلا بعد معرفة حدوده، والوقوف على مقاديره، واعلم أنّ الرجل لا يصير
محدثاً كاملاً في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعاً مع أربع كأربع مثل أربع، في أربع عند أربع، بأربع
على أربع، عن أربع لأربع، وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربع، فإذا تمتّ له كلّها هان عليه
أربع، وأُبتلي بأربع، فإذا صبر على ذلك أكرمه الله في الدنيا بأربع، وأثابه في الآخرة بأربع».¹
- ومن أشعاره رحمه الله رغم أنّه لم يكن شاعراً²:

اغْتَنِمَ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ زُكُوعٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَعْتَهُ

كَمْ صَحِيحٌ رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهُ

وفي نعيه تلميذه الحافظ الإمام عبد الله بن عبد الرحمان الدرامي قال:

إِنْ عَشْتَ تُفَجِّعُ بِالْأَحَبَّةِ كُلَّهُم وفناءُ نفسك لا أبا لك - أفجع.

ومن الحكمة قال:

مَثُلُ الْبَهَائِمِ لَا تَرَى آجَالَهَا حَتَّى تُسَاقَ إِلَى الْمَجَازِرِ تُنَحَّرُ

خالقِ النَّاسِ بِخَلْقٍ وَاسِعٍ لَا تَكُنْ كَلْباً عَلَى النَّاسِ تَهَيَّرُ

¹ ينظر: سيرة الإمام البخاري، عبد السلام المباركفوري، تحك د. عبد العليم بن عبد العظيم البتوي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، السعودية، 1422هـ، 1/250 - 251.

² ينظر: المصدر نفسه، 1/200-201.

- ومّا قيل فيه:

رؤي عن محمد البخاري بخوارزم أنّه قال: رأيت أبا عبد الله محمد ابن إسماعيل - في المنام - خلف النبي ﷺ والنبي ﷺ يمشي، فكلمّا رفع النبي ﷺ قدمه وضع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع.¹

قال بندار محمد بن بشار: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدرامي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى.²

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.³

قال نعيم بن حماد ويعقوب بن إبراهيم الدورقي: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.⁴

قال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل.⁵

قال الترمذي: لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل.⁶

قال عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي: قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز، والشام والعراق فما رأيت

¹ ينظر: تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، 328/2.

² ينظر: المصدر نفسه، 336/2 وينظر: تهذيب الاسماء واللغات، 68/1.

³ المصدر نفسه: 342/2.

⁴ سيرة الإمام البخاري/ عبد السلام المباركفوري، 03/1.

⁵ سيرة الإمام البخاري، عبد السلام المباركفوري، 03/1، وينظر: تهذيب الأسماء واللغات، 70/1.

⁶ المصدر نفسه: 03/1.

فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل. وقال أيضا: هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبا.¹

قال الحافظ أبو علي صالح بن جزرة: ما رأيت خراسانيا أفهم من البخاري، وأعلمهم بالحديث.²

ب - تعريف كتاب "الجامع الصحيح":

1- تعريف الحديث النبوي الشريف ومكانته:

أ - الحديث النبوي:

لغة: الحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمة، حَدَثَ الشيء يحدث حدوثا وحادثة، وأحدثه هو، فهو مُحَدَّثٌ وحديث. والحديث الجديد من الأشياء. والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير. والجمع أحاديث.³ تحدث تكلم . ويقال: تحدّث إليه. والحديث كلّ ما يتحدّث به من كلام وخبر.⁴ والحديث الكثير الحديث، الحسن البيان له، ويُقال: فلانٌ حدّث فلان، وحدّث نساء، وحدّث ملوك. والحدّث الصغير السن، والأمر الحادث المنكر غير المعتاد.⁵

أما الحديث اصطلاحًا:

عرّف المحدثون الحديث أنّه كلّ ما نقل عن رسول الله ﷺ من قولٍ وفعلٍ وإقرارٍ ووصفٍ خلقي وخلقي، وكذا ما أضيف إلى الصحابي والتابعي. بينما اقتصر الأصوليون في تعريف الحديث على ما نقل عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو إقرار وأخرجوا ما نقل عن النبي ﷺ ممّا لا يصلح

¹ المصدر نفسه: 221/1 - 222.

² ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، 68/1.

³ لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، مصر، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، ص 797 - 798.

⁴ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط2، ص 204.

⁵ المصدر السابق، ص 204.

للاستنباط الفقهي كصفاته الخلقية والخلقية.¹

أما علم الحديث فهو يشتمل على أقوال النبي ﷺ وأفعاله وروايتها، وضبطها وتحرير ألفاظها. وهو علم بقوانين يُعرف به أحوال السند والمتن.² وقيل الحديث ما جاء عن النبي ﷺ، والخبر ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالبنية محدث، وبالتواريخ ونحوها إخباري.³

ب- أقسامه:

قسّم ابن الصلاح (643 هـ) الحديث إلى ثلاثة أقسام: صحيح وحسن وضعيف.⁴

فالحديث الصحيح هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذًا، ولا معللاً.⁵

وتنوّع الصحيح إلى متّفقٍ عليه، ومختلفٍ فيه، وتنوّع إلى مشهورٍ وغريبٍ وبين ذلك. كما أنّ درجات الصحيح تتفاوت في القوّة بحسب تمكّن الحديث من الصفات المذكورة التي تبني الصّحة عليها.⁶

والحديث الصحيح كونه صدقًا يعني به شيان، فمن الصحيح ما تواتر لفظه كقوله ﷺ: «مَنْ

¹ علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، د ط ، 2009م، ص3-13 ومقال "أثر مصطلح الحديث في حفظ

ثقافة الأمة الإسلامية" د. عماد الدين الرشيد، مجلة "التراث العربي"، اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا، ع115، 1430هـ/2009م، ص49

² ينظر: الحديث النبويّ في النحو العربي، محمد فجال، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط2، 1997م، ص52.

³ المصدر نفسه، ص53.

⁴ ينظر: معرفة أنواع علم الحديث، ابن الصلاح، تح: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص79.

⁵ ينظر: المصدر السابق، ص79.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص80-81.

كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»¹. ومنه ما تواتر معناه كأحاديث الشفاعة، وأحاديث الرؤية، وأحاديث الحوض، وأحاديث نبع الماء من بين أصابعه، ومن الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به ، كما عملوا بحديث الغرة في الجنين، وكما عملوا بأحاديث الشفاعة. ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخاري ومسلم، فجميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة أحاديث الكتائب، وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث.²

أما الحديث الحسن ما تعددت طرقه، ولم يكن فيهم متهم بالكذب، ولم يكن شاذًا، وهو دون الصحيح الذي عرفت عدالة ناقله وضبطهم.

والحديث الضعيف الذي عُرف أنّ ناقله متهم بالكذب رديء الحفظ، فإنّه إذا رواه المجهول خيف أن يكون كاذبًا أو سيئ الحفظ، فإذا وافقه آخر لم يأخذ عنه عُرف أنّه لم يتعمّد كذبه، واتفاق الاثنين على لفظ واحد طويل قد يكون ممتنعًا، وقد يكون بعيدًا.³

ج- مكانة الحديث النبوي في التشريع الإسلامي:

تحظى السنّة النبويّة الشريفة بمكانة عظيمة في الشريعة الإسلامية، فالكتاب والسنة يمثلان المصدرين الأصليين للتشريع، وليس للمسلم إلاّ اتباع أوامرها، فالسنّة النبويّة تتّضح مكانتها فيما يأتي:

1- السنّة مبينة للقرآن، فقد بلغ الرسول محمد ﷺ الرسالة، وبين المراد من آيات الله.

¹ صحيح البخاري بلفظ من غير (متعمداً) كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، رقم 107، ص 23 و في " سنن أبي داود" من الكتب الستة موسوعة الحديث الشريف، إشراف ومراجعة صالح عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض السعودية، كتاب

العلم، باب التشديد في الكذب على رسول الله (ص)، (رقم 3651)، ص 1494

² ينظر: علم الحديث، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت)، ص 14.

³ ينظر: المصدر السابق ، ص 20.

2- وهي مفصلة لجمل القرآن كما فصلت الصلاة والزكاة وغيرها.

3- أوردت أحكاما لم تأت في القرآن الكريم صريحة واضحة.

4- وفيها تخصيص لعموم محكم القرآن.

5- دعوة القرآن إلى العمل بالسنة وطاعة الرسول وعدّ طاعة الرسول من طاعة الله.

6- لا فلاح للمؤمن إلاّ باتباع السنة بعد كتاب الله ﷻ.¹

فالله ﷻ عندما خاطب نبيه بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.² نبّه المؤمنين إلى مكانة السنة في التشريع، فإنّ أقوال الرسول وأعماله تبين المراد من القرآن الكريم، إذ تفصّل ما أجمله، وتقيّد ما أطلقه، وتخصّص فيه ألفاظ العموم، وتعيّن ما لم يعيّنه من المقادير والحدود والجزئيات. فللسنة أن تنفرد في التشريع حين يسكت القرآن عن التصريح، ولها أن تقوم بوظيفة التبيان حين يترك لها التفصيل والتوضيح.³

د- مكانة الحديث في الدراسات اللغويّة:

أجمع علماء المسلمين وأرباب اللغة وأساطين البلاغة، على أنّ فصاحة النبيّ الأكرم ﷺ لا تضاهيها فصاحة، وأسلوبه في الحديث لا يقاربه أسلوب، وأنّ كلام النبوة دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق فيه جوامع الكلم، ومعجزات البلاغة والفصاحة.⁴ فالحديث النبويّ كما عرّفه الجاحظ في

¹ ينظر: الحديث النبويّ مصطلحه بلاغته كتبه، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، ط4، 1401هـ/1981م، بيروت، لبنان، ص19 - 28.

² سورة النحل: 44.

³ علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط15، 1984م، ص294.

⁴ مقال: "الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف عند اللغويين"، محمد صالح شريف عسكري، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، طهران إيران، السنة الثالثة عشرة، ع2، 1431هـ، ص100.

قوله: « هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾¹. فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن المهجين السوقي، فلم ينطق إلّا عن ميراث حكمة، ولم يتكلّم إلّا بكلام قد حفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد، ويُسّر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبّة، وغشّاه بالقبول، وجمع له من المهابة والحلاوة، وبَيّن حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام...»².

ففصاحته ﷺ أمر لا يشكّ فيه عاقل، ذلك أنّ القوم الذين أرسل إليهم لهم أئمة البيان، وهم في خصومته قوم لدّ، لا تنقطع بهم حجة، ولا يعوزهم منطق بليغ، فراحوا يعتونه ﷺ بأبشع الأوصاف، لكنّهم عجزوا على النيل من فصاحته.³ ويمكن أن نحدّد أهمّ عوامل فصاحته فيما يأتي:

1- نشأته اللغوية، فهو من قريش، وأحواله من بني زهرة، واسترضع في بني سعد وخالط بطون قريش والأنصار.

2- موهبته ﷺ المتمثلة في فطرة صافية، وذهن جوال، وبصر نفّاذ، ونفس مجتمعه فاضلة، وإحساس دقيق مرهف، وبديهة حاضرة، وهي مجتمعة فيه فهو المصطفى من ربّ العزة في حمل الرسالة وتبليغها.

3- تأثر النبي محمد ﷺ بأسلوب القرآن الكريم، فعلى قلبه المتّصل بجلال الله تنزّل القرآن، ومن

لسانه تلقّاه المسلمون، وبأمره سجّله الصحابة وكتبوه، وبه كان يحكم بين الناس وشرّحه

¹ سورة ص : 86.

² البيان والتبيين، الجاحظ، تح وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، 16/2 - 17.

³ ينظر: الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، محمد الصباغ، ص 53.

وبيّنهُ للناس.¹

فمع هذه الفصاحة، وهذا البيان، وحسن النظم، وقوة الحجّة، وسلامة التعبير، وعدوبة الموسيقى، وبلاغة التركيب أليس هذا كافياً للأخذ بالحديث الشريف، واعتماده في إفادة اللغة وخدمتها؟.

فقد كان من المنهج الحقّ بالبداهة أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الإعراب، إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بيانا أبلغ من الكلام النبويّ ولا أروع تأثيراً ولا أفعل في النفس ولا أصحّ لفظاً ولا أقوم معنى، ولكن ذلك لم يقع كما ينبغي لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار خاصّة، انصرافاً استغرق جهودهم، فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودرايته بقية، فتعلّلوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلل، كلّها وارد بصورة أقوى على ما احتجّوا به هم أنفسهم من شعر ونثر. ومع إجماع اللغويين والنحاة عامة على أنّ النبيّ ﷺ أفصح العرب قاطبة، وأنّ الحديث لا يتقدّمه شيء من باب الاحتجاج إذا ثبت لهم أنّه لفظ النبيّ نفسه، انقسموا فيما يروى من الأحاديث فريقين: فريقاً غلب على ظنّه أنّها لفظه ﷺ فأجاز الاحتجاج بها، وفريقاً غلب على ظنّه أنّها مروية بالمعنى لا باللفظ، وإذا لا يجوز الاحتجاج بها.²

فذهب إلى الاحتجاج به والاستدلال بألفاظه وتراكيبه جمع من الأئمة منهم: شيخنا هذه الصناعة وإمامها الجمالان: ابنا مالك وهشام، والجوهري، وصاحب البديع محمد بن مسعود الغزني (421هـ)، والحريري، وابن سيده، وابن فارس، وابن خروف، وابن جني، وأبو محمد عبد الله بن بري،

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 53 - 54.

² في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1414هـ / 1994م، ص 46 - 47.

والسهيلي وغيرهم ممن يطول ذكره، وهو الذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه، إذ المتكلم به ﷺ أفصح الخلق على الإطلاق، وأبلغ من أعجزت فصاحته الفصحاء، على جهة العموم والاستغراق.¹

ونذكر من اللغويين والنحاة الذي كان الاستشهاد بالحديث النبوي حاضرا في دراساتهم ومؤلفاتهم على اختلاف في الدرجة بينهم في ذلك:

- أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ): احتج بثلاثة أحاديث، وكلها في الصرف بما يطرأ على الكلمة من تغيير بالاشتقاق والتصريف والزيادة أو الحذف أو إعلال أو إبدال أو إدغام وغير ذلك.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ): استشهد بأربعة أحاديث في الصرف والأبنية، وبكثير من الأحاديث في كتابه العين.

- سيبويه (ت180هـ): استشهد بتسعة أحاديث في كتابه المشهور "الكتاب".

- الفراء (ت207هـ): استشهد بالحديث في كتابه "معاني القرآن" في ثمانية وستين موضعا.

- أبو حاتم السجستاني (ت255هـ): احتج بخمسة عشر حديثا في كتابه "المذكر والمؤنث"، وبأربعة عشر حديثا في كتابه "النخلة".

- المبرّد (ت285هـ): احتج بالحديث في اللغة والنحو والصرف في مئة وتسعة وأربعين موضعا في كتابه "الكامل"، وبثلاثة عشر موضعا في النحو والصرف.

- ثعلب (ت291هـ): استشهد بخمسة عشر حديثا في شرحه لديوان عدي بن الرقاع العاملي.

- الزجاج (ت311هـ): استشهد بأحاديث كثيرة في كتابه "معاني القرآن وإعرابه".

¹ شرف كفاية المتحفظ تحرير الرواية في تقرير الكفاية، محمد بن الطيب الفاسي، تح: علي حسين التواب، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، ط1، 1403هـ/1983م، ص96.

- ابن دريد (ت321هـ): استشهد بثمانية وخمس مئة حديث في "جمهرة اللغة" وبواحد وتسعين حديثا في كتابه "الاشتقاق".
- ابن الأنباري (ت328هـ): احتج بخمس وعشرين وثلاثمئة حديث في كتابه "الزاهر" وبواحد وخمسين حديثا في كتابه "الأضداد".
- النحاس (ت338هـ): استشهد كثيرا بالحديث في كتابه "إعراب القرآن"، فثمة سبعة وستون ومئة حديث في كتابه.
- ابن خالويه (ت370هـ): استشهد بمئة وثمانين حديثا في كتابه "إعراب القراءات السبع وعللها".
- الأزهري (ت370هـ): استشهد بمئات الأحاديث في كتابه "تهذيب اللغة".
- أبو بكر الزبيدي (ت379هـ): احتج بتسعة وأربعين حديثا في كتابه "في لحن العامة" و"التهذيب بمحكم الترتيب".
- ابن فارس (ت395هـ): استشهد بتسعة وعشرين حديثا في كتابه "الصاحي"، وبتسعة وعشرين وأربع مئة حديث في كتابه "مجمل اللغة" وبأحاديث كثيرة في كتابه "مقاييس اللغة".
- عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ): استشهد بخمسة عشر حديثا في كتابه "دلائل الإعجاز".
- السهيلي (ت581هـ): استشهد باثنين وأربعين حديثا في كتابه "نتائج الفكر"¹.

¹ ينظر: الاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، (د.ط)،

2- تسمية الكتاب وموضوعه:

سَمَّى الإمام البخاري كتابه بـ "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه" قال فيه العلماء هو أول مصنف صنّف في الصحيح المجرّد واتّفقوا على أنّ أصحّ الكتب المصنّفة صحيحا البخاري ومسلم. وعدّ الجمهور صحيح البخاري أصحّها صحيحا وأكثرهما فوائد¹، فالبخاري لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الواسعة². وجملة ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثًا بالأحاديث المكرّرة، وبجذف المكرّرة نحو أربعة آلاف³.

- سبب وكيفية تأليف الكتاب:

قال البخاري رحمه الله: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا في الصحيح لسنن الرسول ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، وأخذت في جمع هذا الكتاب⁴. وروى ابن حجر العسقلاني عن محمد بن سليمان بن فارس قال: سمعت البخاري يقول: رأيت النبي ﷺ وكأني واقف بين يديه ويدي مروحة أذب بها عنه فسألته بعض المعبرين. فقال لي: أنت تذبّ عن الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح⁵.

¹ ينظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري، العسقلاني، ص9، وتهذيب الأسماء واللغات، النووي، 73/1

² تهذيب الأسماء واللغات، 75/1

³ المصدر نفسه، 74/1.

⁴ المصدر نفسه، 74/1.

⁵ ينظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ص9.

وروى النووي من جهات عن البخاري رحمه الله قال: صنّفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة خرّجته من ستمئة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله. وقال أيضا: ما أدخلت في كتاب الجامع إلّا ما صحّ، وتركت من الصحاح حتى لا يطول . وقال: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلّا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.¹

إضافة إلى ما ذكرنا فالغرض الأساسي لتأليف الإمام البخاري كتاب "الجامع الصحيح" غرضان أساسيان:

1- انتخاب وجمع تلك الأحاديث التي اتّفق على صحتها المحدثون قبل الإمام البخاري، أو المعاصرون له، ولذلك سمّاه "الجامع الصحيح المسند من أحاديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه".

2- استنباط المسائل الفقهية، واستخراج النكات الحكمية والتي يمكن أن يعبر عنها بـ "نتائج النظرة الدقيقة التي منحها الله البخاري" ويذكرها في تراجم أبوابه بين حين وآخر.²

- مكانته:

- قال العلامة ابن خلدون (ت808هـ) في مقدمته المشهورة: "فأما صحيح البخاري، وهو أعلاها رتبة، فاستصعب الناس شرحه، واستغلّقوا منحاها، من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعدّدة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق، ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم، وكذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقّة في التراجم ؛ لأنّه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند أو طريق، ثم يترجم

¹ تهذيب الأسماء واللغات، 75/1، وينظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص9. وتاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، 327/2.

² ينظر: سيرة الإمام البخاري، عبد السلام المباركفوري، 338/1.

أخرى، ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمّنه من المعنى الذي ترجم به الباب. وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرّر الحديث، في أبواب متفرقة بحسب معانيه واختلافها".¹

وقال أيضا: « ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري ديني على الأمة». ²

- قال "توماس وليام بيل" "صحيح الإمام البخاري يحترم أكثر من أيّ كتاب بعد القرآن، ويُعتمد عليه في الأمور الروحانية والدنيوية" ويقول أيضا: "هذا الكتاب لا يجمع الوحي الذي نزل على محمد، وإلهاماته وأفعاله وأقواله فحسب، بل ذكر فيه أيضا تفسير أكثر المواضع المشكّلة في القرآن".³

- ثالثا: ابن أبي جمرة وكتابه "المختصر":

أ- تعريف ابن أبي جمرة:

هو أبو محمد عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المرسي المالكي القدوة العارف بالله الزاهد الصالح الإمام العلامة المقرئ المشهور من بيت كبير، لهم تقدم ورياسة⁴، ولد - رحمه الله تعالى - في مدينة (مُرسية)، وأقبل على طلب العلم، والحفظ للقرآن، والحديث ثم سافر إلى تونس طالبا العلم، وبعدها توجه إلى الديار المصرية، واشتهر بالعلم فكان محدّثا وأصوليًا ومفسّرًا

¹ مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تح: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص534.

² المصدر السابق، ص535.

³ ينظر: سيرة الإمام البخاري، عبد السلام المباركفوري، 324/1.

⁴ ينظر: نبيل الاتباج بتطريز الدياج، أحمد بابا التنبكي، إيش وتق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، ط1، 1989م، 216/1. ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ / 1992م، 243/2 والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 89/4. وهديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1951م، 462/1، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1349هـ، ص199، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1967م، 523/1.

وفقيها مالكي المذهب، وسالكا لمقامات التصوف ومُطلعا على أخبار المتصوفة، وله معهم موافقات وتحريرات، وله في ذلك هنّات وهنّات بسبب تصوّفه ومذهبه الاعتقادي، كان رحمه الله قولا بالحقّ أمّارا بالمعروف، واشتهر بالإخلاص، والاستعداد للموت، والفرار إلى الله من الناس إلّا من صلاة الجمع والفرض، وانقطع في بيته إلى أن مات واختصر "صحيح البخاري".¹ أخذ عنه جماعة منهم أبو الحسن الزيات، وابن الحاج الفاسي المغربي العبدري الفقيه المالكي صاحب "المدخل" ونقل عنه كثيرا في كتابه، ومحمد بن عيسى بن عثمان بن علي الحميري الصنهاجي الفاسي، توفي بالقاهرة سنة 695هـ على أرجح الأقوال، وقيل سنة 699هـ و675هـ.² من تصانيفه: جمع النهاية في بداية الخير والغاية مختصر صحيح البخاري، بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها وهو شرح للجمع، تفسير القرآن، شرح حديث الإسراء، شرح حديث الإفك، المرائي الحسان في الحديث والرؤيا، كتاب في طبقات الحكماء، شرح حديث عبادة بن الصامت.³

¹ ينظر: بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة الأندلسي، تح وتعد عادل أحمد إبراهيم، مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1434هـ/2013م، 29/1.

² ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكي، 216/1. وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، ص199، و بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة، 30/1.

³ ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 216/1، ومعجم المؤلفين، 243/2، والأعلام، 89/4 وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، 1951م، 462/1، و بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري، 30/1.

وذكر الشنواني (ت1233هـ) أنّ ابن أبي جمرة كان من الأكابر العارفين برّهم، وكان مجاب الدعوة، ومن الذين لهم كرامات لزهده وتقواه¹، وله أقوال في الورع والتمسك بالسنة نقلها عنه تلميذه ابن الحاج المالكي في المدخل منها:

- إذا مرّ عليك إنسان بجرة خمر، ثمّ غاب عنك، ورجع عريا عنها لا يحلّ لك أن تقول: شرّها ولا أوصلها لمن يفعل ذلك بها، وإنّما تقول: الحمد لله الذي هداه وتاب عليه.

- (سنة الأحباب واحدة) يعني أنّ مشربهم واحد، وهو الإتياع وترك الابتداع.²

ب- شروح واختصارات كتاب "صحيح البخاري":

نظراً إلى جلالة قدر "الجامع الصحيح" وعظمته توجّه العلماء من السلف إلى خدمة الحديث الشريف من خلال ما ألفوه ولاسيما في كتاب "الجامع الصحيح"، فبعضهم ألفوا له شرحاً، وآخرون جمعوا رجاله، وأناس بحثوا في أبوابه الفقهية وتراجمه، ومنهم من جرّده، وآخرون اختصروه، وبعض أهل العلم وصلوا معلقاته، وعديد منهم كتب معاجم لحلّ الكلمات الغريبة الواردة فيه، وبعض الشيوخ ألف في شروطه، ومحدثون آخرون ألفوا كتباً في دراسة وتحقيق أحاديثه³، وكثرت المصنّفات فيه بين شارح ومختصر، ومعلّق ومستدرك فمن الشروح الكثيرة والتي ذكر منها صاحب "كشف الظنون" اثني وثمانين شرحاً:

- فتح الباري بالسيل الفسيح المجاري للفيروز أبادي.

¹ ينظر: حاشية على مختصر ابن أبي جمرة للبخاري، محمد بن علي الشافعي الشنواني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1353هـ/1935م ص8.

² بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، 29/1.

³ ينظر: سيرة الإمام البخاري، المباركفوري، 363/1.

- أعلام السنن للإمام الخطابي.
 - فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
 - عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لمحمود بن أحمد العيني.
 - إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري لأحمد بن أبي بكر القسطلاني.
 - التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطي.¹
- ومن المختصرات نذكر:
- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، للزيدي.
 - إرشاد السامع والقاري المنتقى من صحيح البخاري، بدر الدين الحلبي.
 - المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، المهلب بن أبي صفرة الأزدي.
 - مختصر شرح المهلب بن أبي صفرة، محمد بن خلف الصّفدي.
 - مختصر شرح مغلطاي، جلال الدين النباقي.
 - مختصر الإمام جمال الدين القرطبي.
 - مختصر صحيح البخاري "جمع النهاية في بدء الخير والغاية"، ابن أبي جمرة الأزدي الأندلسي.²

¹ ينظر: الحديث النبويّ مصطلحه بلاغته كتبه، محمد الصباغ، ص 377 - 378.

² ينظر: مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة، اعتناء أبو المنذر سامي بن أنور خليل جاهين، دار المنهاج، السعودية، ط1، 1422هـ / 2001م، ص 12 - 13.

ج- تعريف كتاب "جمع النهاية في بداية الخير والغاية":

- تسمية الكتاب ومضمونه:

هذا الكتاب الموسوم بـ "جمع النهاية في بداية الخير والغاية" يحوي مئتين وستة وتسعين حديثاً للنبي ﷺ جمعها الإمام ابن أبي جمرة من كتاب "الجامع الصحيح" للإمام البخاري بعد حذف أسانيدھا تسهيلاً للقارئ في حفظها، وقد بدأها ابن أبي جمرة بحديث بدء الوحي لرسول الله ﷺ وختمها بحديث دخول أهل الجنة الجنة، وهذا ما يمكن فهمه من قوله - ابن أبي جمرة - في مقدمة كتابه: «... فلما كملت بحسب ما وفق الله إليه فإذا هي ثلاثمائة حديث غير بضع، فكان أولها كيف كان بدء الوحي لرسول الله ﷺ، وآخرها دخول أهل الجنة الجنة وإنعام الله عليهم بدوام رضاه فيها فسميته بمقتضى وضعه (جمع النهاية في بدء الخير وغاية) ولم أفرق بينها بتبويب رجاء أن يتمم الله لي، ولكل من قرأه أو سمعه بدء الخير بغايته»¹ وقد أوضح الإمام الشنواني ذلك في شرحه «"قوله فسميته" أي هذا الكتاب المختصر وهذا تفریع على قوله فكان أولها "قوله بمقتضى وضعه" الباء للسببية أي بسبب ما اقتضاه وضعه، وهو أنه لما كان أوله بدء الخير، وآخره نهاية الخير لأنّ بدء الوحي يحصل به الحديث، ويحصل بالحديث الخير، وآخره دخول أهل الجنة الجنة وإنعام الله عليهم وهذا نهاية الخير فيناسب تسميته بهذا ليطابق الاسم المسمّى، ويراد بالنهاية في الاسم نفس الشيء لا آخره فكأنه قال جمع الشيء الذي هو الأحاديث المذكورة، أو تبقى النهاية على حالتها ويعلم أنه لما جمع نهاية الشيء جمع أوله...»².

¹ مختصر صحيح البخاري ومهامشه شرح الشنواني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 17 - 18.

² مختصر صحيح البخاري ومهامشه شرح الشنواني، ص 17 - 18.

يعرّف هذا الكتاب بـ "مختصر ابن أبي جمرة" طبع مرارا بـ (مصر)، وبه مئتان وستة وتسعون رواية منها المرفوعة والموقوفة والمعلقة في "صحيح البخاري"، وله خمس مخطوطات في دار الكتب المصرية، كما طبع مرارا وشرحه العلامة الشرنوبلي، وشرحه المولي محمد عباس على خان وطبع بالهندسة 1314هـ. وصنع له حاشية العلامة الشنواني (1233هـ).¹

- سبب تأليفه:

إذا ما أردنا البحث في مدعاة تأليف الإمام ابن أبي جمرة كتابه "المختصر" فإننا واجدون جواب ذلك في مقدمة كتابه حيث يقول: « فلما كان الحديث وحفظه من أقرب الوسائل إلى الله عزّ وجلّ، بمقتضى الآثار في ذلك فمنها قوله ﷺ: « من أدّى إلى أمّتي حديثاً واحداً يقيم به سنة أو يردّ به بدعةً فله الجنة »، ومنها قوله ﷺ: « مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي حَدِيثًا وَاحِدًا كَانَ لَهُ أَجْرُ أَحَدٍ وَسَبْعِينَ نَبِيًّا صِدِّيقًا »، والآثار في ذلك كثيرة. ورأيت الهمم قد قصرت عن حفظها مع كثرة كتبها من أجل أسانيدھا. فرأيت أن آخذ من أصحّ كتبها كتابا اختصر منه أحاديث بحسب الحاجة إليها، واختصر أسانيدھا ما عدا راوي الحديث، فلا بدّ منه، فيسهل حفظها، وتكثر الفائدة فيها - إن شاء الله تعالى - فوق لي أن يكون كتاب البخاري؛ لكونه من أصحّها، ولكونه رحمه الله كان من الصالحين، وكان بحسب الدعوة، ودعا لقارئه ». ²

فالذي يظهر من كلام ابن أبي جمرة أنّ دواعي تأليفه كتابه "المختصر" تتخلص في عاملين:

¹ ينظر: جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، اعتناء أبو المنذر سامي بن أنور خليل جاهين، دار المنهاج، السعودية، ط1، 1422هـ/2001م، ص15.

² المصدر السابق، ص27

1- ابتغاء الأجر والثواب من الله وهو الجنة وهذا يكون بإقامة السنن ورد البدع، وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة.

2- رغبته وحرصه الشديد في تسهيل حفظ الأحاديث النبوية في زمن اشتغل الناس عنها، ووهنت الهمم في الإقبال على حفظها مع كثرة كتبها وأسانيدها.¹

- منهجه:

لقد صنّف الإمام ابن أبي جمرة كتابه "مختصر صحيح البخاري" حيث اختار فيه مؤلفه ستة وتسعين ومئتين حديثاً من كتاب "صحيح البخاري" وأثبتها في مختصره بعد حذف أسانيدها، والاكتفاء باسم الصحابي راوي الحديث²، ويمكن أن نحدّد أهمّ خصائص منهجه في هذا الكتاب فيما يأتي:

1- الجمع والاختيار للأحاديث النبوية الشريفة من كتاب "صحيح البخاري" دون تبويب ابتداء من حديث بدء الوحي انتهاء عند حديث دخول أهل الجنة الجنة.³

2- حذف أسانيد الأحاديث المختارة والإبقاء على ذكر راوي الحديث كقوله: "عن فلان عن النبي ﷺ أنه قال" أو "عن فلان قال: قلت يا رسول الله" أو "عن فلان قال: سمعت النبي ﷺ يقول" وغير ذلك من الصيغ.

3- في ذكره لراوي الحديث من الصحابة يتبعها أحياناً بـ (رضي الله عنه). إلّا أنّنا نجده يقوم باختصار ذلك بحذف عبارة الترضي في مواضع عديدة على الرغم من ثبوتها في كتاب "الجامع

¹ ينظر: حاشية على مختصر ابن أبي جمرة للبخاري، الشنواني، ص 10 - 11.

² ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الهامش، ابن العماد، 43/8. وينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تع ونص محمد شرف الدين ورفع بيلكه الكيلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص 599.

³ مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص 19، 373.

الصحيح" وعلى سبيل المثال: في حديث البيعة الذي أورده في قوله: «أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا.....»¹. وغير ذلك من المواضع الأخرى في الكتاب».²

4- كان أحياناً في اختصاره يحذف عبارة (عزّ وجلّ) بعد لفظ الجلالة مع ورودها في الجامع الصحيح. ومن أمثلة ذلك ما أورده في ما روي عن أسماء رضي الله عنها قالت: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ...»³ ومثله في الحديث الذي روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قول النبي ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»⁴

هذا أبرز ما اتّسم به مختصر ابن أبي جمرة من خصائص وإن كان البعض قد انتقده في مسلكه هذا حيث عدّه محمود الأرناؤوط أقرب إلى "التلخيص" منه إلى "المختصر"⁵ وعدّ أبو المنذر سامي بن أنور خليل جاهين هذا الصنيع لا يصدق عليه مُسمّى "المختصر" بقدر كونه (منتقى).⁶، كما وقف على بعض الاختصارات والتي عدّها غير لائقة في هذا المختصر.⁷

5- ولأهمية هذا المختصر وما حظي به من اهتمام كبير سواء في شروحه أو في العناية به من تحقيق وتعليق وطباعته مرات عديدة والتي يمكن أن نذكر بعضها:

¹ ينظر: المصدر السابق، ص35. وصحيح البخاري، كتاب الإيمان، (رقم 18)، ص11

² ينظر: المصدر نفسه، ص232، 233، 242، 285، 265.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص52،

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص63 - 64، وصحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم 2810، ص 342

⁵ ينظر: هامش شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، تح عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ/1992م، 43/8.

⁶ ينظر: مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة، اعتناء أبو المنذر سامي بن أنور خليل جاهين، دار المنهاج، السعودية، ط1، 1422هـ/2001م، ص13.

⁷ ينظر: مقدمة مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة، ص20.

- مختصر صحيح البخاري وبهامشه شرح العلامة محمد الشنواني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- مختصر صحيح البخاري جمع النهاية في بدء الخير وغاية، وبهامشه شرح العلامة عبد المجيد الشرنوبى الأزهرى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/1986م.

- مختصر صحيح البخاري، مع ذكر فوائد الحافظ ابن حجر على الحديث وشرح مفردات الحديث للعلامة الشرنوبى، اعتنى به أبو منذر سامي بن أنور خليل جاهين، دار المنهاج، السعودية، ط1، 1422هـ/2001م.

- جمع النهاية في بداية الخير والغاية، تحقيق الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1429هـ/2008م.

وقد أشار الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب محقق كتاب "جمع النهاية" إلى أنّ كتاب "المختصر" وقع اسمه في كثير من النسخ (جمع النهاية في بداية الخير وغاية) بتجريد كلمة (غاية) من (ال) التعريف، مع أن تعريف الغاية أنسب للسياق وأبلغ في الدلالة، وهو المثبت على نسخة شرح الأجهوري، وهو الداعي إلى تعريفها فعنوانه (جمع النهاية في بداية الخير والغاية)¹، وقد اعتمدنا في بحثنا على هذا التحقيق - تحقيق الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب - بطبعته الثانية التي أخرجها متميزة بميزات ذكرها المحقق منها:

¹ ينظر: جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، تح: د. أحمد عبد الكريم نجيب، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط2، 1429هـ/2008م، ص6.

- ضبط النص كاملاً ومقابلة ما فيه من أحاديث على الأصل المختصر منه وهو الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله.

- إعادة ترقيم الأحاديث وفق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله لتقدم طبعته، وكثرة تداول ترقيمه عند الطلبة والباحثين.

- جعل ترقيم الأحاديث ضمن معقوفين تحويان الرقم التسلسلي للمختصر، يليه رقم الحديث في الصحيح وبينهما خط مائل على هذا المنوال [31/4] الرقم الأول هو رقم الحديث في المختصر، والرقم الثاني هو رقم الحديث في صحيح البخاري.¹

إذن يمكننا بعد هذا المدخل أن نؤكد على أهم النقاط التي نُجملها فيما يأتي:

- تحظى السنة النبوية الشريفة بمكانة عظيمة في الشريعة الإسلامية، فالكتاب والسنة يمثلان المصدرين الأصليين للتشريع، فالسنة النبوية مبيّنة للقرآن، ومفصلة لمجمله، ومخصصة لعمومه، كما أجمع علماء المسلمين وأرباب اللغة وأساطين البلاغة على أنّ فصاحة النبي الأكرم ﷺ لا تضاهيها فصاحة، وأسلوبه في الحديث لا يقاربه أسلوب .

- ابن أبي جرمرة الأزدي الأندلسي المرسي المالكي القدوة العارف بالله أقبل على طلب العلم، وحفظ القرآن والحديث، واشتهر بالعلم فكان محدثاً وأصولياً ومفسراً وفقهاً، وانقطع إلى العلم في بيته إلى أن مات، له مختصر "صحيح البخاري". المعروف بـ "جمع النهاية في بداية الخير والغاية" وهو كتاب يحوي مئتين وستة وتسعين حديثاً للنبي ﷺ جمعها الإمام ابن أبي جرمرة من كتاب "الجامع الصحيح" للإمام البخاري بعد حذف أسانيدھا تسهيلاً للقارئ في حفظها، وقد بدأها ابن أبي جرمرة بحديث بدء الوحي لرسول الله ﷺ وختمها بحديث دخول أهل الجنة الجنة، وهو ما ناسب بمقتضى وضعه تسميته بـ (جمع النهاية في بداية الخير والغاية) وقد صنّف الإمام ابن أبي جرمرة كتابه "مختصر صحيح البخاري"

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 4-6.

حيث اختار فيه مؤلفه ستة وتسعين ومئتين حديثاً من كتاب "صحيح البخاري"، وأثبتها في مختصره بعد حذف أسانيدھا والاكتفاء باسم الصحابي راوي الحديث .

الفصل الأول: الإحالة في أحاديث الكتاب

- توطئة
- المبحث الأول: مفهوم الإحالة وأصنافها
 - أولاً : مفهوم الإحالة
 - ثانياً : عناصر الإحالة
 - ثالثاً : أنواع الإحالة
 - رابعاً: وسائل الإحالة
- المبحث الثاني: حضور الإحالة في الحديث النبوي ودورها التركيبي و الدلالي
 - نصّ الحديث النبويّ و شرحه المجمل
 - صُور الإحالة في الحديث النبويّ و أثرها

- توطئة:

يتألف النصّ من عدد من العناصر تقيم فيها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقها، يضاف إلى تلك العلاقات الداخلية علاقات أخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر، ويؤدّي الفصل بين هذه العناصر الداخلية، أو إسقاط أيّ منها، أو إغفال أية علاقة سواء أكانت داخلية أو خارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك والانسجام الدالّين للنص¹. ومن القضايا التي شغلت المناطق وعلماء النفس واللغويين من ناحية وبلاغيين وغيرهم قضية الإشارة والإحالة في الكلام، وهي ظاهرة تقع في أساس كل منظومة فكرية، فاللغة نفسها نظام إحاليّ إذ يُجِيل على ما هو غير اللغة، وهي نفسها تتضمّن عنصرين: إشارية وإحالية². كما أنّها تقوم على علاقة الألفاظ بالدلالة على المعاني، ثمّ على علاقتهما معاً بالعالم الخارجي³ كون السياق يعمل على توجيه الدلالة نحو معنى واحد مقصود من بين عدد المعاني التي يسمح بها الأسلوب النحويّ ممّا يساعد في عملية التواصل بين أفراد المجتمع⁴. ولدراسة الإحالة في القرآن الكريم أثر كبير في الكشف عن معانيه وإظهار أوجه إعجازه⁵. والحديث النبويّ الشريف كلام النبيّ محمد - صلّى الله عليه وسلّم - يحمل من المعاني، ويتضمّن من الدلالات ما يجعل منه صورة من صور

¹ دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسين بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط1، 1426هـ/2005م، ص94.

² ينظر: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ص115.

³ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 965/2.

⁴ السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المناع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص180.

⁵ ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، ط1، 2010م ص99.

الإعجاز اللغوي التي تأيّدت من الوحي الإلهي للنبيّ المصطفى الذي قال عن نفسه: «...أُوتِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»¹.

نعمل في هذا الفصل من الدراسة على الكشف عن حضور "الإحالة" في النص النبويّ ودراستها دراسة نصية في الحديث النبويّ انطلاقاً من دورها في ربط أجزاء الجملة الواحدة، أو الجمل المتعدّدة، أو حتى بين الحديث الواحد والأحاديث الأخرى التي تسهم بشكل أو بآخر في تحديد المعاني المقصودة سواء في مرجعيّتها الداخليّة أو الخارجيّة في سياقها اللغويّ أو غير اللغويّ.

¹ رواه مسلم رقم (523/8) في أوائل أحاديث كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ص 237 و ينظر : في ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1434هـ/2013م، ص9.

المبحث الأول: مفهوم الإحالة وأصنافها.

أولاً - مفهوم الإحالة:

أ - لغة:

الإحالة لغة من مادة (حول) قال ابن فارس (395 هـ): «الحاء والواو واللام أصل واحد، وهو تحرك في دور، فالحوّل العام . ذلك أنّه يُحوّل، أي يدور ويقال حالت الدار وأحالت و أحوّلت، أتى عليها الحوّل. و أحوّلت أنا بالمكان وأحلت أي أقمت به حوّلًا. يُقال حال الرجل في متن فرسه يُحوّل حوّلًا وحوّولا، إذا وثّب عليه... وحال الشخص يُحوّل إذا تحرك...»¹.

وجاء في لسان العرب: « والمحوّل من الكلام ما يدلّ به عن وجهه. وحوّله: جعله مُحالًا. وأحال: أتى بمُحال . وكلام مستحيل: محال . ويقال: أحلت الكلام أُحيله إحالة إذا أفسدته... وتحوّل عن الشيء: زال عنه إلى غيره... وأحال عليه: استضعفه. وأحال الذئب على الدم: أقبل عليه... وأحال عليه الماء: أفرغه... والحوال كلُّ شيء حال بين اثنين، يُقال هذا حوَالٌ بينهما أي حائل بينهما كالحاجز والحجاز. حُلّت بينه وبين الشرّ أحول أشدّ الحوّل والمحالة...»²

وحوّل الشيء أي غيّره، أو نقله من مكان إلى آخر. وحوّل الأرض أي زرعها حوّلًا وتركها حوّلًا للتقوية. والشيء غيّره من حال إلى حالٍ. واستحال الشيء: أي تحوّل . واستحال: اعوجّ بعد استواء.³

¹ مقاييس اللغة، ابن فارس، تح وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1399هـ/1979م، 121/2.

² لسان العرب، ابن المنصور، 398/3، 404

³ ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، 1-192/2-193

وأحال الغريم بدينه على آخر: صرفه عنه إليه فهو مُحِيل والغريمُ مُحَالٌ والغريم الآخر مُحَال عليه والمال مُحَال به. والاسم الحوالة.¹

فالإحالة إذن لغة تدور حول معاني متعدّدة من مادة (حَوَّل) فنجدها: الإقامة، الوثب، العدول والتحوّل، الإفساد، الاستضعاف، الضرب، الإقبال، الحجز، النقل، الزرع، الاعوجاج... الخ.

ب/- اصطلاحاً:

تناول العلماء والباحثون من أهل اللغة مفهوم "الإحالة"، فكانت تعريفاتهم أكثر ما تكون متقاربة من حيث المضمون مع بعض الاختلاف في المصطلح عند بعضهم، فالإحالة كما عرّفها الأزهر الزناد تسمية تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب.² وحدّد شرط وجودها هو النص، كما أنّها تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر. وهي تمثّل أبرز السّمات التي تقوم عليها العناصر اللغويّة، وهي في العربية عديدة منها الضمائر وأسماء الإشارة وبعض العناصر المعجمية الأخرى.³

أمّا محمد خطابي فنجدّه انطلق من استعمال "الإحالة" عند كلّ من "هالداي ورقية حسن" هو أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابدّ من الرجوع إلى ما

¹ ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، ص 162-163.

² ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 118.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 76-118.

تشير إليه. واعتبر الإحالة خاصيّةً في كلّ لغة طبيعية، وهي علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية وإنّما

تخضع لقيود مستقلّة في وجوب تطابق العنصر المحيل والعنصر المحال إليه في الخصائص الدلالية.¹

أمّا سعيد حسن بحيري في تعريفه للإحالة ذكر أنّها تتمثّل قسمًا مهمًّا في تشكيل بناء النص، وقد

درّسها النحاة من خلال الضمائر، وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وعناصر معجمية أخرى، إضافة

إلى الإضافات التي لحظها المفسّرون في تفسيراتهم للنصّ القرآنيّ الذي تركّز البحث عليه عندهم.²

كما أورد تعريف الإحالة عند بعض الغربيّين، فـ"تنيير" (L.Tesniere) يرى أنّ الإحالة هي

ربط دلالي إضافي لا يطابقه أيّ ربط تركيبّي في رأيه الأوّل ليقترّ رأيّه على أنّ كلّ إحالة تقوم على

نوعين من الربط الدلالي:

- ربط دلالي يوافق الربط البنيوي (التركيبّي)

- ربط دلالي إضافي تتمثّل الإحالة، وهذا الربط الإحالي. الذي يمدّ جسور الاتصال بين الأجزاء

المتباعدة في النصّ إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النصّ³

أمّا كلمماير (Kallmeyer.W) يذهب إلى أنّ الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق

عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة)، وتقوم المكوّنات الاسمية بوظيفة عناصر

العلاقة أو المفسّر أو العائد إليه.⁴ وقد أشار سعيد حسين بحيري في تحديده طبيعة الروابط الإحاليّة

إلى أنّ اللغة تشتمل على نوعين من العناصر:

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 16-17.

² ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحري، ص 96.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 98.

⁴ ينظر: المصدر السابق، ص 98.

عناصر إشارية، وعناصر إحالية. فالعنصر الإشاري يشمل لفظاً مفرداً دالاً على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان أو المكان جزءاً من الملفوظ أو الملفوظ كاملاً.

فالمشار إليه لازم الوجود ليحيز وجود المَحِيل (العنصر الإحالي) ويشكّلان معاً بنية الإحالة. فالعنصر الإحالي لا يخرج عن أنّه مكوّن عوض مكوّن آخر، ذُكر في موضع آخر سابق أو لاحق، وبدلاً من أن يتحتّم ورود العنصر الإشاري في موضع آخر بعد أن ورد أوّل مرّة يرُدّ عنصر آخر ينوب عنه، ويؤدّي معناه¹.

ونجد مفهوم الإحالة عند محمد الشاوش تعني تارة العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم أي ما كان يُسمّيه القدامى (الخارج)، وهي تعني تارة أخرى إحالة اللفظة على لفظة متقدمة عليها.

ولاحظ محمد الشاوش أنّ النحو العربي تناول هذه القضية من منظور آخر يعتمد على تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة، وهي الألفاظ التي لها دلالة والتي تحيل بمفردها على خارجها في الواقع، وألفاظ مبهمة لها دلالة لكنك لا تعرف لها خارجاً إلا متى توفّر مُفسّرها وهذا المفسّر قد يكون مقامياً، وقد يكون مقالياً.²

أمّا أحمد عفيفي فقد عرض تعريفات الإحالة عند كلّ من "جون ليونز" الذي مفاده أنّ الإحالة هي العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات. كما أورد تعريفها عند هالداي ورقية حسن انطلاقاً ممّا ذكره محمد خطابي، وأورد أيضاً مفهومها عند الأزهر الزناد، وقد انتهى إلى تعريف يراه أكثر شمولاً

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 100، 101، 109.

² ينظر: أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 125/1.

ودقة وهو « الإحالة ليست شيئاً يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً، وعلى هذا فللمتكلم أو الكاتب الحق في الإحالة حسب إرادته ويبقى دور المحلل في فهم ذلك حسب النص والمقام.¹ فهو يرفض أن يقتصر مفهوم الإحالة على ما يتحكم به النص أي داخل النص وإنما السياق الخارجي، وإرادة المؤلف لها دور فاعل في استخدام الإحالة والتحكم في توجيهها.

في حين نجد النعمان بوقرة حدّد الإحالة بأنها تتمثل في اللسانيات العلاقة الدلالية التي تربط العناصر اللسانية ببعضها في المستوى التركيبي، وهي أيضاً شكّل من أشكال التكرار النحوي بما يصلح أن يستبدل به كالضماير مثلاً².

وعليه فيمكن أن نخلص إلى أنّ الإحالة هي رابطة أو أداة من أدوات الاتساق النصي، التي تجعل منه بنية واحدة تسهم بقدر كبير في تلاحم مكوناته جملاً وتراكيب، وفهم دلالاته سواء في بنيته الداخلية، أو من خلال العودة إلى سياقاته الخارجية انطلاقاً من عنصرها الرئيسيين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي.

ثانياً- عناصر الإحالة:

حدّد أحمد عفيفي أربعة عناصر تقوم عليها الإحالة وتبنى عليها:

- 1- المتكلم أو الكاتب صانع النص، وبقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد، حيث يشير علماء النص إلى أنّ الإحالة عمل إنساني.

¹ نحو النص، أحمد عفيفي، ص 116-117.

² مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، ص 132.

2- اللفظ المحيل، وهذا العنصر الإحالي ينبغي أن يتجسّد إمّا ظاهراً أو مقدّراً، كالضمير أو الإشارة، وهو الذي سيحوّلنا ويغيّرنا من اتجاه إلى اتجاه خارج النص أو داخله.

3- المّحال إليه، وهو موجود إمّا خارج النص أو داخله من كلمات أو عبارات أو دلالات، وتفيد معرفة الإنسان بالنص وفهمه في الوصول إلى المّحال إليه.

4- العلاقة بين اللفظ المحيل والمّحال إليه، والمفروض أن يكون التطابق مجسّداً بين اللفظ المحيل والمّحال إليه¹.

ثالثاً- أنواع الإحالة:

تنوّعت الإحالة إلى عديد الأنواع باعتبار عدّة إمّا باعتبار النص والسياق، أو باعتبار طبيعة أو رتبة العنصر الإحالي من العنصر الإشاري، أو باعتبار أخرى اتخذها الباحثون غريّون وعرب، ويمكن أن نحدّد ذلك فيما يأتي:

قسّم الباحثان هالداي ورقية حسن الإحالة إلى نوعين رئيسيين:

1- الإحالة المقامية (إلى خارج النص) Exophora، وهي إحالة عنصر لغويّ إحالي على عنصر إشاري غير لغويّ موجود في المقام الخارجي، كأن يُحيل ضمير المتكلّم المفرد على ذات صاحبه المتكلّم، حيث يرتبط عنصر لغويّ إحالي بعنصر إشاري غير لغويّ هو ذات المتكلّم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملاً إذ يمثّل كائناً أو مرجعاً موجوداً مستقلاً بنفسه، فهو يمكن أن يُحيل عليه المتكلّم². وهذا النوع من الإحالة يرتبط بأنواع محدّدة من النصوص، وتحتاج أحياناً

¹ الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ص 16.

² نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 119، وينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 16-17.

إلى جهد أكبر للكشف عنها، وإيضاح كيفيتها وتأويل العنصر غير اللغوي الذي يحكمها، الذي يقع خارج النص، ويُستعان بتفسيره بالسياق أو المقام الخارجي والإشارات الدالة عليه¹.

2- **الإحالة النصية:** (داخل النص) Endophora: وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية، ولها قسمان:

أ- **إحالة قبلية:** (على السابق) أو **إحالة بالعودة Anaphora:** وهي تعود على مفسّر سبق التلقّظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمّر، وليس الأمر كما استقرّ في الدرس اللغويّ، إذ يعتقد أنّ المضمّر يعوّض لفظ المفسّر المذكور قبله، فتكون الإحالة بناء للنص على صورته التامة التي كان من المفروض أن يكون عليها، فهي تحليل جديد له من حيث هي بناء جديد له، وتُعَدّ الإحالة القبلية أكثر دوراً في الكلام². ومثالها: (محمد ركب الدراجة لكنّ عليّاً لم يركبها)، فالضمير (ها) يشير إلى (الدراجة)، وبهذا أبدل الاسم بالضمير، وبعض الأفعال تمثّل الوظيفة الإحاليّة نفسها، خاصّة الفعل (do) في الإنجليزية مثل: (محمد صلّى الفجر وكذلك فعل عليّ)، ومن الممكن أن تكون الإحالة بتكرار كلمة واحدة أو عبارة واحدة في جملتين متعاقبتين³.

ب- **إحالة بعدية (على اللاحق) Cataphora:** وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، من ذلك ضمير الشأن في العربية، أو غيره من الأساليب⁴.

¹ دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص 105.

² ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 118-119.

³ ينظر: علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 38/1-39.

⁴ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 40.

ويُعرّف علماء اللغة هذا المصطلح بأنّه استعمال كلمة، أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى، أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص، أو المحادثة، ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾¹، فالضمير (هو) مُحيل إلى لفظ الجلالة (الله)².

ومن التقسيمات أيضاً نذكر تقسيم "دي بوجراند" الذي قسّمها إلى قسمين:

1- إحالة لغير مذكور: هي التي تعود فيها الكنائيات إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب، وتعتمد هذه الإحالة في الأساس على سياق الموقف context³، وهي التي تقابل (الإحالة المقامية) عند هالداي ورقية حسن.

2- إحالة لمذكور: وهي التي يكون فيها معنى المرجع مكانه في عالم النص مع التركيز على عالم

3- الموقف الاتصالي، ولها نوعان: إحالة لمذكور سابق وإحالة متأخّر⁴، وهي التي تقابل (الإحالة النصية)، وفرعيها (الإحالة القبلية) و (الإحالة البعدية) عند هالداي ورقية حسن.

وقسّم كلّ من "باتريك شارودو" و "دومنيك منغو" في معجم تحليل الخطاب الإحالة إلى إحالة إشارية وإحالة عائديّة، حيث أنّ التمييز بينهما يندرج تقليدياً منذ "أ. بنفيست" في الاشكالية الأشدّ اتّساعاً للتلفّظ حيث يمكن لتعبير ما أن يُحيل حسب جهتين اثنتين، إمّا بالنسبة إلى مقام التلفّظ الذي يتجسّم فيه، وإمّا بصفة مستقلة وموضوعية وهذا التمييز هو أساس التقسيم هو الذي شاع

1 الإخلاص، الآية 1.

2 ينظر، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 40/1

3 ينظر، النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 332.

4 المصدر السابق، ص 332.

قبوله في اللسانيات إلى إحالة إشارية وإحالة عائدية يمكن لمفهوم الإحالة الإشارية أن يعتبر مماثلة للعائد الذاكري الذي يقتضي أن تقع الإحالة بواسطة مرجع حاضر في ذهن المتكلم¹.

كما ميّز بين قسمين آخرين للإحالة وهي "الإحالة الأجناسية" و "الإحالة الخصوصية"، حيث في النوع الأول تستهدف الإحالة لا قطعة من الواقع الفعلي، وإنما المقولة التي ينتمي إليها، خلافاً للعبارة الخصوصية (النوعية) بتعيينها مرجعاً خاصاً مسجلاً هنا، وفي الحين في السياق خارج اللغة، لا يمكن لها توفير موضع يعتمد عليه في الحجاج، وإذا سمحت للحمل بأن يفضي إلى تعميم ذي قيمة حجاجية فإنّها لا تقدر على أن تتكفل هي ذاتها بالتعبير عن هذا التعميم، وهما متكاملتان حيث الثانية تفتح الطريق للمحتويات التي تعبّر عنها الأولى².

أما "كلاوس برينكر" فقد قسّم الإحالة إلى قسمين: إعادة صريحة وإعادة ضمنية، وقد فرّق بينهما كما يأتي:

1. الإعادة الصريحة: تكمن في تطابق الإحالة لتعبيرات لغوية معيّنة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذ يكرّر تعبير معيّن (كلمة أو ضميمة مثلاً) من خلال تعبير أو عدّة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة مطابقة إحالية، ويعني مفهوم « المطابقة الإحالة والتحاول (koreferenz) » « أشخاصاً، وأشياء وأحوالاً، ووقائع وأفعالاً، وتصوّرات... إلخ، وتأتي من خلال أسماء أو ضمائم اسمية وضمائر³.

¹ ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومنيك منغنو، وآخرون، تر: عبد القادر المهري، حمّادي صمود، ص 475.

² ينظر: المصدر نفسه، ص 475-476.

³ ينظر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/ 2005م، ص 38.

2. الإعادة الضمنية: تتميز الإعادة الضمنية على النقيض من الإعادة الصريحة بأنه لا توجد بين التعبير المستأنف (بكسر النون) في العادة اسم أو ضميعة اسمية، والتعبير المستأنف (بفتح النون) أيّة مطابقة إحاليّة، فكلا التعبيرين يستند إلى أصحاب إحالة مختلفين، أيّ أنّه يتحدّث عن أشياء مختلفة وأشياء من هذا القبيل، ولكن بين هذه الأشياء توجد علاقات محدّدة، من أهمّها علاقة الجزء بالكلّ أو علاقة الاشتمال¹.

ومن أنواع الإحالة ما ذهب إليه "زتسيسلاف واورزنيك" في تصنيفها سبعة أنواع رئيسة بين الأسماء على النحو الآتي:

1) إحالة اسمية مكررة 2) إحالة بديلة عن الاسم 3) إحالة مترادفية 4) إحالة تبعية 5) إحالة أساسية 6) إحالة تضداد 7) إحالة إعادة الصياغة مع بدائل عدة ولها أنماط ثلاثة:

أ) إعادة اسمية ممتدة، ب) إعادة اسمية مكثفة، ج) إعادة اسمية عاطفية تعبيرية أو تقويمية².

وهكذا تعدّدت التقسيمات عند الباحثين للإحالة، واتفق بعضها واختلف بعضها الآخر سواء في المفهوم، أو في المصطلح إلّا أنّ الذي يكاد أن يكون حوله إجماع أو اتفاق أو تقارب وجهات هذه الآراء هو أنّ الإحالة لها قسمان، نصية (داخلية) ومقامية (خارجية)، والنصية تنفرّج إلى قبيلة وبعدية، وهو ما سنعتمده في دراستنا هذه .

¹ ينظر، المصدر نفسه، ص 49.

² ينظر، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنيك، تر وت، سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص 123-124.

رابعًا - وسائل الإحالة:

هي تلك الألفاظ التي نعتد عليها لتحديد المحال إليه داخل النص أو خارجه، وقد أطلق عليها البعض أدوات، فقد قال Brown و Gule "براون" و "يول" نقلا عن "هالداي" « هي الأدوات التي نعتد في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر»، في حين أشار "روبرت دي بوجراند" إلى الألفاظ الكنائية ووضع لها سمات، وقد أطلق عليها "العناصر الإحالية" في اللغة، وعدّها من قبيل المعوّضات، وأشار إلى أنّها تأتي تعويضا عن وحدات معجمية (أسماء مفردة وما يضارعها من المركّبات)¹.

وقد حدّد هالداي ورقية حسن في ثلاثة عناصر أو أدوات وهي: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة². أمّا دي بوجراند فعنده أربع وسائل، زاد على ما ذكره هالداي ورقية حسن الأسماء الموصولة³.

1) الضمائر:

تقوم هذه العناصر على مفهوم دور الشخص المشاركة في عملية التلقّظ، فالنحاة الإغريق و اللاتينيون وضعوا تسمية الضمائر من خلال إجراء الاسم الذي يطلق على «الشخصية المسرحية» أو «الدور المسرحي» إجراء مجازيًا، ثم جرت ترجمة هذا المصطلح إلى اللاتينية باستعمال لفظ

¹ ينظر، الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص 21، 22.

² لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 18.

³ ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 32.

(persona) وهو يعني (القناع) (mask) وغير بعيد من هذا إجراء لفظ (الضمير) عند النحاة

العرب على الوحدات الدالة على الشخص، وهو يتعلّق بمفهوم الخفاء والدقة وكذلك بالباطن¹.

فالضمير عبارة عما دلّ على المتكلّم ك(أنا)، أو مخاطب ك(أنت)، أو غائب ك(هم) وينقسم إلى مستتر وبارز، لأنّه لا يخلو إمّا أن يكون له صورة في اللفظ أو لا، فالأوّل البارز كثناء (قُمْتُ)، والثاني المستتر كالمقدر في نحو قولك (قُم)، وينقسم المستتر إلى واجب الاستتار، والمستتر جوازاً، وينقسم البارز إلى المتصل والمنفصل²؛ فالضمير المتّصل لا يبتدأ به، ولا يقع بعد (إلاّ) (إلاّ في ضرورة الشعر، كالتاء والكاف من (أكرّمُكَ) فلا يقال (ما أكرّمْتُ إلاّك)، أمّا الضمير المنفصل فهو ما يصحّ الابتداء به، كما يصحّ وقوعه بعد (إلاّ) على كل حال، ك(أنا) من قولك (أنا مجتهد، وما اجتهد إلاّ أنا)³.

وقسم هالداي ورقية حسن الضمائر إلى قسمين، وجودية وملكية.

الضمائر الوجودية مثل (أنا، أنت، نحن، هو...) أيّ تتنوّع إلى متكلّم ومخاطب وغائب وضمائر ملكية مثل (الياء في كتابي، والكاف في كتابك، والهاء في كتابه) فهي كذلك بين متكلّم ومخاطب وغائب⁴.

فالضمائر بقسميّها الوجودية، أو الملكية الخاصة بالمتكلّم أو المخاطب تُعدّ ضمن الإحالة المقامية، أيّ تُحيل إلى خارج النص كالضمير أنا ونحن يعودان على ذات خارج النص ومثله ضمير المخاطب

¹ ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ص 117.

² ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، (د، ط)، 2004م.

³ ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني ص 125-127.

⁴ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 18-19.

أنت وأنتم فالحال إليه فرد أو مجموعة من الأفراد وهم خارج النص، ولهذا كان اهتمام علماء اللغة النصيين أكثر بضمائر الغيبة التي تحيل إلى شيء داخل النص من ضمائر المتكلم أو المخاطب¹.

فضمير الغيبة إمّا أن يعود إلى اسم سبقه في اللفظ، وهو الأصل، مثل: (الكتاب أخذته) وإمّا أن يعود إلى متأخر عنه لفظاً متقدّم عنه رتبةً (حسب الأصل). مثل (أخذ كتابه زهير)، الهاء تعود إلى زهير المتأخر لفظاً، وهو في بنيته التقديم رتبةً كونه فاعلاً، وإمّا أن يعود إلى مذكور قبله معنى لا لفظاً مثل (اجتهد يكنّ خيرًا لك) أي (اجتهد يكنّ الاجتهاد خيرًا لك)، الضمير المستتر (هو) يعود على الاجتهاد المفهوم من (اجتهد)، وإمّا أن يعود إلى غير مذكور لا لفظاً ولا معنى إن كان سياق الكلام يعيّنه كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾²، فالضمير يعود إلى سفينة نوح المعلومة من سياق المقام، أي يدلّ عليها سياق الكلام³.

ومن ضمائر الغيبة ضمير الشأن الذي هو ضمير يكون في صدر جملة بعده تفسّر دلالاته وتوضّح المراد منه، ومعناها معناه، ويسمّى الضمير المجهول لأنّه لم يسبقه المرجع الذي يعود إليه، فتقديم الضمير ليس إلاّ تمهيداً للجملة الهامة التي بعده لكنّه يتضمّن معناها تمامًا، فهذا بمثابة رمزها ولحّة أو إشارة توجّه إليها، مثل (هو الزمان غدار) و (هي الأيام خائنة)⁴.

و المقصود بالضمائر عند تمام حسان هو ضمائر الأشخاص و الإشارات و الموصولات، فضمائر الأشخاص معانيها معانٍ عامّة لا تدلّ على شيء مفرد، فالمعاني التي تحملها من ثلاثة أنواع:

¹ ينظر: الإحالة في النص، أحمد عفيفي، ص 23-24.

² هود: 44

³ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 131 ولزيادة تفصيل ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، (د، ت) 262-255 / 1

⁴ ينظر، النحو الوافي، عباس حسن، 1 / 250-255

أ- النوع (التذكير و التأنيث)

ب- العدد الإفراد و الثنية و الجمع

ج- الوضع (التكلم و الخطاب و الغيبة)

وهذه المعاني ممّا يتوقّف عليه فهم الضمير في الخطاب يعني أن المتكلم من شأنه أن يراعي هذه المعاني لأن رعايتها شرط من شروط الإفادة ومن ذلك ألاّ يخاطب المؤنّث بضمير المذكر و المخاطب بضمير المتكلم¹، هذا ما ذكره تمام حسان انطلاقاً ممّا ذهب إليه النحاة، وما يطلبه نظام اللغة لكنّه لفت إلى ما يجب مراعاته في التداوليات في هذا من ذلك مثلاً اختلاف المواقف الاجتماعية بين المتكلم و المخاطب يسمح بلّ يقضي أحياناً في كثيرٍ من الظروف أن يُخاطب المتكلم السامع المفرد الذي هو أعلى منه درجة في السّلم الاجتماعي بضمير الجماعة، فيقول له وهو مفرد: (أهلاً بكم وسهلاً وقد شرفتمونا بزيارتكم)، فالمخاطب في موضع ترحيب واحترام والمتكلم الذي هو أعلى درجة يشير إلى شخصية المفرد بضمير الجمع فيقول (نحن قرّزنا.....) وغير ذلك من المواقف وأساليب الخطاب المختلفة²، وهذا لا يعدم من الإشارة إلى أنّ النحاة القدماء كانت لهم مباحث قيّمة في الضمائر ودورها في الربط في الجملة الواحدة أو بين الجمل المتعدّدة في النص، فمن ذلك ما أفرد به ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) الضمائر من مباحث قيّمة نذكر منها:

ما بحثه تحت عنوان " الأشياء التي تحتاج إلى الرابط "، وهي عنده أحد عشر موضعاً تحتاج إلى ضمير يربط بينها منها: الجملة الموصوف بها، الجملة الموصولة بها الأسماء، الجملة الواقعة حالاً، كقوله

¹ ينظر اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط 1، 2007م، ص 225 - 226

² ينظر المرجع نفسه ص 226

تعالى: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾¹، وغيرها مما أدرجه ضمن هذا المبحث².
وخصّ مرجع الضمير بمبحث وسمّاه بـ "الموانع التي يعود فيها على متأخّر لفظاً ورتبه"³، وغيرها من
المباحث الأخرى الخاصة بالضمير⁴.

2- أسماء الإشارة:

اسم الإشارة هو اسم يعيّن مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسية إليه، كأن ترى عصفوراً فتقول وأنت
تشير إليه (ذا) رشيق، وقد يكون شيئاً معنوياً، كأن تتحدّث عن رأي أو مسألة في نفسك فتقول: (ذا)
رأي أبادر بتحقيقه⁵.

ويُقَسَّم اسم الإشارة في النحو العربيّ بحسب المشار إليه إلى ثلاثة أقسام: ما يشار به للمفرد،
فالمفرد المذكر لفظة واحدة هي (ذا) وللمفرد المؤنثة عشرة ألفاظ هي: (ذي، ذهي، ذه، ذه، ذات)
المشهور استعمالها بمعنى صاحبتّه، (تي، تهي، ته، تَه، تَأ). وما يشار به للمثنى ، فللمثنى المذكر (ذا)
بالألف رفعاً و (ذَيْن) بالياء جرّاً ونصباً، وللمثنى المؤنث (تَانِ) بالألف رفعاً و (تَيْنِ) بالياء جرّاً
ونصباً، وما يشار به إلى الجمع، فلجمع المذكر والمؤنث: (أولاء)⁶.

كما يقسّم حسب قرب المشار إليه أو بعده أو توسّطه الى ثلاثة أقسام:

1- الأسماء التي تستعمل في حالة قربه وهي الأسماء السابقة دون اختلاف في حركاتها أو حروفها

¹ الزمر: 60

² ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 2/ 587-586

³ ينظر: المصدر نفسه، 2/ 562-568

⁴ المصدر نفسه، 2/ 572-568

⁵ ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 1/ 321

⁶ ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هاشم الأنصاري، ص 109-110

2- الأسماء التي تستعمل في حالة توسّطه للدلالة على أنّ المشار إليه متوسط الموقع، وهي السابقة بشرط زيادة في آخر كلّ منها الحرف الدال على التوسّط وهو كاف الخطاب الحرفيّة مثل: (ذاك، ذانك، أولئك...).

3- الأسماء التي تستعمل في حالة بُعده وهي بعض الأسماء السابقة بزيادة حرفين معًا هما لام البعد وكاف الخطاب مثل: (ذلك، هنالك)¹.

هذا في النحو العربيّ، أمّا ما ذهب إليه هالداي ورقية حسن في هذه الوسيلة الثانية من وسائل الإحالة من حيث تحديدها، وتقسيمها، فقسّماها باعتبارات عدّة متمثّلة فيما يأتي:

أ- تقسيم حسب الظرفيّة إلى: ظرفية زمانية مثل: الآن، غدا، أمس . وظرفيّة مكانيّة مثل: هنا، هناك، هنالك.

ب- تقسيم حسب الموقع، أو المسافة إلى بعيد مثل: ذلك، تلك . وقريب مثل: هذا، هذه .

ج- تقسيم حسب النوع إلى: مذكّر مثل: هذا . ومؤنث: هذه .

د- تقسيم حسب العدد إلى: مفرد مثل: هذا، ومثنى مثل: هذان، هاتان . وجمع مثل: هؤلاء²

هـ- الإحالة الإشاريّة تؤدّي دورها في اتّساق النص سواء أكانت قبليّة أو بعديّة، كما أشار هالداي

ورقية حسن إلى "مفهوم الإحالة الموسّعة"، وهي ما يتميّز به اسم الإشارة المفرد بإمكانية إحالته إلى

جملة بأكملها، أو متتالية من الجمل³. غير أنّ (هذا) لا تتعدّى إشارته الجملة الواحدة في الغالب

¹ ينظر: النحو الوافي، 1/ 324-330

² ينظر: الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي ص 24 - 25

³ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 19

أما (ذلك) فإنّ (ذا) يتعدّى الجملة الواحدة إلى الربط بين أكثر من جملة مثل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكْ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾¹، فقبلها قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾²، فالإشارة (ذا) إلى الهدى المذكور في الآية السابقة، فمرجعيتها سابقة أي أنه يمثل إحالة قبلية³ وقد يُشار إلى كلام لاحق باسم الإشارة فلا يكون ثمة فارق بينه وبين ما يسمّى ضمير الشأن، ومثاله ما في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾⁴، إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ⁵ فمرجع اسم الإشارة (ذلك) هو قوله تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى ...)⁶.

3/ أدوات المقارنة:

صنّف هالداي ورقية حسن هذه الوسيلة إلى صنفين: عامّة وتنفّر إلى التطابق (وتتمّ باستعمال عناصر مثل: same)، والتشابه أو التماثل (وفيه تستعمل عناصر مثل similar...) ، والاختلاف (باستعمال عناصر مثل other , otherwise)⁷، وذكر أنّ التشابه أو المماثلة خاصيّة إحاليّة، فالشيء الواحد لا يمكن أن يكون "مثل" فقط بل يجب أن يكون مثل شيء آخر، و بالتالي فإنّ المقارنة ضرب من الإحالة إلى جانب الإشارة و الإضمار⁸، والصنف الثاني خاصّة

¹ الأنعام : 88

² الأنعام: 80

³ ينظر، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، 196/1

⁴ آل عمران : 58

⁵ آل عمران : 59

⁶ ينظر اجتهادا لغوية، تمام حسان، ص 230

⁷ ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 19

⁸ ينظر أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، ص 19

وتتفرّع إلى كمية (تتم بعناصر مثل)، وكيفية (أجل من جميل مثل ...) ¹ فأداة المقارنة تصنع ربطاً واضحاً بين السابق و اللاحق، فهي في مجملها كلّ الألفاظ التي تؤدّي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابق كمّا وكيفاً أو مقارنةً، وهي تظهر فيما يأتي: مثلاً، مُشابه، غير خلاف، علاوة على، بالإضافة إلى، أكبر من، كبير عن، ومقارنة بما، أسوة به، فضلاً عن... إلخ ²

4/ اسم الموصول:

ما يدلّ على معيّن بواسطة جملة تذكر بعده، وتسمّى هذه صلة الموصول ³، ويُعتَبَر قسماً من أقسام المعرفة لأنّه موضوع على أن يستعمله المتكلّم به في معلوم عند المخاطب بواسطة جملة الصلة، لهذا اشترط النحاة في جملة الصلة أن تكون معهودة للمُخاطَب ⁴. وهي على ضربين: خاصّة، ومُشتركة (عامّة) ؛ فالخاصّة (الذي، التي، اللذان، اللتان، الأولى، الذين، اللاتي، اللاتي)، و المشتركة (مَنْ، ما، أيّ، أل، ذو، ذا)، وهي تطلق على المفرد و المثنى و المجموع المذكّر أو المؤنث ⁵، وكما يحتاج الاسم الموصول إلى صلة فهو يحتاج إلى عائِدٍ، والعائد ضمير يعود إلى الموصول فإن قلت (تعلم ما تنتفع به) فالعائد الهاء لأنها تعود إلى (ما) ⁶. ويشترط في الضمير العائد إلى الموصول الخاص أن يكون مطابقاً له إفراداً، وتثنيةً، وجمعاً، وتذكيراً، وتأنثاً، أمّا الضمير العائد إلى الموصول المشترك (العام) فله وجهان: مراعاة لفظ الموصول فتُفَرِّده، وتُذَكِّره، مع الجميع، وهو الأكثر، ومراعاة

¹ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 19

² الإحالة في نحو النص، أحمد غففي، ص 26

³ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 134

⁴ ينظر : هامش شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري ص 111

⁵ ينظر : المصدر نفسه، ص 111-112

⁶ ينظر : المصدر نفسه، ص 111-112

معناه، فيُطابقه إفراداً، وتثنية، وجمعاً، وتذكيراً، وتأنيثاً تقول: (كُرمَ مَنْ هَدَّبَكَ) للجميع إن راعيتَ لفظ الموصول، وتقول: (كُرمَ مَنْ هَدَّبَكَ، وَمَنْ هَدَّبَكَ، وَمَنْ هَدَّبَتَكَ، وَمَنْ هَدَّبُوكَ، وَمَنْ هَدَّبَنَكَ) إن راعيتَ معناه ¹.

فاسم الموصول يُعدّ الوسيلة الإحاليّة الرابعة التي أضافها روبرت دي بوجراند، فهي من الألفاظ الإحاليّة التي لا تملك دلالة مستقلة بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، وتشارك الأسماء الموصولة بقيّة أدوات الاتساق الإحاليّة في عملية التعويض، فهي ألفاظ كناية لا تحمل دلالة خاصّة، وكأنّها جاءت تعويضاً عمّا تُحيل إليه، وهي أيضاً تقوم بالربط الاتساق من خلال ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطاً مفهوماً بين ما قبل الذي، وما بعده، حيث يشير النحويّون إلى أنّ تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقّي (السامع) قبل ذكر اسم الموصول ².

¹ ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 139

² ينظر : الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص 28 / 27

المبحث الثاني: حضور الإحالة في الحديث النبوي ودورها الدلالي والأسلوبي

- نصّ الحديث الأول:

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

ظاهر الحديث يدلُّ على أنَّ الإيمان على قسمين بحلاوة وبغير حلاوة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الإيمان إيمانان إيمان لا يدخل صاحبه النار، وإيمان لا يخلد صاحبه في النار، فالإيمان الذي لا يدخل صاحبه النار هو ما كان بالحلاوة، والإيمان الذي لا يخلد صاحبه في النار هو ما كان بغير حلاوة ؛ فقد حُكي عن الصحابة رضي الله عنهم أنَّهم وجدوا حلاوة الإيمان، وعاشوا لحظاتها السعيدة، فمن جملة ما حُكي في ذلك حديث بلال رضي الله عنه حيث صنع ما صنع في الرمضاء إكراها على الكفر وهو يقول: أحد أحد . فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان، وكذلك أيضاً عند موته كان أهله يقولون: واكرباه وهو يقول: واطرباه، غدا ألقى الأحبة، محمداً وحزبه. فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الإيمان². هذه الراحة الإيمانية واللذة الروحية تتطلب التحلي بثلاث خصال، أولها محبة الله ورسوله، محبة الله التي تبعث على امتثال أوامره والانتفاء عن معاصيه، والرضا

¹ جمع النهاية في بداية الخير و الغاية مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة، تح عبد الكريم نجيب، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (16/2) ص 22 وهو في صحيح البخاري ترق وترت محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1430 هـ / 2010م، ص 11

² ينظر: مهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها ابن أبي حمزة 1/ 65 - 66

بما يقدره . ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم تتطلب سلك طريقته، والرضى بشرعه، والتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار، والحلم، والتواضع، وغيرها . ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وإيثار ذلك على أعراض الدنيا، ومحبة الله تحصل بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك الرسول¹ . وثانيها محبة العباد خالصة لله، محبة ودّية سامية تسمو على الروابط المادية حباً لله دليل على قوة إيمانية عميقة تُجسّد روح الإيحاء في الأمة ليلبغ التضحية والفداء، ويكون المجتمع قوياً متماسكاً . وثالثها: كره العودة في الكفر ككرهه إلقاءه في النار، وهو حدّ فاصل بين الهلاك والفناء، والنجاة والفوز، فكما أنّه لو رأى الفناء أمام نفسه ابتعد عنه كلّ البعد كذلك يبتعد عمّا سوى الحقّ، وهو ما سوى الإسلام².

– صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث النبويّ:

هذا النص الحديثيُّ يُبنى على أربع جمل يفتتح بالجملة الأولى [ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان] التي تُشكّل محور الموضوع ونواته، وهي سبب في تواردها ما تلاها من جمل الحديث، حيث الإجمال في البداية ليأتي الشرح والتفصيل في ما يتبعها من جمل، ليشير التشويق في قلب السامع والرغبة في معرفة هذا الإجمال³. وكلّ جملة أو عبارة من عباراته تشكّلت بصورة من الاتّساق نسجت تلك الروابط الإحاليّة الكائنة بين عناصرها، لتتلاحم هذه الجمل فيما بينهما تلاحماً نصيّاً جعلت الحديث

¹ ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تخريج هاني الحاج، المكتبة التوفيقية للطباعة القاهرة، مصر، ط3، 2012م، 88-89 /1 وينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ضبط وتعليق أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، السعودية، د ط، د ت، 66-68

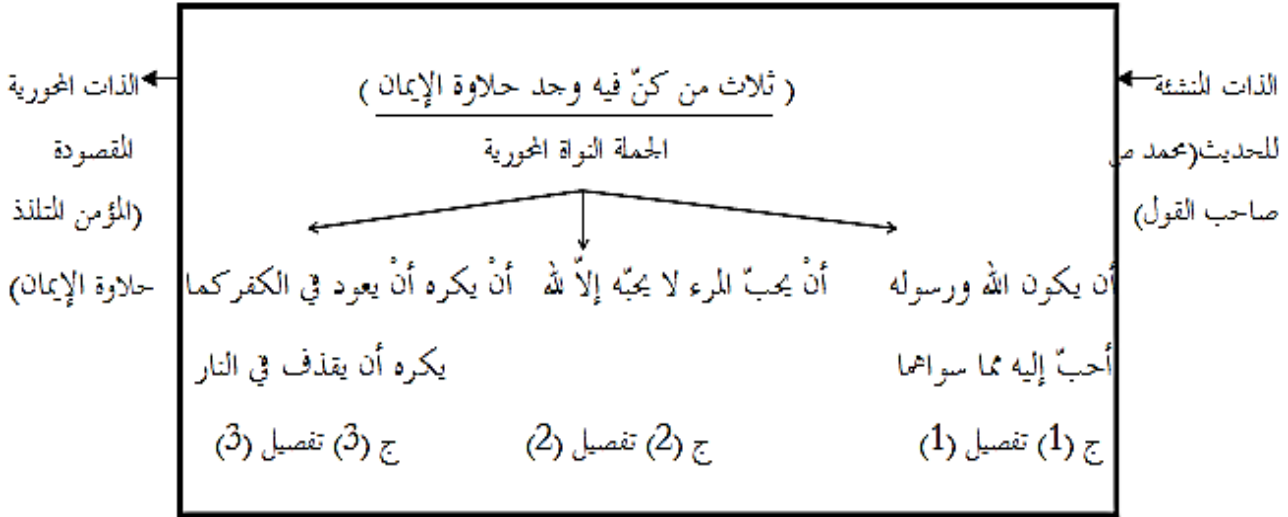
² ينظر: في ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1434هـ/

2013م، ص 42-43

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 43

كتلة نصية واحدة ترمي إلى دلالة واحدة وغاية مشتركة فيما بينها متمثلة في حلاوة الإيمان والسعادة الروحية، ويمكن توضيح بناء الحديث وهيكلته في المخطط الآتي:

نص الحديث



هذا الحديث النبوي الشريف يدور حول موضوع جوهري، وهو إيضاح حقيقة المؤمن الذي يبلغ أعلى درجات الإيمان بتلذذه مشقة الطاعات، وتذوقه حلاوة الإيمان من وراء اتّصافه بجملة من الفضائل، و الخصال التي فصلّها المصطفى عليه السلام، فالنص النبوي اتّسم بحسن سبكه وتلاحم مكوّناته، و هذا بيّن في كثافة أدوات الربط فيه لاسيما وسائل الاتّساق الإحالية رغم قصره .

فالإحالات في هذا الحديث تعود على مراجع خمسة أحالت إليها تتمثل فيما يأتي:

المرجع الأول: (المؤمن) الذي حدّده النبي صلى الله عليه وسلم في جملة الصفات و الفضائل التي اجتمعت فيه، فجعلته واجداً حلاوة الإيمان، شاعراً بالسعادة الروحية .

المرجع الثاني: (ثلاثٌ) المبتدأ المضاف إلى (الخصال) المحذوفة¹، هذا المفتتح به الحديث الشريف ليشكلَ اللغز و الإجمال الذي يُفسّره باقي الحديث .

المرجع الثالث: (الله و رسوله) المرتبط بهما حبّ المؤمن عمّا سواهما من مالٍ وولدٍ و أهلٍ و عرض الدنيا.

المرجع الرابع: جميع المخلوقات و الأشياء من نفس و مال، وولد، و هو محال خارجي غير مذكور في النص.

المرجع الخامس: (المرء) المفعول به المنصوب الذي يتعلّق حبّ المؤمن به خالصًا لوجه الله، بعيدًا عن إثثار تلك المحبّة بأسباب الدنيا عليها.²

هذه المراجع أو العناصر الإشارية الخمسة التي ذكرناها حين نتأمّل الحديث بجمله الأربع لاشك أنّنا واجدون جملة من الروابط الإحاليّة، مختلفة الأنواع أحالت إليها، و قد خلقت فيه النصيّة تُفهم دلالتها اعتمادًا على البنية الداخلية، أو من السياقات الخارجيّة للحديث و التي ترتبط بها بعض عناصره الأساسيّة إذ يمكننا رصد أهمّ الإحالات فيما يأتي:

- الإحالة الأولى: إحالة عائدة إلى (المؤمن) المتذوق حلاوة الإيمان، تتمثّل في:

* اسم الموصول (مَنْ) للعاقل، حيث يُعدُّ أحد وسائل الاتساق النصّي، و قد عاد على محال إليه خارج النص وهو المؤمن الذي يذوق حلاوة الإيمان، فهو إحالة مقاميّة تُفهم دلالته من المعنى العام للنص انطلاقًا من الإجمال إلى التفصيل، وصلته (صلة الموصول) تُسمّهم في فكّ إبهامه، كما أنّ

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني ص 32

² ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال 1/ 67- 68

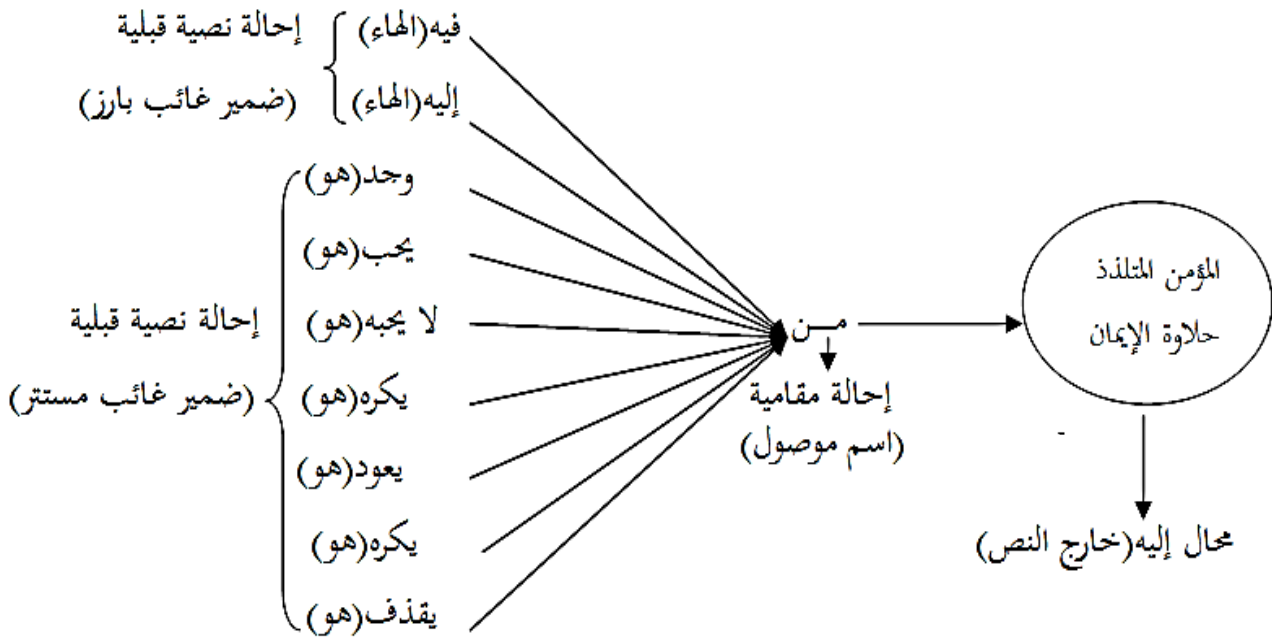
السياق الخارجي المتمثل في الحديث عن الإيمان، و صفات المؤمن و فضائله تشير إلى العنصر الإشاري الذي يعود عليه العنصر الإحالي، و يرتبط به، ولعلّ ما ورد من نصوص حديثية أخرى يكشف عن شيء من ذلك، فكما ذكر عبد الله بن هشام أنّ عمر بن الخطاب قال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لأنت يا رسول الله أحبّ إليّ من كلّ إلّا من نفسي . فقال: لا، والذي نفسي بيده حتّى أكون أحبّ إليك من نفسك . فقال له عمر: فإنّك الآن والله أحبّ إليّ من نفسي. فقال الآن يا عمر¹.

* ضمير الغائب البارز الهاء (هـ) في (فيه، إليه)

* ضمير الغائب المستتر (هو) في (وجد (هو)، يحبّ (هو)، يحبّه (هو)، يكره (هو)، يعود (هو)، يكره (هو)، يقذف (هو)).

فضمائر الغائب البارز منها و المستتر ضمائر شخصية هي جميعاً من قبيل الإحالة النصيّة القبليّة العائدة إلى عنصر إشاري سابق و هو اسم الموصول (منّ)، الوارد ذكره في افتتاح الحديث، المقصود به المؤمن في الحديث النبويّ الشريف . فمُجْمَل الإحالات العائدة إلى (المؤمن)، و هو الذات المقصودة في النص عددها عشرة: اسم الموصول (منّ) وهو إحالة مقامية، و ضمائر الغائب البارز (الهاء) في (فيه، إليه)، والمستتر (هو) في (وجد، يحبّ، يكره، يعود، يكره، يُقَذَف) وهي إحالات نصيّة، ويمكن تمثيلها في المخطّط الآتي:

¹ ينظر : هامش 3 جواهر البخاري وشرح القسطلاني، مصطفى محمد عمارة، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت لبنان، د ط، 1424 هـ/2003م، ص 25



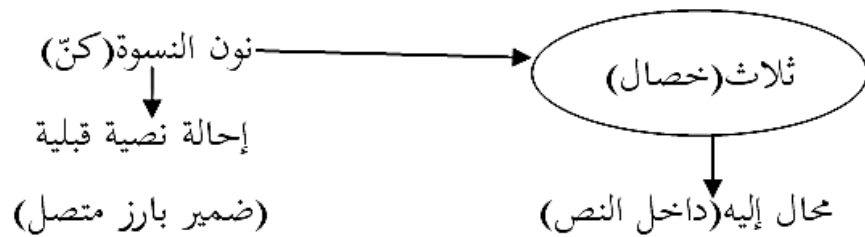
الإحالة الثانية: ضمير الغائب البارز المتصل نون النسوة، في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: (كُنْ)،

العائدة على (ثلاث) المبتدأ المضاف إلى (خصال) المحذوفة، و الجملة الفعلية تامة الفعل (كُنْ) بمعنى

حصلن خبره . وجاز الابتداء به وهو نكرة لأنّ التنوين عوض المضاف إليه، ويمكن أن يكون مُسَوِّغ

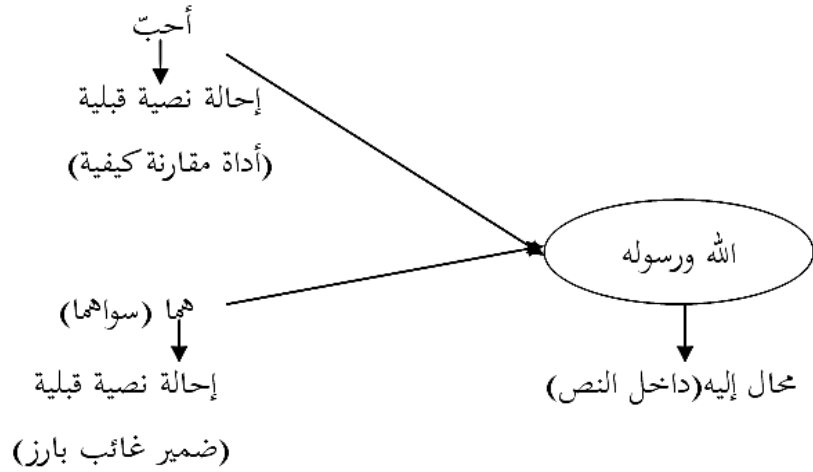
ذلك كونه صفةً لموصوفٍ محذوف أي (خصالٌ ثلاث)¹ فالإحالة هنا إحالة نصية قبلية ترجع إلى

المحال إليه (ثلاث خصال) المذكور سابقا . ويمكن توضيحها في المخطط الآتي:



¹ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 1 / 88 و هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني ص 32

الإحالة الثالثة: وهي العائدة على الله ورسوله، و تتمثل في اسم التفضيل أحب، وهي أداة مقارنة كيفية، ولم يشن بأن يُقال (أحبي) لاقتراحه، اسم التفضيل بمن¹، وهو إحالة نصية قبلية، وعلى المرجع نفسه تعود الإحالة الضميرية (هما) في قوله صلى الله عليه وسلم: (سواهما)، إذ ذكر الشنواني في هذا جواز جمع الله و رسوله في ضمير واحد (هما) للإيجاز، كما أنّ المعبر هو المجموع من المحببتين لا كلّ واحدة منهما، فإنهما واحدة لاغية إذا لم يرتبط بالأخرى، فمن يدعي حبّ الله مثلاً و لا يحبّ رسوله لا ينفعه ذلك². ويمكن توضيحها هذه الإحالة فيما يأتي:

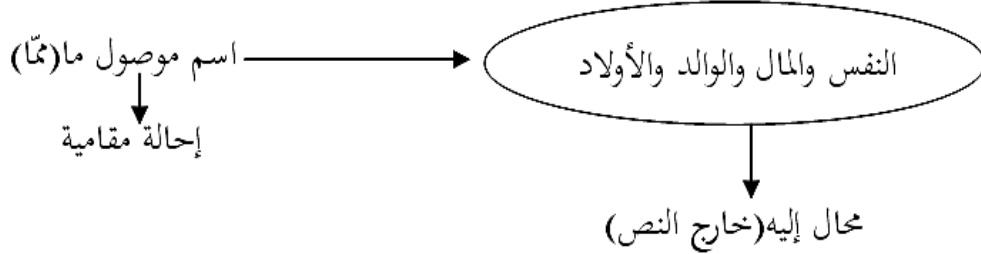


الإحالة الرابعة: اسم الموصول (ما)، المسبوق بـ (من)، في قوله صلى الله عليه وسلم (مما) حيث أشارت إلى المرجع خارجي غير مذكور في النص، وهو جميع المخلوقات دخل فيه نفسه و ماله ووالده وأولاده، و ذكر ابن حجر العسقلاني أنّ سبب قوله صلى الله عليه وسلم (مما سواهما)، أي اسم

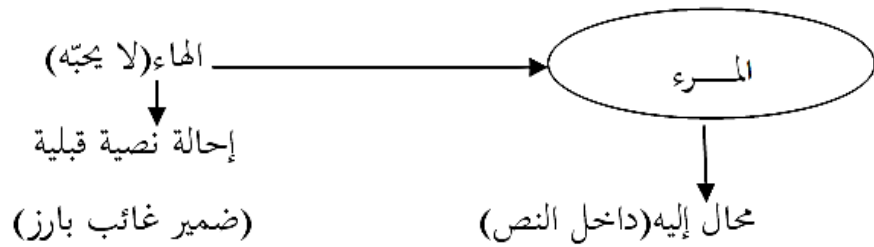
¹ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 89/1، و هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 34، 33

² فتح الباري، العسقلاني، 89/1 و ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 34-33

الموصول (ما)، ولم يُقْلَ (مَمَّنْ) ليعمَّ مَنْ يعقل وَمَنْ لا يعقل¹. فالإحالة هنا هي إحالة مقامية، ويمكن توضيحها كالآتي:



الإحالة الخامسة: ضمير الغائب البارز المتصل الهاء في (لا يحبه) العائد على الاسم المنصوب المفعول به (المرء)، المذكور في التركيب نفسه هو إحالة نصية قبلية. قال الشنواني: «و قد خُصَّ المرء بالذكر لشرفه، وإلاَّ فمثله المرأة و لا فرق بين المؤمن والكافر لكنَّ محبة الكافر من حيث أنَّه مخلوق لله تعالى لا مِنْ حيثُ أنَّه مُتَّصِفٌ بالكفر، فالميل للكافر بالقلب من حيث أنَّه كافر حرامٌ ... ولا يحبه لكونه أعطى له شيئاً من الدنْيَا بَلْ لكونه عبيداً من عبيد الله مشاركاً له في العبودية». ² فهذه الإحالة إحالة نصية قبلية، و يمكن تمثيلها في المخطط الآتي:



وباستقراء حضور الإحالات مع العناصر الإشارية، أو المراجع التي تشير إليها نجد سيطرة واضحة وحضوراً قوياً، وانتشاراً واسعاً للإحالات الضميرية لاسيما ما يعود منها على المرجع الأول، كيف لا

¹ المصدر السابق، 89/1، و ينظر: في ظلال الحديث النبوي، نور الدين عنتر، ص 42

² هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 34

وهو المحور الذي انبنى عليه نصّ الحديث، فكانت الإحالات العائدة إليه عشرة، هذا ما يؤكّد على التركيز على هذه الذات المحوريّة كونها تمثّل صورة الغائب بالحديث عنه، والمتلقّي الذي يبحث عن هذه المتعة الإيجابية، والدرجة العالية في مقام درجات الإيمان، فتوزّعت هذه الإحالات والضمائر في النص من بدايته إلى نهايته لتؤدّي مع كلّ ما معها من إحالات أخرى عائدة إلى غيرها من مراجع دورها في اتساق النص، لتشكّل وحدة نصيّة متكاملة بنية ودلالة.

- نصّ الحديث الثاني:

عن أبي بكرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ: « إِنَّهُ كَانَ حَرِصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ »¹

- المعنى الإجماليّ للحديث:

قال هذا الحديث الصحابيّ أبو بكره واسمه نفيح بن كلدّه للأحنف بن قيس، وهو مخضرم، وكان رئيس بني تميم في الإسلام، وبه يُضْرَبُ المثل في الحِلْم، وكان الأحنف أراد أن يخرج إلى القتال بقومه مع عليّ لقتال معاوية، فقال له أبو بكره: أين تريد ؟ قال: أريد نصرة هذا الرجل أعني عليًا . فقال: ارجع فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما... » فوافقه، ثمّ رجع عن موافقته، وشهد مع علي باقي حروبه، وإنّما حمل أبو بكره الحديث عن ظاهره حَسْمًا وسدّ باب القتل.²

بيّن الرسول صلّى الله عليه وسلّم في هذا الحديث أنّه إذا تلاقى مسلمان بسيفيهما، أو بندقيتيهما، أو مسدسيهما، أو مديتيهما أو نبوتيها (العصا الطويلة المستوية)، أو غيرها من آلات القتل، فذكر السيف على سبيل التمثيل، وأعمل كلّ منهما ما في يده للقضاء على صاحبه، والإيذاء بحياته، فالقاتل والمقتول في النار.³

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي حمزة، كتاب الإيمان باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) الحجرات : 9، 4 / 31، ص

23، وهو في صحيح البخاري، ص 13

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 38، وفتح الباري، 122/1.

³ الأدب النبوي، محمد بن عبد العزيز الخولي، عبد المجيد طعمه الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1423هـ/2002م، ص 191.

ظاهر لفظي الحديث العموم، وليس هو كذلك في الحقيقة، وإنما هو محمول على الخصوص ذلك أنّ المسلمين قد يلتقيان بغير قصد وإن وقع القتل على هذه الحالة كان قتل خطأ، والإجماع قائم على سقوط الإثم عن قاتل الخطأ، وقد يكون التقاؤهما على اختلاف تأويل، فيكون كلّ منهما تأوّل فظهر له في تأويله الحقّ، فقاتل على الحقّ، وإذا كان قتالهما على هذه الحالة لم يتناولهما عموم الحديث، ومثل ذلك قتال بعض السلف وهم مشهود لهم بالجنة الفريقان معاً، وقد يكون التقاؤهما لتعلّم الحرب فتكون الضربة خاطئة فيقع القتل، ولا يقع عليه الوعيد لأنّه خطأ، وقد يكون أحدهما يدفع عن نفسه والآخر طالبا له بالظلم، فيتناول الوعيد الظالم ولا يتناول الآخر، فلفظ الحديث إذاً محمول على الخصوص لا على العموم، والخصوص هو أنّ يكون كلّ واحد منهما قاصدا القتل لصاحبه ظلما وعدوانا بغير تأويل ولا شبهة ولا حق¹.

زيادة على هذا فقد ذكر ابن بطال أنّ حديث أبي بكر لا يُرادُّ به الإلزام والحتم بالنار لكلّ قاتل ومقتول من المسلمين لأنّه عليه السلام سمّاهما مسلمين وإنّ التقيا بسيفيهما، وقتل أحدهما صاحبه ولم يخرجهما من الإسلام، وإنما يستحقّان النار إنّ أنفذ الله عليهما الوعيد، ثمّ يخرجهما من النار بما في قلوبهما من الإيمان وعلى هذا مضي السلف الصالح².

¹ ينظر: بهجة النفوس، ابن أبي جرة، 123/1 - 124.

² شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 1/ 86.

- صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث النبوي:

هذا النص النبوي تنوّع أسلوبه بين السرد والحوار والتقرير، وقد تكوّن من ثلاث جمل تمثّلت فيما يأتي:

- جملة شرطية مبدوءة بـ(إذا) في الشرط مقرونة بالفاء في الجواب إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار وهي جملة محورية انبنى عليها الحديث النبوي.

- جملة استفهامية طرحها الصحابي أبو بكر رضي الله عنه مُبدئاً تعجّبه من مصير المقتول (فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول !!؟) .

- جملة خبرية تقرير وتوكيد على مصير المقتول بيّنها الرسول صلّى الله عليه وسلّم جواباً للسؤال السابق لها في سياق النص (إنّه كان حريصاً على قتل صاحبه).

هذا الحديث الشريف يرمي إلى معنى أكّده الرسول (ص)، وهو مصير المتقاتلين من المسلمين اللذين يعمد كلّ منهما على قتل صاحبه ظلماً وعدواناً بغير حقّ، ولا شبهة هذا المعنى لا يمكن فهمه بالاكْتفاء فقط بما في بنية النص الداخلية، بل لا بدّ من العودة إلى السياق الذي يحيط بالنص، ويتعلّق بالخلفيّة التي يحملها المتلقّي لاسيما المؤمن الذي يرغب في فهم الحديث النبوي والتأثّر بتوجيهاته¹، هذا ما يمكن فهمه ممّا ذكره أبو بكر في توجيهه للأحنف بن قيس بعدم القتال، ذلك أنّ للسياق دوراً كبيراً يلعبه في تحديد وتحليل المعاني، إذ يرى براون و يول أنّه كلّما توفّر المتلقّي على معلومات عن

¹ ينظر: "مقال مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري، نموذجاً"، عاصم شحادة علي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، مج 36 ع2، 2009م، ص 368

المتكلم والمخاطب والرسالة والزمان والمكان ونوع الرسالة تكون أمامه حظوظ قوية لفهم الرسالة، وتأويلها أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى¹.

فهذا النص الحديثي نصّ مكوّن من ثلاث جمل جاءت منتظمة بنيتها، مترابطة عناصرها، لا يمكن فهم معانيه من غير فهم الروابط التي عملت على اتّساقه، وتلاحم أجزائه بروابط تركيبية وروابط إحالية فلا يكاد نصّ يخلو من ضمير عائد أو اسم إشارة أو اسم موصول². ومن هذه الروابط الإحالة التي يمكن توضيحها، وبسط دورها في بنية الحديث الشريف كما يأتي:

من المعروف أنّ العناصر الإشارية قد تكون خارجية وقد تكون داخلية أي قد يكون المحال إليه داخل النص أو خارجه، ففي هذا الحديث الشريف أحصينا ثلاثة مراجع ارتكز عليها بناؤه، تمثّلت فيما يأتي:

1- المسلمان المتقاتلان: هذا المحال إليه يمثّل محور حديث النبي صلى الله عليه وسلّم، فكلّ من القاتل والمقتول يعمدُ إلى قتل الآخر، وقد سبق بالفعل (التقى) المزيد بالهمزة والتاء على وزن (افتعل) الزيادة دالة فيه على التشارك. وهنا التشارك حاصل في الالتقاء بين المسلميّن للقتال المتبادل، وهو المرجع المحوريّ في هذا النص الحديثي .

2- القاتل: هو المحال إليه الثاني في النص وكأنّه فرع أوّل من المرجع المحوريّ (المسلمان المتقاتلان) وقد ورد في الجملة الثانية في النصّ في قول أبي بكر (هذا القاتل....)

¹ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 297

² نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص 121

3-المقتول: وهو المرجع الثالث الوارد في الجملة الثالثة ويُعدُّ وروده كمرجع فرعيٍّ ثانٍ بعد المرجع

الفرعيّ الأوّل (القاتل) فيتقابلان ويتكاملان في تشكيل محصّلة المرجع المحوريّ، فالقاتل والمقتول هما

المسلمان المتقاتلان اللذان قصدهما النبيّ صلى الله عليه وسلّم في قوله: (إذا التقى المسلمان.....)

هذه هي المراجع الثلاثة في هذا النصّ، وجميعها يمكن عدّها ضمن المحال إليه المذكور في النص

صراحةً أيّ داخل النص، وقد أحالت إليها مجموعة من الأدوات الإحاليّة يمكن عرضها فيما يأتي:

- الإحالة الأولى: الضمير الغائب البارز المتصل (هما) في قوله صلى الله عليه وسلم (سيفيهما) عائد

على (المسلمان)، وقد أدّى دوره على مستوى الجملة الواحدة في النص، وهي تعويضه اسماً ظاهراً

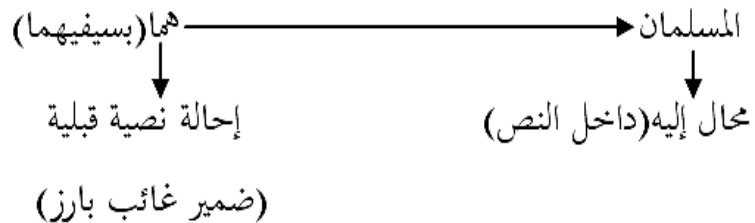
بدلَ التكرار، علاوة على كونه رابطاً حقّق التماسك النصي¹ بين أطراف الجملة الأولى للنص، وقد

تطابق كلّ من المحال والمحال إليه في هذا التركيب، فهذه الإحالة إحالة نصيّة قبلية أدّت دورها في

الاتّساق الظاهر في الجملة الابتدائية الشرطيّة من قوله صلى الله عليه وسلّم: (إذا التقى المسلمان

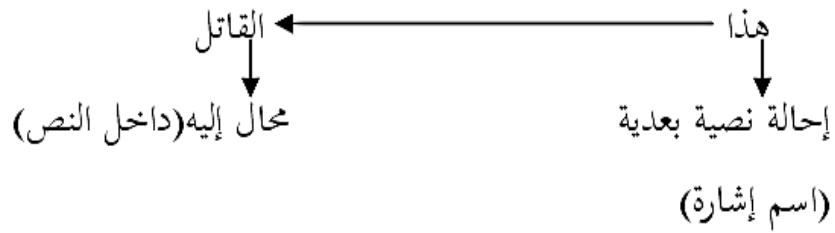
بسيفيهما)، ويمكن تمثيلها فيما يأتي:

إح(1):



¹ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 148/1

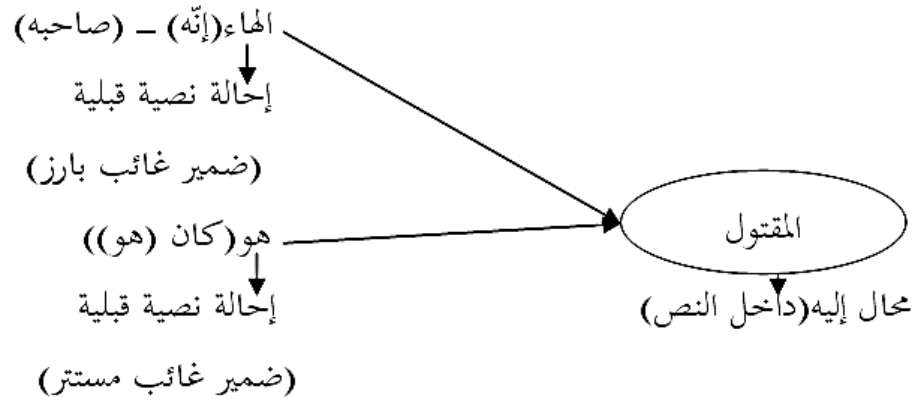
الإحالة الثانية: (هذا) اسم إشارة للمذكر القريب إحالة نصية بعدية، و الإشارة غالبًا تقوم بالدور نفسه الذي تقوم به الضمائر الشخصية¹، غير أنّ (هذا) لم تتعدّ إشارته في الجملة الثانية بعوّده على المشار إليه (القاتل) المذكور في الجملة نفسها، وقد تأخّر عن الإشارة، فالإحالة الإشاريّة إنّ أدّت دورها هنا في الربط الجمليّ أي داخل الجملة الواحدة فهي مع المشار إليه دلّت دلالة واضحة على الإقرار والتسليم بالمصير الحتمي الذي ينتظره القاتل، وهذا ما عبّر عنه الصحابيّ الجليل أبو بكر (هذا القاتل)، ليجعل من هذا الإقرار مُنطَلَقًا للاستفهام والتعجّب من مصير المقتول . ويمكن تمثيل هذه الإحالة كما يأتي:



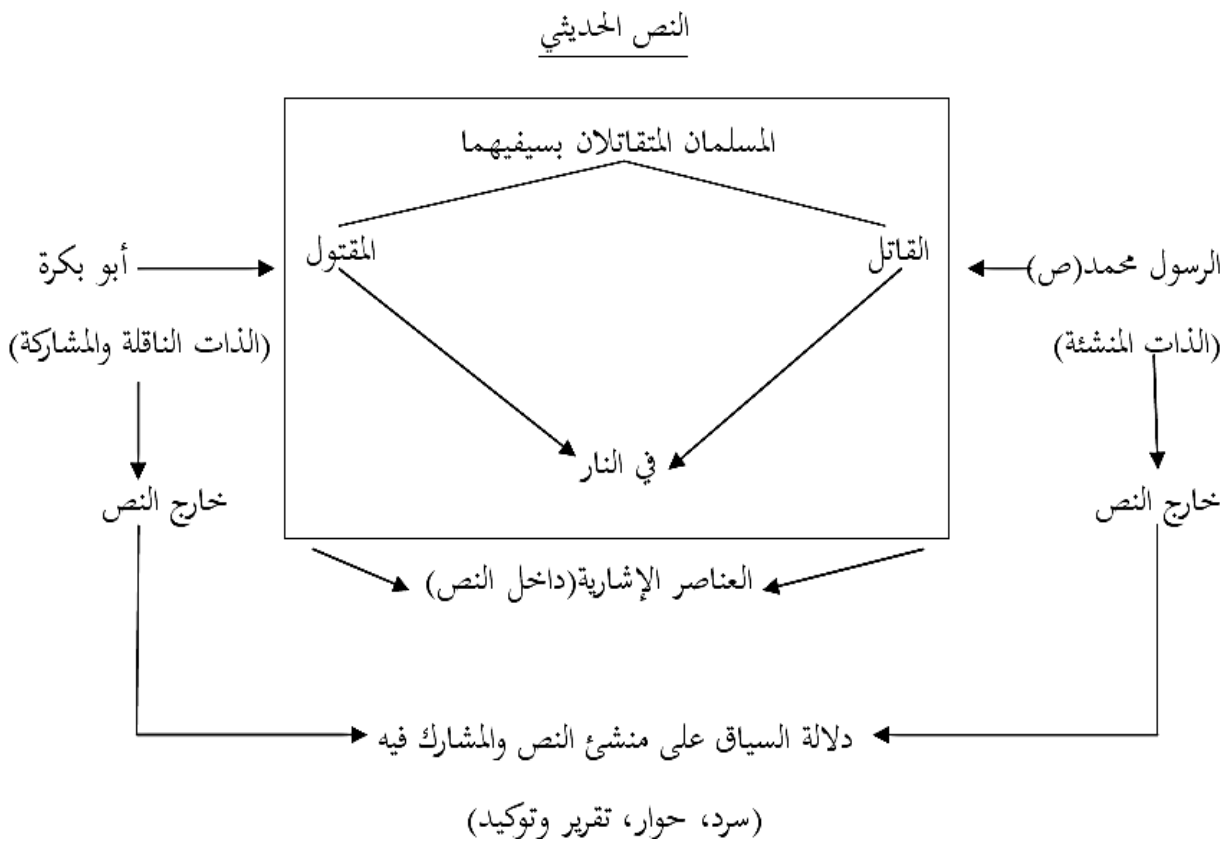
الإحالة الثالثة: إحالة ضميرية ضمير الغائب بنوعيه، البارز وهو الهاء في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (إنّه صاحبه) . والمستتر المقدر وهو في قوله (كان هو)، حيث تعودُ ثلاثتها على مرجعٍ واحدٍ هو (المقتول) لم يذكر في الجملة نفسها. وإثماً ورد ذكره في الجملة السابقة في قول أبي بكر (فما بال المقتول؟؟!) .

فالضمائر الشخصية الهاء والضمير المستتر (هو) إحالة نصية قبلية أدّت دورها في الربط الجمليّ وتحقيق التماسك ليس بين عناصر الجملة الواحدة بل بين الجملة الأخيرة وربطها بالجمليّتين السابقتين لها في النص النبويّ، فكان حضورها واضحًا وأثرها بيّنًا. ويمكن تمثيلها في المخطط الآتي:

¹ المصدر السابق ، 196/1



فالحديث النبوي الشريف يدور حول موضوع واحد وهو تحذير المسلمين من القتال فيما بينهم على غير حق، توجيه من محمد (ص) الذي يُعدّ الذات المنشئة للنص، وهذا مفهوم من السياق الخارجي للنص، كما أنّ الصحابي الجليل أبو بكر يُعدّ ناقلاً للنص ومشاركاً فيه . ويمكن إجمال صورة النص الحديثي في المخطط الآتي:



إنّ ما يمكن ملاحظته واستنباطه من جملة الإحالات في هذا الحديث الشريف ما يأتي:

- بُني النص النبويّ من جمل ثلاثة: الجملة الابتدائية هي محور الحديث ولبّ موضوعه، وجوهر الرسالة المرسلة من المصطفى (ص). أمّا الجملتان الثانية والأخيرة قولاً أبي بكره والنبيّ (ص)، فهما الاستيضاح و التوضيح، الاستفهام و الجواب، التعجب و التوكيد، ترابط دلالي بروابط لفظية .

- اتّسم هذا الحديث النبويّ الشريف على قصره باتّساق دقيق، وانتظام محكمٍ لاسيما في التوزيع المنتظم، والحضور المتوازن للعناصر الإحاليّة، حيث توزّعت في أجزائه الثلاث التي شكّلت بنية النص الحديثي فقد أدّت دورها الفعّال في تلاحم النص إنّ على مستوى الجملة الواحدة الإحالة الضميرية (هما)، و الإشاريّة (هذا) في الجملتين الأولى والثانية على الترتيب، أو على مستوى جمل النص، الإحالة الضميرية (هؤلاء)، والضمير المستتر (هو) برّبطها الجملة الأخيرة بما سبقها، في السياق اللغويّ العام للنص، فوظيفة الإحالة الضميريّة وعلى منوالها الإحالة الإشاريّة ليست شكليّةً فقط بل دلالية كذلك¹ . فجعل الحديث الشريف تظلّ مفكّكة بدون روابط تربطها، وكلّ جملة تحمل دلالة مستقلة تظلّ غامضة من دون النظر إلى الدلالة العامة للحديث الشريف كوحدة نصية شاملة.

- تضمّنت الجملة الأخيرة من النص ثلاث إحالات ضميريّة عائدة جميعها على مرجع واحد هو (المقتول) المذكور في ما سبقها من جمل النص . إنّ هذا الحضور للضمائر الشخصية يعطي شحنة دلالية إضافية لتأكيد صليّ الله عليه وسلّم، وإزالته التعجّب والاستفهام العالق في ذهن الصحابي

¹ ينظر المرجع السابق 164/1، 196

الجليل أبي بكر رضي الله عنه في مصير (المقتول) مقارنةً بالقاتل ، كما يؤكّد على التلاحم والارتباط الشكلي والدلالي بين الجمل الثلاث في بنية النص .

- نصّ الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

ظاهر الحديث يدلّ على أنّ الدين يسر، وليس بعسر، طلب الرفق فيه.² مُيسّر مسهّل في عقائده وأخلاقه، وأعماله وفي أفعاله وتروكه، فإنّ عقائده التي ترجع إلى الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره هي العقائد الصحيحة التي تطمئنّ بها القلوب، وتوصل مقتديها إلى أجلّ غايةٍ وأفضل مطلوبٍ، وأخلاقه وأعماله أكمل الأخلاق، وأصلح الأعمال، بها صلاح الدين والدنيا والآخرة، وبفواتها يفوت الصلاح كلّ، وهي كلّها ميسّرة مُسهّلة، كلّ مُكلّف يرى نفسه قادرًا عليها لا تشقّ عليه ولا تكلفه، عقائده صحيحة بسيطة، تقبلها العقول السليمة، والفطر المستقيمة وفرائضه أسهل شيء³. وقد نهى النبيّ صلى الله عليه وسلّم عن المشادّة في الدين أيّ المغالبة، ومعناه لا يتعمّق أحدٌ في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلّا عجز وانقطع فيغلب، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنّه من الأمور الحمودة، بل منع الإفراط المؤدّي إلى الملل، أمّا المبالغة في التطوُّع

¹ جمع النهاية في بداية الخير و الغاية، ابن أبي جمة، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (6 / 39)، ص23، و في صحيح البخاري، ص14.

² بحجة النفوس، ابن أبي جمة، 1/ 144

³ بحجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، مركز صالح الثقافي بغيزة، المملكة العربية السعودية،

المُقْضِي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض من وقته كَمَنْ بات يَصَلِّي الليل كُلَّهُ، ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل، فنام عن صلاة الصبح في الجماعة.¹

كما دعا صَلَّى الله عليه وسلّم إلى ملازمة السداد، و هو التوسّط و الصواب في العمل لا إفراط ولا تفريط، فمن لم يستطع الأخذ بالأكمل فيعمل بما يقرب منه، كما بشرّ بالثواب على العمل الدائم وإن قلّ². ثم وصّى النبيّ (ص) بالاستعانة بالأوقات الثلاثة الغدوة، والروحة، وشيء من الدُّجّة³. هذه الأوقات كما أنّها السبب الوحيد لقطع المسافات القريبة والبعيدة في الأسفار الحسيّة مع راحة المسافر الأخرويّ وراحة راحلته، ووصوله براحة وسهولة، فهي السبب الوحيد لقطع السفر الأخروي. وسلوك الصراط المستقيم، فمتى أخذ العامل نفسه وشغلها بالخير و الأعمال الصالحة المناسبة لوقته - أوّل نهاره وآخر نهاره وشيئا في ليله وخصوصا آخر الليل - حصل له من الخير ومن الباقيات الصالحات أكمل حظّ وأوفر نصيب، ونال السعادة و الفوز و الفلاح.⁴

- صُوْرُ الإحالة وأثرها في الحديث النبويّ:

لقد عُني هذا الحديث النبويّ بموضوعٍ جوهريّ، وقضية أساسية وهي يسر الدين، الدّين الذي بعث الله به محمداً (صَلَّى الله عليه وسلّم)، والذي يدينُّ به العباد لرَبِّهم، ويتعبّدون له به يسر.⁵ والنص مكوّن من مجموعة من الجمل تُعدّ الجملة الأولى منه (إنَّ الدينَ يُسرُّ) جملة محوريّة - وهي جملة

¹ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 132/1 و ينظر: مختصر صحيح البخاري، الهامش، الشنواني، ص41-42

² ينظر: المصدر نفسه، 1/ 134

³ الغدوة: بالفتح سير أوّل النهار أو ما بين الغداة وطلوع الشمس. الرّوحة : بفتح الرّاء وهي من زوال الشمس إلى غروبها . الدُّجّة: بضم الدال و فتحها سير آخر الليل، وبالفتح سير أوّل .

⁴ ينظر : بهجة قلوب الأبرار و قرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، السعدي، ص68

⁵ ينظر شرح رياض الصالحين محمد بن صالح محمد بن صالح العثيمين مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر السعودية

مؤكّدة- وقد انبنى عليها الحديث ، كما ارتبط بها ما تبعها من جُمْلِ النصّ جميعاً ارتباطها بمحور الموضوع، إمّا تحذيراً وتنبهّاً وهذا في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ)، أو توجيهاً وتطميناً وتبشيراً في ما تبعها من الجمل في قوله: (فسدّدوا)، و (قاربوا)، و (أبشروا) واستعينوا بالغدوة...).

فهذا النص الحديثي توجيه من النبيّ (ص) الذات الفاعلة، والمنشئة للنص إلى المؤمنين العاملين بأحكام الشريعة، المنطلقين من عقيدة سليمة، دعوة منه للتمسك بالسبيل المستقيم الموسوم بالاعتدال والوسطية سواء في الفكر اعتقاداً، أو في العمل سلوكاً وتعبداً دونما إفراط أو تفريط.

لقد اتّسم هذا النص النبويّ بحسن سبكه، ودقّة نظمه، وتلاحم أجزائه، اتّسق بنيّة، انسجم دلالة، ترابطت جملة بروابط مختلفة، منها روابط إحالية، نصية داخلية، ومقامية خارجية جعلت من النص بمفرداته وجملة كتلةً دلاليةً، حقّقت غرضاً مُهمّاً وهدفاً عظيماً هو حفظ الدين والحفاظ عليه، والاستمرار على تعاليمه مع تيسير في أوامره وتركه، ومرونة في أحكامه المناسبة للعباد، المراعية لقدراتهم البشرية، وعقولهم السليمة، وفطرهم السويّة، وحاجاتهم الطبيعيّة . ويمكن توضيح هذه الإحالات فيما يأتي:

- الإحالة الأولى: إحالة ضميرية تتمثّل في ضمير الغائب البارز (الهاء) قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (غلبه) وهو ضمير شخصي إحالة نصيّة قبلية تعود على مرجع سبق التلّفُظ به في الجملة، وهو لفظ (أحد) المحال إليه في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: (لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ) . إنّ توظيف هذا اللفظ أحدّ بدل رجل أو امرأة دليل على فصاحته صَلَّى الله عليه وسلّم، وبلاغته لأنّ أحدًا في اللفظ أقلّ

كلامًا وأكثر فائدةً لأنّه يُطلقُ على الذكر والأنثى، والقويّ والضعيف، والحرّ والعبد، والعالم والجاهل، والعليّ والدني.¹

لقد ربطت الأداة الإحاليّة (الهاء) الضمير الشخصي المتّصل بالفعل (عَلَبَ) بين الجملة المستثناة (غلبه) بجملة المستثنى منه المنفية السابقة لها (لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ) فأدّت دورها بالربط الجملي بين الجملتين الثانية والثالثة من الحديث الشريف، ونشير أيضًا إلى أنّه قد أُكْتَفِيَ هنا بإحالة واحدة عائدة على هذا المرجع (أحد) وهو ما ناسب السياق اللغويّ الوارد فيه من ناحية، ومن ناحية الدلالة أيضًا التي يحملها هذا اللفظ في النص بالنظر إلى ما بعده من جُمْلٍ متواليةٍ، الخطابُ فيها مُوجَّهٌ للجماعة (فسدّدوا، قاربوا...) ذلك أنّ المشادّة في الدين، والغلوّ فيه أمرٌ لا يجيّدُ إليه إلّا القلّة من الناس لا كثرهم، الخاصّة من بينهم لا عامّتهم، الواحد منهم لا الجماعة، فكانت الإحالة بذلك إحالة نصية واحدة لا متعدّدة.

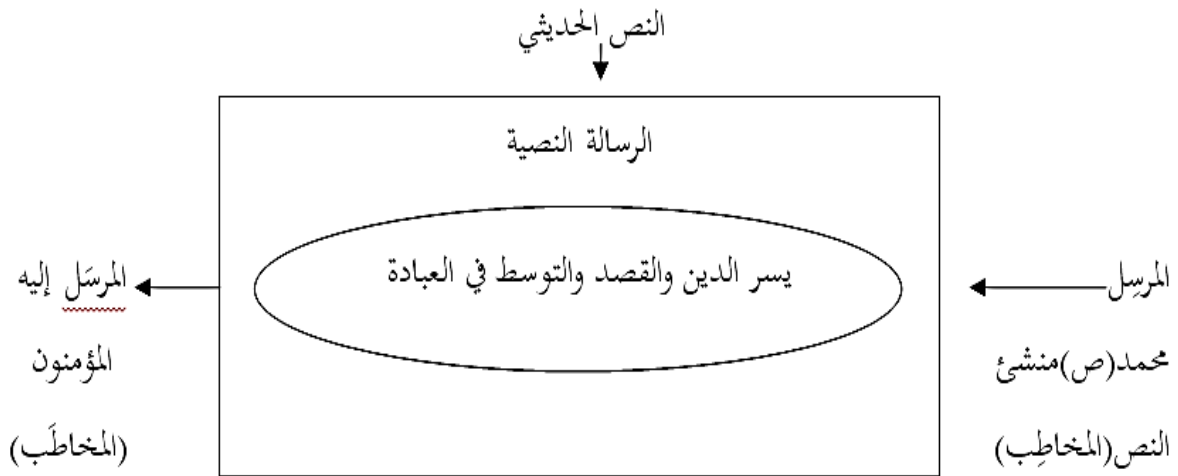
- **الإحالة الثانية:** وهي إحالة الضمير المتصل واو الجماعة، وقد تعدّد في متواليّة الجمل الفعلية الواردة في قوله صلّى الله عليه وسلّم: (فسدّدوا) و(قاربوا) و(أبشروا) و(استعينوا)، هذا الضمير المتصل لجماعة المخاطبين إحالة مقامية كون المحال إليه جماعة المؤمنين من الصحابة وكلّ المؤمنين عبر الأمصار والأزمان غير مذكور داخل النص. إنّما يفهم من السياق المقامي للنص النبويّ، فالمتكلّم والمخاطب يفسّرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلّم بنفسه، أو حاضر يُكلّمه غيره مباشرة²، وإنّ كان الحضور قد يكون فعليًا حسّيًا كما عايش الصحابة الرسول (ص)، أو حضورًا

¹ ينظر: بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جرة، 1/ 149

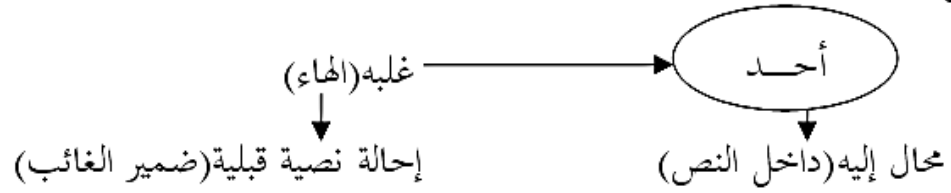
² ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 1/ 255

معنويًا وجدانيًا خطابه صلى الله عليه وسلم لكافة المؤمنين من أمته، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب الرسالة المخاطب إذ يتوجه للمؤمنين ذات المخاطب المرسل إليه بهذه الرسالة النصية التي تحمل التوجيهات النبوية كونه الرسول المعلم سعيًا منه لتوطين أمته القصد في العبادة، والتوسط فيها لتفادي أمرين الغلو والإفراط في الدين والتخلي والتفريط فيه.

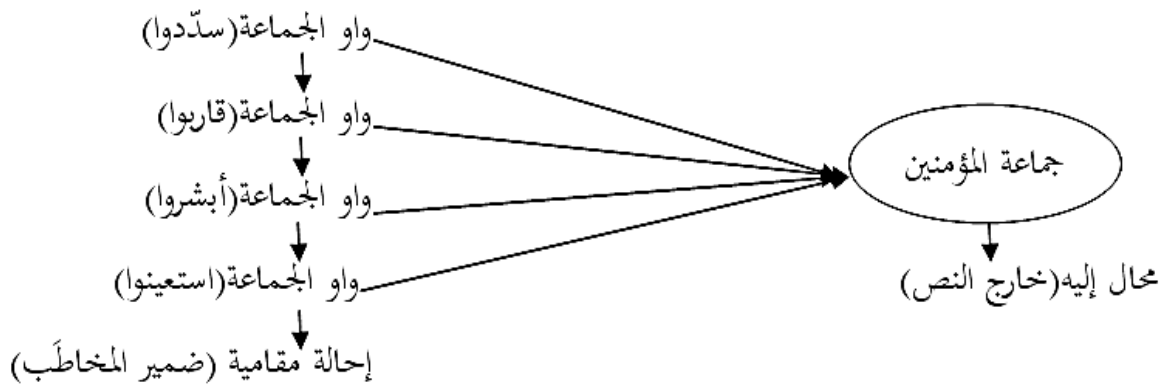
يبدو أنّ في تعدّد الإحالات الضميرية وحضورها المكثف في شكل ضمير المخاطب واو الجماعة مؤشّر على العناية والاهتمام بذات المخاطب من طرفه صلى الله عليه وسلم تأكيدًا على توجيه وحض المؤمنين على الاستماع، وحثهم على العمل بهذه الأوامر المتضمنة في نص الحديث الشريف، كما كان لها دورٌ في تحقيق صورة من صور التماسك الشكلي بالربط الجملي بين أطراف النص النبوي إضافةً إلى وحدة المخاطب، والعودة على مرجعٍ واحدٍ خارج النص، علاوة على التماسك الدلالي في معالجة النص النبوي موضوعًا واحدًا، وقضيةً جوهريّةً هي يسر الدين وسهولته وضرورة الوسطية فيه . ويمكن أن نحمل خلاصة الحديث وما فيه من إحالات في ما يأتي:



* الإحالة الأولى:



* الإحالة الثانية:



- نصّ الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

حثّ النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث المؤمنين على الإنفاق على الأهل، ويبيّن أنّ ثواب المُنْفِق نفقة كانت صغيرة أو كبيرة على عياله من زوجه وولده وسائر مَنْ تجب عليه النفقة عليهم، وهو يبتغي وجه الله تعالى، يظفرُ مقابلها بالأجر الكبير لأنها بمثابة الصدقة، وقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم على استحضر النية في العمل، وطلباً لثواب الله تعالى تهذيباً لروح المسلم وتوجيهاً له حتى يتصرّف بإرادة كاملة عن وعي و يقين، في أيّ عملٍ وعبادةٍ كإعطاء حقوق الأهل والعيال من طعام وشراب وكسوة وخدمة وسكن، وغير ذلك.²

- صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث النبوي:

يتكوّن هذا الحديث النبوي الشريف من مقطعٍ واحدٍ، أو جملةٍ واحدةٍ كبرى، ابتداءً بـ(إذا) الظرفية التي تتضمّن معنى الشرط، والدالة على المستقبل، والشرط والجزاء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة، وتصيران جملة واحدة³. وهي ما يتشكّل منها نصّ الحديث.

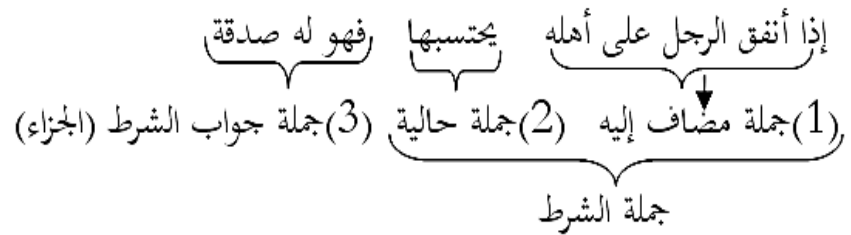
¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمة، كتاب الإيمان، باب ما جاء أنّ الأعمال بالنية والحسنة ولكلّ امرئ ما نوى، (55/8)، ص24 وهو في صحيح البخاري، ص16. كما جاء في صحيح مسلم، عناية أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ/2006م، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، (48/1002) ص447.

² ينظر: بهجة النفوس، ابن أبي جمة، 200/1-205، وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص48-49، وفي ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص160-162.

³ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 108/1-112.

إذن جملتا الشرط و الجزءا يكونان في هذا الحديث فكرة معلومة الاتجاه، واضحة الدلالة، فالنبي عليه السلام دعا إلى النفقة المصحوبة بالنية على الأهل والعيال، وهي صورة من صور الصدقة، زيادة على كونها واجباً يُثاب صاحبها، وفي هذا خيرٌ كثيرٌ للمنفقين، وفضلٌ من الله عز وجل على عباده الصالحين .

لقد تكونت هذه الجملة الكبرى من جُمْلٍ ثلاث ترتبط فيما بينها ارتباطاً دلاليّاً من حيث وحدة الموضوع، وارتباطاً شكليّاً بالنظر إلى جملة أدوات الربط ك (إذا) الشرطيّة والفاء الرابطة لجواب الشرط، السبب بالنتيجة، زيادةً على الروابط الإحاليّة التي تُركّز عليها في هذا المقام بدرّسها و تحليل دورها في الاتّساق النصي لهذا الحديث الشريف، فالجمل التي شكّلت النص هي:



- الجملة الأولى: (أنفق الرجل على أهله)، جملة فعلية فعلها متعدّد (أنفق)، فاعله (الرجل)، مفعوله (دراهم) أو غيرها، فحذف المفعول ليفيد العموم أي نفقة كانت صغيرة أو كبيرة.

- الجملة الثانية: (يحتسبها) فعلية، المفعول به مقدّم وجوباً ضمير متّصل (ها)، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو)، يعود على الرجل. وهي جملة حالية . قال القرطبي أفاد منطوق الحديث أنّ الأجر

بالإنفاق إنما يحصل بقصد القرية سواء كانت واجبة أو غيرها.¹

- الجملة الثالثة: (فهو له صدقة) جملة اسمية مبدوءة بالفاء الرابطة لجملة جواب الشرط، يليها ضمير

منفصل (هو) يعود على (الإنفاق)، و في رواية (فهو) أي النفقة.²

إنّ باستقراء تتابع هذه الجمل المكوّنة للجملة الكبرى، وما فيها من روابط يمكن أن نحدّد أهمّ

الأدوات الإحاليّة التي أسهمت في اتّساق هذا النص النبويّ مع غيرها من الروابط الشكلية والدلالية

فيما يأتي:

- الجملة الأولى: تضمّنت الإحالة الضميرية (الهاء) ضمير الغائب المذكر المتصل في قوله ﷺ (أهله)

إحالة نصية قبلية عائدة على مرجع سبق التلقّظ به في الجملة نفسها، وهو (الرجل) ؛ فالرابط الذي

قام به هذا الضمير ربط على المستوى الجملة الواحدة بربط (الأهل) بالمحال إليه (الرجل)، ولعلّ

اتّصال الضمير به - أي الأهل - راجع للعلاقة الوثيقة والصلة القويّة وجدائيًا واجتماعيًا بين الرجل

وأهله . ويمكن تمثيل هذه الإحالة فيما يأتي:



- الجملة الثانية: تضمّنت الجملة الثانية (يحتسبها) إحالتين: الإحالة الأولى ضميرية (الهاء) ضمير

الغائب البارز المتّصل في قوله صلى الله عليه وسلم (يحتسبها) إحالة نصية قبلية عادت على المرجع

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 48،49،

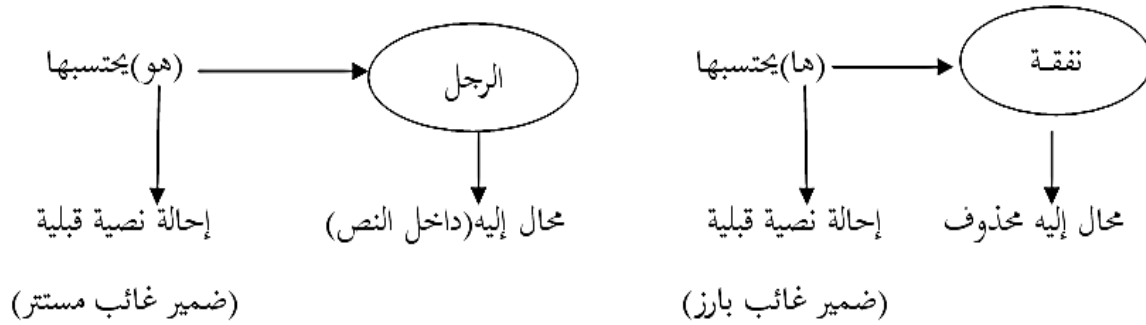
² المصدر نفسه ، ص 48،49

المحذوف في الجملة الأولى إذ التقدير (إذا أنفق الرجل نفقة) دلّ عليه السياق اللغوي، ولعلّ حذف المفعول به هنا مردّه أنّه قد دلّ عليه دليل.¹

أمّا الإحالة الثانية فهي إحالة الضمير (هو) ضمير الغائب المستتر الرابط بين جملة الحال (يحتسبها) وصاحبه (الرجل) المذكور سابقا لحاجة هذه الجملة إلى رابط يربطها بما قبلها.²

فهاتان الإحالتان البارزة (الهاء)، والمستترة (هو) عملتا على الربط على مستوى النصّ لا على مستوى الجملة الواحدة، فارتبطت بذلك الجملة الحالية بما قبلها ارتباط الضمير الأوّل بالمعمول المحذوف (نفقة)، وارتباط الضمير الثاني بصاحب الحال الفاعل المذكور (الرجل) .

ويمكن تمثيل الإحالتين فيما يأتي:



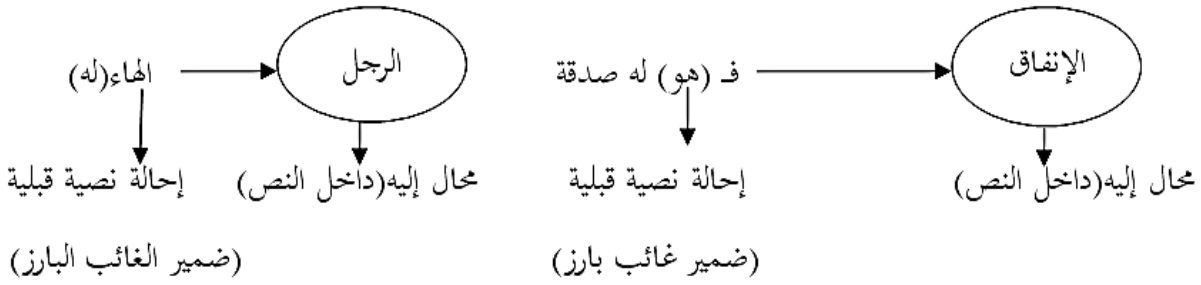
- الجملة الثالثة: (فهو له صدقة) تضمّنت إحالتين: الإحالة الأولى ضمير الغائب البارز (هو) عائد إلى المحال إليه غير المذكور صراحة (الإنفاق)، المفهوم من السياق اللغوي الوارد فيه، إذ التقدير (إذا أنفق الرجل ... الإنفاق فهو له) ولّه متعلّق بصدقة . فهذه الإحالة نصيّة قبلية . وفي رواية (فهي له صدقة)، حيث تتمثّل الإحالة في ضمير الغائب البارز (هي) العائد على (النفقة) . أمّا

¹ ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 484

² ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 580/2

الإحالة الثانية فهي الإحالة الضميرية (الهاء) في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (له) ضمير الغائب البارز المتّصل باللام الجارّة ، عاد على المحال إليه (الرجل) المذكور سابقا في الجملة الأولى (إذا أنفق الرجل)¹.

ويمكن تمثيل الإحالتين فيما يأتي:



إنّ جُمْلَ الإحالات الموجودة في هذا الحديث الشريف خمسة روابط إحالية، جميعها إحالات نصية قبلية . منها ثلاث عائدة على المحال إليه (الرجل)، العامل الرئيس في النص الحديثي كونه الذات الفاعلة بين أفراد الأهل والعيال ، فله القوامة، وعليه المسؤولية والإنفاق ، وإحالتان تعودُ واحدة منهما على (النفقة)، وهي الهاء في (له)، والثانية (هو) تعودُ على (الإنفاق). وهما ترتبطان بجوهر النص، ومحور موضوعه الذي يرمي إليه، فحضورهما مؤشّرٌ ودليلٌ على غاية الموضوع وأهميته .

إنّ ما يمكن أن نلاحظه أنّ هذا النص على قصره قد كان حضور الروابط الإحالية فيه معتبراً لاسيما النصية القبلية منها، إذ أنّها بمثابة شدّ الوصل لأجزاء النص ودليل على تداولية النص القوية

¹ ينظر : هامش مختصر صحيح البخاري ، الشنواني ص 48- 49

كما أنّها تقوم بوظيفة البنية الحاملة للصلات الموضوعيّة للنص¹، أيّ إلى اتساق النص وتماسكه الشكليّ و الدلاليّ معاً .

¹ ينظر : إشكالات النص المداخلة أنموذجا دراسة لسانية نصية ، جمعان عبد الكريم، النادي الأدبي، الرياض المملكة العربية السعودية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2009م ، ص 391- 393

- نصّ الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

يدلّ الحديث الشريف على أنّه لا يسعد بشفاعة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة إلاّ مَنْ قال لا إله إلاّ الله خالصاً من قلبه أو نفسه². وأهل الإخلاص هم أهل التصديق بوحداية الله ورسله لقوله عليه السلام (خالصاً مِنْ قلبه أو نفسه)³. هذا الحديث جاء جواباً للسؤال الذي طرحه أبو هريرة، رضي الله عنه على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أسعد الناس يوم القيامة، فكان جوابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له⁴ مُوضَّحاً ذلك، أنّه يشفع في الخلق لإراحتهم من هول الموقف، ويشفع في بعض الكفّار بتخفيف العذاب كما صحّ في حقّ أبي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها، وفي بعضهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها، وفي بعضهم بدخول الجنة بغير

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمة، كتاب العلم باب الحرص على الحديث [99 / 13] وهي في صحيح البخاري، ص 22 وذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (1 / 266) أنّه قال: قيل يا رسول الله سقطت (قيل) للباقيين وهو الصواب ولعلّها كانت قلت، فتصحفت، فقد أخرج المصنّف في الرقاق كذلك، وللإسماعيلي أنّه سأل، ولأبي نعيم أنّ أبا هريرة قال يا رسول الله.....)

² بمحة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جمة، 1 / 244،

³ ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 1 / 176.

⁴ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 47 - 58

حساب، وفي بعضهم برفع الدرجات فيها، فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة، وأنّ أسعدهم بها المؤمن المخلص.¹

- صُورُ الإحالات وأثرها في الحديث الشريف:

هذا الحديث النبويّ يبيّن فيه الرسول صلّى الله عليه وسلّم أسعد الناس وأظفرهم بشفاعته، المؤمنون المخلصون من يؤمن بقلبه، وينطق لسانه بـ " لا اله إلا الله " كلمة الإسلام وكلمة التوحيد وأوّل أركانه وأهمّها باب الشفاعة ومفتاح الجنّة². فالخطاب في هذا النصّ مُوجّه من المصطفى صاحب الرسالة الرّبّانيّة إلى المخاطب سائله أبي هريرة رضي الله عنه، المتلقّي لهذا البيان إذ أنّ هذا الحديث جاء في سياق التوضيح والجواب بين سائل ومُجيب حول فئة من الناس، متّسق المبنى منسجم المعنى، وقد ارتكز هذا النصّ الحديثي في بنائه على أربعة مراجع دارت حولها مختلف أدوات الربط الإحاليّة، وعادت إليها، وقد تمثّلت فيما يأتي:

1- المرجع الأول: الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم الذات الفاعلة المنشئة للنص، المرسل إلى الناس كافة المكلف من ربّ العزّة، ارتبط موضوع النص به ليس لكونه قائله فحسب، بل لأنّه هو صاحب الشفاعة، والفضل الذي خصّه به ربنا عزّ وجلّ عن سائر الأنبياء والمرسلين³.

2- المرجع الثاني: أبو هريرة رضي الله عنه الصحابيّ الجليل المُشَارِك في بناء النص، الراوي عن

¹ ينظر: فتح الباري العسقلاني: 266 / 1

² ينظر: الحوار في الحديث النبويّ تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، دار حراء القاهرة، مصر، ص 109

³ قال رسول الله (ص): «إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك. فيقول: لست لها، ولكنّ عليكم بإبراهيم فإنّه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكنّ فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكنّ عليكم بمحمد (ص)، فيأتوني، فأقول: أنا لها....». هذا الحديث من صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الربّ عزّ وجلّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، [رقم 7510]، ص 893

النبي صَلَّى الله عليه وسلّم خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً¹. وحضوره في النص كان صريحاً من خلال نداء النبي صَلَّى الله عليه وسلّم له قائلاً: (يا أبي هريرة)، إضافةً إلى ضمائر المخاطب العائدة إليه.

3- **المرجع الثالث:** هو الفئة من الناس المخصوصة بالسعادة يوم القيامة (أسعد الناس) وهو محور سؤال أبي هريرة رضي الله عنه، واستعمل لفظ (أسعد)، ولم يُقْلَ (أهل شفاعتك) لأنّ هؤلاء المشفوع فيهم أصناف مختلفة، منهم المؤمنون المخلصون، ومنهم المؤمنون العَصاة، ومنهم غير ذلك، فمنهم مَنْ يدخلون النار بذنوبهم، ومنهم مَنْ يخرج منها بعد القصاص بغير شفاعاة، ومنهم من يخرج بالشفاعة.²

4- **المرجع الرابع:** يتمثل في لفظ (الحديث) الذي خصّه الرسول (ص) بالذكر بعد اسم الإشارة لما فيه من الفوائد الجليّة في الإيمان، وتزكية النفس، وهو مُحال إليه داخلي لذكره.

فالاتّساق النصّي في هذا الحديث النبويّ يبدو واضحاً في دلالاته مِنْ حيثُ مقصدِ النص وموضوعه كرسالةٍ ومحتوى وغايةٍ . فطرفا العملية التواصلية بين مُرْسِلٍ مُنْشِئٍ للنص هو محمد صَلَّى الله عليه وسلّم ومُتَلَقِّ مُسْتَمِعٍ للرسالة هو أبو هريرة رضي الله عنه، إضافةً إلى ذلك ما قامت به الروابط الإحالية في نسج هذا التماسك، وتوزّعها على هذه المراجع الأربعة. وتوضّح ذلك فيما يأتي:

- **الإحالة الأولى:** كما ذكرنا فيما سبق يُعَدُّ الرسولُ محمد (ص) الطرف الأول، ومُنْشِئ النص، والذات الفاعلة، وعلى الرّغم من ذلك فلم يُذَكَّر صراحةً في النصّ، وحضوره يُفْهَم من السياق

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص57

² ينظر: المصدر نفسه، ص 58، وبهجة النفوس، ابن أبي جرة، 1/ 246، وفتح الباري، 1/ 266

المقامي ومناسبة الحديث الشريف، وقد عادت إليه الحالات الضميرية الضمائر الشخصية المتمثلة في الضمير العائد إلى ذات المتكلم، وهي أربعة ضمائر:

- تاء المتكلم (تُ) في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (ظننْتُ) إذ اتّصل بالفعل ظنّ الدّالّ في هذا السياق اللغويّ على اليقين والاعتقاد، لا على الرّيب والشكّ للقرينة الدّالة على ذلك¹.

- تاء المتكلم المتّصل بالفعل (رأيتُ)، والرّؤية في تصوّرنا قد تكون رؤية حسّية لما رآه النّبيّ (ص) من سؤال أبي هريرة وإحاحه على العلم، كما يمكن أن تكون قلبيّة بمعنى وَجَدْتُ وأَلْفَيْتُ مِنْ حِرْصٍ ورغبةٍ في الحديث .

- ياء المتكلم الضمير المتصل بالفعل (يسأل) والاسم (شفاعة) في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (يسألني) و(بشفاعتي) دلّ الأوّل على النّبيّ (ص) المفعول به الموجه إليه السؤال، ودلّ الثاني على نسبة الشفاعة إليه وهو مضاف إليه، من ضمائر الملكية².

فعلى الرّغم من أن اسم الرّسول (ص) لم يُذكر صراحةً في جُمْل الحديث فإنّ مرجعية ضمائر المتكلم إليه واضحة صريحة، من خلال مناسبة الحديث، وفي سنده في قول أبي هريرة: (يا رسول الله من أسعد الناس؟ قال رسول الله...)، فالضمائر الشخصية العائدة على المتكلم تُمثّل عنصراً إشارياً غير لغويّ موجود في المقام الخارجي للنص - وهو الذات المنشئة للنص - حيث يرتبط فهم مرجع الضمير أو العنصر الإحالي بتحديد العنصر الإشاري الذي يعود إليه في خارج النص، والذي يُعِينُ

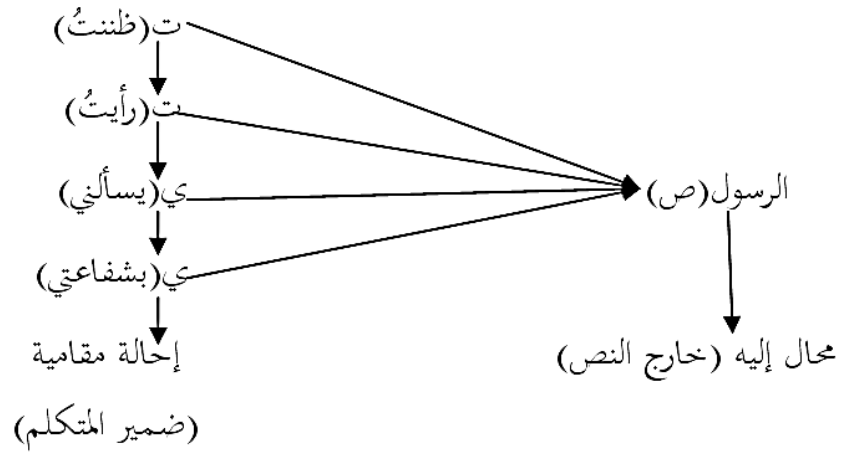
¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي حمزة، 1/ 249 والأضداد، ابن الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، ط1،

1427هـ/ 2006م، ص20

² ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص18

على هذا التحديد الدقيق للعلاقة الرابطة بين الضمير والمحال إليه هو السياق¹. ويمكن تمثيل

الإحالات الضميرية العائدة على الرسول صلى الله عليه وسلم كما يأتي:



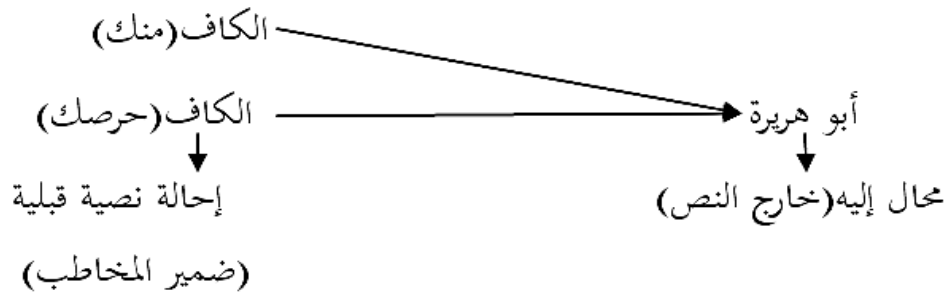
إنّ ما يمكن ملاحظته توزّع الإحالات الضميرية الأربعة العائدة على الرسول صلى الله عليه وسلم و انتشارها في سلسلة الجمل المكوّنة للنص (ظننت، يسألني، رأيت، أسعد الناس بشفاعتي) هذا مؤشّر على دورها كوسيلة لغويّة من الوسائل التي تُحقّق التتابع الخطّي للجمل على المستوى التركيبي، وتأكيد الترابط الدلالي بين دلالات القضايا في الأبنية الكبرى²، فارتبطت تمفصلات النصّ الحديثي فيما بينها من ناحية، كما ارتبطت بصاحب النص وقائله (خارج النص)، وهو الذات الفاعلة المنشئة له، علاوة على ارتباط محور موضوع النص دلاليًا، و حلّ الإشكال و السؤال المطروح بذاته عليه الصلاة والسلام .

¹ ينظر : مقال "التماسك النصي في الحديث النبوي الشريف"، د عبد العزيز فتح الله عبد الباري، شبكة الألوكة أفاق الشريعة دراسات شرعية علوم الحديث، الموقع الإلكتروني <http://www.alukah.net/sharia/0/8019> تاريخ 31 /05 /2015 / 12:34، ص 12 و ينظر :

نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 119

² ينظر، مقال " أثر الروابط في البناء النصي"، فايز احمد محمد كومي، مجلة علوم اللغة دراسات علمية محكمة، كتاب دوري، جامعة عين شمس، مصر، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، مصر، مج 11، ع 3، 2008 م، ص 53

- **الإحالة الثانية:** تتمثل في الضمائر الشخصية ضمائر المخاطب العائدة إلى الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، وهي كافُ الخطاب في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: (منك)، و(حرصك) استعمل هذان الضميران الإحاليان في سياق مدح النبي العمل لصاحبه أبي هريرة، وتعظيمه له لأنّه أصابَ بسؤاله كنزاً عظيماً من أدلّة الإيمان و علوم الآخرة، فقد جعله أول مَنْ يسأل عن هذا الحديث للعمل الذي صدر عنه، وهو الحرص على العلم والحديث¹، لقد بلغ أبو هريرة هذه الدرجة لأنّ الحريص على الخير و العلم يبلغ بحرصه إلى أن يسأل عن غامض المسائل، ودقيق المعاني، فالمسائل الغامضة و المعاني اللطيفة لا يسأل عنها إلّا راسخ بَحاث، فيكون له أجرها وأجر مَنْ عمل بها إلى اليوم القيامة.² فضميرُ المخاطب الكافُ يُعدُّ إحالةً نصيةً قبليةً أدّى دوره في التعبير عن هذا المعنى، وقد ارتبط بالعنصر الإشاري الذي سبق التلقُّظ به في السياق اللغوي الداخلي للنص في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: (يا أبا هريرة)، يمكنُ تمثيلها في المخطّط الآتي:



- **الإحالة الثالثة:** هي مجموعة الروابط الإحالية العائدة على المرجع الثالث السابق التلقظ به (أسعد الناس) وهو محال إليه داخلي، فالإحالات الدالة عليه تنوعت بين الضمائر الشخصية، واسم الموصول.

¹ ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 175/1

² ينظر: المصدر نفسه، 175/1

فالإحالة الموصولة (مَنْ) اسم موصول للعام وللعاقل غالبًا، وهو من جملة المعارف لأنّه موضوعٌ على أن يستعمله المتكلّم به في معلوم عند المخاطب بواسطة جملة الصلة التي يشترط فيها أن تكون معهودة للمخاطب.¹ ويشارك بقية أدوات الاتساق الإحاليّة في عملية التعويض، وهي من الألفاظ الكنائية لا تحمل دلالة خاصّة، وكأَنَّها جاءت تعويضًا عمّا تُحيل إليه، كما تقوم بالربط الاتساقِي مِنْ خلال ذاتها، ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطًا مفهوميًا بين ما قبل (مَنْ) وما بعدها.² فقد أحال الاسم الموصول (من) في هذا الحديث على المرجع المذكور سابقا في قوله ﷺ (أسعد الناس)، فهو إحالة نصية قبلية في موضع خبر المبتدأ الذي هو (أسعد)³، أدّت دورها في تحقيق الترابط النصي بين ما بعدها (قال لا إله إلا الله) بما قبلها (أسعد الناس)؛ لأنّ السعادة مقرونة باليقين بالقلب، والنطق باللسان بعبارة التوحيد، والظفر بشفاعته ﷺ لا يتحقّق إلّا بذلك

وعلى المرجع نفسه (أسعد الناس) عادت الضمائر الشخصية الثلاثة المجتمعمة في جملة صلة الموصول (قال لا إله إلا الله بقلبه ونفسه) إذ تمثّلت في ضمير الغائب المستتر المقدّر بـ (هو) في (قال ×) وضمير الغائب البارز المتصل (الهاء) في (قلبه)، و(نفسه)، فهاته الضمائر أدّت دورها كعنصر إحاليّ عوّض مُكوّنًا آخر مذكورًا سابقا، فهو ينوب عنه ويؤدّي معناه ويحمل جملة المقولات التي يحملها مُفسّره الجنس والعدد، فهو صدى لغيره من وجه، وحامل لها لا يتوقّر في مُفسّره من وجه آخر.⁴ فضلاً عمّا قامت به الضمائر الشخصية في التعويض والإيجاز، فقد أسهمت مع الإحالة

¹ ينظر: هامش شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، ص111. وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص136 – 137.

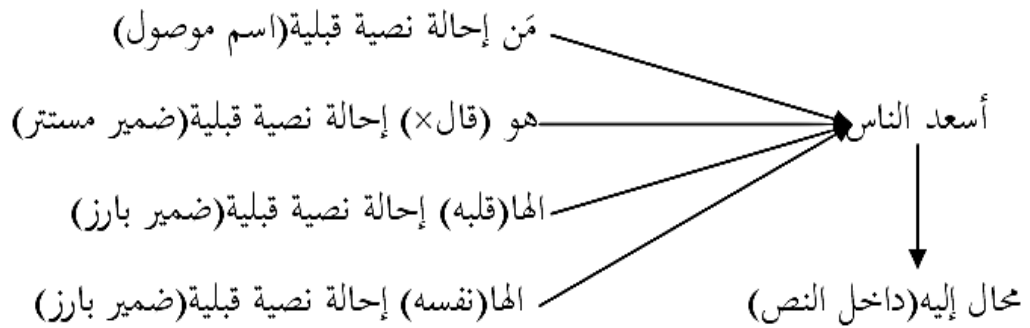
² ينظر: الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص28.

³ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص56.

⁴ ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، ص133.

الموصولة (مَنْ) يربط مكونات الجملة الاسمية سواء أكان الربط على مستوى الجملة الواحدة، أو على مستوى تتابع الجمل، كلمات كانت (قلب)، (نفس) أو جملاً (مَنْ قال...) و(قال...)، فهي جميعاً تعودُ على مُحالٍ إليه واحد (أسعد الناس)، فهي مرتبطة به شكلاً ودلالةً تتحقّق بذلك الاتساق النصي لهذه الجملة الاسمية بين وحداتها الدلالية، ومكوناتها التركيبية.

ويمكن تمثيلها كالآتي:

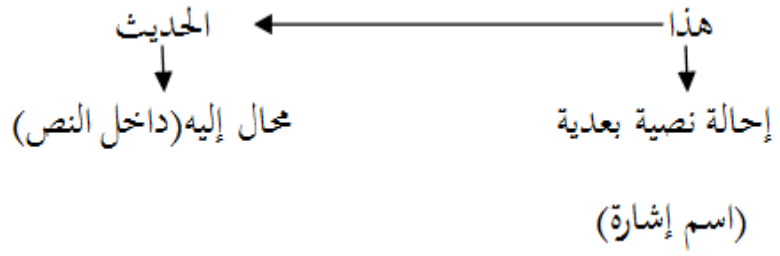


- **الإحالة الرابعة:** هي اسم الإشارة (هذا) المستعمل للمذكر القريب،¹ وهو إحالة نصية بعدية عاد إلى محالٍ إليه تأخّر اللفظ به وهو (الحديث). في قوله ﷺ «... لا يسألني عن هذا الحديث...»، فضمير الإشارة هنا أدّى وظيفته في الربط على مستوى الجملة الواحدة بين المفسّر والمفسّر، بين الإحالة والمحالٍ إليه، (هذا الحديث) إحالة إلى القريب وهو (الحديث)، وفي ذكره والإحالة إليه إشارة من النبي ﷺ إلى فضل هذا الحديث عن سائر الأحاديث؛ لأنّه ﷺ قد أشار إليه بالأفضلية وخصّه من بين الأحاديث بقوله: «أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد...» فلو لم يكن لهذا الحديث منزلة على غيره من الأحاديث لما أشار إليه، وجعله أولى به من غيره.²

¹ شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، ص 108.

² ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جرة، 1/251.

ويمكن تمثيلها في المخطط الآتي:



في هذا النص النبوي بلغت الروابط الإحالية التي عملت على تحقيق تماسكه واتساق بنيته إحدى عشرة إحالة، توزعت بين أربعة مراجع:

المرجع الأول: الرسول ﷺ، دلت عليه أربعة روابط ضميرية ضمائر شخصية للمتكلّم، حيث توزعت عبر تسلسل جمل الحديث، وارتباطها بذاته ﷺ ارتباط السؤال بالجواب، وتعلّق السعادة بشفاعته، فشكّلت وحدة نصيّة تماسكت شكلياً بواسطة تلك الروابط الإحالية بالموازاة مع الترابط الدلالي للنص.

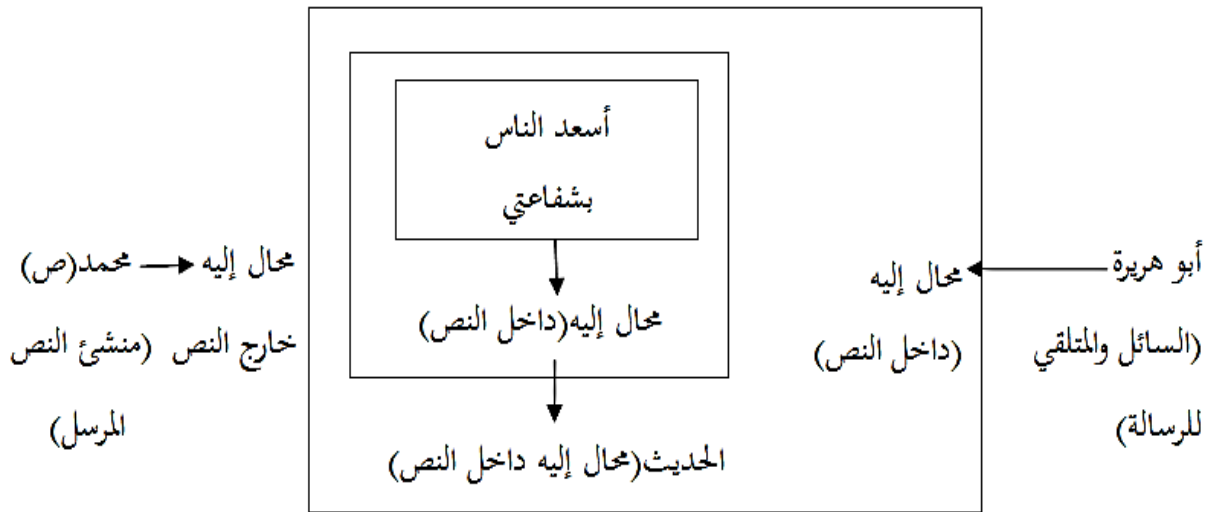
أمّا المرجع الثاني (أبوهريّة) ذُكر في النص، كما أحال إليه ضميران شخصيان للمخاطب، و(أسعد الناس) المرجع الثالث وقد دلت عليه أربعة روابط إحالية، ثلاث ضمائر شخصيّة للغائب واسم موصول بعد أن سبق التلقّظ به في النص، أمّا الإحالة الأخيرة فهي اسم الإشارة (هذا) عاد على المشار إليه (الحديث).

فهذا الحضور المعتبر للروابط الإحالية المتنوّعة بين الضمائر والإشارة والموصول مع تعدّد العناصر الإشاريّة في النصّ شكّل منه نسيجاً نصيّاً، ارتبطت عناصره، وتلاحمت مكوّناته كلماتٍ وجملاً، فتحقّق فيه الاتساق النصّي، فضلاً على كونه رسالة نصيّة جاء جواباً لسؤال وتوضيحاً لإبهام،

فمحمد ﷺ هو المجيب وأبو هريرة الصحابي الجليل هو السائل، والسعادة بشفاعته. وقول لا إله إلا الله هو جوهر الموضوع ومحور الرسالة، فتحقق الترابط الدلالي وانسجام النص.

ويمكن إجمال هيكله بناء النص الحديثي في المخطط الآتي:

نص الحديث (الرسالة النصية)



- نصّ الحديث السادس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

بيّن الرسول ﷺ في هذا الحديث تعاقب ملائكة الرحمان في المصلّين، وعامة المؤمنين في الليل والنهار، فتأتي طائفة وتعقبها طائفة أخرى، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار تعاقب فيه اجتماع وقت صلاتي الفجر والعصر، هؤلاء ينزلون، وهؤلاء يصعدون، فيسألهم ربّ العزة عن حال عبادته وكيف تركوهم إظهاراً لشرف العباد وتنويهاً بفضلهم، وليس خفاء على الله سبحانه وتعالى لأنّه يعلم السرّ وأخفى، فيجيئونه أنّهم وجدوهم وهم يصلّون، وتركوهم وهم يصلّون . وفي هذا تشريف لعبادة المصلّين بعبادة من أعظم العبادات وأعلاها في وقتين من أشرف الأوقات في عبادة الله وطاعته فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير.²

- صُورُ الإحالات وأثرها في الحديث الشريف:

هذا الحديث الشريف نصّ "نبويّ" مكوّن في بنيته من خمسة مقاطع متشابكة فيما بينها بروابط مختلفة، أدوات العطف، روابط إحالية، ارتباط دلالي في تراكيبه وفي صياغة أساليبه، ودقة معانيه، جمع

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمة، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، [34 - 555]، ص33. وفي صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ص73.

² ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 42/2 - 47. وبهجة النفوس، ابن أبي جمة، 354/1 - 361. وإرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، القاهرة، ط 7، 1323هـ، 496/1 - 497، وصحيح مسلم بشرح النووي، 133/5 - 134 وشرح رياض الصالحين، العثيمين، 56/5 - 57.

أسلوبه بين السرد والحوار، ومن مميزات الحوار التخفيف من رتابة السرد بما في طبيعته من إيجاز وإثارة وتشويق وتأثير، ما يجعل المخاطب أو السامع متبّعًا للحوار في انتباهه.¹ خاصّة أنّ هذا الحوار بين ربّ العزة جلّ وعلا وملائكته الأخيار الذين يفعلون ما يؤمرون.

هذا النص النبويّ تشكّل في بنيته على الإجمال فالتفصيل؛ فقد بدأ مُكثّفًا في مقطعه الأول ليتبعه التبسيط والتفصيل فيما بعده من مقاطع حتى نهاية الحديث.

– **المقطع الأول** [يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار]: جملة فعلية مبدوءة بالفعل (يتعاقبون) الدالّ على المشاركة بين الملائكة، تأتي طائفة عقب طائفة ثمّ تعود الأولى عقب الثانية.² وهنا سرّد وإخبارًا من النبيّ الكريم إلى صحابته رضوان الله عليهم وعامة المؤمنين بهذا الأمر الجليل، وهو تقرير مجمل يُحدّث التشويق عند السامع، ويجعله ينتظر التفصيل حول هذا التعاقب، ما معناه؟ ومتى يحدث؟ وماذا يحدث فيه؟ وأيّ أثر وفائدة تحصل به للمؤمنين؟ وما الغاية التي يحقّقها؟ وغير ذلك مما تأتي معرفته والإجابة عنه في ثنايا الحديث وفي بقية مقاطعه.

– **المقطع الثاني** [يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر]: هذا المقطع تلا المقطع الأول، مرتبط به بواسطة حرف العطف الواو، فتعاقب الملائكة لا يمنع من اجتماعهم، فهم يجتمعون في الجيء والذهاب بأوقات العبادة تكرمة للمؤمنين، واللطف بهم، لتكون شهادتهم أحسن الثناء وأطيب الذكر.³

¹ ينظر: الحوار في الحديث النبويّ تراكيبه وصوره، عيد محمد شبّاك، دار حراء، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 166-167.

² ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 43/2 – 44.

³ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 86.

- **المقطع الثالث** [ثمَّ يعرج الذين باثوا فيكم]: وفيه مواصلة الشرح والتفصيل لما ذكره محمد ﷺ في المقطع الثاني، فهو يدلّ على صعود ملائكة الليل، ودُكِّروا دون غيرهم إمّا للاكتفاء بذكر أحد المثلين نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾¹، أي والبرد، وإمّا لاستعمال (بات) مجازاً بمعنى (أقام) لا يختصّ بليل دون نهار، ولا بنهار دون ليل.² فالمقطع الثالث ارتبط بالثاني بواسطة حرف العطف (ثمَّ) الذي يفيد الترتيب والتراخي،³ لمكوث الملائكة وقتاً معتبراً من الفجر إلى العصر، ومن العصر إلى الفجر.

- **المقطع الرابع** [فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي]: فيه تحوّل النصّ الحديثي من أسلوب السرد والإخبار إلى الحوار بالسؤال فالجواب، فهذا المقطع من الحديث تضمّن استفهاماً مجازياً مبدوءاً بالأداة (كيف) الدالة على طلب تعيين الحال،⁴ والحكمة فيه استدعاء شهادتهم - الملائكة - لبني آدم بالخير، واستنطاقهم بما يقتضي التعطّف عليهم، وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان، وفيه من يسبح ويقدّس مثلهم بنصّ شهادتهم⁵ وإظهاراً لشرف العباد، وتنويها بفضلهم.⁶

- **المقطع الخامس** [فيقولون تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون]: هو جواب الملائكة الذي يمثّل الحلقة الثانية في الحوار الثنائي بين الله عزّ وجلّ وملائكته البرّة، إذ جاء جوابهم بشكل جماعي،

¹ سورة النحل: 81.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 87. وفتح الباري، 46/2.

³ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 657 ومعجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، دار الشريعة مطبعة الرهان الرياضي الجزائري، (د.ط)، (د.ت)، ص 165.

⁴ علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 95.

⁵ ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية (في الموطأ)، محمد سعيد عبد الله، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000م، ص 96. وفتح الباري، 46/2.

⁶ شرح رياض الصالحين، العثيمين، 57/5.

ولم يراعوا فيه الترتيب الوجودي لأنهم بدؤوا بالترك قبل الإتيان، والحكمة فيه أنهم طابقوا السؤال لأنه عز وجل قال: كيف تركتم؟ ولأن المخبر به صلاة العباد، والأعمال بخواتيمها فناسب ذلك إخبارهم عن آخر عن عملهم قبل أوله.¹

فهذا النص الحديثي بدأ بالسرد الذي وصف من خلاله النبي ﷺ قيام الملائكة بما كُلفوا به من تعاقب بالليل والنهار في المصلين، واجتماعهم في صلاة الفجر والعصر ليعرجوا إلى رب العزة، ثم يتحول إلى الحوار الثنائي، السؤال من الخالق والجواب من ملائكته حول حال عباده المخلوقين، وما هم عليهم من أعمال.

فجاء هذا النص متوازنًا في بنية مقاطعه التي اتسمت بالترابط على مستوى بنيته السطحية بواسطة أدوات الربط الشكلية، والترابط على مستوى بنيته العميقة من خلال تناغم السرد مع الحوار، السؤال والجواب، الإجمال والتفصيل، ولقد ساهمت الروابط الشكلية مساهمة كبيرة في تحقيق اتساق النص لاسيما الروابط الإحالية، تلك التي ارتبطت بمراجع ثلاث عادت إليها في هذا الحديث الشريف، كان حضورها واضحًا على الرغم من قصر الحديث . ويمكننا توضيح ذلك فيما يأتي:

- المرجع الأول (الملائكة): وهم مخلوقات نورانية خلقها الله تعالى من النور تتشكل بما شاءت من الأشكال، والمقصود بهم في هذا الحديث "الحفظة" عند الأكثرين على الرغم مما نقل من عدم مفارقة الحفظة العبد، وحفظة الليل غير حفظة النهار، فالعنصر الإشاري الأول هو ملائكة الرحمان الموكل لهم أمر متابعة أعمال عباده.² وقد دُكر صريحًا ومُضمَّرًا بضمائر الغائب والمخاطب والمتكلم.

¹ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 47/2.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 85 - 86. وفتح الباري، العسقلاني، 44/2.

- المرجع الثاني (المصلّون وعامة المؤمنين): هم عباد الله الذين يتقرّئون إليه بالصلوات، ويسبّحونه، ويقدّسونه، المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾¹. وقد ورد صريحاً بلفظ (عباد)، ومُضمراً بضمائر المخاطب والغائب².

- المرجع الثالث (الله عزّ وجلّ): هو خالق الكون المدبّر لشؤونه، يسبّحه الملائكة والعباد وسائر المخلوقات، رحيم بعباده رؤوف بهم يضاعف حسناتهم، ويُرْزّقي أعمالهم. فالعنصر الإشاري الثالث قد ذُكر صريحاً بلفظ (ربّ) ومُضمراً بضمائر الغائب والمتكلّم المفردين.

هذه هي العناصر الإشاريّة الثلاثة التي انبنى عليها نصّ الحديث، وقد ارتبطت بمجموعة من العناصر الإحاليّة ممّا جعل النصّ النبويّ متّسقاً في بنيته مُنسجماً في دلالاته. وقد بلغ مجموع الروابط الإحاليّة في هذا الحديث ثمانية عشر إحالة. وإليك بيانها فيما يأتي:

الإحالة الأولى: هي الإحالات العائدة على المرجع الأول (الملائكة)، وقد كانت كثيرة في حضورها لاسيما الضمائر الشخصية منها، وهاته العناصر الإحاليّة تتمثّل فيما يأتي:

1- واو الجماعة: ضمير الغائب البارز المتصل، وهو من الضمائر الشخصية إذ جاء في قوله ﷺ: (يتعاقبون) و (يجتمعون) و (يقولون).

قال القرطبي: الواو في قوله (يتعاقبون) علامة الفاعل المذكّر المجموع على لغة بلحارث وهم القائلون: (أكلوني البراغيث) وعليها حمل الأخفش قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾³

¹ سورة الحجر: 42.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 87.

³ سورة الأنبياء: 03.

وقد اختلفَ في إعرابها وتقديرها عند النحاة،¹ فمنهم من عدّها مع الألف والنون في (أكلوني البراغيث) حروف دوالّ كتاء التأنيث لا ضمائر، ومنهم من جعلها ضمائر فقيّل ما بعدها بدل منها، وقيل مبتدأ والجملة السابقة خبر، وقد سمّاها ابن مالك لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة).² ومهما اختلف النحاة في ذلك فنقول أنّ هذا العنصر الإحالي سواء باعتباره ضميراً، أو باعتباره غير ذلك ممّا اعتبره بعض النحاة يظللّ رابطاً إحاليّاً من قبيل الإحالة النصية البعدية، هذا لأنّ المحالّ إليه قد تأخّر التلقّظ به في النص (ملائكة). كما طابق العنصر الإحاليّ (الواو) في الجنس والعدد.

أمّا الواو في كلّ من (يجتمعون) و(يقولون) فهي إحالة نصية قبلية لعودها على المرجع نفسه لكنّ المفارقة هنا عن السابق أنّ المحالّ إليه في هذين الموضعين قد سبق التلقّظ به لوروده في المقطع الأوّل من النص، وعليه فإذا كان الواو في الجملة الأولى (يتعاقبون) أدّى دوره في الربط على مستوى الجملة الواحدة فإنّه في هذين الموضعين قد عمل على تحقيق الترابط على مستوى تتابع الجمل أو النص برمّته إذ ربطت كلاً من الجملة المعطوفة (يجتمعون) زيادةً على الربط بالواو العاطفة وجملة جواب الاستفهام، زيادةً على الربط الدلالي السؤال والجواب، بما سبقها من جمل النص لاسيما الجملة النواة (يتعاقبون) التي تُعدّ إجمالاً وتكثيفاً وما بعدها تفصيلاً وتفكيكاً.

2- الضمير البارز المتصل (هم) في قوله صلى الله عليه وسلّم (فيسألهم ربّهم) الجملة الفعلية الدالة على الاستفهام الضمير الأوّل مفعول به، والثاني مضاف إليه، وكلاهما عنصران إحاليان لغويّان

¹فتح الباري، العسقلاني، 4/2.

²ينظر: الحديث النبويّ في النحو العربي، محمود فجال، أضواء السلف، الرياض المملكة العربية السعودية، ط2، 1417هـ/1997م، ص207 - 208.

يرجعان على (الملائكة) الذين كلفهم الله بمتابعة أعمال عباد الله، وهذا السؤال ظاهره تعبد منه عز وجل لملائكته، كما أمرهم بكتب الأعمال وهو أعلم بالجميع. فهذه الإحالة (هم) إحالة نصية قبلية ربطت الجملة الاستفهامية (فيسألهم ربهم)، والجملة الحالية (وهو أعلم بهم) بالجملة السابقة في عالم النص.

3- الضمير البارز (ثم) ضمير جماعة المخاطبين إحالة نصية قبلية بعود الضمير على المحال إليه نفسه الملائكة، وقد سبق التلّظ به في النص، وقد تحوّل النمط الأسلوبى للبناء النصي من السرد والإخبار إلى الخطاب والسؤال بتوظيف هذا الضمير.

4- الضمير البارز (نا) لجماعة المتكلمين، الوارد في جملة الجواب من قوله صلى الله عليه وسلم (تركناهم)، (أتيناهم)، عاد على (الملائكة) محال إليه داخلي سبق ذكره في النص، وعليه فالإحالة هنا إحالة نصية قبلية أدت دورها في تحقيق تلاحم الجملة الجوابية بالجملة الاستفهامية السابقة لها ربطاً شكلياً وارتباطاً دلاليّاً.

5- الإحالة الموصولة (الذين) وردت في الجملة المعطوفة بحرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب والتراخي². من قوله صلى الله عليه وسلم: (ثم يعرج الذين فيكم) إذ يُعدّ هذا الاسم الموصول إحالة نصية قبلية لعودته على المحال إليه (الملائكة) الذين باتوا دون الذين ظلّوا اكتفاءً بأحد المثلين لأنّ كلّ طائفة من الملائكة إذا صعدت سُئِلت³.

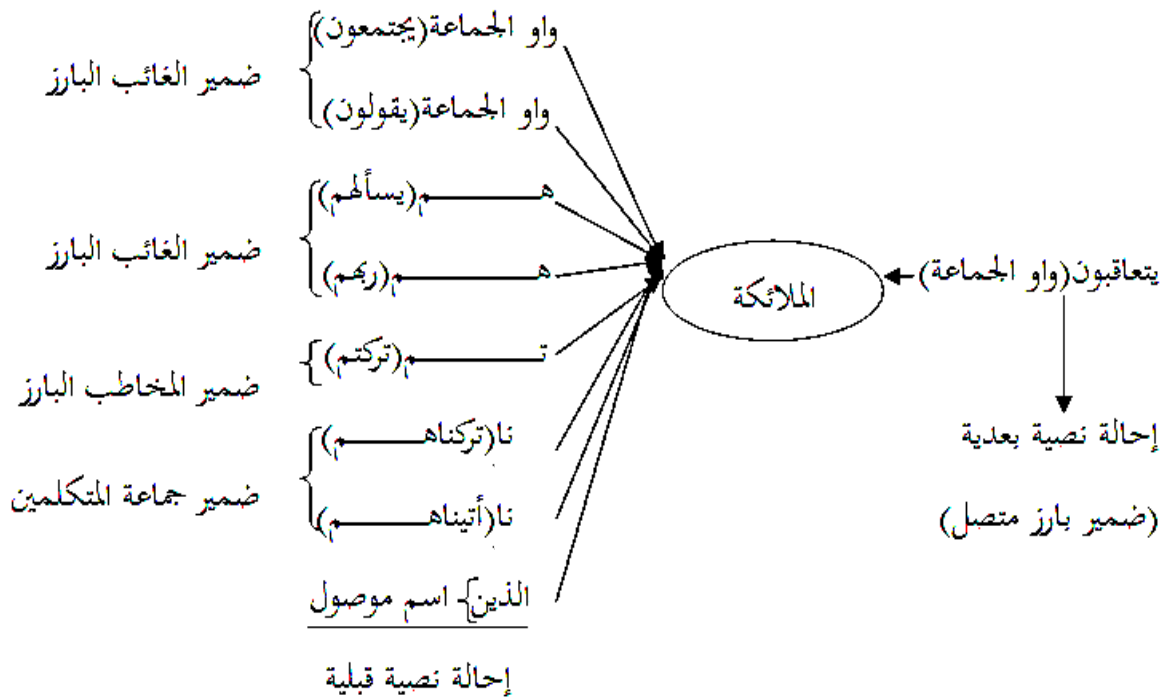
¹ صحيح مسلم بشرح النووي، 5/ 132

² شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، ص 300 ومعجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، ص 165

³ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 1/ 496-497

فضلا على الربط بواسطة حرف العطف (ثمّ) فإنّ الجملة المعطوفة (يعرجُ الذين فيكم) ازداد ارتباطها بما قبلها بواسطة هذا العنصر الحالي (الذين)، وقد كان دوره في تحقيق الاتساق على مستوى النص لا على مستوى الجملة الواحدة.

إنّ مجمل الإحالات التسعة العائدة إلى الملائكة هي إحالات نصية بحضور مكثّف، وتوزيع منتظم عبر جمل وتفصيلات الحديث من بدايته إلى نهايته، في سرده وفي حوارهِ، ارتبطت جميعاً بمرجع واحد، وفي هذا دلالة واضحة ومؤشّر كبيرٌ على الاهتمام بهذا العنصر الإشاري نظراً للدور الفعّال الذي يؤدّيه، والمهمّة التي أوكلت له من ربّ العزّة نحو العباد، وللفضل الذي يلحق المصلّين برفع أعمالهم الصالحة من طرف ملائكة الرحمان وشهادتهم الحسنة لهم.¹ ويمكن إجمال صور الحالات في المخطّط التالي:



¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 87

الإحالة الثانية:

1- ضمير جماعة المخاطبين (كُم) من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فيكم) العائد على المصلين من العباد الذين قال فيهم الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾¹.² المرجع المتأخر ذكره في السياق اللغوي للنص، فهي بالتالي إحالة نصية بعدية.

2- (هُم) ضمير الغائب البارز المتصل في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بهم) و(تركناهم) و(أتيناهم) حيث عاد على العباد المصلين.

ففي الموضع الأول اقترن الضمير (هم) بحرف الجرَّ الباء في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وهو أعلم بهم) إذ ورد في جملة الحال، ومعناه هو أعلم بالمصلين من الملائكة؛ فحذف صلة فعل التفضيل³ وقد تأخر التلّفظ بالمحال إليه عن الإحالة الضميرية ليأتي ذكره في الجملة الاستفهامية الموالية لها مباشرة (كيف تركتم عبادي؟)، فهي إذن إحالة نصية بعدية يبرز دورها هنا في الربط الجملي والاستمرار الدلالي بنسج خطية النص بالمتوالية الجمالية، فترتبط اللفظة باللفظة أو اللفظة بالجملة أو الجملة بالجملة أو يجمّل النص جميعاً.

أمّا الضمير (هُم) في الموضعين الثاني والثالث (تركناهم) و(أتيناهم) جاء مفعولاً به، وهو في سياق جواب الملائكة لسؤال الله عزَّ وجلَّ لهم حَوْلَ حال المصلين من عباد الله المؤمنين، فهي إحالة نصية قبلية لوجود المحال إليه مذكوراً في ما سبق التلّفظ به (عبادي).

¹ الحجر : 42

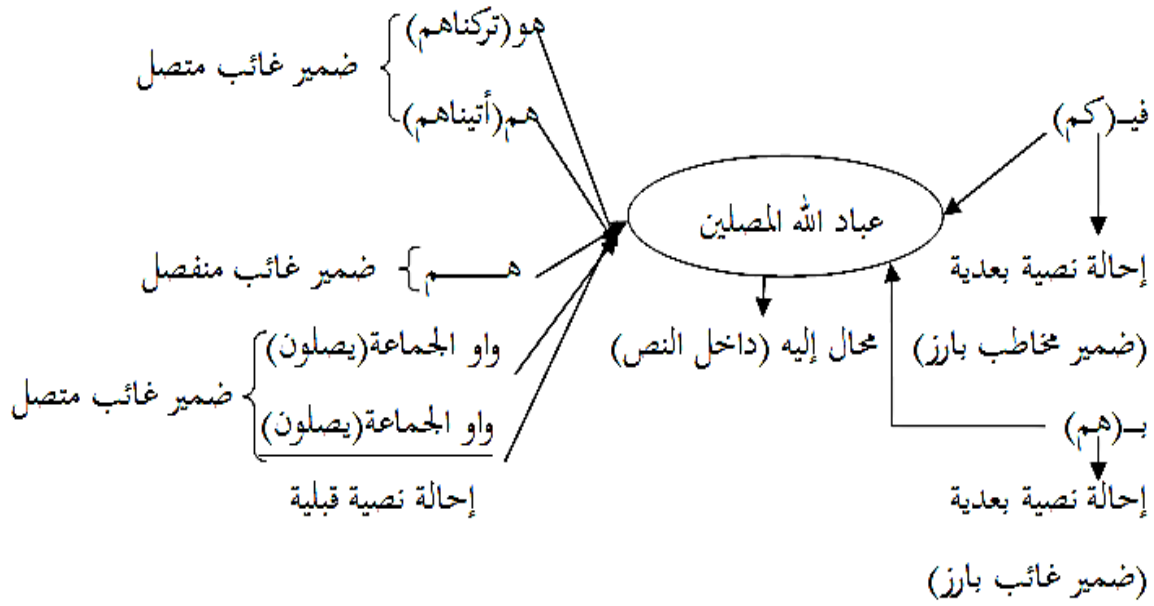
² بحجة النفوس، ابن أبي جرة، 1/ 355

³ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 87

3- وعلى المرجع نفسه عاد الضمير الغائب البارز واو الجماعة في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (يُصَلُّون) الوارد في الجملة الاسمية الحالية (وهم يصلّون) في جواب الملائكة عن حال المؤمنين عند لقائهم وعند تركهم، وإن كانوا قدّموا ذكر آخر الأعمال عن أولها (تركناهم وأتيناهم) لأنّ الأعمال بخواتيمها، وتأدّب مع الله في جوابهم¹. فهذه الإحالة إحالة نصية قبلية لسبق ذكر الحال إليه (العباد)، وقد أسهمت في تحقيق الاتساق النصّي على مستوى تتابع الجمل جمليّ الاستفهام والجواب .

هذه العناصر الإحاليّة الممثّلة في الضمائر الشخصيّة للمُخاطَب (كم) وضمائر الغائب (هم) و (واو الجماعة) ارتبطت كلّها بالعنصر الإشاريّ المذكور في النصّ إمّا سابقاً لها أو متأخراً عنها (العباد) أو (المصلّين)، فهذا العنصر الإشاريّ شكّل المستهدف والمقصود في هذا الحديث، ذلك أنّ السؤال والجواب كان حول حالهم، وكيف هم فاعلون مع ربّهم، ولهذا وجدنا أنّ هذه الروابط الإحاليّة جسّدت تلاحماً واتّساقاً نصيّاً ظهر في نظم ألفاظ الحديث، وسبّك جُملته لاسيما ما تعلّق منها بالحال، حال مفردة (كيف؟) أو جملة (وهو أعلم بهم) و (وهم يصلّون)، فارتبط السؤال عن الحال بالجواب عن الحال سواء كان التعبير عن الحال يحال مفردة، أو بحال جملة بواسطة أدوات إحاليّة ضميريّة حقّقت بذلك اتّساقاً في البنية وانسجاماً في الدلالة في هذا النصّ الحديثي . ويمكن إجمال هذه العناصر الإحالة وتمثيلها في المخطّط الآتي:

¹ ينظر : إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 497/1



الإحالة الثالثة:

هي تلك الإحالات العائدة على المرجع الثالث (الله عز وجل) الذي كان ذكره صريحاً في الحديث النبوي بلفظ (رَبِّهِمْ) ومُضْمَرًا بأنَّ عَوَضَتُهُ تلك الروابط الإحاليّة الدالّة عليه والعائدة إليه، وقد تنوّعت بين ضمائر شخصيّة منها للغائب المفرد (هو) والمتكلّم المفرد (الياء) وأداة المقارنة الخاصّة الكميّة اسم التفضيل (أعلم).

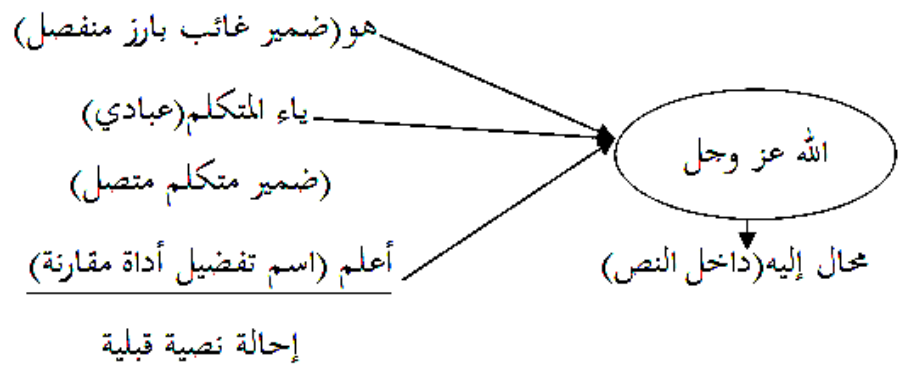
أمّا الإحالة الضميريّة (هو) قد جاءت في سياق سؤال الله عز وجل للملائكة في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (فيسألهم رَبِّهم وهو أعلم بهم)، فهي مع الواو الحالية السابقة لها ربطاً الجملة الحالية (وهو أعلم بهم) بصاحب الحال¹. إذ شكّل هذا الضمير إحالة نصية قبلية لعوده على محال إليه المذكور سابقاً في النص (رَبِّهم)

¹ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هاشم الأنصاري 2/ 581-582

- الضمير الشخصي (ياء) المتكلم ضمير متصل مضاف إليه اقترن بالمفعول به (عباد) جاء في قوله (ص) (كيف تركتم عبادي؟)، وقد خصّ الله جلّ جلاله العباد بإضافتهم إلى نفسه الجليلة بواسطة هذا الضمير ياء المتكلم بهذا التخصيص العظيم رحمة بهم¹. فهي إحالة نصية قبلية لسبق ذكر المحال إليه في النص.

- الإحالة المقارنة (أعلم) اسم تفضيل أداة مقارنة عامة كمية وردت في قوله صلى الله عليه وسلم (وهو أعلم بهم)، فاسم التفضيل هو الوصف المبني على (أفعل) لزيادة صاحبه على غيره في أصل اللغة، فالله عليم بكلّ شيء، وهو سبحانه وتعالى أعلم بالجميع من الجميع².

فهذه الأداة الإحالية لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية تقوم بوظيفة اتساقية³. وقد حُذِفَتْ صلة اسم التفضيل (أعلم) أي (أعلم بالمصلين من الملائكة)⁴، وقد عادت على الضمير (هو) العائد بدوره على المرجع الرئيس (الله) عزّ وجلّ. ويمكن أن نجمل هذه الإحالة في المخطّط التالي:



¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جرة، 1/ 355

² التصريح على التوضيح، الأزهرى، تح محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، 103/2

³ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص19

⁴ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 87

إنّ في استقراء ما في الحديث النبويّ الشريف من أدوات إحاليّة نلمس حضوراً قوياً على تنوّع في أشكالها، إذ بلغ عددها ثمانية عشر إحالة فضلاً عن كونها جميعاً إحالات نصيّة لِيُعَدَّ مُؤَشِّرًا قوياً ويعطي دلالة واضحة على وجود تناغم الجانب البنيوي للنص النبويّ مع الجانب الدلالي وبُعْده العقيدي، فنرى والله أعلم أنّ هذا النصّ الحديثي فيه إخبار بعالم غيبيّ عالم الأرواح والملائكة، لا نراه أو نحسّ به، لكنّ الإيمان به والاعتقاد بحقيقته أمرٌ لا ريبَ فيه عند عباد الله المؤمنين، فلهذا وجدنا أنّ هذا النصّ يفسّر بعضه بعضاً، ولا يحتاج القارئ فيه أو السامع إليه أو المتلقّي له الخروج عن النصّ بغية الوصول إلى بُعده الدلالي، ومسلكه العقيدي، ومطلبه التعبديّ ؛ فالمفسّر والمفسّر حاضران في النصّ، السائل والمجيب، المتكلّم والمخاطب والغائب، حضوراً صريحاً وحضوراً مضمراً، المحيل والمحال إليه، المشير والمشار إليه، الموصول والعائد عليه، بانتشارٍ وتوازنٍ منتظمين، هذا ما جعل من النصّ رسالةً عقديّةً تعبديةً عن طريق السرد والحوار، فتلاحمت مكوّناته السردية والخطابية في بنية نصية واحدة لها أثرها الوجداني، وفعلها الإيمانيّ في سلوك المؤمنين باستشعار نزول رسل ربّنا فينا، وبالمراقبة الإلاهية الدائمة والمستمرّة ما عاش العبد في حياته.

- نصّ الحديث السابع:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

يخاطبُ الرسولُ عليه الصلاة والسلام أُمَّتَهُ وخاصَّةَ الشباب الذين هم غرسُها النامي، وعتادها في مستقبل أيامهم أن يبادر الشباب منهم إلى الباءة (التزوُّج) متى كان قادرًا على أمور الزواج من النفقة، وما يتبعها حتّى لا تنزلَ به القدمُ في مهواة المعاصي وحمأة الشرور². لأنَّ الزواج أشدَّ غَضًّا وإحصانًا له ومنعًا من الوقوع في الفاحشة³، أو أنّ الإيمان يُغضُّ من بصر الشاب، ويُحصِّنُه، والزواج يُغضُّه ويُحصِّنُه أكثر وأكثر، ثمَّ يرشد الحديثُ العاجزَ عن الزواج أن يُكثِرَ من الصيام ويلتزمه لأنَّه بالإكثار والملازمة للصوم تخفُّ الشهوة، وتملك الغريزة. وإطلاق الوجداء على الصيام من مجاز المشابهة لأنَّ به - الوجداء - إذهاب شهوة الإنسان وقدرته الزوجية، والمراد هنا شدَّة تخفيف الصوم للشهوة إذا أكثر منه الإنسان⁴. ويمكن توضيح وإجمال عناصر هذا الحديث في المخطَّط الآتي:

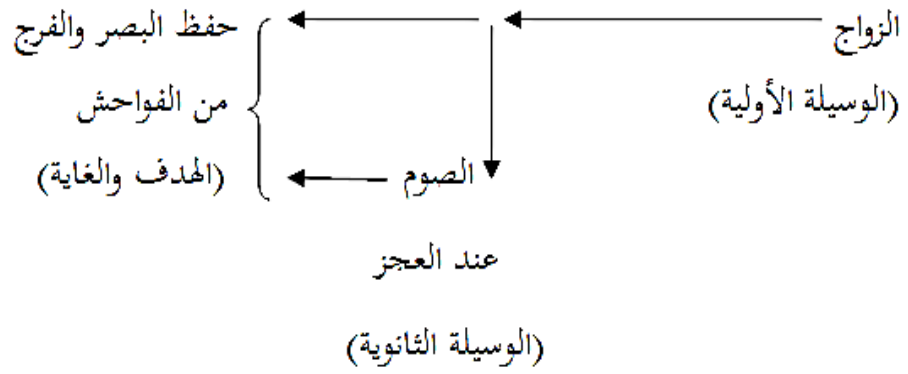
¹ جميع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة [87/ 1905]، ص 57. وفي صحيح

البخاري، ص 227 وجاء أيضا بلفظ آخر في كتاب النكاح (5065- 5066) ص 630- 631

² الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 242- 243

³ فتح الباري، العسقلاني 12/9

⁴ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص 300- 301، وفتح الباري، 14/9



- صُورُ الإحالات وأثرها في الحديث الشريف:

هذا الحديث النبوي الشريف قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ، يدعوهم خاصّة الشباب منهم إلى النكاح، ويرغبهم فيه لما له من أثر في صون العرض، وحفظ النفس من الوقوع في مزالق الهوى، والسقوط في شرك الفاحشة والزنى.

هذا النص الحديثي تكوّن من مقطعين شرطيين متوازيين طولاً، منسجمين أسلوباً متقابلين دلالةً، بالاستطاعة على الزواج في الأوّل، والعجز عليه في الثاني، الجواب بالحثّ على الزواج للمستطيع، وبالصوم للعاجز. يرميان إلى غرض كبيرٍ وهدفٍ جامعٍ هو صون شرف المؤمن، وغضّ بصره واجتناب محارم الله . المقطع الأوّل منهما [من استطاع الباءة.... للفرج]، والثاني [ومن لم يستطع.... وجاء].

إنّنا حين نستقري هذا النص النبوي نلمس اتساقاً في بنيته، وتلاحماً بين مكوّناته سواء اللفظية منها أو التركيبية بواسطة الأدوات الرابطة التي كان لها أثر واضح في تماسكه على مستوى الدلالة.

ومّا نكتفي به في هذا المقام هو الوقوف على تلك الروابط الإحاليّة لاسيما الضمائر الشخصية التي عملت على تحقيق هذا الارتباط الشكلي في البناء النصي للحديث، هذه العناصر الإحاليّة التي

ارتبطت بمراجع (عناصر إشارية) كان عودها عليها إما على مستوى الجملة الواحدة، أو على مستوى تتابع الجمل، وهذه المراجع هي:

- المرجع الأول: الشاب القادر والمتمكن من الزواج دلّ عليه اسم الشرط (مَنْ) المتبوع بجملة الشرط (استطاع...) التي حدّته .

- المرجع الثاني: الشابّ العاجز عن الزواج دلّ عليه اسم الشرط (مَنْ) المتبوع بجملة الشرط (لم يستطع...).

- المرجع الثالث: الزواج، وقد بيّن صلى الله عليه وسلّم أثره على الشابّ المؤمن المتزوج.

- المرجع الرابع: الصوم، وقد بيّن محمد صلى الله عليه وسلّم أثره على الشابّ المؤمن الصائم العاجز عن الزواج .

فنبينُ هنا مختلف الإحالات التي توزعت على هاته العناصر الإشاريّة، وقد تمثّلت فيما يأتي:

1- الإحالات العائدة على المرجع الأول وهي:

- الإحالة الضميرية (هو): الضمير المستتر للغائب بعد الفعل (استطاع) في جملة الشرط (استطاع

الباء) عائد على المحال إليه الأول (الشابّ المستطيع) المشار إليه باسم شرط (مَنْ)، وهو لم يُذكر

صراحةً إنّما يُفهم من السياق الخارجي للنص من خلال توجيهه عليه السلام للصحابيّ الجليل عبد الله

بن مسعود وغيره من شباب الأمة وترغيبهم في النكاح. كما أنّ للحديث رواياتٍ أخرى في كتاب

"الجامع الصحيح" تُرشّدنا إلى ذلك فيما نقله عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم

في حديثه مع علقمة في رواية زيد: « لقد كنّا مع رسول الله (ص) شبابًا فقال لنا... » وفي رواية عبد

الرحمان بن يزيد في الباب الذي يليه: « دَخَلْتُ مَعَ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ... »¹.

فالإحالة الضميرية (هو) إحالة مقامية لعودها على عنصر إشاري دلّ عليه السياق الخارجي للنص سياق الموقف، فمكانه مفهوم في عالم النص من خلال التركيز على الموقف الاتصالي². فالمناسبة التي قيل الحديث فيها، وشخص العملية الاتصالية في الحديث الشريف من خلال سنده تكشف بوضوح عن المحال إليه المقصود في حديث سيدنا محمد (ص) المرتبط بهذا العنصر الإحالي في هذا النص الحديثي.

- إحالة الضمير المستتر الغائب (هو) بعد الفعل المضارع (فليتزوّج ×) الذي بدوره سبق بلام الطلب - الأمر - التي تدخل على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً، وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين، ويقبل دخولها على المتكلم المفرد المعلوم.³

فالضمير الغائب (هو) المستتر العائد على المرجع نفسه (الشاب) أو الشباب القادرين على مؤونة الزواج ومتطلباته، فهي إذن إحالة مقامية نظراً لعدم ذكر المحال إليه صراحة، هذه الأداة الإحالية ساهمت في الربط النصي - مع الفاء الرابطة الجواب الشرط - بين جملة الجواب (فليتزوّج ×) وجملة الشرط (استطاع الباءة)، وهما جملتان متلازمتان لا يتم معنى الأولى إلا بالثانية للعلاقة بينهما، علاقة عليّة؛ فالشرط علّة الجواب، وعلاقة (تعليق) فالجواب مُعلّق على الشرط.⁴

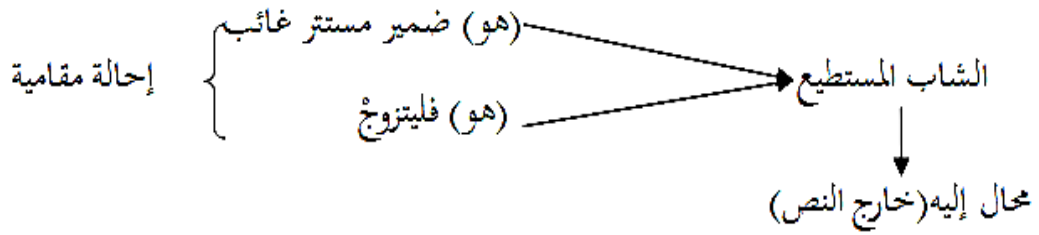
¹ فتح الباري العسقلاني 9/ 10- 11 وينظر: شرح صحيح البخاري ابن بطال، 7/ 161- 162، وصحيح البخاري، ص 630 - 631

² ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر تمام حسان، ص 332

³ ينظر: هامش شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هاشم الأنصاري، ص 96، وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 358

⁴ ينظر: التطبيق النحوي عبد الراجحي، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية مصر، ط2، 1420هـ/ 2000م، ص 318

و يمكن تمثيل مجمل الإحالات العائدة إلى المرجع الأول في المخطط الآتي:



2- الإحالات العائدة على المرجع الثاني هي:

- الإحالة الضميرية ضمير الغائب البارز المتصل (الماء): في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج) عاد على الزواج المفهوم من الفعل قبله، فعودة الضمير هنا إلى المرجع مُتَصَيِّد من النص إذ أنّ النحاة والمفسّرين حين وقفوا على النص القرآني، ولما لم يجدوا المرجع ظاهرًا صريحًا جعلوا المرجع في ذلك مفهومًا من الفعل المذكور في الجملة، ويكون من لفظه أو مِنْ وصفٍ مذكور قبله¹. وعليه فالإحالة هنا إحالة نصيّة قبلية ترجع إلى مُحَالٍ إليه سبق التلقُّظ بفعل من لفظه (الزواج فليتزوّج)، وقد عمل ~~هنا~~ العنصر الإحالي زيادة على الاختصار والإيجاز في الربط بين الجملة الاسمية (فإنه أغضّ للبصر) بالجملة الطلبية السابقة لها (فليتزوّج)، هذا التلاحم مع ما فيه من أدوات الربط الأخرى قد أفاد بهذه الإضافة الجمالية بيان السبب الذي من أجله أمر النبي صَلَّى الله عليه وسلّم الذي يستطيع الباءة بالنكاح غضًا لبصره، وتحصينًا لفرجه من المحارم².

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 16، والمعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، ص 133، والتركيب والدلالة والسياق دراسات تطبيقية، محمد أحمد خضر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر 2005م، ص 114 - 115

² شرح صحيح البخاري، ابن بطال 162/7

الإحالتان المقارنتان أغض وأحصن اسما تفصيل مصوغات من الفعلين غض وحسن إذ دلت الأولى على شدة الكف عن النظر إلى المحرم أي أشد غضا للبصر، ودلت الثانية على شدة المنع من الوقوع في الفاحشة أي أشد إحسانا ومنعا¹ هذه لعفة والطهارة تتحقق بالزواج.

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم اسمي التفضيل في هذا الحديث للإحالة إلى الزواج، وتبيانا لأثره على الشاب المؤمن إذ قال عليه السلام (أغضّ للبصر وأحصن للفرج) ولم يقل (بأنّه يغضّ البصر ويحصن الفرج) لأنّ المرء مأمور ابتداءً بغضّ البصر، وتحصين الفرج وما معه من هذا غير القليل، فكان الزواج عونًا له على كثرة غصّ بصره، و تحصين فرجه من مغريات النفس ومحارم الله².

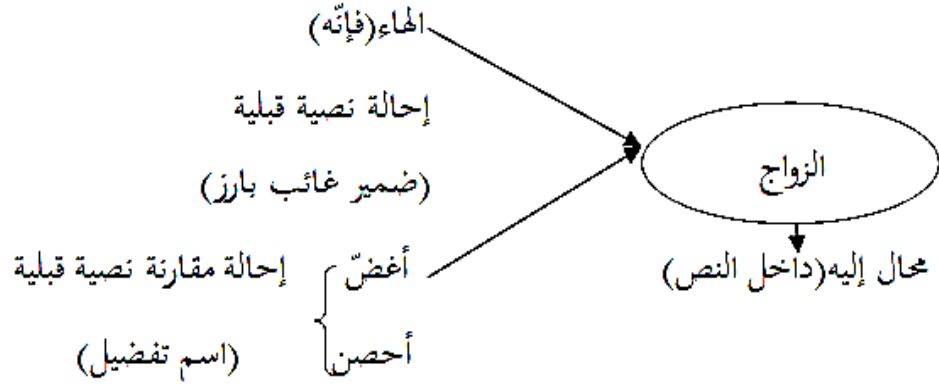
كما نُلفتُ أيضًا في هذا المقطع (أغضّ للبصر وأحصن للفرج) إلى سبق البصر للفرج لأنّ أول مراحل الزنى النظر المحرم، فالبصر بوابة للفعل القبيح، وههنا تحذير شديد أفاده فنّ الحديث في ترتيب القضايا³. فكلٌّ من الإحالتين (أغضّ) و(أحصن) إحالة مقارنة خاصة كمّية، وهما إحالة نصيّة قبلية عادت على المرجع المذكور سابقا (الزواج) جاءتا خبرًا عنه في جملة اسمية مبدوءة بـ (إنّ) لتوكيد حقيقة الزواج، وفاعليته في الشاب المسلم.

ويمكن تمثيل مجمل هذه الإحالات في المخطط التالي:

¹ فتح الباري، 12/9 والأدب النبويّ محمد عبد العزيز الخولي، ص 242

² بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 729/1 - 730

³ في ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، ص 301



3- الإحالات العائدة إلى المرجع الثالث:

1- ضمير الغائب المستتر (هو): في قوله صلى الله عليه وسلم (مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ) في مقابلة ما استهلّ به سيّدنا محمد (ص) حديثه عن الشابّ القادر (مَنْ اسْتَطَاعَ) فالمحال إليه خارج النص لم يسبق التلقّظ به صريحاً وإن كانت أداة الشرط أشارت إليه، فسياق الموقف أمكّن من فهم المقصود بهذا الإخبار. فالمرجع خارجي وعليه فالإحالة الضميرية (هو) إحالة مقامية .

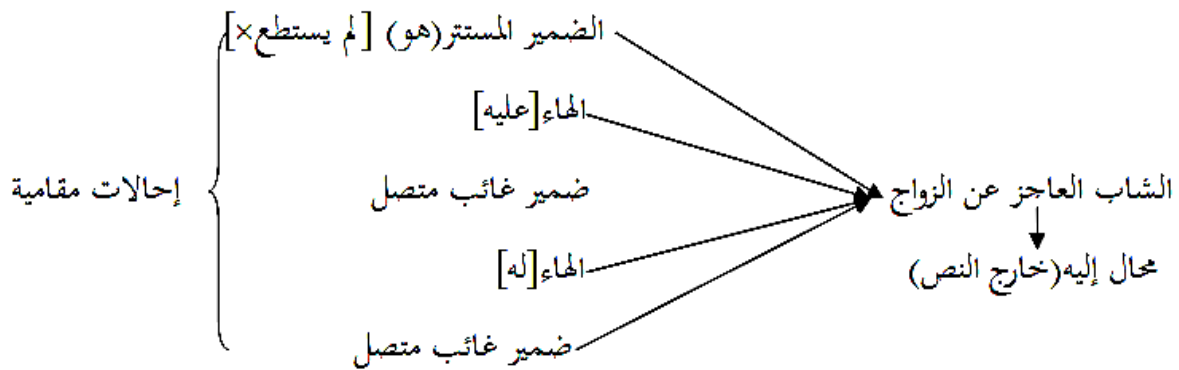
2- الإحالة الضميرية (الهاء): ضمير بارز متصل للغائب في قوله صلى الله عليه وسلم (فعليه بالصوم) اختلف النحاة في هذا القول، فقليل من إغراء الغائب، فعليه اسم فعل أمر، والباء زائدة في المفعول أيّ فليزِم الصوم، ولا تكأُ العرب تغري إلاّ الشاهد تقول: عليك زيداً. ولا تقول: عليه زيداً إلاّ في هذا الحديث . وهذا شاذّ . وقال ابن عصفور الباء زائدة في المبتدأ، فالصوم مبتدأ مؤخر، وعليه جار ومجرور خبرٌ مقدّم، أيّ فالصوم كائنٌ عليه، وهو من قبيل الإخبار لا الأمر، فيكون النبيّ (ص) أخبر بأنّ عليه الصوم إمّا على سبيل الوجوب إنّ خاف العنت، أو على سبيل الندب إنّ لم يخفه¹. ومهما كان الأمر في هاتاه الأَقوال و التخریجات في تقدير النحاة فإنّ الهاء عنصرٌ إحاليٌّ يظلُّ عائداً

¹ ينظر: فتح الباري 13/9، وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص166

على المحال إليه غير المذكور (الشاب العاجز)، فهو إحالة مقامية ساهمت في تحقيق الارتباط النصي، وتلاحم جملتي الجواب والشرط (من لم يستطع فعله...) فضلاً على الربط بالفاء الرابطة للجواب .

3- على المرجع نفسه - الشاب العاجز - يعود الضمير المحرور بعد اللام ضمير الغائب البارز المتصل (الهاء) في قوله صلى الله عليه وسلم (فإنه له وجاء)، فهو إحالة مقامية ثالثة . المحال إليه (الشاب العاجز) عن الزواج الملازم للصوم.

إذن دور هذا الضمير كواحد من العناصر الإحالية هو ربط جملة السبب المؤكدة بإن (إنه له وجاء) بجملة الشرط والجواب (من لم يستطع فعله بالصوم)، فربطها كان على مستوى التابع الجملي لسلسلة الجمل الثلاثة وتدرجها الدلالي (لم يستطع)، (فعلیه بالصوم)، (فإنه له وجاء)، إذ شكّلت هذه الضمائر الإحالية مسلكاً دلاليّاً جمعت فيه الجمل الثلاثة، فتلاحمت مكوّناتها، وتوحدت في التعبير عن فكرة واحدة مشتركة، وهي تدور حول الصوم، وفاعليته في الشاب العاجز عن الزواج . ويمكن تمثيلها في المخطط الآتي:



4- الإحالات العائدة على المرجع الرابع (الصوم):

على هذا المرجع الأخير عادت إحالة واحدة تمثلت في الضمير الغائب البارز المتصل (هاء) في قوله صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّهُ) إذ عاد العنصر الإحالي على العنصر الإشاري المذكور في السياق اللغوي للنص، وقد طابقه في الجنس والعدد، فسَبَقَ التلْفُظُ به في الجملة السابقة لها (فعليه بالصوم) (فإنَّه...) .→

فالإحالة نصية قبلية وقد عملت مع غيرها على تحقيق التلاحم والارتباط بين جملتين جملة السبب والمسبب اللتين تضمّنتا المحال إليه والمحال على الترتيب. ومما نُشِيرُ إليه هنا أنّ الإحالة الضميرية (هاء) سُبِقَتْ بالسابقة (إنّ)، وفي هذا تأكيد لما هو مُؤَكَّد في قول المصطفى، وتثبيتٌ للإخبار حَوْلَ فاعلية الصوم وأثره على الشاب الذي لا يقدرُ على الزواج في صوْنِ عرضه، وحفظ دينه من مزالق الشيطان وأهواء النفس.

- نصّ الحديث الثامن:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِي بِمَالِي كُلِّهِ. قَالَ: «لَا». قُلْتُ: فَالْشَّطْرُ قَالَ: «لَا». قُلْتُ الثُّلُثُ. قَالَ: «فَالثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَنْتَفَعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ». وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا ابْنَةٌ¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

يُشِيرُ هذا الحديث الشريف إلى نوعٍ مما كان المسلمون في عهد الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم يبتغون مِنْ تَخْيِيرِ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ. فهذا الصحابيُّ الجليل سعد بن أبي وقَّاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لما أَحْسَسَ بِثِقَلِ الْمَرَضِ، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ أَجْلُهُ قَدْ دَنَا، رَأَى أَنْ يُوصِي بِثُلْثِي مَالِهِ صَدَقَةً، وَيَتْرَكَ الثُّلْثَ لَوَرَثَتِهِ، فَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي النِّصْفِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الثُّلْثِ فَأْذَنَ لَهُ .

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمره، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، [2741/124]، ص 76، وفي صحيح البخاري، ص 322

وقد بيّن له النبيّ صلى الله عليه وسلّم ولسائر المسلمين الثواب والأجر الذي يلحق المتصدّق ليس قبل موته فقط بل ثوابه أيضًا في ترك أولاده وورثته في غنى عن المسألة والحاجة، حتى لو كانت الصدقة بسيطةً، وحتى اللقمة التي يضعها في فم زوجته يتغني بها وجه الله.¹

ففي توجيهه عليه السلام جوّز الوصية بالثلث حفظًا لحقّ الورثة من مال الميت في الوقت نفسه حفظ حقّ العباد، وحقّ ربّ العباد، كما لفت إلى ذلك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إذ يقول: «واعلم أنّه قد أُقيِمَ النظامُ البشريّ على اعتبار أواصر كثيرة: أعلاها آصرة القرابة الزوجية، فلذلك اعتبرها الإسلام مُوجِبًا لانتقال مال الميت بعده تأكيدًا لتلك الآصرة. والإشراف على الموت يشرف بالمال على مصيره حقًا للأقارب، وقد ترك الله منه حقًا لربه أن يوصي به لمن يشاء، وحدّده بأن لا يكون مُضَارًّا، فجمعت السنة بين حقّين، وأبقت حقّ الوصية محترمًا؛ فلذلك لم تجز الوصية للوارث، وجعلت حقّ القرابة محترمًا، فلم تجز وصيةً بأكثر من الثلث.²

- صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث:

تكوّن هذا الحديث النبويّ من جملة من المقاطع وهي أربع: المقطع الأول يُعدّ المقطع الرئيس الذي بُني عليه النص النبويّ، وما تبعه من مقاطع فصّلت، وعلّلت، وبَيّنت الحكمَ المجمل، والجواب المكثّف الذي أسداه النبيّ (ص) للصحابيّ الجليل سعد بن أبي وقاص حين سأله عن الوصية بأكثر من الثلث.

¹ ينظر: الأدب النبويّ، محمد عبد العزيز الخولي، ص 230، وفتح الباري، 472/5-473

² النظر الفسيح عن مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، دار سحنون للنشر والتوزيع ط3، 1433هـ/2012م، ص 84

المقطع الأول [فالثلث والثلث كثير]:

جاء هذا المقطع من النص جواباً صادراً من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لسؤال من سعد بن أبي وقاص حول الوصية، فبيّن النبي أنّ الوصايا مقصورة على ثلث مال الميت، وهو محلّ إجماع العلماء.¹

هذا المقطع ابتدأ بلفظ (الثلث) منصوباً على الإغراء، أو مرفوعاً على الفاعل أي (يكفيك الثلث) أو على تقدير الابتداء والخبر محذوف (الثلث كافٍ)، أو العكس. وعطف عليه (الثلث كثير) يحتمل أن يكون التصديق بالثلث هو الأكمل أي كثير أجره، ويحتمل أن يكون معناه كثير غير قليل.²

المقطع الثاني [إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ.....أَيَدِيهِمْ]:

هذا المقطع مبدوء بإنّ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح بتقدير حرف الجرّ أي لَأَنَّكَ³. فعلى الفتح تكون الجملة للتعليل⁴. بيانه صلى الله عليه وسلم علة تجويزه فقط بالثلث في الوصية حفظاً لحقّ الورثة.

المقطع الثالث [إِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ.....أَمْرَأَتُكَ]:

جملة تعليلية معطوفة أراد منها عليه السلام علة للنهي في الوصية بأكثر من الثلث كأنه قيل لا تفعل لَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ تَرَكْتَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، وَإِنْ عَشْتَ تَصَدَّقْتَ وَأَنْفَقْتَ فَالْأَجْرُ حَاصِلٌ لَكَ فِي

¹ ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 144/8، وبهجة النفوس، ابن أبي جرة، 136/2-137

² ينظر: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 5/5-6

³ المصدر نفسه، 5/5. وكشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تح علي حسين البوّاب، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1،

1418هـ/1997م، 232/1-233

⁴ فتح الباري، 473/5

الحالتين. ففي هذا إخبار منه عليه السلام أنّ كلّ ما يُنْفَق هو مِنْ نفقةٍ فإنّه يُؤَجَّر عليها حتّى اللّقمة يجعلها في في امرأته، وفيه تسليّة بهذا القول من أجل ما منعه من الصدقة من ماله كلّ من أجل وجع قلبه على قوّة ذلك الأجر.¹

المقطع الرابع [وعسى الله أن يرفعك ...]:

أنهى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حديثه هذا بهذا المقطع الذي دلّ على الدعاء لسعد بن أبي وقاص بالرفعة في الدنيا، والبركة في عمره، وطول حياته، به يرتفع أهل الحقّ، ويذل أهل الباطل²، وقد حقّق الله له ذلك، فقليل أنّه عاش بعد ذلك قريباً من خمسين سنة، عاش حتّى فتح العراق وغيره وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم، وتضرّر به الكفر في دينهم ودنياهم³.

لقد ارتبطت المقاطع الثلاث الأخيرة فيما بينها، كما ارتبطت بالمقطع الأوّل دلاليّاً بواسطة عدّة روابط لفظية ومعنويّة، ثمّ إنّ تلك الروابط لاسيما العناصر الإحاليّة على اختلاف أنواعها تمخّورت على خمسة عناصر إشاريّة شكّلت هندسة الحديث، تلاحمت عناصر بنيته. وهذه المراجع على الترتيب كما جاءت في الحديث هي: سعد بن وقاص، الورثة، نفقة، اللقمة، تركّ الورثة، لفظ الجلالة الله.

¹ بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 138/2 والحوار في الحديث النبويّ تراكيبه وصوره، ص 114

² المصدر نفسه، 142/2

³ صحيح مسلم بشرح النووي، 11 / 78، و إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 6/5.

لقد اشتمل هذا النص الحديثي على عددٍ من العناصر الإحاليّة بلغ تسعة عشر رابطاً إحاليّاً، منها سبعة عشر ضميراً شخصياً وإحالة مقارنة، والأخرى اسم موصول، توزعت هذه الإحالات على العناصر الإشارية المذكورة سالفاً . نُبيّنُها فيما يأتي:

1-الإحالات العائدة إلى المرجع الأول سعد بن أبي وقاص:

في النصّ عددٌ كبيرٌ من الروابط الإحاليّة العائدة على هذا المرجع إذ بلغ عددها إحدى عشر إحالة جميعها ضمائر المخاطب، انتشرت عبر جمل وتراكيب هذا الحديث. ولا يمكن بدون الرجوع إلى السياق المحيط بالنص فهمها، و إدراك العنصر الإشاري التي تحيلُ إليه . هذه الضمائر هي:

-كاف الخطاب ضمير المخاطب المتصل في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: (إنّك)، (ورثتك)، (إنّك)، (امراتك)، (يرفعك)، (بك)، (بك).

- (أنت) ضمير المخاطب المستتر في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: (أَنْ تدع - تدعهم - ترفعها)

-تاء المخاطب في قوله: (أنفقت)

فهذه الضمائر لا يمكن معرفة مرجعها الذي تحيلُ إليه، وفهمه فهمًا سليماً إلاّ بربط النص بسياق الموقف، والمناسبة التي قيل فيها، فمن غير ذلك تظلُّ الضمائر الإحاليّة مبهمّة الدلالة، غامضة الإشارة، هذا ما يؤكّد على أهميّة السياق ودوره في التحليل النصي، و الوصول إلى أغراضه الدلاليّة، وأبعاده التداوليّة . من هنا فيمكن القول أنّ هذه الإحالات هي إحالات مقامية على تنوّعها بين ضمائر بارزة ومستترة، فالمخاطب فيها واحدٌ، وهو الصحابيُّ سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- الذي لم يذكر صريحاً في النصّ إنّما دلّ عليه السياق الخارجي المحيط بالنص، ومناسبتة التي تمثّلت فيما

ذكره سعد في استشارته النبي (ص) في الوصية بماله كله أو شطره أو ثلثه، وهو ما ورد في سند الحديث.¹

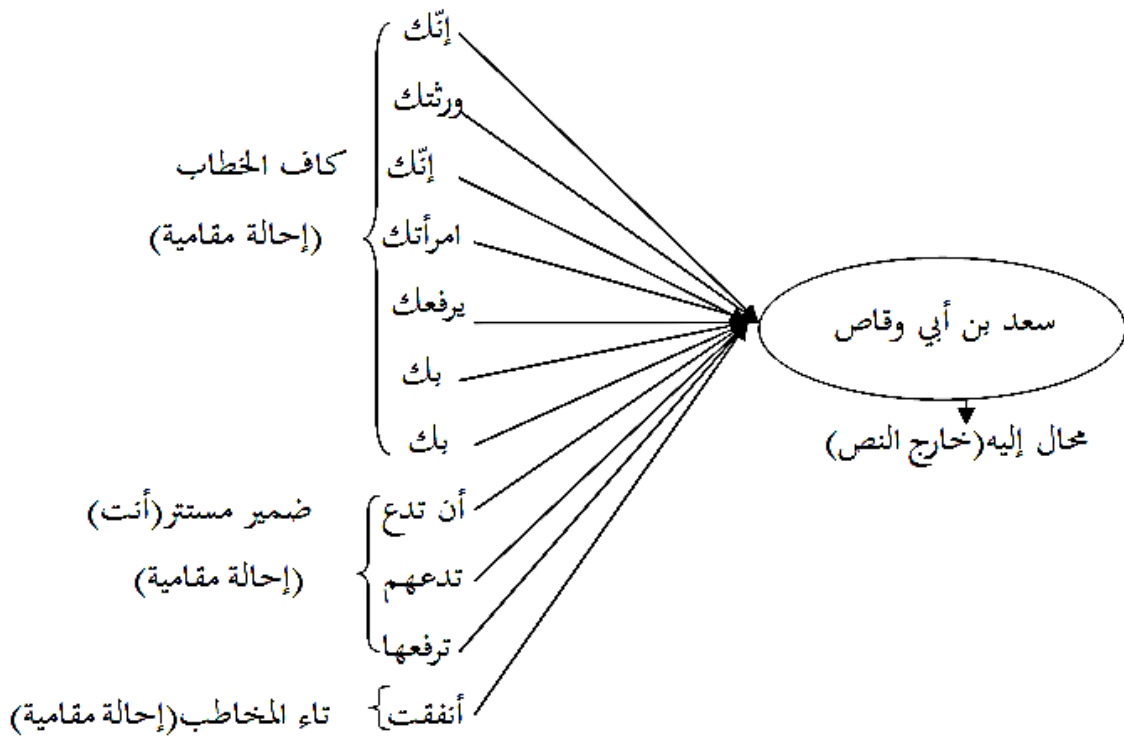
إنّ ما يمكننا ملاحظته في هذه العناصر الإحاليّة شيئين: الأمر الأوّل الحضور المكثّف بهذا العدد - إحدى عشر ضميراً - دليلٌ على أهميّة هذا العنصر، فهو طرف فاعلٌ، وعاملٌ مهمٌّ لدوره المحوريّ في النصّ كونُهُ هو السائل، وهو المتلقّي، وهو صاحب القضية الجوهرية في تحمّل مسؤولية ماله وكيفية التصرف فيه وفق ما حدّده الشرع الحكيم بناءً على توجيهه له عليه السلام.

والأمر الثاني توّزع هذه العناصر الإحاليّة عبر تفصلات النصّ الحديثي، فيه مؤشّر قويّ على ارتباط وثيق لجميع جزئيات النصّ من تفصيلات وتعليقات وأخبار بقضية واحدة تقوم على الشخصية المحورية المركز في النصّ، الصحابيّ الجليل سعد بن أبي وقاص، وهو كمثالٍ حيّ لكلّ واحدٍ من المسلمين؛ ذلك أنّ خطاب الشرع للواحد يُعمّم كلّ مَنْ كَانَ على صفته من المكلفين لإجماع العلماء على أنّ هذا الحكم عامٌّ، وليس مختصّاً به سعد.²

ويمكن إجمال الإحالة المرتبطة بالمرجع الأوّل في المخطّط الآتي:

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، ص 76، وصحيح البخاري، ص 332، وينظر: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، ابن حمزة الحسيني، مطبعة البهاء حلب سوريا، 1329هـ، ص 17

² الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 232



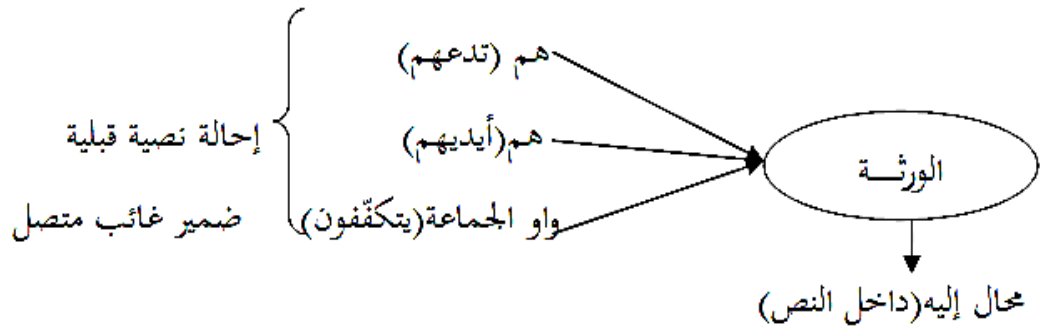
2- الإحالات العائدة على المرجع الثاني (الورثة):

في النص ثلاثة ضمائر شخصية كلّها للغائب، تعود على (الورثة) المحال إليه المذكور في سياق التعليل للحكم العام الذي وضّحه محمد (ص) (الثلث والثلث كثير) في صدارة النص. هذه الضمائر هي: (هم) الضمير المتصل في قوله صلى الله عليه وسلم (تدعهم) و(أيديهم) و(جماعة) في قوله (يتكفّفون)، وهي مجتمعة في المقطع الثاني من النص النبوي .

هذه الروابط الإحالية الثلاث هي إحالات نصية قبلية لسبق التلقظ بالمحال إليه في النص، وقد أسهمت في ربط العناصر والأجزاء المكوّنة للمقطع الثاني [إِنَّكَ أَنْ تَدْعَ وَرِثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٍ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ]. فالعناصر الإحالية (هم) و (واو الجماعة) حَقَّقَتْ تَمَاسُكًا نَصِيًّا وَاضِحًا إِذْ رُبِطَتِ الْجُمْلَةُ التَّعْلِيلِيَّةُ الْمَبْدُوءَةُ بِ (إِنَّكَ) وَالتِّي تَضَمَّنَتْ الْمَحَالَ إِلَيْهِ مَعَ الْجُمْلَةِ التَّابِعَةِ لَهَا (أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً) مَعَ الْجُمْلَةِ الْحَالِيَةِ (يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ) لِتَرْتَبُطَ جَمِيعًا بِالْعَنْصَرِ الْإِشَارِيِّ

(الورثة) الذي هو بدوره مرتبط بالمرجع الأول (سعد بن أبي وقاص) ارتباطاً وثيقاً، ارتباط الفرع بالأصل، أو الوارث بالموروث، أو القريب بقريبه.

ويمكن إجمالها في المخطط الآتي:



3-الإحالات العائدة على المرجع الثالث (نفقة):

هي إحالة واحدة تمثلت في ضمير الغائب البارز (الهاء) في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (فإنّها صدقة) إذ جاء الضمير متصلاً بـ (إنّ)، فهو اسمها متبوعاً بخبرها (صدقة) مُشكّلة مع بعضها جواب الشرط إذ يرتبط بجملة الشرط السابقة لها (مهما أنفقت من نفقة) بواسطة هذا العنصر الإحالي العائد على المرجع المذكور سابقاً لها (نفقة)، وقد تطابقت في الجنس والعدد لترتبط الجملتان المتلازمتان الشرط والجواب بواسطة هذا العائد، فضلاً عن أداة الشرط والفاء الرابطة، إذن هذه الإحالة إحالة نصية قبلية حققت اتساقاً شكلياً وتماسكاً دلاليّاً بين جملتي الشرط والجواب.

4-الإحالات العائدة على المرجع الرابع (لقمة):

وهي إحالتان، الأولى ضمير شخصي للغائب البارز (الهاء)، والثانية الاسم الموصول (التي) في قوله صَلَّى الله عليه وسلّم (حتّى اللقمة التي ترفعها)، كلاهما يعود على المحال إليه الذي سبق التلّفظ به في الجملة نفسها (اللقمة) باعتبار (اللقمة) محرورة على أنّ حتّى جازة، وبالرفع (اللقمة) لأبي ذر على أنّها

ابتدائية، والخبر جملة (ترفعها) بغير التي، وبالنصب عطفاً على نفقة باعتبار محلّه على أنّها عاطفة، ولغير أبي ذر (التي ترفعها)¹.

فمهماً اختلفت توجيهات النحويين وتأويلاتهم فإنّ العنصرين الإحاليين الموصول (التي) والضمير الشخصي (الهاء) رابطان عملاً على تحقيق اتّساق نصيٍّ على مستوى عناصر الجملة الواحدة.

5- الإحالات العائدة على المحال إليه (تَرْكُكُ):

(تَرْكُكُ) المفهوم من المصدر المؤوّل (أَنْ تَدَعُ) المذكور في السياق اللغوي للنص في تأويل مصدر مبتدأ، والتقدير (تَرْكُكُ ورثتك أغنياء) و(خيرٌ) خبر على تقدير (فهو خيرٌ)²، فالإحالة هي (خيرٌ) اسم تفضيل إحالة مقارنة نصية قبلية أفادت تفضيله عليه السلام تركّ الورثة أغنياء بما يرثونه عن الآباء عَنْ أَنْ يُتْرَكُوا فقراء يمدُّون أَكْفَهُمْ استجداءً إلى الناس.³

6- الإحالات العائدة على المرجع الخامس لفظ الجلالة (الله):

إحالة واحدة تَمَثَّلَتْ في ضمير الغائب المستتر (هو) في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن وقّاص أي (عسى الله أَنْ يرفعك ×)، فهذا العنصر الإحاليّ إحالة نصية قبلية أدّت دورها في ربط جملة الخير المنصوبة (أَنْ يرفعك) باسم عسى لفظ الجلالة المرفوع الله، فحقّقت بذلك اتّساقاً نصياً على مستوى الجملة الواحدة، الفعل عسى ومعموليه اسم وخبره.

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 215، وإرشاد الساري شرح صحيح البخاري، القسطلاني 6/5

² المصدر نفسه ص 214

³ الأدب النبويّ، محمد عبد العزيز الخولي، ص 84

إذن فمجمّل الروابط الإحاليّة في هذا النصّ الحديثيّ بلغ تسعة عشر رابطاً، تنوّعت بين ضمائر شخصية والتي كان لها حضورٌ كبيرٌ، وغالبيةً واضحةً لاسيما ما تعلّق منها بالمرجع الأوّل (سعد بن أبي وقّاص) كونه الذات الفاعلة المرتبط بها محور موضوع الحديث، إضافةً إلى إحالتين إحداها مقارنة اسم التفصيل (خيرٌ)، وإحالة موصولة (التي) .

إنّ في توزيع وانتشار هذا الكمّ من الاحالات ساهم في ربط جمل النص، ومقاطععه لا سيما الجملة الأولى النواة التي تُمثّلُ الإجمال، وربطُها بما يتبعُها من الجمل التي تأتي في سياق التفصيل والبيان والتعليل للحكم العام والموقف الشرعي منه عليه السلام في الوصية بالثلث، مِنْ هُنَا كانت وحدة موضوع الحديث هي الوسيلة النصية الأولى التي حقّقت التماسك الدلاليّ للنصّ الحديثيّ، وقد عملت العناصر الإحاليّة بمختلف أنواعها على اتّساق جميع مكوّنات النص وتلاحم عناصره اللفظيّة منها و الجمليّة .

إنّ أهمّ ما نخلص إليه من دراسة في هذا الفصل هو:

- أنّ الإحالة هي رابطة و أداة من أدوات الاتساق النصي التي تجعل من النص بنية واحدة تسهم بقدر كبير في تلاحم مكوّناته جملاً وتراكيب، وفهم دلالاته سواء في بنيته الداخلية أو من خلال العودة إلى سياقاته الخارجية انطلاقاً من عنصرَيْها الرئيسين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي. و لها قسمان: نصيّة (داخلية)، ومقامية (خارجية)، والنصيّة تتفرّع بدورها إلى إحالة قبيلة وأخرى بعدية، كما أنّ للإحالة أربعة عناصر أو أدوات وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، واسم الموصول .

- إضافة إلى ذلك نجد حضوراً معتبراً للروابط الإحاليّة وتنوّعاً في صورها بين الضمائر، والإشارة، والموصول، مع تعدّد في العناصر الإشاريّة في النصّ النبويّ شكّل منه نسيجاً نصيّاً ارتبطت عناصره، وتلاحمت مكوّناته كلماتٍ وجملًا، فتحقّق فيه الاتساق النصّي فضلاً على كونه - الحديث النبويّ - رسالة نصيّة جاء جواباً لسؤال أو توضيحاً لإبهام، أو حتّى على خير، أو نهيًا عن منكر، أو ترغيباً في برّ وفضل، أو ترهيباً من ذنبٍ وشرٍّ وغير ذلك من تنوّع في أسلوب الخطاب النبويّ، وتعدّد في أغراضه، فمحمّد ﷺ هو الموجيه، وهو الأمر، وهو الناهي، وهو الموجه والمرشد، وهو المحاور، وهو المفسّر و الشارح، وهو في كلّ الحالات المرسل، والصحابيُّ أو جماعة الصحابة أو سائر المؤمنين همّ المتلقّي أو المرسل إليه .

الفصل الثاني: الاستبدال في أحاديث الكتاب

- توطئة
- المبحث الأول: مفهوم الاستبدال وأصنافه
 - أولاً : مفهوم الاستبدال
 - ثانياً : أنواعه (اسمي - فعلي - قولي)
 - ثالثاً : دور الاستبدال في تماسك النص
- المبحث الثاني: حضور الاستبدال في الحديث النبوي ودوره التركيبي و الدلالي
 - نصّ الحديث النبويّ و شرحه و المجمل
 - صُور الاستبدال و أثره في الحديث النبويّ

توطئة:

إذا كان حديثنا في الفصل الأول كان مُنصَّبًا على الأداة الاتساقية الأولى "الإحالة"، وأنواعها وحضورها في الحديث النبوي الشريف وأثرها في تحقيق تماسكه من خلال ربط مكُوناته بأشكالها المختلفة وأصنافها المتعددة، فإنّ من أدوات الاتساق أيضًا ما يُسمّى "الاستبدال"، الوسيلة العلائقية الثانية العاملة على تحقيق الترابط النصي، وإن كانت تختلف شيئًا ما عن الإحالة في جوانب، وتتقارب بل تتطابق معها أحيانًا في جوانب أخرى، حتى أنّ بعض الدارسين من عدّها - الاستبدال - فرعًا من فروع الإحالة لعملها على تعويض عنصر لغويّ بعنصر لغويّ آخر، ويحلُّ محله، في حين ذهب آخرون إلى عدّها متضمّنة في الأداة الاتساقية الثالثة (الحذف) لاختفاء العنصر المحذوف وإحلال محله العنصر البديل، الاستبدال أثري والحذف استبدال صفري.¹

إذا نُحاوَل في هذا الجزء من البحث الكشف عن هذه الرابطة وأصنافها المختلفة، والعمل على إظهار مدى حضورها في النص النبويّ، ومالها من دورٍ في تحقيق الترابط بين مكُوناته، والاتساق في بنيته، والانسجام في دلالاته لاسيما أنّها تتمّ على المستوى النحوي والمعجمي داخل النص.

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 19 - 21. وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 199/2 - 203. ومدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي، ص 91.

المبحث الأول: مفهوم الاستبدال وأصنافه.

أولاً - مفهوم الاستبدال:

- لغة:

الاستبدال مصدر على وزن (استفعال) من الفعل (استبدل) المزيد بثلاثة أحرف الهمزة، والسين، والتاء، وأصله (بدل). ذكر ابن منظور: «بدل القراء: بَدَل وِبَدَل لعتان، ومثلٌ و مثْل، وشبهه و شَبَّه، ونَكَلَ ونَكَلَ... والبديل: البَدَل . وبدل الشيء: غيره...»

وتَبَدَّل الشيء وتَبَدَّل به، واستبدله و استبدل به، كُلُّهُ: اتَّخَذَ منه بدلاً. وأَبْدَلَ الشيءَ بغيره وبَدَّلَهُ اللهُ من الخوف أَمْنًا... واستبدل الشيء بغيره و تبدَّلَ به إذا أخذه مكانه.

والمبادلة: التبادل . والأصل في التبدل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل الشيء مكان شيء آخر¹. وأَبْدَلَهُ غيره الشيء بغيره . ومنه اتَّخَذَهُ عَوْضًا منه وخلفًا له. بادل الشيء بغيره مُبادلةً وبدالاً، أَخَذَهُ بدل. وفلانًا: أعطاه شيئًا منه بدله، وبدل الشيء: غيّر صورته، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾² . والبديل من الشيء، الخلف والعوض. والبديل: الخلف والعوض³.

والاستبدال هو عملية تقتضي استبدال مقطع لغوي بمقطع لغوي آخر ضمن مرسله، بحيث أنّ هذه الأخيرة تبقى مقبولةً دلاليًا ونحويًا، وبحيث أنّ تغيير الدالات يقود إلى تغيير المدلولات، مثال: يتم

¹ لسان العرب، ابن منظور، 343/1.

² النحل آية: 101.

³ ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، باب اللام، فصل الباء، ص 1237 - 1238. وتاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، يناير 1990م، ص 1633. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص 86 - 87.

الاستبدال بين (د) و (ج) في (دار) و (جار).¹ وفي البلاغة إحلال صفة أو اسم وظيفة أو لقب مكان اسم العلم، أو هو استعمال اسم علم للتعبير عن فكرة عامة، نحو استعمال كلمة (الفاروق) بدل (عمر بن الخطاب) ونحو إطلاق عبارة (عنتر زمانه) على من اشتهر بالقوة والشجاعة.² فالاستبدال إذن ينطلق من (البديل) ويدور مفهومه حول اتّخاذ البديل والتغيير، جعل الشيء مكان شيء آخر.

– اصطلاحاً:

إذا كان مفهوم الإبدال عند القدماء اللغويين عامّةً والعرب خاصّةً هو من ظواهر اللغات والعربية منها بخاصّةٍ يعني إقامة حرف مكان حرف آخر من الكلمة – بنحو لا إرادي – مع بقاء حروف الكلمة الأخرى، وهو مُقسَّم إلى قسمين إبدال صرفي وإبدال لغوي.³ فإنّ الإبدال أو الاستبدال عند علماء اللغة النصّيين لا يماثل الإبدال التابع في النحو العربيّ. فهو عند هالداي ورقية حسن عملية تتم داخل النص، تعويض عنصرٍ في النص بعنصرٍ آخر. وهو علاقة اتّساق شأنه في ذلك شأن الإحالة مع اختلافه عليها أنّه علاقة تتم في المستوى النحوي-المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنويّة تقع على المستوى الدلالي. وهو من جهةٍ أخرى وسيلة أساسيّة تُعتمد في اتّساق النص في داخله؛ أي أنّه نصّي.⁴ والحديث عن الاستبدال يعني الاستمرارية الدلالية، أي وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة بما يعوّضه أي العنصر البديل. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ

¹ المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام نوال عكاوي، ص68.

² المصدر نفسه، ص68.

³ ينظر: المعجم المفصل في فقه اللغة، مشتاق عباس معن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، ص29 – 30. وعلم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، 200/2 – 201.

⁴ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص19 – 20.

آيَةٌ فِي فِتْنَيْنِ التَّقَاتِ فِتَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ¹.

ففي هذه الآية استبدال كلمة (أخرى) -العنصر البديل- بكلمة (فتة) -المستبدل- أي وفئة كافرة.²

ومفهوم الاستبدال عند هارفع عرضه في بحثه عن دور الضمائر في تشكيل النص إذ أن الاستبدال يعني إحلال تعبير لغوي محل تعبير لغوي آخر معيّن. يسمّى التعبير الأوّل من التعبيرين المنقول المستبدل منه (Substituendum) والآخر الذي حلّ محله المستبدل به (Substituens)، وإذا وقع المستبدل منه والمستبدل به في مواقع نصيّة متوالية فإنّهما يقعان - حسب هارفع- في علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض. ويوجد في حالة الاستبدال النحوي بين المستبدل به والمستبدل منه مطابقة إحالية.³

أمّا دي بوجراند فقد تطرّق إلى الاستبدال ضمن ما سمّاه "الألفاظ الكنائية" التي قال عنها أنّها تُساعد على رفض بعض المحتوى الذي سبق التعبير عنه، كما أنّها نافعة إذا أُريدَ للشيء المعنيّ أن يظلّ غير محدّد ومثّل على ذلك باللفظ الكنائي (One). أضف إلى ذلك ما ذكره حول إمكانية استعمال الفعليّات (Pro. Verbs) لإعادة استعمال معلومات مبنية على أحداث مثل استعمال (do). وإمكانية إضافة اللفظ الكنائي (so) إلى اللفظ (do) من أجل استيعاب المادة المنوطة

¹ آل عمران الآية: 13.

² ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص 122 - 123.

³ مدخل إلى علم النص، زتسيسلاف واورزنيك، تر: سعيد حسن بحيري، ص 61.

بالفعل الأصلي. عبارة (do so) التي تحمل محتوى مركّب (Phrase) كامل يشمل على حدثين مع فكريّ الاتجاه والزمن.¹ إضافةً إلى ذلك نجده - دي بوجراند - يُلجّ على أهميّة "محلّ الجودة" باعتباره دافعاً أوليّاً من دوافع الأشكال البديلة بوجهٍ عامٍ. على أنّ الأمر ينتهي عند مرحلة معيّنة بإجراء مراجعة بين الإيجاز والوضوح، في حين تؤدّي الأشكال البديلة إلى توفير الجهد لكونها أقصر من التعبيرات التي تستبدل بها يتبدّد مرّة أخرى الجهد المتوافر في عمليات البحث والمزاوجة عند عسر تحديد هوية التعبيرات أو مواقعها.²

- ومن الوسائل أو الأدوات التي يتم بها الاستبدال كلمات محددة مثل (واحد - يفعل - ذلك) أو (one, do, so) (في الإنجليزية) تحلّ محلّ كلمات أخرى مستخدمة في النص، ممّا يؤدّي إلى ترابط أجزاء النص، وهذه الكلمات لا تكون ضميراً شخصياً.³

كما أشار هالداي ورقية حسن على أنّ العلاقة بين الاستبدال والحذف هي علاقة التضمين، أيّ أنّ الاستبدال يتضمّن الحذف بمعنى أنّ الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلاً من أشكال الاستبدال، حيث يكون الاستبدال بالصفّر. (Substitution by zero).⁴

أمّا علاقة الاستبدال بالإحالة فكلاهما وسيلة من وسائل الاتساق النصي بتعويض عنصر لغوي بعنصر لغوي آخر بينما الإحالة تتم على المستوى الدلالي، فالاستبدال يتم على المستوى النحوي، والإحالة تحيل أحياناً على أشياء خارج النص، بينما الاستبدال نصّي أيّ داخل النص ومعظم حالاته

¹ ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 324 - 325.

² ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند، إلهام أبوغزالة وآخرون، مركز نابلس للكبور، مطبعة دار الكتاب، ط 1، 1413هـ/1992م، ص 99.

³ علم لغة النص، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، مصر، ط 2، 1430هـ/2009م، ص 113.

⁴ المصدر نفسه، ص 113. وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 199/2 - 203.

قبلية.¹ أي أن جميع أمثلة الاستبدال هي استبدال داخلي (Endophoric). أما الاستبدال الخارجي (Exophoric) فهو نادر الوقوع تمامًا، ويستخدم فقط (في المحادثة) عندما يريد المتكلم أن يحاكي العلاقة النصية ليحدث تأثيراً لشيء ما تمت ملاحظته بالفعل وهذا نادراً ما يحدث مثل: (التقطت أفضل واحدة من كل الورود في الحديقة، وأعطتها لي). فكلمة (واحدة) تشير إلى (الورود) استبدال داخل تركيب الجملة.²

أما دي بوجراند فقد درس الاستبدال والإحالة تحت مفهوم واحد هو "الألفاظ الكنائية" (Pro-Forms) التي قال عنها أن كفاءتها تتضح حين تستعمل للدلالة على قطع طويلة من الخطاب الذي يُنشِط مساحات كبيرة من المعلومات وقد ضرب على ذلك أمثلة تضمنت هذا المفهوم منها (this، all hat، ones، one، do، do so، do it، ...) ³.

أما هارفي فقد جمع بين كل من الإحالة والاستبدال بينما فرّق بين ثلاثة أنماط من الاستبدال النحوي: الاستبدال الأحادي البعد، والاستبدال الثنائي البعد، والاستبدال الممتزج، وقد جعل للاستبدال الثنائي الأهمية المحورية لتشكيل النص إذ قال: « ولما كنّا نرى في المستبدلات الثنائية er/sie/es، هو/هي/ضمير الشيء، بمفهوم تشكيل النص أضفى وأقوى ممثلات الضميرية تعبيراً، نعرف الضمائر بوجه عام بأنها مستبدلات ثنائية البعد...». فهو هنا قد أدرج الضمير وهو من الإحالات ضمن قسم من أقسام الاستبدال مستبدل ثنائي البعد للمستبدل منه، في حين نجده أيضاً

¹ مدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي، ص 91.

² ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 115.

³ ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 322-327.

اعتبر الإحالة ذات مفهوم أوسع من الاستبدال ، كونها تتجاوز في العلاقة بين ما هو لغويّ إلى ما هو غير لغويّ بالأشياء بالمعنى الأوسع.¹ لكننا نجد مقابل ذلك محمد الشاوش وقف منتقدا البناء التصنيفي الذي فرّق بين الإحالة والاستبدال، والذي اعتمد فيه هالداي ورقية حسن على عدّ الإحالة علاقة معنويّة تتمّ على المستوى الدلالي، بينما الاستبدال تتمّ على المستوى المعجميّ النحوي، فعَدَّ هذا التفريق مُتَكَلِّفًا ومفتعلًا إذ يقول: « ونلاحظ بشأن البناء التصنيفي الذي قدّم فيه "هالداي وحسن" الإحالة والاستبدال أنّه متكلّفٌ مفتعلٌ، فقدّ فصلا حيث لا موجب للفصل، فالإحالة وإنّ كانت ظاهرةً تتعلّق بالدلالة فإنّ لها عمادا لغويًّا أيّ صيغًا لغويّةً خاصّةً تتحقّق بها (الضمائر، وأسماء الإشارة وألفاظ المقارنة التي اعتبرت خطأ من الإحالة)، والاستبدال وإنّ كان ظاهرةً تتعلّق بالنحو والوحدات المعجميّة فهي محكمة أيضًا بقواعد دلالية معنويّة، وبالتالي يصبح التمييز بينهما اعتمادا على كون الأولى نحويّة معجميّة وكون الثانية دلالية معنويّة تصنيفًا فاسدًا".²

ولعلّ انتقاده هذا مردّه إلى الاعتبار الذي اعتمده الباحثان وهو اتّصال كلّ من الاستبدال والإحالة بالدلالة والمعنى من ناحية، والقيام على الصيغ اللغوية من ناحية ثانية. إضافة إلى ذلك التداخل بينهما في بعض الأدوات والاستعمالات إذ عدّ الإضمار أقرب إلى الاستبدال منه إلى الحذف. وتفضيله نقله - الإضمار - من قسم "الإحالة" إلى "الاستبدال".³ فكأنّه يقرّ بوجود "الاستبدال" لكنّ المشكلة تكمن في محدّداته باعتباره نوعًا تابعًا لجنس أمّ جنسًا تدخل تحته أنواع وفروع. وهذا بيّن

¹ ينظر: مدخل إلى علم النص، زتسيسلاف واورزنيك، تر: سعيد حسن بحري، ص 61 - 62.

² أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 132/1.

³ ينظر: المصدر السابق، ص 133.

في حديثه حول الاستبدال وعلاقته بالحذف إذ يقول: « فإذا استقام لنا هذا القول أصبح الاستبدال باباً فارغاً ولم يبق فيه نوع واحد، وهو وضعُ مُفَضٍّ إلى اختلاط الجنس بالنوع وحلول أحدهما في الآخر، ومتى كان الأمر كذلك وجب إبطال اعتبار الجنس فيظلّ النوع يبحث عن الجنس الذي يضمّه فإن لم يجده ارتقى إلى مصافّ الجنس، وهو ما نميل إليه من اعتبار الحذف أصلاً لمختلف هذه الظواهر».¹

ثانياً - أنواعه:

للاستبدال عند هالداي ورقية حسن ثلاثة أنواع، ذهباً إلى هذا على أساس أنّ الاستبدال علاقة نحويّة بين الكلمات أكثر من كونها بين المعاني، فهذه الأنواع على أساس الوظيفة النحويّة لعنصر الاستبدال (الاسم، الفعل، الجملة) فهذه الأنواع هي:

1- الاستبدال الاسمي (Nominal substitution): تُعبّر عنه الكلمات والعناصر

اللغويّة مثل (واحد، نفس، ذات، آخر، آخرون).² ومثاله:

(فأسي جدّ مثلومة . يجب أن أقْتَنِي أُخْرَى حادّة)، فالعنصر البديل (أُخْرَى) حلّ محلّ (فأس)

المستبدل منه في الجملة السابقة لها.³

¹ المرجع نفسه، ص 134.

² ينظر: علم اللغة النصي، عزة شبل محمد، ص 114. ونحو النص، أحمد عفيفي، ص 123.

³ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 19 - 20.

2- الاستبدال الفعلي (Verbal substitution): ويعبر عنه بالفعل البديل/الكنائي

(pro -verb) (فعل) يقابل الفعل (do) في الإنجليزية، حيث يأتي إضماراً لفعل أو لحدثٍ معيّن

أو عبارة فعلية ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل.¹ ومثاله:

(هل تظنّ أنّ الطالب المكافح ينال حقّه ؟ أظنّ أنّ كلّ طالبٍ مكافحٍ يفعل)، فالعنصر البديل هو

الفعل (يفعل) حلّ محلّ المستبدل منه (ينال حقه)، فهذا الاستبدال فعلي.²

ومثاله أيضاً:

(الأطفال يعملون بجديّة في الحديقة. يجب أن يفعلوا)، فالفعل (يفعلوا) عنصر بديل عوّض المستبدل

منه الوارد في الجملة السابقة لها (يعملون).³

3- الاستبدال القولي (Clausal substitution): هذا النوع ليس استبدالاً لكلمة داخل

الجملة، ولكن استبدال الجملة بكاملها ويحل محلها العنصر البديل، وله مجموعة من الكلمات يتمّ بها

مثل (هذا، ذلك) يقابلها في الإنجليزية كلمات مثل (So , Such) وتعبيرات مثل:

(do so , do the same). ومثاله:

- هل سيكون هناك زلزال؟ هي قالت هذا. فالعنصر البديل (هذا) حلّ محلّ جملة بأكملها

السابقة لها (سيكون هناك زلزال).

- هل رحلت باربارا ؟ أفأعتقد ذلك. فالعنصر البديل (ذلك) حلّ محلّ الجملة السابقة لها

¹ علم اللغة النصي، عزة شبل محمد، ص114.

² نحو النص، أحمد عفيفي، ص124.

³ ينظر: علم اللغة النصي، عزة شبل محمد، ص114.

كاملة (رحلت باربارا).¹

وهناك من الباحثين من قسّم الاستبدال إلى قسمين منهم خليل إبراهيم: استبدال معجمي، واستبدال نحوي.² فمثال الاستبدال المعجمي (سيارتي قديمة يجب أن أشتري أخرى جديدة) فكلمة أخرى عوضت كلمة (سيارة) وقامت مقامها. فارتبطت بذلك الجملة الثانية بالأولى.

أمّا الاستبدال النحويّ فهو ما يجسّده استخدام المتكلم أو الكاتب تركيباً نحويّاً بدل تركيب آخر. ومثاله قوله تعالى ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾.³ الاستبدال هنا هو تعويض جملة جواب الطلب المحذوفة (فَضْرَبَ الْحَجَرَ بعصاه...) بجملة أخرى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)، وترتبط هذه الجملة بالجملة المحذوفة بعلاقة السببية.⁴ أي السبب بالنتيجة.

ثالثاً - دور الاستبدال في تماسك النص:

الاستبدال يعدّ شكلاً بديلاً في النص، وهو وسيلة هامة لإنشاء الرابطة بين الجمل بواسطة تعويض وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة،⁵ ممّا يترك استعمال الأشكال البديلة بقاء محتوى الوحدات والتراكيب المستبدلة في حالة نشطة خلافاً لشكل إخراجها في عالم النص.⁶ أي أنّه يعمل

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 115.

² ينظر: مدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي، ص 91 - 92. نقلاً عن الأسلوبية ونظرية النص، خليل إبراهيم، ص 138.

³ البقرة الآية: 60.

⁴ المصدر نفسه، ص 91 - 92.

⁵ نحو النص، أحمد عفيفي، ص 124.

⁶ ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، دي بوجراند، إلهام أبو غزالة وآخرون، ص 98.

على تحقيق الاستمرارية الدلالية في ظلّ وجود العنصر البديل بشكل ما في الجملة اللاحقة محلّ المستبدل على الرغم من عدم المطابقة بينهما.¹

كما أنّ مساهمة الاستبدال في الاتساق النصي واضحة في استحالة فهم ما يعنيه العنصر البديل كـ (آخر، يفعل، واحد) إلّا بالعود إلى ما هي متعلّقة به قبليّاً، فتأويل العنصر الاستبدالي يحتمّ على القارئ البحث في مكان آخر في النص عمّا يرتبط به ويحلّ محله.²

زيادة على هذا فإنّ من مزايا الاستبدال أنّه يمكّن كاتب النص من عرض أفكاره دون تكرار كلمات بعينها، ودون الاستعمال المفرط للضمائر.³ فهو يحقّق بذلك الاقتصاد دون توسيع للجملة، فلو حدّثت شخصاً ما مثلاً في موضوع ما، ثمّ بعد كلام قلت له: لقد قلت لك ذلك. فإنّ (ذلك) هنا تحيل إلى قضية سابقة، فتكون (ذلك) هذه قد حقّقت الاقتصاد باختصار جملة كاملة دون احتياج إلى توسيع في الكلام بعدها.⁴

¹ ينظر: لسانيات النص، محمد خطاي، ص20.

² المصدر نفسه، ص20 – 21.

³ مدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي، ص92.

⁴ ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، أريد – الأردن، (د.ط)، 1435هـ/2004م، ص174.

المبحث الثاني: حضور الاستبدال في الحديث النبوي ودوره الدلالي والأسلوبي

- نصّ الحديث الأول:

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُحَامَةً فِي الْقِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ - فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قَبْلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ » . ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ « أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا »¹.

- المعنى الإجمالي للحديث:

في هذا الحديث نهى النبي ﷺ عن النخامة في الصلاة، لما للصلاة من حرمة ومكانة بين العبادات، والمنع لما فيها من أذى في جدار المسجد مطلقاً ولولم يكن في صلاته، ففي الصلاة أشدّ إثماً مطلقاً، وكونه في جدار القبلة أشدّ إثماً من كونه في غيرها من جدار المسجد.² فظاهر الحديث كما يقول ابن أبي جمره كراهية النخامة في القبلة للمصلي وجوازها تحت القدم وعن اليسار، وفي طرف الرداء، وحكّها فيه، وفي هذا تعظيم للبيوت التي نسبها الله ﷻ إلى نفسه خاصة القبلة منها.³ احتراماً لها ولمكانتها، وإكراماً لها بما يُكرم به من يناجيه من المخلوقين عند استقبالهم بوجهه لأنّ من أعظم الجفاء وسوء الأدب أن تتنخّم في توجّهك إلى ربّ الأرباب.⁴

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمره، كتاب الصلاة، باب "حكّ البزاق باليد من المسجد" [405/27]، ص 30-31. وهو في صحيح البخاري، ص 58.

² ينظر: فتح الباري، العسقلاني، ص 686/1.

³ بهجة النفوس، ابن أبي جمره، 325/1 - 328.

⁴ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 419/1.

فالنبي ﷺ لما ذكر منع التنخم أمام القبلة يعني في قبلة الإنسان ذكر الشيء المباح لأن هذا هو الهدي وهذه هي الحكمة أنك إذا ذكرت للناس ما هو ممنوع أن تذكر لهم ما هو جائز حتى لا تسد الأبواب عليهم، فأمر الإنسان أن يبصق ويطأ عليها، وإما عن يساره، وهذا والذي قبله متعذر إذا كان الإنسان في المسجد لأنه يلوّثه.¹

- صُورُ الاستبدال وأثره في الحديث النبوي:

هذا النص الحديثي استهله النبي ﷺ بجملة اسمية مؤكدة بـ (إِنَّ) (إِنَّ أَحَدَكُمْ...)، وقد تكون من أربعة مقاطع ارتبطت فيما بينها وقد تمحورت حول موضوع جامع "نهي عن البزاق في المسجد وكيفية التعامل معه في حالة الاضطرار له". ارتبطت ارتباطاً دلالياً فضلاً عن الارتباط الشكلي بواسطة أدوات اتساق متنوعة بين الإحالة والاستبدال وغير ذلك... هذه المقاطع تتمثل فيما يأتي:

- **المقطع الأول:** [إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ... فَإِنَّهُ يَنَاجِي رَبَّهُ]. جاء هذا المقطع مبدوءاً بتوكيد منجاة الله ﷻ حين قيام العبد لربه مصلياً.

- **المقطع الثاني:** [فَلَا يَزِقُّ أَحَدَكُمْ قَبْلَ... قَدَمِهِ] جملة فعلية سبق فيها الفعل بأداة نهي (لا) نهي عن البزاق قِبَل القبلة مستدرِجاً فيها ﷻ إمكانية فعل ذلك لكن عن يسار العبد أو تحت قدمه بدّل القبلة واليمين.

¹ شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، 62/3.

- **المقطع الثالث:** [ثم أخذ طرف رداءه فبصق فيه، ثم ردّ بعضه على بعض]. مبدوء بحرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب والتراخي، يربط ما بعده بما قبله، إذ سَرَد فيه الراوي أنس بن مالك ما فعله الرسول ﷺ في مثل هذا الموقف من أخذه طرف رداءه، والبصق فيه ثم ردّ بعضه على بعض.
- **المقطع الرابع:** [فقال: (أو يفعل هكذا)] جملة فعلية مبدوءة بفعل القول (قال) الفاعل هو الرسول ﷺ صاحب هذا القول، وجملة مقول القول (أو يفعل هكذا) اختصار وإيجاز لعبارة طويلة سابقة لها بتركيب موجز حلّ محلّها وعوّض عنها.

ارتبطت المقاطع الأربعة في هذا النص ارتباطاً دلاليّاً من خلال تمحور الموضوع في هذا الحديث حول قضية جوهرية، كراهيته (ص) البصاق في المسجد ونهيه عن ذلك، إضافة إلى التنوّع الأسلوبي فيه بين السرد والوصف، النهي والإخبار، الشرط والجزاء، وارتباط شكلي كان النص متّسقاً بواسطة عديد الروابط اللفظية كالأحالات، والاستبدال وحروف العطف وغيرها.

فمن الروابط الشكلية التي كان لها أثر في اتساق النص ما سماه النصيّون "الاستبدال" إذ كان حاضراً في هذا الحديث حين استعمله النبيّ ﷺ بتعويض عبارة بأكملها.¹ مكوّنة من ثلاث جمل معطوفة على بعضها (ثم أخذ طرف رداءه فبصق فيه، ثم ردّ بعضه على بعض) بعنصر بديل حلّ محلّها (أو يفعل هكذا). وظاهر قوله (يفعل هكذا) أنّه مُخَيَّر بين ما ذكر ولكن البخاري حمل هذا الأخير على ما إذا بدر البزاق وعليه فهو للتنويع.²

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطايي، ص 19 - 21، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 199/2 - 203.

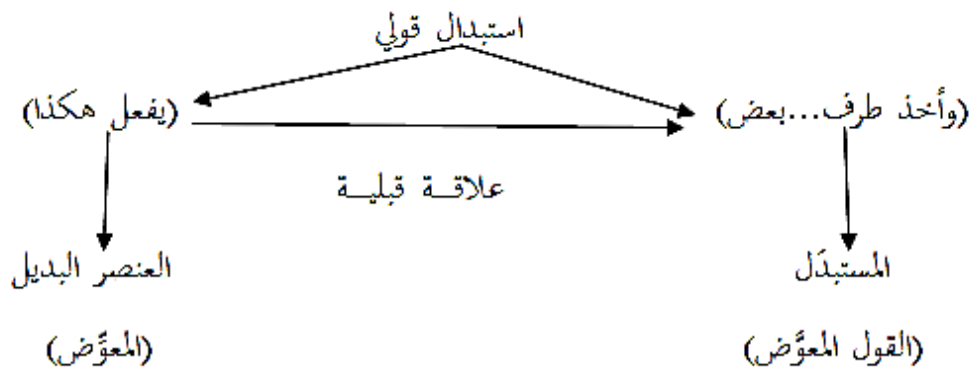
² هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 78. وإرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 419/1.

فالاستبدال إذن ممثل في تعويض العنصر البديل (يفعل هكذا) في قوله ﷺ بالعبرة الوارد ذكرها في قول الراوي -أنس بن مالك- وهو يسرد ما فعله المصطفى (وأخذ طرف رداءه... بعض)، فالمستبدل عبارة أو قولٌ طويلٌ مُكوّنٌ من سلسلة تتابع من الجمل الثلاثة المترابطة فيما بينها بالعطف المرتبطة به ﷺ لأنه هو من أخذ، وهو من بصق، وهو من ردّ، لتتلخّص جميعها في العنصر البديل المعوّض لها (يفعل هكذا).

ففي هذا النص الحديثي شكّل الاستبدال ارتباطاً بين مُكوّنَيْن من مُكوّنات النص سمّح للعنصر البديل أن ينشّط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين القول أو العبارة في مجملها.¹

إنّ العنصر البديل (للفعل هكذا) حلّ محلّ الجملة المتقدّمة عليه وكأنّ الأصل (فليأخذ بطرف رداءه وليبصق فيه وليردّ بعضه على بعض). ففي هذا من الإيجاز والاختصار ما عبّر به هذا الاستبدال من دلالاته على قطعة طويلة من الخطاب الذي ينشّط مساحة كبيرة من المعلومات المتضمّنة في القول المستبدل.²

ويمكن تمثيل هذا الاستبدال في المخطّط الآتي:



¹ ينظر: مقال "مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبويّ في رقائق صحيح البخاري نموذجاً"، عاصم شحادة علي، ص362.

² ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص322- 327.

فالاستبدال الموجود في هذا الحديث الشريف (يفعل هكذا) دالّ على أنّ النبي ﷺ قد فعل هذا بردائه، حينئذٍ قال هذا القول، ولم يقل دون فعل لأنّه ﷺ فعل ذلك ليبين كيفية الفعل لأنّ التعليم بالفعل، والمثال أبلغ من القول وحده، ويترتب عن ذلك من الفقه حقّ المبالغة في التعليم وهو من السنة.¹

فضلا عن ذلك فإنّ هذا الاستبدال القولي أفاد بنية النص اختصارا في القول وإيجازا في اللفظ، وتفاديا للتكرار لاكتفائه ﷺ باللفظ الموجز الصادر منه، والفعل الدالّ المنجز له، فحقّق بذلك ارتباطا وثيقا في بنية النص بين عبارة سابقة تتسم بالطول، وعنصر بديل شكّل استبدالاً قولياً بلفظ موجز دالّ عليها وحال محلّها قولاً وفعلاً.

¹ بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 333/1. وينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص78.

- نصّ الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رَجَالٍ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: « مَا شَأْنُكُمْ؟ ». قَالُوا اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ . قَالَ « فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أُتِيتُمْ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا » .¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

في هذا الحديث الشريف أمر بالسكينة في الإقبال إلى الصلاة وترك الإسراع إليها.² والحكمة في إتيانها سكوناً، والنهي عن الإسراع إليها أنّ الذهاب إلى صلاة عامد في تحصيلها، ومتوصل إليها فينبغي أن يكون متأدّباً بآدابها وعلى أكمل الأحوال، والنهي عن الإتيان إلى الصلاة على استعجال يتناول جميع أوقاتها، وأكّد ذلك قوله ﷺ (فما أدركتم فصلّوا وما فاتكم فأتمّوا) تنبيه وتأكيد لئلا يتوهّم متوهّم أنّ النهي إنّما هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة، فصرّح بالنهي وإنّ فات من الصلاة ما فات، وبَيّن ما يفعل فيما فات.³ والأمر بالسكينة لا ينافي قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.⁴ لأنّ المراد بالسعي المضى والذهاب، لا الإسراع بدليل القراءة الشاذة وهي (امضوا).⁵

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة، [635/38]، ص34. وصحيح البخاري، ص81 - 82.

² شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 259/2 - 260. وبحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 376/1.

³ ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، 99/5.

⁴ سورة الجمعة، الآية: 09.

⁵ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص95.

زيادة على ذلك وَضَحَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ المتأخرين عن الصلاة المُسرَّعين في المشي رغبة في الصلاة من أجل الأجر وطلب المزيد فيه بأنَّ لهم الأجر في ما أمرهم به؛ لأنَّ يُسَكَّن نفوسهم بذلك بإعطاء العذر لهم، كما بيَّن لهم كيفية التعامل مع ذلك.¹

إنَّ ما لحق المأموم من الصلاة مع الإمام إنَّه أوَّل صلاته، فيؤخذ ذلك من قوله (فأتَمُّوا)، وتَمَّ العمل هو آخره، لكنَّ يعارض ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث غيره (وما فاتكم فاقضوا)، فدَلَّ هذا إنَّ الذي أدركه المصلِّي هو آخر صلاته، ويقضي ما فاته، والحديثان صحيحان، فاختلف العلماء في البناء والقضاء، وأحسن الوجوه من قال بالبناء والقضاء فيما ذهب مالك -رحمه الله- ومن تبعه قال: يكون بانيًا في الأفعال، قاضيًا في الأقوال لأنَّ إعمال الحديثين خير من إسقاط أحدهما.²

- صُورُ الاستبدال وأثره في الحديث النبوي:

لقد قام هذا الحديث على الحوار الثنائي بين طرفين، محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجماعة المصلِّين بمن فيهم أبي قتادة. إنَّ هذا الحديث كونه نصًّا يمكن تقسيمه إلى جزئين أو مقطعين يشملان عدَّة أجزاء أو تفصلات:

- المقطع الأول: [بينما نحن نصلِّي...رجال].

هذا المقطع جاء سرِّدًا وإخبارًا، وهو بمثابة التمهيد للحوار المشكَّل للمقطع الثاني من الحديث الشريف، وقد انبنى على جملتين، ابتدأ بظرف الزمان (بينما)، ليحدِّد من خلاله الصحابي الجليل أبي قتادة السياق الزماني الذي كان فيه الحدث والحديث مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الموقف وهذه المناسبة، وهو

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 377/1.

² المصدر نفسه، 378/1.

موقف الصلاة وسماعه ﷺ جلباً (أصوات الصحابة حال حركاتهم)،¹ فكانت دافعا له للدخول في حوار معهم إرشادا وتوجيها لهم بما يجب أن يفعلوه وما يتركوه.

- المقطع الثاني: [فلما صلى قال: ...فأتموا].

هذا المقطع مقطع حوارِيّ تَكُون من ثلاثة تمفصلات:

1- سؤاله ﷺ للمصلين في قوله: (ما شأنكم؟) بجملة اسمية مُصَدَّره باسم استفهام (ما) سؤال عن حالهم أي حالكم حين وقع منكم الجلبة.²

2- جوابهم - المصلين المسبوقين في الصلاة - (قالوا: استعجلنا إلى الصلاة) جملة فعلية دلّت على الحركة والفعل الذي دفعهم لهذه الجلبة، وهو سرعتهم لأجل إدراك الصلاة صلاة الجماعة.

3- توجيهه لهم ﷺ المتضمّن نهيا وأمرًا، شرطًا وجزاء: إذ استهله بالنهي في قوله (فلا تفعلوا)، فقد ناهم ﷺ عن الاستعجال وقد عبّر عن ذلك بهذا الفعل (تفعلوا) للمبالغة في النهي عنه.³

ثمّ يتّجه ﷺ ليوجّههم إلى ما يقوم به المصلي في صلاته توجيهين متوالين جاء في صيغة شرط وجزاء (إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة)، (فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا).

فأمّا الأوّل يرمي منه محمد ﷺ إلى ضرورة حضور السكينة في الإقبال إلى الصلاة، وترك الإسراع

إليها⁴، بل جاء هذا الطلب أمرًا منه بصيغة (عليكم) في قوله (عليكم بالسكينة) اسم فعل أمر. قال

الزركشي: هو بالرفع على الابتداء والخبر، وبالنصب على الإغراء أي الزموا السكينة، هذا برواية

¹ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 19/2.

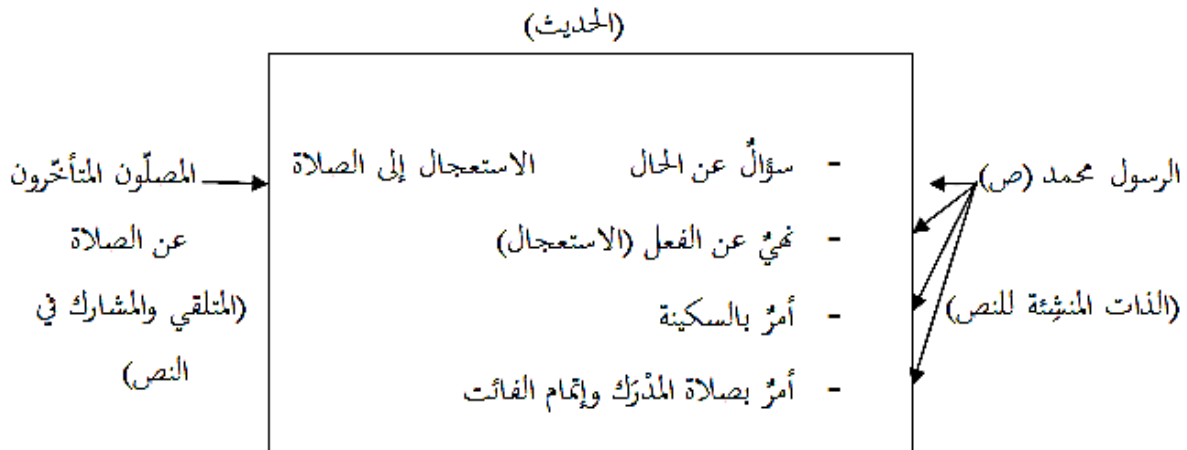
² المرجع نفسه، 19/2.

³ المرجع نفسه، 19/2.

⁴ شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 259/2.

(فعليكم السكينة).¹ واستشكّل دخول الباء (بالسكينة) كلٌّ من الزركشي والبرماوي إلا أنّ جواب ذلك أنّ الباء تُزاد في مفعول أسماء الأفعال كثيراً وإن كان حكمها في التعدي وال لزوم حكم الأفعال التي هي بمعناها نحو (عليك به) لضعفها في العمل، فتتعدّى بحرف عادته إيصال اللازم إلى المفعول.² أمّا التوجيه الثاني فقد تضمن الشرط والجزاء جاء مُكَوَّنًا من جملتين معطوفتين ترتبطان وصلًا بالواو وحُكْمًا بالتعلّق بالصلاة (فما أدركتم فصلوا) و (ما فاتكم فأتموا) . قال الكرمانى: الفاء جزاء شرط محذوف تقديره (إذا تبين لكم ذلك فما أدركتم فصلوا).³ ففيه أمران (صلُّوا) و (أتمُّوا) أمرٌ بالصلاة مع الإمام ما أدرك منها، وأمرٌ بإتمام المصلّي وحده ما بقي منها.⁴

فهذا النص النبويّ بما يتكوّن به من مفردات وتراكيب، وما ظهر به من صيغ وأساليب يمكن تمثيله في المخطّط الآتي:



¹ عقود الزجر في إعراب الحديث النبويّ، السيوطي، تح وتقر سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1414هـ/1994م، 400/2.

² إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 19/2.

³ عقود الزجر في إعراب الحديث النبويّ، السيوطي، 400/2.

⁴ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 20/2.

إنّ هذا النص الحديثي على قِصره قد تنوّعت بنية مُكوّناته، وأنماط أساليبه وأشكال تعابيره في صُور مختلفة بين السرد والحوار، السؤال والجواب، الشرط والجزاء، الأمر والنهي، وقد جاء متّسقاً في مبناه بارتباط أجزائه وعناصره فضلاً على الارتباط الدلالي الذي ساهمت فيه جملة من أدوات الاتساق الكثيرة العاملة على تحقيق ذلك التلاحم و التماسك، إذ نقف هنا على أداة "الاستبدال" والدور الذي أدّته في البنية النصيّة للحديث .

فحين نقرأ هذا النص النبويّ يستوقفنا قوله ﷺ: (فلا تفعلوا)، إذ استخدم ﷺ لفظ (تفعلوا) في سياق نهي عن الاستعجال إلى الصلاة، إنّ هذا الاستعمال لصيغة الفعل (تفعلوا) شكّل من أشكال ما سمّاه النصيّون "الاستبدال"، وهو علاقة اتّساق شأنه في ذلك شأن الإحالة غير أنّه يتمّ على المستوى النحويّ- المعجميّ، بتعويض عنصر لغويّ بعنصر لغويّ آخر يكون بديلاً عنه.¹ فأيّ نوع من الاستبدال في هذا السياق ؟ وما أثره في بنية الحديث ودلالته؟.

ورد الاستبدال في هذا النص الحديثي بصيغة (تفعلوا) وهو العنصر البديل . أمّا العنصر المُبدّل فهو ما أراده الرسول ﷺ من نهي هذا، وقد سبق ذكره في جملة جواب المصلّين الذين فاتتْهم الصلاة (قالوا: استعجلنا إلى الصلاة)، فجاء ردّه ﷺ بقوله (فلا تفعلوا) إذ أنّ المقصود بقوله (تفعلوا) هو (لا تستعجلوا)، وعبر بلفظ (تفعلوا) لا بلفظ (تستعجلوا) كما قال الشنواني لأجل المبالغة في النهي عنه، أيّ النهي عن الاستعجال.²

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 19- 20. ونحو النص، أحمد عفيفي، ص 122- 123.

² هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 93.

فالاستبدال الموجود في هذا النص هو استبدال فعلي، فهو يأتي إضماراً لفعل أو لحدثٍ معيّن، أو عبارة فعلية ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل.¹ وهو استبدال فعلي لأنّه استبدال فعل بفعل، فعل سابق مُستبدل بفعل لاحقٍ عنصرٍ بديلٍ، عبّر عن الفعل السابق بصيغة الفعل المعروفة (تفعل).

إنّنا نلاحظ هنا ارتباطاً نصيّاً من خلال ارتباط جملتين متواليتين الأولى منهما تضمّنت العنصر المعوّض (استعجلنا)، والثانية تضمّنت العنصر البديل أو المعوّض (تفعلوا).

لا يمكن فهم العنصر البديل إلاّ بالرجوع إلى ما سبقه نظراً للعلاقة القويّة والارتباط الكبير بين محوري الاستبدال العنصر المعوّض والعنصر المعوّض، هذا ما نسج اتّساقاً نصيّاً على مستوى الجمل لا على مستوى الجملة الواحدة لاسيما أنّ الجملة الأولى جاءت جواباً مرتبطاً بسؤال سابق له، وجوابه ﷺ أو تعقيبٌ على الجواب السابق له والمتعلّق بما قبله، فكأنّ هذا الاستبدال الفعليّ تجاوز حدود الجملة الواحدة، بل تجاوز الجملتين إلى أبعد من ذلك، أيّ سلسلة الجمل المتلاحقة المرتبطة الواحدة منها بالأخرى .

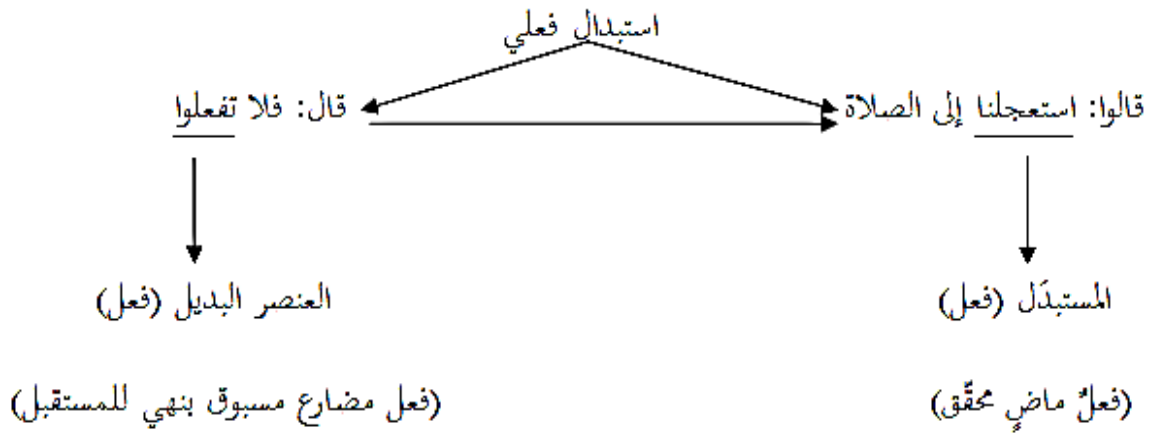
فضلاً على ذلك فهذا الاستبدال يؤشّر إلى الاستمرار الدلاليّ والثراء المعجمي، فهو علاقة تتمّ على المستوى النحويّ والمعجمي ؛ ففعل الاستعجال المعوّض فعلٌ بنمطٍ خاصٍّ بينما العنصر البديل (تفعلوا) صيغة فعلية تتسمّ بالعموم مع الاتّساع الدلاليّ، فهي تتضمّن قوّة النهي، نهْي عن الاستعجال، ونهْي عن السرعة، ونهْي عن الجزّي، وعن كلّ فعلٍ يمكن أن يُعبّر على الإخلال بالسكينة عند الإتيان إلى الصلاة . فالاستبدال إذن هاهنا استبدالُ العنصر الفعليّ بالعنصر الفعليّ

¹ علم اللغة النصي، عزة شبل محمد، ص114.

المطلق أو العام الذي يتضمنه ويحتويه.¹ نهي عن الإتيان إلى الصلاة باستعجال وهو نهي عام يستلزم نهي الخاص وزيادة وهو نهي للتنزيه لا للتحريم.²

أضف إلى هذا إن هذا الاستبدال زيادة على كونه يُمثِّل أداة من أدوات الاتساق النصي كما بينا، فهو وسيلة بها يُحقَّق مُنشئ النص - محمد ﷺ - عَرَض فكرته العبادية وتوجيهه النبوي دون تكرار كلمات بعينها.³ مع الاستمرارية الدلالية للفعل المعوَّض في الجملة السابقة بالفعل المعوَّض في الجملة اللاحقة .

وَمُكِنَّا إجمال صورة هذا الاستبدال الفعلي في المخطط الآتي:



¹ ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 143/1.

² ينظر: الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص 210 - 211.

³ ينظر: ظاهرة الاستبدال في نحو الجملة ونحو النص، عرفة عبد المقصود عام، شبكة الألوكة، www.alukah.net، ص 10.

- نصّ الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى خَيْبَرَ، فَجَاءَهُ بِتَمَرٍ جَنِيبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « كُلُّ تَمَرٍ خَيْبَرٍ هَكَذَا ؟ » . فَقَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ، وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلَاثَةِ . فَقَالَ: « لَا تَفْعَلْ، بَعِ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ، ثُمَّ ابْتَغِ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيْبًا »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي الشريف يدلّ على منع التفاضل بين النوعين من التمر بل في كلّ مطعوم إذا كان من جنس واحد لأنّ العلة في التمر إذا اختلفت أجناسه موجودة في غيره من المطعوم إذا كان من جنس واحد، لأنّ الاسم يجمعهما، فالتفاضل فيها ممنوع، مثل الزبيب أحمره وأسوده، وجيده وورديه، الاسم يجمعهم فلا يمكن التفاضل بين أجناسه، وكذلك غيره من المطعومات إذا كان من جنس واحد لوجود العلة فيه.²

وقد جاء هذا النهي والمنع حين استعمل الرسول ﷺ "سواد بن غزية" من بني عدي بني النجار على حوائط خيبر أيّ بساتينها، فجاءه بتمر جنيب أيّ أجود التمر³. وقيل التمر الطيب، وقيل

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب المغازي، باب استعمال النبي (ص) على أهل خيبر، [4244/198 - 4245]، ص104

- 105. وصحيح البخاري ص511

² بهجة النفوس، ابن أبي جمرة، 474/2 - 474، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال 323/6.

³ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص290، وإرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 377/6.

الصلب، وقيل ما أُخْرِجَ مِنْهُ حَشْفُهُ وَرَدِيئُهُ.¹ فسأله النبي ﷺ عن تمر خَيْرٍ هَلْ كُلُّهُ جَنِيبٌ كَهَذَا التمر الذي جاء به. فأجابه بالنفي وقد أَقْسَمَ على ذلك مُبَيِّنًا أَنَّهُ ابْتِنَاعُ الصَّاعِ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ أَوْ بِالثَّلَاثَةِ مِنَ الْجَمْعِ (التمر المختلط والأقلَّ جودةً)، فَنهَاهُ النبي ﷺ عن ذلك لما فيه من الربا المحرَّم ربا الفضل. وأمره بأن يبيعَ الجمعَ ثمَّ يشتري ما يريدُه من الجنيب.²

– صُورُ الاستبدال وأثرُه في الحديث النبويّ:

هذا النص النبويّ يبتغي فيه محمد ﷺ تمييز الربا عن البيع، نُهيَّ عن ربا الفضل وتحريمُ له، ودعوةٌ للبيع الحلال المشروع من خلال تنوُّع هذا الحديث في بنيته بين السرد والحوار، سرد وإخبار بمناسبة الحديث وتمهيد لموضوعه، وحوار تتضحُ به تفصيلات الحكم وبيان الهدف، فهذا النص يمكن تقسيمه إلى مقطعين، وكلّ مقطعٍ يبنّي على مجموعةٍ من التمفُّضات والمكوّنات الإفراديّة والتركيبيّة.

– المقطع الأول: [أن رسول الله ﷺ استعمل... فجاءه بتمر جنيب].

هذا المقطع سرّد وإخبارٌ من الصحابيَّين الجليلين أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما - في سياق الحكاية، وعرضٌ للمناسبة والسبب الذي كان وراء حزم النبي (ص) وحزمه في حكم "الربا"، ربا الفضل الذي بيّنه في المقطع الثاني من النص، فقد تكوّن من جملتين: الجملة الأولى (أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خير) جملة اسمية مبدوءة بتوكيد استعمله ﷺ لعمّاله - منهم هذا

¹فتح الباري، العسقلاني، 516/4.

²ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص290، وإرشاد الساري، القسطلاني، 377/6، وفتح الباري، 516/4.

الرجل - على خير، وجملة فعلية (فجاءه بتمر جنيب) ترتبط بالأولى بواسطة الفاء. فهذا الجزء الأول من النص الحديثي سرّد فيه من الإخبار والتقرير ما يُمهّد للحوار الذي يأتي في المقطع الثاني.

- المقطع الثاني: [فقال رسول الله: أكلُ تمرٍ خير هكذا... بالدرهم جنبيًا].

هذا المقطع عبارة عن حوار، حوار ثنائي بين الرسول محمد ﷺ ورجاله الذين استعملهم على خير منهم سواد بن غزية. فالحوار هو الذي يمثّل النهج العام للحديث النبوي، لأنّه يُحاور الصحابة، ويشهد تفاعلهم مع بيّنات الدين الإسلامي القويم، فهو أحقّ كلام بشريّ بصفة الحوار، فضلاً عمّا يُثبّره الحديث أحياناً كثيرة من الحوار المتجاذب، وهذا أقرب وأقوى لإقناع المتلقّي من غير معاندة.¹

وقد تَكُونُ هذا المقطع من مُكوّنين خطايين أو تفصيلين حواريين:

- التمهيد الأول (فقال رسول الله ﷺ: كلّ تمرٍ خير هكذا؟ فقال: لا والله يا رسول الله)، إذ انبنى على استفهام وجواب. فأما الاستفهام فهو سؤال النبي (ص) لعامله عن تمرٍ خير بواسطة أداة الاستفهام المحذوفة الهمزة، ولأبي ذر عن الكشميهني (أكلُ).² وهي أكثر الأدوات استعمالاً في الاستفهام النبوي وأغلبها دوراً، جاءت ظاهرةً ومضمرةً تستعمل للاستفهام عن صحّة نسبة المسند إلى المسند إليه، كما تستعمل لطلب التعيين أيّ التصديق والتصوّر.³

¹ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص 362.

² إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 377/6.

³ ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية في الموطأ، محمد سعيد عبد الله، ص 77.

فالنبي ﷺ بسؤاله هذا حريص على متابعة عماله في تصرفهم حتى يعلم ببراءة ذمته، فلولا ما سأل حين أتوه بالتمر ما كان يعلم بهذا الفاسد الذي وقع.¹

أما الجواب هو جواب العامل الذي جاء مباشرة عقب سؤاله ﷺ بقوله: (فقال لا والله يا رسول الله)، فكان جوابه مختصراً باستعماله حرف الجواب (لا) وقد دَعَم جوابه باللجوء إلى القسم (والله) في درج الكلام، وهو الذي يسمّيه بعض العلماء لغو اليمين ولم ينكر عليه النبي (ص) ذلك.²

– التمفصل الثاني (إنّا لنأخذ الصّاع من هذا بالصّاعين والصّاعين بالثلاثة، فقال: لا تفعل. بَعِ الجمع بالدراهم . ثمّ ابتع بالدراهم جَنِيًّا) .

استهلّ سواد بن غزوة – عامل رسول (ص) – كلامه في هذا الجزء بتوكيد ما كان يتصرّف به في تعامله في بيع ومبادلة التمر الرديء بالتمر الجيد من غير تماثل، أي مبادلة بالتفاضل، وهو ما يُعَدُّ ربا الفضل. وقد جاءت الجملة الاسمية بأسلوب خبريّ ذي ضرب إنكاري لوجود مُؤَكِّدَيْن (إِنَّ) واللام المزحلقة المقترنة بالخبر (لنأخذ الصاع...).

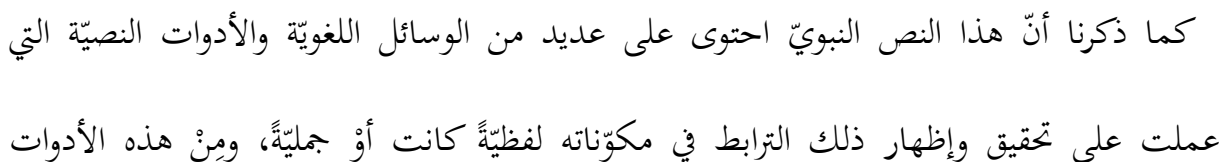
أما الشطر الثاني من هذا التمفصل فهو ردُّ النبي ﷺ عليه مباشرة بقوله (لا تفعل) لما فيه من الربا المحرّم³. فهو قولٌ فاصلٌ وصريحٌ نهى فيه عليه السلام عن ربا الفضل، ثمّ بيّن له البيع المشروع في الجملتين التاليتين (بَعِ الجمع بالدراهم ثمّ ابتع بالدراهم جَنِيًّا) بَيَّع واشترأ لا مبادلة بالتفاضل .

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي حمزة، 475/2.

² المصدر نفسه، 476/2.

³ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص290.

إنَّ ما يمكن ملاحظته في هذين المقطعين لاسيما المقطع الثاني تنوُّع في الأسلوب بين الخبر والإنشاء لما يقتضيه الحوار، ويتطلَّبه الخطاب من استفهام وجواب، وقسم ونداء وتوكيد، نهي وأمر. فضلا عن تلك الأدوات التي تعمل على تحقيق للنص الحديثي اتساقه وتلاحم مكوناته، وارتباط أجزائه اللاحق منها بالسابق، الشكل بالمضمون، البنية بالموضوع، ويمكن إجمال عناصر هذا ومكوّناته كرسالة نبويّة ﷺ كونه الذات الفاعلة منشئ هذا النص، مُوجّه إلى عامله وإلى كلّ المسلمين في معاملاتهم التجارية في المحطّط الآتي:



"الاستبدال". فما هو الاستبدال الموجود في الحديث ؟ وما هي صورته، وأثر ذلك في بنية الحديث ودلالته؟.

لقد عرفنا فيما سبق أنّ الاستبدال علاقة قبلية لا يمكن فهم دلالاته إلا بالعودة إلى ما سبقه من الكلام، حيث العنصر المستبدل الذي تتضح دلالاته ووجوده بشكل من أشكال الاستبدال المختلفة، فحين نستقري هذا النص الحديثي نجد ثلاث علاقات استبدال ساهمت كلّ واحدة منها في اتساق النص سواء على المستوى المعجمي أو على المستوى النحوي ويمكن تصنيفها على ضربين:

1- الاستبدال على المستوى المعجمي: وفيه استبدال اسمي وقد جاء في موضعين في النص:

- **الموضع الأول:** في قوله ﷺ (كلّ تمر خبير هكذا؟) إذ ارتبطت هذه الجملة الاستفهامية مقول قول رسول الله ﷺ في بداية حوار مع عامله بالجملة السابقة لها (فجاءه بتمر جنيب) الواردة في سياق السرد من المقطع الأوّل للنصّ إذ لا يمكن فهم دلالة اسم الإشارة (هكذا) العنصر البديل إلا بالعودة إلى هذه الجملة لتدلّ على المستبدل (جنيب) .

واسم الإشارة عامّة هو ما يدلّ على مُعَيَّن بواسطة إشارة حسيّة إذا كان المشار إليه حاضراً، أو إشارة معنويّة إذا كان المشار إليه معيّ أو ذاتا غير حاضرة¹، يشير إلى قريب أو متوسط أو بعيد.² فالعنصر البديل (هكذا) مُكوّن من هاء التنبيه و(ذا) الإشارية وكاف التشبيه . ومعناه (مثل

¹ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص132.

² ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 324/1-326.

هذا ¹. فاسم الإشارة (هكذا) كالمصطلح يلزم صورة واحدة في التعبير فلا يصحّ تغييره عن الأفراد والتذكير، فهذا الاسم - هكذا - عنصر بديل قام مقام العنصر المستبدل (جنيب) وعوّض عنه، فالمعنى المفهوم من هذا النمط الاستبدالي في هذا القول النبويّ (أَكُلْ تَمْرَ خَيْرٍ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، أَوْ هُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، أَوْ هَذِهِ الْهَيْئَةِ). ² وقد جيءَ بـ (ها) التنبيه في هذا المركّب الإشاريّ (هكذا) لتنبيه المخاطب عامل الرسول ﷺ ومن معه على حضور المشار إليه (الجنيب) وقُرْبِهِ، والمبالغة في إيضاحه كونه محلّ المثل، وموضع المشابهة. ³

فضلا على ذلك فإنّ هذا العنصر البديل (هكذا) قام بدورٍ كبيرٍ في إزالة اللبس الذي قد يلحق المخاطب حين الإشارة؛ فكانت إشارته ﷺ إلى هذا النوع من التمر إشارة حسيةٍ إمّا إيماء حاضر بجارحة، أو ما يقوم مقام الجارحة بذلك . لذلك قال النحاة أنّ أسماء الإشارة تتعرّف بالعين وبالقلب. ⁴

كما يفهم من سؤاله ﷺ عن تمر خبير قبل نهيهِ له (كلّ تمر خبير هكذا؟) وهو يعلم ﷺ أنّ تمر خبير ليس على صفة واحدة المشار إليها بـ (هكذا) فلم يقتنع بعلمه في تمر خبير حتى سأل من أجل الاحتمال، لعلّ العامل باع ذلك على وجه يجوز، واشترى هذا أو غير ذلك من الاحتمالات. ⁵ وسؤاله ﷺ دليلٌ على أنّ نصّ السؤال من السنّة يُؤخَذُ ذلك من الاختصار الحاصل بسؤاله ﷺ

¹ معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 97/1.

² ينظر: المصدر نفسه، 97/1 - 98.

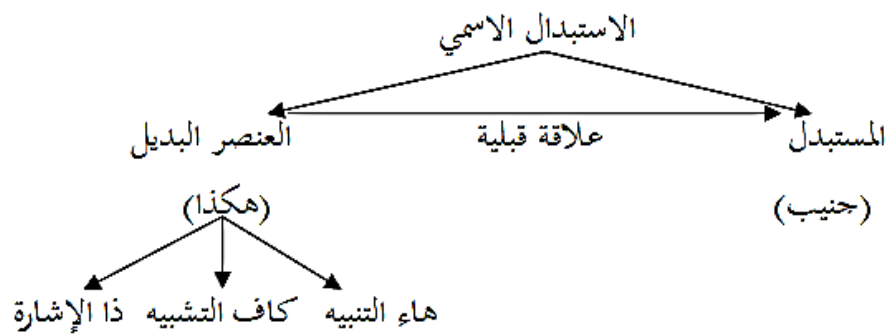
³ المصدر نفسه، 87/1.

⁴ ينظر: دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص 143 - 144.

⁵ بهجة النفوس، ابن أبي جمرة، 476/2.

(هكذا؟) اختصار في اللفظ، وغاية في حقيقة كشف الأمر¹، فهذا الاستبدال المحقق بواسطة اسم الإشارة (هكذا) عامل قوي وعنصر فاعل باستخدامه كان مجنبا للتكرار محققا للاختصار، مفيدا للمعنى.²

كما أنّ هذا العنصر الإشاري كواحدٍ مِنْ أشكالِ الاستبدالِ عمل على إيجاد ذلك النسيج النصي، والتلاحم الجملي بين الجملة الاستفهامية (كلّ تمر خبير هكذا ؟) المستفّتح بها المقطع الحواريّ من النص، مع الجملة التقريرية الإخبارية الواردة في نهاية المقطع السرديّ من النص (فجاءه بتمر جنيب)، إذ لا يمكن فهم مدلول هذا الاستبدال الاسمي من غير العود لزامًا إلى المستبدل (جنيب) المشار إليه السابق ذكره في المقطع الأوّل. وكأنّ هذا الاستبدال شكّل همزة وصل بين مفصلي النص، مناسبة النص بشكله السردّي تمهيدا، وهدفه وما يترتّب عليه من حكم فقهي بشكله الحواريّ موضوعًا. ويمكن تمثيل هذا الاستبدال في المخطط الآتي:



¹ المصدر نفسه، 476/2.

² ينظر: دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص 143.

- **الموضع الثاني:** الاستبدال الاسمي المستعمل بواسطة اسم الإشارة (هذا) في قوله ﷺ (إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ...) إذ جاء هذا الاستبدال في جملة اسمية مُؤَكَّدَة بِمُؤَكِّدَيْنِ (إِنَّا)، واللام المرحلقة وهي حرف ابتداء لكنّها زحلقّت عن المبدأ لكرهية الابتداء بِمُؤَكِّدَيْنِ.¹ وكأَنَّ بعامل رسول ﷺ أراد بهذا الضرب الإنكاري للخبر الذي ساقه إثبات وتوكيد ما قد يكون المخاطب مُنْكَرًا له.² إذ أكّد بقوله طريقة التبادل المتعامل بها بتفاضل بين الجنب من التمر والجمع، أي جيّده ورديئه ، دون تماثل في المقدار.

فاسم الإشارة (هذا) عنصر بديل لا يتأتّى فهمه من غير الرجوع إلى العنصر المستبدل الذي يُبيّن هذه الإشارة. فنجدّه حين البحث عنه في جملة سبقت في النص الحديثي هي جملة (فجاءه بتمرٍ جنبٍ) هو لفظ (جنب) الاسم المشار إليه نفسه الذي ارتبط به الاستبدال الاسمي الأول (هكذا) لِيُسْهِمَ هو بدوره في الربط على مستوى الجمل ربطاً نصياً يُشَكِّلُ أداة من أدوات الاتّساق في هذا النص النبويّ. فضلاً على كونه (هذا) عنصراً بديلاً على المستوى المعجمي بتعويضه لفظاً واحداً لا جملة وقولا.³ هو إشارة إلى طعام وقع به التفاضل بدلاً ممّا قابله صاعين أو ثلاث من التمر الرديء.⁴ زيادة على هذا فقد أفاد هذا الاستبدال اجتناب التكرار وقوّة في التعبير وامتلاءً لللفظ وشدةً في التماسك.⁵

¹ معجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، ص350.

² علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص53.

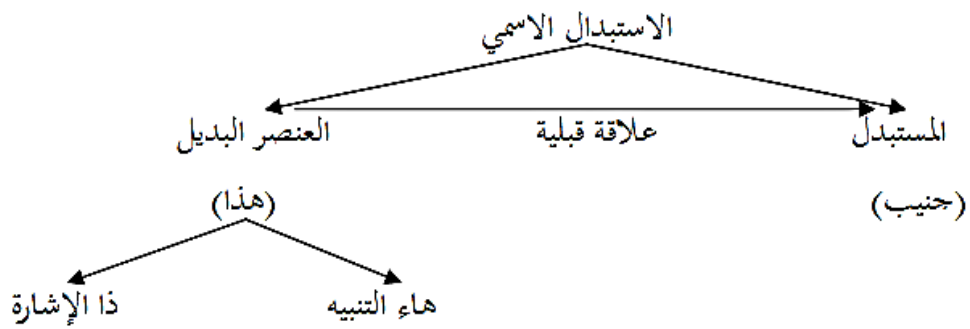
³ ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ص91.

⁴ ينظر: إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 48/6.

⁵ ينظر: الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص156.

إنّ لفظ الإشارة (هذا) عنصر بديل إشارة حسية إلى قريب، حضور العنصر المستبدل حضوراً إشارياً حقق بذلك استمرارية دلالية بارتباط وثيق بين عنصري الاستبدال البدل والمبدل أو العنصر البديل والمستبدل.

ويمكن تمثيل هذا الاستبدال الاسمي في المخطط الآتي:



2- الاستبدال النحوي: وفيه استبدال واحد، وهو استبدال قولي ورد في موضع واحد في قوله ﷺ (لا تفعل).

جاء هذا النهي مُكَوَّنًا من (لا) الناهية المتبوعة بالفعل المضارع اللفظ الكنائي الدال على الفعل (تفعل)، وقد مثّل عنصراً بديلاً ليس بديلاً لاسم ولا لفعل، وإنما جاء بديلاً لجملة أو قول بأكمله إذ تمثّل في قوله ﷺ (لا تأخذ الصّاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة)، وهو المستبدل في هذا الاستبدال القولي.

ولما كان للكلمة من حيث هي دالة على معنى قد تتميز به عن غيرها أحياناً، والذي يميّزها أنّ تنفي بالمعنى المراد، وكلام النبي ﷺ كلام قيل لتصير به المعاني إلى حقائقها نرى النبي ﷺ يُؤثّر التعبير بلفظٍ معيّن دون غيره لما له من دلالة خاصّة لا يؤدّيها غيره في موضعه.¹

فاستعمال صيغة الفعل الكنائي (تفعل) تحمل دلالة كبيرة، وشحنة قويّة لاستخدامه مكثّفًا بتعويضه عددًا كبيرًا من الكلمات بلّ تعويضه قولاً وتعبيراً موسّعاً متضمّنًا أنماطاً مختلفةً من الكلمات، بين أسماء (الصاع، هذا، الصاعين، الثلاثة)، وأفعال (تأخذ)، وحروف وأدوات (من والباء الجارتين، واو العطف). فهو بذلك حقق للنص اختصاراً مفيداً واجتناباً للتكرار.

ولعلّ استعمال صيغة (تفعل) بدلاً من الجملة المستبدلة السابق ذكرها يُعطي دلالةً واضحةً على نهيهِ ﷺ عن كلّ ما من شأنه الوقوع في ربا الفضل من تبادل أجناس مختلفة من الطعام بتفاضل بينها، نهي بصيغة الفعل باللفظ الكنائي (لا تفعل) المعبرة عن نهي المخاطب عامل الرسول (ص) نهيًا خاصًا في ظاهر اللفظ الحديث، نهي شخص معيّن عن فعل معيّن في زمنٍ معيّن، لكنّ الحقيقة أنّ المعنى أكثر اتّساعًا وأكبر امتدادًا وشمولاً، فهو نهي لهذا المخاطب ولكلّ جماعة المسلمين عن هذا الفعل غير المشروع لا يحده زمنٌ، ولا يحصره مكانٌ.²

كما يمكن - والله أعلم - أن يكون هذا الاستبدال القوليّ بواسطة هذا التعبير الموجز في اللفظ، البليغ في المعنى (لا تفعل) من قبيل استغنائه ﷺ عن إعادة قول العبارة المستبدلة لاستهجانها هذا

¹ ينظر : المصدر السابق، ص162

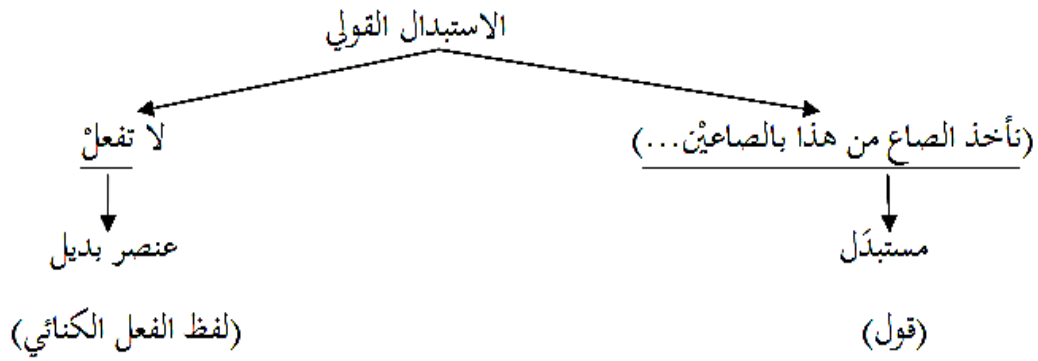
² ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية، محمد سعيد عبد الله، ص145-146.

الفعل وكراهيته له، فنأى عن ذكره مرةً أخرى مُفضِّلاً التعبيرَ عليه مُختَصِّراً بما يدلُّ عليه، ويُؤدِّي معناه ، ويُجرِّمُ إتيانه والوقوع فيه.

أضفْ إلى ذلك فقد عمل هذا الاستبدال القولي على تحقيق ما تُحقِّقه سائر أدوات الاتِّساق الأخرى من تلاحمٍ وارتباطٍ على المستوى النحويِّ في النص، فقد ربط بين جملتين، الجملة الواقعة مقول القول قول عامل الرسول ﷺ (إِنَّا لَنَأْخُذُ...) التي تُمثِّلُ العنصرَ المُستَبَدَّلَ بجملة النهي (لا تفعل) المتضمِّنة النهي عن الربا. فهاتان الجملتان ترتبطان ارتباطاً شكلياً بواسطة هذا الاستبدال مع غيره من روابط أخرى، وارتباطاً دلاليّاً باعتبار الجملتين تُشكِّلان مجتمعين النواة التي ينبنى عليها الحديث الشريف في موضوعه، ومقصده الشرعيّ.

كما أنَّا حين نقرأ هذه العبارة وهذا التعبير النبويّ نلمس فيه حاجة ملحةً للإيجاز والاختصار وهو ما يحقِّقه هذا الاستبدال، ففيه إتاحة للفرصة وفسح للمجال، وترك للمكان للتعبير والبيان لما يُفترَضُ أن يتعامل به المؤمن في معاملته التجارية من بيع وشراء (بيع الجمع بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم جنيباً) بعد هذا النهي المسبوك بلفظٍ مُوجزٍ، وحكمٍ صارمٍ في حرمة الربا، ومشروعية البيع والشراء تفقيهاً للمؤمن بأمر دينه وتطهيراً لنفسه وماله .

ويمكن إجمال هذا الاستبدال في المخطط الآتي:



إنَّ مجمل استبدالات النص الثلاث شكّلت أدوات اتّساق ساهمت كلّ حسب نوعها ومستواها في تحقيق ترابط بين مكوّنات هذا النصّ الحديثي من حيث ارتباط اللفظ باللفظ، أو اللفظ بالجملة، أو الجملة بالجملة بأشكاله المختلفة بيّن الاستبدال الاسمي أو القولي، على المستوى المعجمي أو النحوي .

فالنصّ النبويّ قام في غالبه على الحوار، والحوار في معظمه قائمٌ على الإيجاز لأنّ الحوار الجيّد هو الذي يحتوي على ميزتين أساسيتين هما التركيز والإيجاز، فالعبرة الحوارية الموجزة تمتلئ حيويةً، وأدعى إلى التأثير وبلوغ القصد.¹

¹ الحوار في الحديث النبويّ تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص156.

- نصّ الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الْعَنْتَ وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ، فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرِّ. »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي الشريف ذكره البخاري في باب ما يكره من التبتل والخصاء من كتاب النكاح، والمراد بالتبتل الانقطاع عن النساء وترك الزوج لأجل العبادة.²

ففي هذا الحديث شكا الصحابي الجليل أبو هريرة - وهو من أهل الصُّفَّة - إلى رسول الله ﷺ وهو راعيه على نفسه العنت (الزنا والفجور)، فهو لا يجد ما يتزوج به النساء فاستأذن النبي ﷺ أن يختصي، فسكت عنه النبي ﷺ، فكرر شكواه ثلاثاً، فسكت عنه في الأولى والثانية ثم أجابه في الثالثة،³ فخيرّه بين الخصاء عدمه، ولم يعلمه شيئاً يقطع الشهوة لأنّه لا يجوز ذلك، إذ أنّ الأمر (اختص) ليس الطلب فيه الفعل، بل هو للتهديد والتخويف كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ﴾

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، [5076/206]، ص 107. وصحيح البخاري، ص 631.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 296.

³ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 2/498 - 499.

شَاءَ فَلْيَكْفُرْ¹. فالمعنى اختص حال استعلائك عليّ العلم بأنّ كلّ شيء بقضاء الله وقدره ولا مفرّ منه، أو اترك الخصاء². فجميع الأمور بتقدير الله في الأزل، فالخصاء وتزكّه سواء، فإنّ الذي قدّر لابدّ أن يقع³.

– صُوْرُ الاستبدال وأثرها في الحديث:

يُنبئني هذا النصّ النبويّ على الحوار بين طرفين، الطرف الأوّل الصحابيّ الجليل أبو هريرة رضي الله عنه هو السائل المشتكي من حاله، والطرف الثاني محمد ﷺ الموجّه والمرشّد لأبي هريرة وللصحابة ولكلّ المسلمين، فهو المجيب له على ما ينبغي فعله مقابل حاله وشكواه بعجزه عن الزواج، وخشيته من الوقوع في الحرام.

– المقطع الأوّل: [قلت يا رسول الله إنّني رجل شابٌّ وأنا أخافُ على نفسي العنتَ ولا أجدُ ما أتزوَّجُ به النساء، فسكت عنيّ، ثم قلت مثل ذلك، فسكت عنيّ، ثم قلت مثل ذلك، فسكت عنيّ، ثم قلت مثل ذلك].

لقد استهلّ أبو هريرة حديثه إلى رسول الله بالنداء (يا) لفتّاً للانتباه وطلباً للإصغاء، ليأتي قوله بعدئذٍ مسبوقاً بحرف التوكيد (إنّ) ليؤكد بواسطته شدّة ما يشكو من عجزه عن الزواج وهو شابٌّ ويخشى على دينه ونفسه الفجور والزلل.

¹ الكهف، الآية: 29.

² هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 296.

³ فتح الباري، العسقلاني، 26/9.

تكوّن هذا المقطع من أربعة تمفصلات تمثلت فيما يأتي:

- التّمفّصل الأوّل: "إني رجل شاب وأنا أخاف على نفس العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عني".

- التّمفّصل الثاني: "ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني".

- التّمفّصل الثالث: "ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني".

- التّمفّصل الرابع: "ثم قلت مثل ذلك".

جاء المقطع الأول من النص مكوّنًا من أربعة أجزاء مرتبطة فيما بينها ارتباطًا نصيًا واضحًا من خلال الارتباط اللفظي بواسطة حروف وأدوات جعلت منه كتلة نصية ترتبط ارتباطًا دلاليًا لتدلّ على معنى صريح أراد السائل الصحابيّ تبليغه إلى رسول الله ﷺ المشتكى إليه إذ استعمل فيه الفاء العاطفة بين العناصر والتراكيب المكوّنة لتلك الأجزاء، والدّالة على الترتيب والتعقيب مشرّكة في الكلام مفيدة للاتّصال¹.

فقد ربطت الفاء بين جملة (سكت عني) بالجملة السابقة لها (إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء)، فسكوته ﷺ لم يكن متوقّعًا من أبي هريرة، فقد كان يتوقّع الجواب مباشرة بعد السؤال، كما وظّفه في التّمفّصلين الثاني والثالث للدلالة نفسها. ولأجل ربط التّمفّصل الرابع بالثالث، والثالث بالثاني، والثاني بالأوّل، استعمل حرف العطف (ثم) الذي يفيد

¹ ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا (د.ط)، (د.ت)، ص 376-378. وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1413هـ/1992م، ص 61.

الترتيب والتراخي يشرك في الحكم بمهلة.¹ فالدلالة على التراخي في الانتقال من العبارة الأولى للثانية وهكذا دواليك، ولعلّ في ذلك ما يحمله من تردد أبي هريرة في إعادته السؤال والشكوى مرة ثانية عقب سكوته ﷺ، أضف إلى ذلك ما يحمله تكرار الصحابي الجليل قوله مرّة بل مرتين بل ثلاث من إلحاح صريح في شكواه لسماع جواب النبي ﷺ الجواب الذي يُريح باله، ويحلّ مشكلته وانشغاله، ولعلّ هذا التكرار كونه يحمل غايةً ويبعث رسالةً لا يتناقض مع الإيجاز في الأسلوب في بنية كلّ تمفصلٍ من التمفصلات الثلاث الأخيرة ابتغاءً للاختصار واجتناباً للتكرار، وهذا في قوله ﷺ (مثل ذلك) أي (مثل القول كاملاً)، وهو ما سنُفصّل فيه الحديث فيما هو آتٍ .

أمّا المقطع الثاني فهو يتمثّل في جواب النبي ﷺ على سؤال أبي هريرة بقوله: « يا أبا هريرة جفّ القلم بما أنت لاقٍ، فاختص على ذلك، أو ذرّ » استهله بالنداء لفناً لانتباه أبي هريرة بعد إلحاحه الطويل وشكواه المتكرّرة، لتأتي جملة جواب النداء فاصلة القول، مُنهيّة الانتظار بفعلٍ ماضٍ في الجملة الفعلية (جفّ القلم...) انقضاء الفعل وانتهاءه بفعل القدر، وإرادة الله عزّ وجلّ سطرّ لكلّ امرئٍ ما لقي وما يلقي، وما سوف يلقي، وفي هذا دعوة له للتسليم بما هو فيه، والرضى بالقدر، واستأنف ﷺ قوله في الجملة الثانية المستأنفة بواسطة الفاء.² إذ ربطت الجملتين اللاحقة بالسابقة، فجملة (فاختص على ذلك أو ذرّ) جملة طلبية فيها مواساة وتسلية عظيمة للعاجزين عن الأسباب فيما يرجون نيله أو يخافون وقوعه.³

¹ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 61 و 426.

² ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبد النور المالقي، ص 377 – 378.

³ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 500/2.

هذان هما المقطعان المكوّنان للحديث النبوي الشريف، وقد ارتبطا بروابط كثيرة منها "الاستبدال"، وقد انبنى النص على العديد منها نُوضَّحها فيما يأتي:

تضمّن الحديث الشريف أربعة استبدالات جميعها قولية، تمثّلت في اسم الإشارة (ذلك) إذ ورد في قول أبي هريرة:

- ثم قلت مثل ذلك

- ثم قلت مثل ذلك

- ثم قلت مثل ذلك

وفي قوله ﷺ أيضا:

- فاختص على ذلك أودر.

جاءت هذه الأداة النصية "الاستبدال" في الجمل الثلاثة من قول أبي هريرة: (ثم قلتُ مثل ذلك) بعد قوله (فسكت عني) وقد كررها ثلاثاً، فنجده يُكرّر ويُعيد القول، وفي الوقت نفسه يعمد إلى الاختصار في الكلام باللجوء إلى استخدام اسم الإشارة (ذلك) الذي يُمثّلُ عنصراً بديلاً دالّ على العنصر المستبدل الذي سبق ذكره ، وهو (إني رجلٌ شابٌ...النساء).

ولعلّ في شكوى أبي هريرة المكررة في القول من الإلحاح في انتظار سماع جواب ذوي الفضل من يُرجى برکتهم محمد ﷺ دليلٌ على شدة ما يتوقّعه من الأذى في حاله هذا.¹

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي حمزة، 498/2 - 499.

تكرّر القول مخاطبًا رسول الله بالأقوال نفسها، بينما اقتصر على الاستبدال مُختصرًا بذلك في سرده لغيره، ووصفه لحاله لما في هذا الاستبدال القولي باسم الإشارة (ذلك) من أثر سواءً من ناحية اللفظ بربطه الجملة الفعلية (قلت مثل ذلك) بما قبلها، أو من ناحية المعنى بالارتباط الدلالي في مقطعي النصب بجميع تفصيلاته لتحقيق بذلك الاستمرارية الدلالية لموضوع واحد، وقضية محورية عبر مكونات النص (شكوى أبي هريرة العاجز عن الزواج الخائف على نفسه العنت). في ظل وجود اسم الإشارة (ذلك) كعنصر بديل حلّ محلّ المُستبدل على الرّغم من عدم المطابقة بينهما.¹

فالعنصر البديل (ذلك) اسم إشارة مكوّن من (ذا) اسم إشارة للقريب مبني على السكون حُذِفَتْ أَلْفُهُ لدخول لام البعد - وهو حرف مبني على الكسر لا محل له من الإعراب - فكان دالًّا على القريب، وباتّصاله بلام البعد وكاف الخطاب معًا صار دالًّا على البعيد.²

ولعلّ في إيثاره اسم الإشارة (ذلك) على الضمير بغية التنبيه عن شدّة حاله كونه عاجزًا عن الزواج حريصًا على حفظ نفسه ودينه. فضلًا على أنّ في اختيار الإشارة بـ (ذلك) الدالّ على البعد في قول أبي هريرة إيماء إلى البعد الزمني لفعل القول المكرّر والشكوى المعجّر عنها منه عقب سكوته ﷺ عن الردّ عليه في المرّة الأولى، وفي المرّة الثانية وفي المرّة الثالثة، فبين كلّ قولٍ وقولٍ فاصلٌ زمنيٌّ يبدو واضحًا

¹ ينظر: لسانيات النص، محمد خطايي، ص20.

² ينظر: معجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، ص214 - 216.

وجلياً يُؤيِّده معنى التراخي في رتبة الحدث، هذا التراخي والانفصال دلّ عليه حرف العطف (ثم)¹. في قوله رضي الله عنه (ثم قلتُ مثل ذلك) بعد قوله (فسكت عني).

أما الاستبدال الرابع فهو في قوله ﷺ مُجِيباً عن سؤالٍ وشكوى الصحابيِّ الجليل أبي هريرة بعد إلحاحه في ذلك إذ قال: « يا أبا هريرة جفّ القلمُ بما أنت لاقٍ فاختصِر على ذلك أودر ». وقد تأخّر جوابه ﷺ لأنّ من خلقه الحياء وهو من شعب الإيمان، فلمّا لم يكن له عنده ممّا سأل مخرّجٍ أعرض عنه في الأوّل لعلّه يُقنّعه ذلك، وكذلك في الثانية، فلمّا بلغ الثانية جاوبه من أجل تقرير الحكم². فقد جاء الجواب مُختصراً في اللفظ فاصلاً في الأمر، باستعمال اسم الإشارة (ذلك) عنصراً بديلاً عن قولٍ مطوّلٍ مثل العنصر المُستبدل اقتضى المقام والموقف، والموضوع النأي عن تكراره. فقوله ﷺ (على ذلك) مُتعلّق بمقدّر أيّ اختصِر حال استعلائك على العلم بأنّ كلّ شيءٍ بقضاء الله وقدره، وليس هذا إذناً في الخفاء بل فيه إشارةٌ إلى النهي عن ذلك، كأنّه قال إذا علمت أنّ كلّ شيءٍ بقضاء الله فلا فائدة في الاختصاص³.

فهذا القول المطوّل يمثّل إذن عنصراً مُستبدلاً، واسم الإشارة (ذلك) هو عنصراً بديلاً حلّ محله وأحال إليه، أغنى عن إعادة القول، وأفاد الإيجاز في اللفظ دون حاجة إلى توسيع الكلام بعدها⁴. فضلاً على الارتباط الدلالي الذي حقّقه بينَ تمفصلات هذا المقطع الثاني من النصّ فيرتبطاً معاً بالموضوع المحوري للنص في مكوّناته وأجزائه.

¹ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 61 و ص 426.

² بهجة النفوس، ابن أبي جهرة، 2/499.

³ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 9/26.

⁴ ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، أبو خرمة، ص 174.

— نص الحديث —



- نصّ الحديث الخامس:

عَنِ الْبَرَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ التُّسُكِ فِي شَيْءٍ »¹.

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي الشريف أول حديث رواه الإمام البخاري في كتاب "الأضاحي". والأضاحي جمع أضحية بضم الهمزة، ويجوز كسرهما، والجمع ضحايا، وهي أضحية، والجمع أضحي وبه سمي يوم الأضحي، وهي من شرائع الدين، وقربى يتقرب بها العبد المؤمن إلى ربه.² هذا ما بينه الحديث إذ دلّ على أنّها سنة وهي سنة مؤكدة على الكفاية عند الجمهور والشافعية.³ والسنة التي بينها ﷺ أنّها في يوم عيد الأضحي، ويكون بتقديم الصلاة وتأخير الذبح لأنّ الذبح أو النحر قبل الصلاة هو لحم ليس بتسك، وقد أكد ذلك العلامة بجعل الصلاة بداية هذا اليوم، فجعلها مفتاح الأعمال في ذلك اليوم، فالصلاة عبادة تأتي بعدها الأضحية، وهي من أعظم القربى وأفضل النسك. فقد شرعها الله عزّ وجلّ بمقتضى هذا الحديث وهو غني عن عبادة العابدين، فهي ممّا للنفس

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جرة، كتاب الأضاحي، باب سنة الأضحية، [545/222]، ص111. وفي صحيح البخاري، زيادة: (فقام أبو بردة بن نيار وقد ذبح فقال: إنّ عندي جذعة. فقال: "اذبحها ولن تجزي عن أحد بعدك")، ص684.

² ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 5/10 - 6.

³ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص308 - 309.

فيها شهوة وراحة لأنك تأكل وتدّخر، وأنت في الصدقة منها بالخيار إن تصدّقت أجزت أجرا آخر، وإن لم تصدّق لم تأثم وثبت لك أجر الأضحية بنفس الذبح، والأكل زيادة راحة لك.¹

- صُور الاستبدال وأثرها في الحديث:

إننا حين نقف على هذا النص النبوي نجدُه مُكوّنًا من مقطعين، وهو على قِصر لفظه وإيجاز تراكيبه قد جاءت مكوّناته متلاحمة في بنيتها، منسجمة في دلالتها، تحكمه عدّة علاقات حققت فيه الترابط النصي بين أجزائه و تمفصلاته سواء بواسطة وسائل ربط لفظية شكلية، أو بواسطة علاقات دلالية، كعلاقة العموم بالخصوص، السبب والمسبب، الإجمال والتفصيل. وهي علاقات كما يقول محمد خطابي لا يكاد يخلو منها نص يُحقّق شرطَي الإخبارية والشفافية مستهدفًا تحقيق درجة معينة من التواصل سالكا في ذلك بناء اللاحق على السابق.²

- **المقطع الأول:** بدأ النبي الأكرم حديثه هذا بتوكيد، التوكيد الذي يهدف إلى ترسيخ الأمر في ذهن السامع، وإزالة الشك، وتوضيح المقصود.³ سنته العملية، ومنهجه التعبدي يوم عيد الأضحى المبارك، كلام شامل وتعبير مجمل، وقول مكثف نسجه السكتي في المقطع الأول القائل فيه: [إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نُصلّي ثم نرجع فننحر]، هذا الجزء بهذا الكشف في ألفاظه وتراكيبه على قصره بنية وإجماله حكمًا ودلالة يدفع المتلقّي لفهمه، فيجيبه عما يبدّره من تساؤل في ذهنه على

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي حمزة، 539/2 - 542. وإرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 299/8.

² لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 268 - 269.

³ البنى الأسلوبية في النص الشعري، دراسة تطبيقية، راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، دار الحكمة، لندن، بريطانيا، ط1، 2004م، ص 201.

الرَّغْمُ مِنْ أَنَّ الْخُطَابَ خُطَابٌ سَرْدِيٌّ، الْمُرْسَلُ فِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مُنْشَى النَّصِّ، وَالْمُتَلَقَّى الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَجَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ.

فهذا المقطع النصيَّ تَكُونُ مِنْ جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ مُرَكَّبَةٍ مَبْدُوءَةٌ بِ (إِنَّ)، وَهِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ أَدَوَاتِ التَّوْكِيدِ، وَأَكْثَرُهَا اسْتِعْمَالًا . فَاسْلُوبُ التَّوْكِيدِ سِمَةٌ شَائِعَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهِيَ سِمَةٌ تَتَّفَقُ مَعَ مَهْمَّةِ التَّبْلِيغِ وَالتَّعْلِيمِ الَّتِي أَدَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْتَمَعٍ كَانَتْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ الْأُمِّيَّةُ وَالْجَهْلُ، فَكُلُّ مَا كَانَ يُبَلِّغُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَدِيدًا وَمُثِيرًا لِلنَّاسِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَهُ وَيُشَاهِدُونَهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - فَلَمَّا يَكْثُرُ تَسَاؤُهُمْ، وَتَتَّصِلُ مَرَاجِعَاتُهُمْ لَهُمْ فَيُضْطَرُّ مِنْ أَجْلِ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ حَقَّ الْأَدَاءِ - مِنْ تَأْكِيدِ الْقَوْلِ بِأَسَالِيبِ التَّوْكِيدِ الْمُتَعَدِّدَةِ.¹ فَقَدْ أَكَّدَ عَلَيْهِ ﷺ عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْأَضْحِيَّةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَبَيَانِ الْكَيْفِيَّةِ فِي ذَلِكَ، فَمُخَالَفُهُ لَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ شَيْءٌ.² لِأَسِيْمَا ذَلِكَ التَّرْتِيبَ الزَّمَنِيَّ لِمُتَوَالِيَةِ أَفْعَالِهِ مِنْ صَلَاةٍ (أَنْ نَصَلِي)، وَرُجُوعٍ مِنَ الصَّلَاةِ (ثُمَّ نَرْجِعْ)، وَنَحْرٍ أَوْ ذَبْحٍ (فَنَنْحِرْ).

وَقَدْ رُبِطَتْ بَيْنَهَا أَدَوَاتُ رِبْطٍ مُتَنَوِّعَةٍ، كَحُرُوفِ الْعَطْفِ، مِنْهَا (ثُمَّ) الدَّالَّةُ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّرَاخِي، لِسَعَةِ زَمَنِ الْأَضْحِيَّةِ وَتَأْخِيرِهِ عَنْ صَلَاةِ الْعِيدِ لِيُصَلَّ حَتَّى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.³

- **المقطع الثاني:** يَأْتِي هَذَا الْمَقْطَعُ السَّرْدِيُّ الثَّانِي فِي سِيَاقِ تَفْصِيلِ الْمَوْجَمَلِ، وَتَبْسِيطِ الْمَكْثُفِ حِينَ يَنْتَقِلُ الْقَائِلُ - مُحَمَّدٌ ﷺ - فِي خُطَابِهِ قَائِلًا: [مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا. وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلُ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ

¹ بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، عودة خليل أبو عودة، دار البشير عمان الأردن، ط1، 1411هـ/1991م، ص255.

² ينظر: بهجة النفوس، ابن أبي حمزة، 541/2 - 542.

³ ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة مصر، ط1، 1347هـ/1929م، 111/13. ومنهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط4، 1964م، ص265.

قَدَّمَهُ لأَهْلَهُ لَيْسَ مِنَ النِّسْكِ فِي شَيْءٍ [. يُشْكَلُ بِذَلِكَ هَذَا الْإِنْتِقَالُ السَّلْسُ تَلَاَحُمًا مَوْضُوعِيًّا،
وَانْسِجَامًا نَصِّيًّا بَيْنَ مَقْطَعِي هَذَا النِّصِّ الْحَدِيثِيِّ .

تَكُونُ هَذَا الْجُزْءُ مِنَ النِّصِّ مِنْ جُمْلَتَيْنِ، الشَّرْطُ وَالْجَوَابُ أَوْ السَّبَبُ وَالْمُسَبَّبُ (مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ
سُنَّتَنَا) و (مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لأَهْلَهُ لَيْسَ مِنَ النِّسْكِ فِي شَيْءٍ) . فِي كُلِّ مَنْ هَاتَيْنِ
الْجُمْلَتَيْنِ الشَّرْطِيَّتَيْنِ عِلَاقَةٌ تِلَازِمِيَّةٌ تَرْبُطُ بَيْنَ فِعْلِ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ، فَعَلِ الشَّرْطِ سَبَبٌ فِي حَدُوثِ
النَّتِيحَةِ، فَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَوَّلَى أَنَّ أَدَاءَ السَّنَةِ يَسْتَلْزِمُ فِعْلَ الْمُؤْمَنِ فَعَلَهُ هُوَ مِنْ صَلَاةٍ ثُمَّ رَجُوعٍ
فَنَحْرٍ . وَفِي الثَّانِيَةِ بَيَّنَّ نَتِيجَةَ الْفِعْلِ الْمَخَالِفِ لِمَا فَعَلَهُ إِذْ عَدَّ الذَّبْحَ أَوْ النَّحْرَ الْمُقَدَّمِ عَنِ الصَّلَاةِ لَحْمًا
لِلْأَهْلِ لَا أَضْحِيَّةَ، وَلَيْسَ مِنَ النِّسْكِ فِي شَيْءٍ .

فَالْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ تَكَادُ تَمَاطِلُ الْجُمْلَةَ الْفِعْلِيَّةَ أَوْ الْجُمْلَةَ الْإِسْمِيَّةَ فِي حُضُورِهَا فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ خَاصَّةً
مِنْهَا تِلْكَ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَى أَدَاءِ الشَّرْطِ (مَنْ)، وَهِيَ أَكْثَرُ الْأَدَوَاتِ شِيوعًا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ .
زِيَادَةُ عَلَى دَوْرِهَا الْفِعَالِ فِي رِبْطِ جُمْلَتَيْ الشَّرْطِ وَالْجَوَابِ الْمُتِلَازِمَتَيْنِ . فَهِيَ خَصِيصَةٌ مُمَيَّزَةٌ لِلُّغَةِ الْحَدِيثِ،
ذَلِكَ أَنَّ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ هُوَ فِي الْأَصْلِ تَشْرِيعٌ لِلنَّاسِ، وَشَرْحٌ لِأَحْكَامِ الدِّينِ . وَبَيَانٌ لِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ،
وَلِلْمَأْمُورِ بِهِ وَالْمَنْهِيِّ عَنْهُ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ .

وَكُلَّ ذَلِكَ مُرْتَبِطٌ بِجَزَاءٍ ثَوَابًا كَانَ أَوْ عِقَابًا، فَحَدِيثُهُ هَذَا ﷺ كَانَ تَوْضِيحًا لِهَذَا الْجَزَاءِ وَهُوَ مُوجَّهٌ
لِلنَّاسِ كَافَّةً وَمُبَيِّنًا لْجَزَاءِ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا، مِنْ هُنَا كَانَ حُضُورُ أَسْلُوبِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ أَكْثَرُ

من غيره، وشاعت فيه (مَنْ) التي تُخاطَبُ العاقل أكثر من غيرها.¹

إضافة إلى هذا فقد اتَّسم هذا المقطع بالتوازي في بنيته، والتوازي هو توافق الجمل في التركيب على المستوى النحوي، وعدد الكلمات، وله أثر قوي في إقناع المتلقّي بحسن الفكرة من خلال حسن التقسيم للعبارات الدالة عليها.²

فالتفصّلان اللذان كَوَّنَا هذا المقطع المفصّل لما قبله بدأ بـ (مَنْ) الشرطية في كليهما، يعقبها فعلا الشرط على التوالي (فَعَلَ) في الأوّل، و(ذَبَحَ) في الثاني، والجواب أو الجزء في كليهما أيضاً مقرون بالفاء الرابطة وقد أُكِّدَا. ففي الأوّل بحَرْفٍ تحقيق (قَدْ)، وفي الثاني بحَرْفٍ مشبّه بالفعل (إِنَّ). فرسّمت هذه الأدوات بهذا التوزيع في هذا المقطع قطعةً واحدةً بملح جمالي واضح، تتسقُ مكوّناته، وتنسجم معانيه ودلالاته.

فالأدوات النصية عملت على تحقيق اتّساقا في بنية الحديث وتلاحماً بين مكوّناته، ويُعدّ "الاستبدال" واحداً من هذه الأدوات، الذي كان له حضورٌ نوعي واضح، حضورٌ من خلال أثره النصي والأسلوبي والدلالي، لا حضوره الكمي؛ فقد وُجِدَت صورة واحدة من صُوره، هو الاستبدال الفعلي في المقطع الثاني من النص في قوله ﷺ (فَعَلَهُ).

فحين نقفُ مُتأملين هذا الاستبدال يمكن أن نصِلَ إلى جملة ملاحظات، ومن خلالها جملة نتائج تتمثّل فيما يأتي:

¹ ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، عودة خليل أبو عودة، ص 259 - 260.

² ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص 370.

- هذا الاستبدال هو "استبدال فعلي" يمثّل فيه الفعل (فَعَلَ) فعل الشرط في الجملة الشرطية الأولى من المقطع الثاني "العنصر البديل" الذي حلّ محلّ العنصر المستبدّل السابق ذكره سرّداً في المقطع الأوّل من النص، المتمثّل في كلّ من سلسلة الأفعال، أو المتوالية الفعلية المرتّبة ترتيباً فعلياً من طرفه ﷺ (صَلَّى) ثمّ (رجع) ف (نَحَرَ) أو (ذَبَحَ)، كسُنّةٍ عمليّةٍ ورسالةٍ تعبُديّةٍ أرادَ تبليغُها إلى الصحابة ولكلّ المسلمين.

فصيغة الفعل الكنائي (فَعَلَ) أُغْنَتْ عن إعادة ذكر تلك الأفعال بذلك التسلسل دون تكرار للقول، وإعادته بلفظه المطوّل. فهو لفظٌ قليلٌ في أحرفه، مُوسّعٌ بشموليته، مُكثّفٌ في دلالاته، صورة من صور الإيجاز في أسلوبه ﷺ ما يبلغُ به العليّةُ الكمال في البيان البشري وهو من جوامع كلمه، ولا يُؤتَى الإيجاز إلاّ مَنْ رُزِقَ حدّةً في الذهن، وإرهافاً في الإحساس البياني، ومعرفةً تامّةً بدلالة المفردات، وإدراكاً واعياً لأحوال المخاطبين، وقد اجتمع ذلك كلّهُ في الرسول ﷺ على أكمل وجه.¹

فهو ﷺ تميّز بغلبة فكره على لسانه، فقلّ كلامه، وخرج قصداً في ألفاظه، مُحيطاً بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكلّ معانيها. اجتمع كلامه وقلّت ألفاظه، اتّسع معناه وأحكم أسلوبه في غير تعقيدٍ ولا تكلفٍ، مع إبانة المعنى واستغراق أجزائه.²

- هذا الاستبدال الفعليّ جرى بواسطة اللفظ الكنائي للفعل (فَعَلَ) الوارد في قوله ﷺ: (مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا)، وقد عمّل مع غيره من العناصر اللفظية في تحقيق توافق تركيبّي بين الجملتين الشرطيّتين

¹ الحديث النبويّ مصطلحه بلاغته كتبه، محمد الصباغ، ص106.

² ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1425هـ/2005م، ص205.

المعطوفتين الأولى (مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا) والثانية (مَنْ ذَبَحَ قَبْلُ فَإِنَّهُ لَحِمٌّ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ...)، فكان هذا التوافق والتوازي في بناء التَمَفُّصَيْنِ الشرطيَّين واضحاً من خلال الاكتفاء بلفظ فعل الشرط (فَعَلَ) في الجملة الأولى في مقابلة فعل الشرط (ذَبَحَ) في الجملة الثانية أُوْحَدَتْ تَوَافُقًا في مساحة الجُمْلِ، وتَنَاعُماً في هذا المقطع النصيِّ بعضه ببعض .

- إنَّ في هذا الاستبدال تحقيق للاستمراريَّة الدلاليَّة في ظلَّ وجود العنصر البديل (فَعَلَ) محلَّ العنصر المِسْتَبَدَّل (صَلَّى ثم رجع فنحر أو ذبح) على الرَّغْم من اختلافه عنه بنيَّةً ولَفْظًا، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ كَمَا كَانَتْ حَاضِرَةً بِصُورَةٍ مُتَوَالِيَةٍ فَعْلِيَّةٍ مَطْوَلَةٍ في المقطع النصيِّ الأوَّل ، كَانَتْ حَاضِرَةً أَيْضًا في المقطع النصيِّ الثاني لكنْ بِصُورَةٍ أُخْرَى، صورة أُخْصِرَ مَبْنًى، دَالَّةٌ عَلَيْهَا، مُؤَدِّيَّةٌ مَعْنَاهَا بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْكِنَائِيِّ (فَعَلَ). ذَلِكَ مَا حَدَّدَهُ ﷺ بِتَقْيِيدِ سُنَّتِهِ فِي الْأُضْحِيَّةِ بِالتَّزَامِ ذَلِكَ الْفِعْلُ كَمَا هُوَ بِالْفِعْلِ، فِعْلُهُ الْعَمَلِيُّ الَّذِي حَرَصَ ﷺ عَلَى تَبْلِيغِهِ لِلصَّحَابَةِ، وَحَثَّهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ.

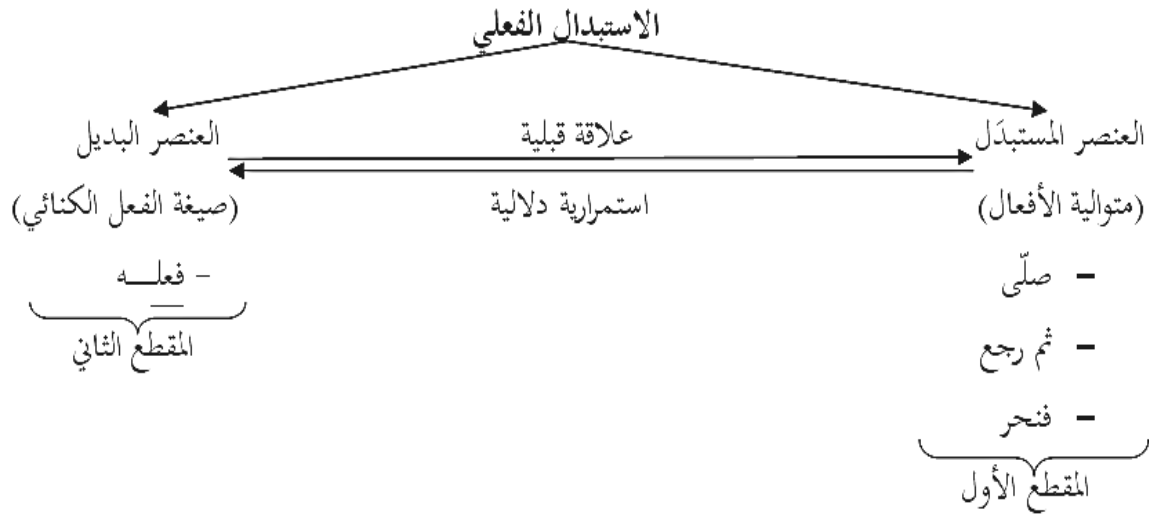
فضلاً عن ذلك فإنَّ هذا الاستبدال الفعليَّ قد عَمِلَ كَأَدَاةٍ مِنْ أَدَوَاتِ الْإِتِّسَاقِ النصيِّ على تحقيق الترابط النصي وتلاحم بنية النص الحديثيِّ بمساهمته الفعَّالة في رِنْطِ مَقْطَعِيِ النَّصِّ، الثاني بالأوَّل، رِنْطِ الْمَقْصَلِ بِالْمُجْمَلِ، الخاصِّ بالعام، الجزء بالكلِّ، إذْ يَسْتَحِيلُ فَهْمُ الْعُنْصُرِ الْبَدِيلِ (فَعَلَهُ) مِنْ غَيْرِ الْعَوْدِ إِلَى الْعُنْصُرِ الْمِسْتَبَدَّلِ، يَتَحَتَّمُ عَلَى الْقَارِئِ الْبَحْثَ عَمَّا ارْتَبَطَ بِهِ، وَحَلَّ مَحَلَّهُ، فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ بِعِلَاقَةٍ قَبْلِيَّةٍ لِسَبْقِ ذِكْرِهِ فِي النَّصِّ الْحَدِيثِيِّ.¹

¹ ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، دي بوجراند وإلهام أبو غزالة وآخرون، ص98.

فطريقته ﷺ في الأضحية يوم العيد هي سنُّه التي دَعَا المسلمِينَ إلى العمل بها ، فهي جَوْهر الموضوع، ومَحْور الخطاب، والمفهوم الحاضر في ثنايا النص النبوي بلفظه أو بمعناه، مُجْمَلًا مُكْتَفًًا أو مُفَصَّلًا مُبَسَّطًا، صريحًا أو مُكْنًى، مُسْتَبَدَلًا أو بديلاً.

وَجُمْلُ القول يُمكنُ أَنْ نُؤَكِّدَ أَنَّ هذا الاستبدال كان له دورٌ واضحٌ وأثرٌ فعَّالٌ سواءً على مستوى بنية النص الحديثي باتِّساق مبناه، وانسجام معناه، أو على مستوى بلاغته وأسلوبه بإيجاز لفظه، وقوَّة دلالته.

ويمكن أن نُمثِّلَ هذا الاستبدال الفعلي في المخطط الآتي:



- نصّ الحديث السادس:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرَزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ، وَزَنَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهَى، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ ».¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

ظاهرُ الحديث يدلُّ على الإخبار بأنَّ من كتب الله عليه من بني آدم شيئاً من الزنا لا بدَّ أن يفعله ولو تحرّز بما عسى أن يتحرّز.²

فابن آدم قد قُدِّرَ عليه نصيب من الزنا، فمنهم من يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج في الفرج الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازاً بالنظر الحرام، أو الاستماع وما يتعلّق بتحصيله إلى الزنا، أو النظر، أو اللمس باليد بأن يمسّ أجنبية بيده، أو بتقبيلها، أو المشي بالرجل إلى الزنا، أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك، أو بالفكر بالقلب، فكلّ هذه الأنواع من الزنا المجازي، والفرج يُصَدِّقُ ذلك كلّهُ أو يُكَذِّبُهُ، أي أن يحقّق الزنا بالفرج، وقد لا يُحَقِّقُهُ.³

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، باب: زنا الجوارح دون الفرج، كتاب: الاستئذان، [6243/256]، ص122. وفي صحيح البخاري، ص752_753، وجاء أيضاً في كتاب: القدر، باب: "وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون" (الأنبياء: 90)، رقم: [6612]، ص791. وفي "صحيح مسلم"، كتاب: القدر، باب: كتب على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، ص2675.

² بهجة النفوس، ابن أبي جمرة، 695/2.

³ ينظر: صحيح مسلم، بشرح النووي، 206/16.

وتصديق ذلك أي المذكور من زنا العين واللسان، وتصديق الفرج يكون بالفعل، وتكذيبه بعدم الفعل، ونسبة التصديق والتكذيب للفرج مجاز.¹

وإدراك ذلك لا محالة يعني كما شرح ابن بطال إدراكه له من أجل أن الله كتبه عليه، وإنما سُمِّي النظر والمنطق (النطق)، ومنى النفس وشهوتها زناً لما كانت دواعي إلى الزنا، والسبب قد يُسمَّى باسم المسبب مجازاً واتساعاً لما بينهما من التعلق.² وقد ذكر القسطلاني أن المكتوب على ابن آدم الزنا لا بد له منه لأن ما كتبه الله لا بد أن يقع . وكتب يحتمل أن يُراد به أثبت، أي أثبت فيه الشهوة والميل إلى النساء، وخلق فيه العينين والأذن والقلب وهي التي تجد لذّة الزنا، ويحتمل أن يراد به قدر أي قدر في الأزل أن يجري على ابن آدم الزنا، فإذا قُدِّر في الأزل أدرك ذلك لا محالة.³

فزنا العين وزنا اللسان وتمني النفس غير مؤاخذ به من اجتنب الزنا بفرجه لأنه كذب زنا جوارحه بتزك الزنا بفرجه، فاستخف زنا عينه ولسانه وقلبه، لأن ذلك من اللوم الذي يغفر باجتناب الكبائر، وزنا الفرج من أكبر الكبائر، فمن فعله فقد صدق زنا عينه ولسانه وقلبه؛ فيؤاخذ بإثم ذلك كله.⁴

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، 345/9.

² شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 312/10.

³ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 365/9.

⁴ شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 312/10.

- صُورُ الاستبدال وأثره في الحديث النبوي:

هذا الحديث النبوي مُكوّنٌ من مقطعين، وكلّ مقطع شكّلته مجموعة من الجمل، جمل قصيرة في غالبها، تعدّدت فيها التراكيب اللغويّة بأنماطٍ متعدّدة وهي سمة متمثّلة في مُعظم الجمل في البنية التركيبية للأحاديث الشريفة.¹

ولقد جاء هذا النصّ الحديثي مُستهلاًّ بالمقطع الأوّل مُكتفياً مُجملاً متبوعاً بالمقطع الثاني مُبسّطاً مُفصّلاً له، ذلك أنّ هذا التكتيف يُثيرُ التأمل في الذهن لفهم أمرٍ كبيرٍ واسعٍ، أشارت إليه اللفظة أو العبارة المكثّفة التي تُحيطُ بالمعنى قبل الكلام الذي يُبسّط المعاني، فيتوجّه المتلقّي لفهمها على سعتها وكمالها، فيأتيه التبسيط وقد تهيّأ له، فيتقبّله مزيد قبول، ويُرسّخ فيه مزيد رسوخ.²

- المقطع الأول: [إنّ الله عزّ وجلّ كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة].

في هذا المقطع استهلالٌ بأسلوبٍ خبريٍّ جملةً الابتدائية اسمية مؤكّدة، والأساليب الخبريّة تتيسّم بالثقة والهدوء إلّا أنّ بدايته بتوكيد فيها نوع من الانفعال، لأنّ التوكيد غالباً يُستخدّم حينما يُواجه إنكاراً أو شكّاً أو تردّداً، أو يستشعر ذلك، فيدعم خبره المسوق بلونٍ أو أكثر من ألوان التوكيد بحسب المقام.³

فظاهر الحديث ومن خلال هذا المقطع في بنيته السطحية يدلُّ على الإخبار بأنّ مَنْ كُتِبَ عليه من بني آدم من الزنا لا بدّ أن يفعله ولو تحرّز بما عسى أن يتحرّز به، ولن يستطيع أن يدفع ذلك عن

¹ ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، عودة خليل أبو العوده، ص41.

² في ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، ص378.

³ بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلّم، أحمد عبده عوض، مركز الكتاب للنشر، القاهرة مصر، ط1، 2013م، ص169.

نفسه لأنّ الزنا ودواعيه كلّ ذلك مكتوبٌ مقدّرٌ على العبد غير خارج من سابق قدره¹. فالسامع لهذا القول المجمل المكثّف يقف متردّداً بلّ شاكّاً في القبول الفعلي، والإقرار اليقينيّ لهذا الخبر على الرغم من الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وسلّم وبرسالته السماويّة وسنّته القوليّة والفعليّة والتقريريّة، فكان ذلك مدعاةً لوجود التوكيد في مستهلّ بنية مستهلّ الجملة لهذا المقطع الإخباريّ.

فلعلّه ﷺ استشعر وهو المرسل ومُنشئ الحديث أنّ المخاطب أو المتلقّي - وهم الصحابة وجماعة المسلمين - يستغرب ويقع في حيّرة من أمره في حتمية وقوع بني آدم في الزنا شاء أم أبي على ظاهر هذا القول وكأنّ فاحشة الزنا المنهي عنها واقع لا مناص منه، فضلاً عن ذلك السؤال المتبادر في الذهن هنا، أيّ زنا مقصود هنا وهو مُقدّر على المرء؟ هلّ الزنا الحقيقيّ بإدخال الفرج في الفرج الحرام؟ أمّ الزنا المجازيّ بالنظر الحرام، أو الاستماع إلى الزنا، أو اللمس باليد للأجنبيّة، أو التفكير بالقلب وغير ذلك.²

كلّ ذلك تركّ هذا المقطع النصيّ الأوّل في الحديث النبويّ مجملاً يحتاج إلى تفصيل، مُكثّفاً يطلب التبسيط. من هُنا شكّل حلقة أولى في سلسلة من الحلقات انبنى عليها هذا النصّ النبويّ، جعلت منه نصّاً متسلسلاً توالديّاً يدفع فيه القول الأوّل إلى الثاني إلى ما يليه وهكذا.

- **المقطع الثاني:** [فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمّى وتشتهي، والفرج يصدّق ذلك كلّهُ ويُكذّبهُ].

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جرة، 695/2، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال، 312/10.

² ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، 206/16.

هذا المقطع النصي ارتبط بما قبله بواسطة الفاء الاستثنائية فضلاً عن أدوات الاتساق الأخرى التي يُعدُّ الاستبدال واحداً منها زيادة على الروابط الإحالية وحروف العطف وغيرها.

لقد كَوّن هذا الجزء من النص الحديثي أربعَ جُمَلٍ يصلُّ بعضها ببعض، ويُمَهّد بعضها للبعض الآخر، (زنا العين النظر)، و(زنا اللسان المنطق)، و(النفس تَمَى وتشتهي) و(الفرج يُصدّق ذلك كله ويُكذِّبه). جميعها جمل اسمية لم تُكنْ مُؤكّدة بأيّ ضربٍ من ضروب التوكيد، وكأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يستشعرُ تردُّداً أو إنكاراً من المخاطب، فقد ساق خبره سوق الوثاق من قبول قوله وتصديقه، وذلك أنّ تسمية النظر، والمنطق، ومُنى النفس وشهوتها زنا لمّا كانت دواعي إلى الزنا، والسبب قد يُسمّى باسم المسبّب مجازاً واتّساعاً لما بينهما من التعلّق، غير أنّ زنا العين وزنا اللسان، وتمنى النفس غير مؤاخذ به من اجتناب الزنا بفرجه، لأنّه كذّب زنا جوارحه بترك الزنا بفرجه، لأنّ ذلك من اللّم الذي يُعفّر باجتناب الكبائر¹. فإطلاقُ الزنا على سبيل المجاز لا على الحقيقة.

فالمقطع الثاني من النص هو تفصيلٌ لمُجَمَّل، وجوابٌ لسؤالٍ غير منطوق استشعره صلّى الله عليه وسلّم من صحابته وسائر المسلمين، مفهومٌ ساقه في المقطع الأوّل يدفع إلى التفكير، وإعمال الذهن لتفسيره، وتحليل معانيه، فجاء المقطع الثاني ليحلّل ويفسّر ذلك الإجمال والتكثيف، ورد وقد تتابعت جُمُله، وارتبطت أجزاءه، وتوافقت تراكيبه بجُمَلٍ اسمية مبدوءة كلُّ واحدة منها بجارحة من الجوارح الإنسانية (العين)، (اللسان)، (النفس)، (الفرج) متبوعةً بالفعل الصادر عنها على الترتيب (النظر)، (المنطق)، (التمني والاشتهاء)، (التصديق والتكذيب بفعل الزنا أو اجتنابه) متوافقةً في المساحة،

¹ ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 312/10، وبهجة النفوس، ابن أبي جمهرة، 695/2.

حسنة في التقسيم، متناغمة في اللفظ. تتابعت هذه التمفصلات والأجزاء بشكلٍ تدفقت فيه الفكرة، وتماسكت فيه العبارة، فكل تمفصل يرتبط بالتمفصل التالي، وكل مقطع يلد مقطعاً آخر.¹ هذا التسلسل المحكم أشد وضوحاً في البيان النبوي، والمفكر المكين هو الذي تتساق أفكاره متتابعة وكأها ماء يطرد في نهر مستقيم القاع، لأن النسق النبوي في أطراده المتسلسل، وتلاحقه المتتابع لا يحتاج إلى تعقيب أو تحويل.²

فإذا نظرنا إلى هندسة هذا الحديث الشريف سواء ما بين مقطعيه، أو ما بين مكونات المقطع الواحد نجده قد صيغ صياغة فنيّة، فإذا تقدّمت جملة فيه عن جملة لاحتل استواؤه الأدبي، واضطرب هيكله الدلالي، فهو يتدرج من معنى إلى معنى، ومن فكرة إلى فكرة بحيث أن هذا التدرج والتتابع والترابط يتناغم وطبيعة خلق ابن آدم لما فيه من غريزة وميل إلى النساء، فخلق فيه عز وجلّ العينين، والأذنين، والقلب، وغبرها من الجوارح التي تدفعه إلى ذلك الميل وتلك الشهوة، فسُمي ما ذكر من نظر العين وغيره زنا، لأنها مقدمات له، مؤذنة بوقوعه، وتصديق الفرج، وتكذيبه لأنه منشؤه ومكانه، فإرسال الطرف بالنظر إلى المحارم، وإصغاؤه بالأذن إلى السماع، ثم انبعاث القلب إلى الاشتهااء والتمني، واليدين في البطش، والفرج يُحقق مشتهاه، فيقع في الحرام أو يُحييه ويتعفف عن الحرام.³

¹ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص373.

² ينظر: البلاغة النبوية، محمد رجب البيومي، دار المصرية اللبنانية، القاهرة مصر، ط1، 1429هـ/2008م، ص234.

³ ينظر: إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 356/9.

وكأنّ بهذا التدرّج والتسلسل في إطلاق العنان للحواس والجوارح من غير لجم أو تقييد خطوات تصاعديّة، واستدراج فعليّ لما هو أعظم، وأشدّ ذنباً، وأبلغ إثماً، اقتراف فاحشة الزنا، وصدّق شوقي حين قال:

نظرةٌ فابتسامةٌ ُ فسلامٌ فكلّامٌ فموعدٌ فلقاءٌ¹

فمَقْطَعَا النصّ الحديثيّ جاءا مُتْرَابِطَيْنِ تَرَابُطاً نصيّاً، وكلّ مقطعٍ تلاحمَتْ تمفصّلاته وتساوقتْ مُكَوّناتُه بنسيجٍ محكمٍ، ونسقٍ متقنٍ، سواء بواسطة التنسيق المحكّم للمعاني الجزئية، أو بواسطة الروابط اللفظيّة المتمثّلة في أدوات الاتّساق التي تنوّعتْ في صُورِها، وتعدّدتْ في حضورها، إذ يعدّ "الاستبدال" رابطاً قوياً كواحد من هذه الأدوات بمساهمة في بناء هذا الاتّساق، وتحقيق هذا الترابط سواء على مستوى المقطع النصّي الواحد، أو على مستوى البنية الكلّيّة للنصّ، ويُمكن توضيح هذا فيما يأتي:

- تضمّنَ هذا الحديث النبويّ استبدالَيْنِ قوليّين كانّا بواسطة اسم الإشارة (ذلك) في موضعين من النصّ: الاستبدال القوليّ الأوّل اعتمد على اسم الإشارة (ذلك) عنصراً بديلاً وقد وردَ في الجملة الفعلية (أدركَ ذلكَ لا محالة) حيثُ وقَعَ في محلّ نصب مفعول به للفعل المتعدي (أدركَ)، وقد عوّضَ العنصر المُستبدَل القول السابق ذكرُهُ من قولهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم في المقطع الأوّل (ما كتب عليه حظّه من الزنا).

¹ ينظر : الأعمال الشعرية الكاملة الشوقيات، أحمد شوقي، باب النسيب، قصيدة "خدعوها" دار العودة، بيروت لبنان، ط1، 1988م، 112/2

فهذا الاستبدال عمل على تحقيق الاتساق في بنية المقطع الأول من النص، إذ ربط الجملة الفعلية الوارد فيها (أدرك ذلك لا محالة) بالجملة الابتدائية المؤكدة المستهل بها الحديث الشريف (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ ...) فالربط المحقق بواسطة هذه الأداة الاتساقية تجاوز الجملة الواحدة إلى الربط على مستوى تعدد الجمل في المقطع الأول من النص.

أمّا الاستبدال الثاني فهو أيضا استبدال قولي، تمثل في اسم الإشارة (ذلك) الوارد في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والفرج يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيَكْذِبُهُ)، فالعنصر البديل (ذلك) يعودُ على ما سَبَقَ ذَكَرَهُ في المقطع الثاني من النص، أي العنصر المُسْتَبَدَل وهو المذكور من زنا العين واللسان وسائر الجوارح.¹

فهذا الاستبدال عَمِلَ على تحقيق الترابط على المستويين، رُبطَ على مستوى المقطع الثاني من ناحية، وعلى مستوى النص من ناحية أخرى بالربط الواضح للمقطع الثاني بالمقطع الأول بجميع تمفصلاتهما المتتابة، وجملها المتسلسلة، وتراكيبها المتوافقة، فضلاً عن الارتباط الدلالي بين ما يحكم مقطعي النص من صلاتٍ بين مُفَصَّلٍ بَعْدَ جُمْلٍ، وتبسيط بعد تكثيف، زنا جُمْلٍ عامٌ يعتريه الغموض والإبهام، وزنا مُفَصَّلٍ مُبَسَّطٌ، زنا مجازيٌّ بالجوارح، وحققيٌّ بالفرج .

كلّ هذا حَقَّقَ في النص الحديثي على قِصَرِهِ أنسجاماً موضوعياً، واتساقاً بنيوياً خاصةً بحضور الاستبدال وتوزيعه الحسن عبر مساحة النص، وانتشاره المنتظم في الجمل الستة المكوّنة للنص في مقطعيه، استبدال قوليٍّ إشاريٍّ في المقطع الأول، ومثله في المقطع الثاني، زيادة على غيره من أدوات الاتساق المختلفة العاملة المتضافرة على سبك النص وحبكه، وحدة عضويّة ووحدة موضوعيّة.

¹ ينظر: مهجة النفوس، ابن أبي جرة، 696/2.

- استخدم النبي ﷺ الشكل البديل (ذلك)، الذي يُشيرُ إلى كلامٍ سابقٍ خارجٍ عن نطاق الجملة إذ استخدم اللفظ الإشاري (ذلك) بديلاً عن تركيبٍ كامل، وقَوْلٍ مطوّلٍ سبقَ ذكرُه في الكلام، فلفظ (ذلك) أغنى عن إعادة هذا التركيب وإن أفادَ حضوره وتنشيطه لدى المستمعين، فكأنّه أُعيدَ ذكره - القول المستقل - في موضعٍ لاحقٍ من الحديث ولكن بشيءٍ من الإيجاز، والبُعد عن التكرار.¹

فلفظ (ذلك) شكّل ضميراً قوياً وعنصراً فاعلاً ورابطاً إشارياً استبدالياً تمَّ استخدامه مُكثِّفاً مُشيراً إلى عددٍ كبيرٍ من الأحداث السابقة له، مُختَصِراً في ذلك ومُوجِزاً.² أشار أحمد حسن الزيات إلى أنّ « ملاك الإيجاز غزارة المعاني ووضوحها في الذهن، وطواعية الألفاظ ومرونتها في اللسان، والإيجاز في البليغ قوّة ورويةً وجهد لأنّ الإيجاز غريزة ونخل وتصفية وتنقية، وتصعيد وتركيز، وذلك لا يتهيأ إلاّ بدوام النظر، وطول التعهّد، وللکلمة الموجزة سحر يأخذ القلوب وشعر يجري في الشعور...»³. كما عمل على تحقيق الاستمرارية الدلالية في ظلّ وجود العنصر البديل بشكلٍ ما في الجملة اللاحقة محلّ المستبدل على الرّغم من عدم المطابقة اللفظية بينهما.⁴

- يوجد مع هذا الاستبدال القولي بواسطة اسم الإشارة (ذلك) غموض وإبهام، لا بدّ من وجود ما يزيله، ويرفع عنه اللبس، فهو يفتقر إلى الإبانة، والتوضيح والتفسير إذ يقتضي أن يُصاحِبَ لفظه ما يدلُّ عليه، ويرتبطُ به.⁵

¹ ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، دي بو جراند، والهام أبو غزالة وآخرون، ص 98-99. ونظرات لغوية في السنة النبوية، حنفي أحمد بدوي، مؤسسة الانتشار العربي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2015م، ص 176-177.

² ينظر: دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص 143.

³ ينظر: البلاغة النبوية، محمد رجب البيومي، ص 236، نقلا عن افتتاحية مجلة الأزهر، صفر سنة 1384هـ.

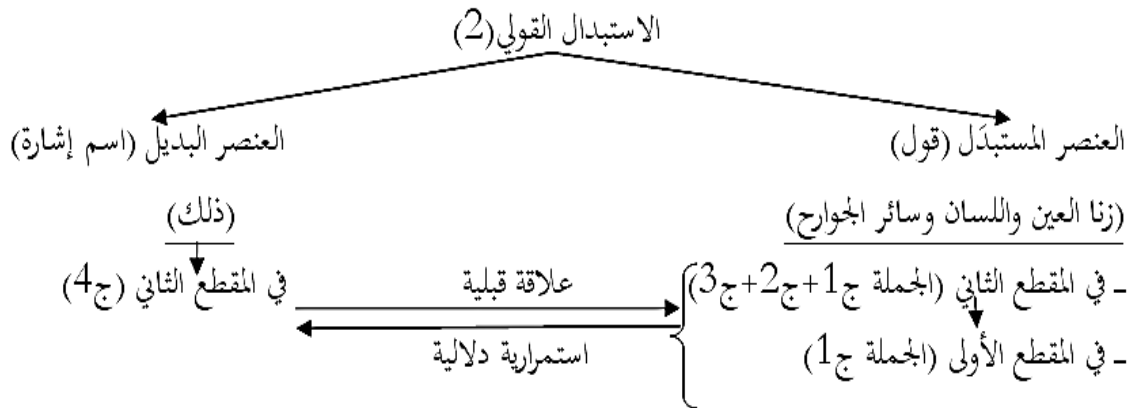
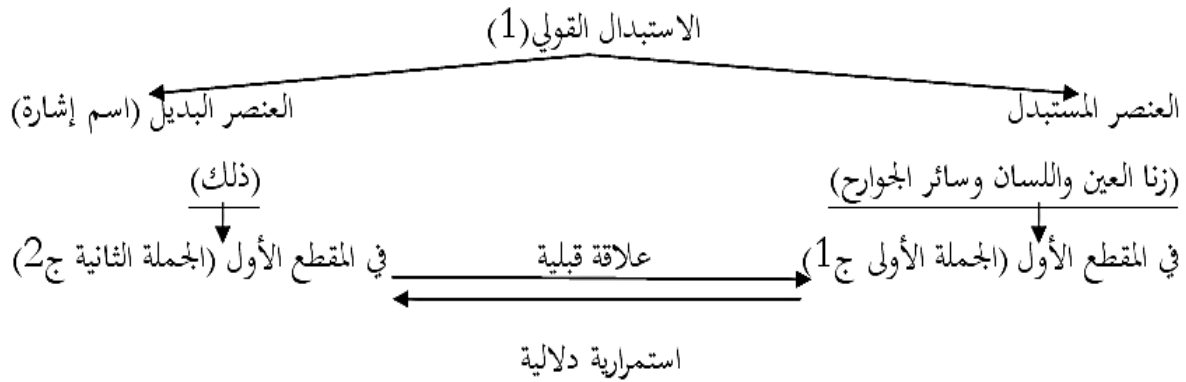
⁴ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 20.

⁵ ينظر: دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص 143.

فكان بذلك عوْذُهُ على العُنْصُرِ المُسْتَبَدَّلِ أي قول السابق ذكره أمراً حتمياً، لارتباطه به دلاليًا، وإحلاله محلّه لفظيًا بلفظٍ أخصَر، ومعنى أبلَغ .

- (ذلك) إشارة إلى الفعل المذكور، والسلوك المستهجن الذي تميل إليه النفس، وتجنح الجوارح إلى اقترافه (زنا العين واللسان وسائر الجوارح)، وإيثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره، وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة، والأفعال الحسيّة، وما فيه من معنى البُعد (لام البُعد) للإيذان بفضاعته، وبُعد درجة شناعته.¹

ويمكن تمثيل هذين الاستبدالين في المخطّط الآتي:



¹ ينظر: تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 105/1.

إنَّ أهمَّ ما نخلص إليه من دراسةٍ في هذا الفصل هو:

- الاستبدال هو عملية تتم داخل النص، تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو علاقة اتساق شأنه في ذلك شأن الإحالة مع اختلافه عنها كونه علاقة تتم في المستوى الدلالي . وهو من جهة أخرى وسيلة أساسية تُعتمد في اتساق النص وفي تلاحم مكُونات بنيته الداخلية . كما أنَّ وجود الاستبدال في الحديث النبويّ مؤشِّر إلى الاستمرار الدلالي والثراء المعجمي، فهو علاقة تتم على المستوى النحوي والمعجمي، أضفَّ إلى هذا فالاستبدال زيادة على كونه يمثل أداة من أدوات الاتساق النصي فهو وسيلة بها يحقِّق منشئ النص - محمد ﷺ - عرض فكرته العبادية وتوجيهه النبويّ دون تكرار كلمات بعينها. مع الاستمرارية الدلالية للفعل أو الاسم أو القول المعوَّض في الجملة السابقة بالفعل أو الاسم المعوَّض في الجملة اللاحقة.
- إنَّ في استعماله صلَّى الله عليه وسلَّم أداة الاستبدال أغنى عن إعادة ذكر الأفعال، و أحال دون تكرار للأقوال، وإعادتها بلفظها المطوَّل . كما عمِلَ على إيجاد ذلك النسيج النصي في الحديث النبويّ، إذ تعدَّ صيغة الفعل الكنائي أحد صورها، وهو لفظ قليل في أحرفه، موسَّع بشموليته، مكثَّف في دلالته، وهو صورة من صور الإيجاز في أسلوبه ﷺ ما يبلغ به السليَّة الكمال في البيان البشريّ، وهو من جوامع كلمه .

الفصل الثالث: الحذف في أحاديث الكتاب

- توطئة
- المبحث الأول: مفهوم الحذف و أصنافه
- أولاً: تعريف الحذف لغة و اصطلاحاً
- ثانياً: أنواع الحذف
- ثالثاً: شروط الحذف
- رابعاً: فوائد الحذف ودوره في اتّساق النص
- المبحث الثاني: حضور الحذف في الحديث النبويّ و دوره التركيبيّ والدلاليّ
- نصّ الحديث النبويّ وشرحه المجلد
- صُور الحذف و أثره في الحديث النبويّ

توطئة:

من المفاهيم اللغوية والقضايا التي غُني بها النحاة، وأولوها عنايةً بالغةً واهتمامًا كبيرًا موضوع "الحذف"، هذا الموضوع أو المفهوم الذي لم يغِب أيضًا عن علماء البلاغة والمفسرين وعلماء اللغة قديمًا وحديثًا لما له من أهمية بالغة، وأثر كبير في بناء النصّ ومحتواه الدلاليّ لاسيما حين يُنظر إليه من خلال ارتباطه بالنص، وتجاوزه نطاق الأنحاء التي اهتمت بالجملة الواحدة إلى السياق النصي بنوعيه المقامي والمقالي.¹

فظاهرة الحذف قديمة قدم اللغة نفسها، فما من لغويّ أو نحويّ أو بلاغيّ من القدماء إلّا تناول ظاهرة الحذف بصورها المختلفة غير أنّ معظم الدارسين عاجلوا هذه القضية في الدراسات اللغوية بوجه عام، وبعضهم تناول الحذف في القرآن الكريم أو في نصوص أخرى مختلفة إلّا أنّ توجّه الاهتمام بالظاهرة لم يكن مُركّزًا على ربطها - الحذف - بالقضايا النصية كأداة من أدوات الربط النصي العاملة على تماسك النص وانسجامه.²

فالحذف ميزة بلاغية وظاهرة أسلوبية وأداة نصية في اللغة بما يحققه كصورة من صور الإيجاز في اللفظ، ووسيلة من وسائل الاقتصاد في اللغة، فضلًا عن أثره في بنية النص العربيّ عامّةً، والنصّ النبويّ خاصّةً لاسيما فيما تحمله البلاغة النبويّة من حُسن سبكٍ في التركيب وجماليّة في الأسلوب ودقّة في الدلالة وقوّة في الطرح .

¹ ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 1132/2.

² ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، ص48، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 191/2.

من هنا نُسلِّطُ الضوءَ في هذا الفصل من البحث بالوقوف على هذا المفهوم من منظور لساني نصي من خلال العمل على الكشف عن حضور "الحذف" كظاهرة بلاغية، ومفهوم نحوي، وأداة نصية في نصّ الحديث النبوي الشريف، ومدى إسهامه في تحقيق التماسك النصي في بنية النص الحديثي.

فإذا كان "الاستبدال" يُؤدّي دوره في ربط النصّ باستبعاد وصفٍ، وإحلال وصف آخر محلّه فإنّ الحذف كعلاقة اتّساقٍ لا يختلف عن الاستبدال إلّا بكونه استبدالاً بالصفّر.¹ يتحدّد دوره في تحقيق التماسك النصي في وضوح العلاقة بين مذكور سابقٍ ومحذوفٍ مقدّرٍ إذ يُمثّلان مرجعية الحذف التي تُسهم في تحقيق اتّساق النص وتلاحم عناصره، وذلك أشدّ وضوحاً وأكثر تأثيراً حين يكون الربط الحذفّي على مستوى مجموع الجُمْل لا على مستوى الجملة الواحدة.²

كلّ هذا دفعنا إلى تحليل هذا المفهوم، وبالعمل على الكشف عن فاعليته في بنية الحديث النبوي، وشدّ أجزائه، وربط عناصره بعضها ببعض، مع بعض الإشارات الأسلوية، واللفّات البلاغية التي عملت متضافرة مع الأدوات النصية المختلفة على تحقيق اتساق النص الحديثي، وجمالية أسلوبه، وإعجاز بلاغته، وأنسجام دلالاته.

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 21.

² ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 203-201/2.

المبحث الأول: مفهوم الحذف وأصنافه

أولاً- تعريف الحذف:

- لغة:

جاء في اللسان: حَذَفَ الشيءَ يَحْذِفُهُ حَذْفاً: قَطَعَهُ من طرفه، والحِجَامُ يَحْذِفُ الشَّعْرَ مِنْ ذَلِكَ، والحَذَافَةُ: مَا حُذِفَ مِنْ شَيْءٍ فَطُرِحَ. قال الأزهري: تحذيف الشعر تطهيره وتسويته... وحَذَفَ رأسه بالسَّيْفِ حَذْفاً: ضَرَبَهُ ففقطع عن جانب أو رمأه عنه . قال الجوهري: حذف الشيء وإسقاطه، ومنه حَذَفْتُ من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذتُ.¹ وحَذَفَ في مشيته: حَرَّكَ جنبه وعجزه، أو تَدَانَى خَطْوُهُ، وفَلَانًا بجائزة: وصلَّه بها، والسَّلَامُ: خَفَّفَهُ ولم يُطِلْ القولَ به. والمحذوف في العروض: ما سقط من آخره سببٌ خفيفٌ، وحَذَفَهُ تَحْذِيفًا: هَيَّأَهُ، وصَنَعَهُ.² وحَذَفَ الخطيبُ الكلامَ: هَذَّبَهُ وصَفَّاه . احتَذَفَ الثَّوبَ ونحوه: قطع بعضه. والحَذَافَةُ: ما حُذِفَ فطُرِحَ. والشيء القليل يُقَالُ: في رحله حَذَافَةٌ: شيء من الطعام.³ فالْحَذْفُ إِذْنٌ دَارَ حَوْلِ الْقَطْعِ، والطَّرْحُ والإِسْقَاطُ، والتَّخْفِيفُ، والرَّمْيُ، والتَّسْوِيَةُ، والصَّنَاعَةُ، والتَّهْذِيبُ.

- اصطلاحاً:

تعددت تعريفات العلماء للحذف بين نحاة وبلاغيين ولسانيين، ويمكن تحديد مفهوم هذا المبحث اللغوي فيما يأتي:

¹ لسان العرب، ابن منظور، 93/3.

² القاموس المحيط، الفيروز أبادي، باب الفاء، فصل الحاء، ص1026.

³ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص206.

- عَرَفَ ابْنُ الأَثِيرِ الإيجازَ أَنَّهُ دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه. فَيُقَسَّمُ قِسْمَيْنِ: إيجازٌ بالحذف، وإيجازٌ بالقصر. فالإيجازُ بالحذف هو « ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يمكنُ إلاّ فيما زاد معناه على لفظه ».¹ وقال في ذلك أيضاً:

« الإيجاز بالحذف أقوى دليلاً على زيادة المعاني على الألفاظ لأنّا نرى اللفظ يدلُّ على معنى لم يتضمَّنْه، وفهم ذلك المعنى ضرورة لا بدّ منها، فعلمنا حينئذٍ أنّ ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهومٌ من دلّالته عليه ».²

أمّا الجرجاني فقد عَرَفَ الحذف في قوله: « هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المآخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتحدُّك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبيِّنْ ... ».³

والإيجاز بالحذف على حدّ قول القزويني ما يكون بحذف - والمحذوف إمّا جزء جملة، أو جملة، أو أكثر من جملة، كحذف المضاف في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾⁴ أي أهلها . وكقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾⁵ أي تناولها.⁶

¹ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، مصر، ط2، دت، 264/2.

² المصدر نفسه، 266/2.

³ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص146.

⁴ يوسف: 82.

⁵ المائدة: 3.

⁶ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م/1424هـ، ص145.

أمّا المحدثون فنجد محمد الشاوش قد وقف على الحذف في النظرية النحوية العربية من خلال المصطلح والمفهوم، وعلاقة مصطلح الحذف بالظواهر القريبة منه أو المقابلة له، ومّا ذكره أنّ سيوييه عدّ الحذف تحت ما يُسمّى "الإضمار دون علامة"، وهو عنده أيضا "الترك"، أو ترك الذكر « وقد وجدنا عند سيوييه مراوحة بين مصطلحي الحذف والإضمار دون علامة، زيادة على استعماله للإضمار بعلامة، وهو يعني به استعمال الضمير بدل الاسم وقد بدا لنا أنّه لم يكن يستعمل الحذف والإضمار دون علامة على الترادف، فالإضمار دون علامة يوافق عنده تغييب العنصر من اللفظ دون النية، وهو ما سيطلق عليه النحاة اللاحقون اسم "حذف المراد". أمّا الحذف فهو من قبيل تغييب العنصر من اللفظ والنية، وهو ما يُسمّى لاحقاً "حذف غير المراد"¹.

ومّا وقف عليه أيضا من المصطلحات والمفاهيم القريبة من الحذف "الاقتضاب" و "الاختصار" و "الاقتصار" و "الإيجاز"، أمّا ما يقوم على التقابل "الزيادة" و "الإطناب" و "التوكيد" و "الحشو" و "الإسهاب"².

فظاهرة الحذف قديمة قدّمت اللغة نفسها، فما من لغويّ أو نحويّ أو بلاغيّ من القدماء إلّا تناول هذا الموضوع بصوّره المختلفة غير أنّ معظم الدارسين عاجلوا قضية الحذف في اللغة بوجه عامّ، وبعضهم تناول الحذف في القرآن الكريم غير أنّه لم يُوجّه اهتمامه إلى الرنط بين ظاهرة الحذف

¹ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 1134/2.

² ينظر: المصدر نفسه، 1135/2.

وتماسك النص، وَمَنْ رَبطَ مِنْهُمْ بَيْنَ ظاهرة الحذف وتماسك النصّ لَمْ يُطَبَّقْ ذلك إِلَّا على السور المكيّة.¹

أمّا صبحي إبراهيم الفقي فقد عرض للحذف انطلاقاً من حاجة الإنسان إليه حين يضطرّ إلى التعبير لهذه الحاجة وتلك الأحداث، لذلك توجّهت اللغات الإنسانيّة إلى لَوْنٍ من الإيجاز عبر حذف بعض عناصر الكلام على مستويات كبيرة، وذكر مفهومه - الحذف - عند طاهر سليمان حمودة القائل فيه « ظاهرة لغويّة تشترك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى الحذف بعض العناصر المكرّرة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة ».²

كما أوّرد معناه الاصطلاحيّ عند "كريستال" في موسوعته ومعجمه تحت مصطلح (Ellipsis) وهو حذف جزء من الجملة، من الجملة الثانية، ودلّ عليه دليل في الجملة الأولى، ومثّل لذلك: (أين رأيت السيارة ؟ - في الشارع). فالحذف من الجملة الثانية (رأيتها).³

أمّا "دي بوجراند" فعرف الحذف مُشِيرًا إلى تسميته أحياناً "الاكتفاء بالمبنى العدمي Substitutions by zero" في قوله:

¹ ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، ص48.

² ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 191/2. نقلاً عن ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، ص6.

³ المصدر نفسه، 191/2-192.

« إنّ البنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبًا بعكس ما قد يبدو في تقدير الناظر، وفي النظريات اللغوية التي تضع حدودًا واضحة للصواب النحويّ أو المنطقيّ يتكاثر بحكم الضرورة نظرها إلى العبارات بوصفها مشتملة على حذف بحسب ما يقضي مبدأ حسن السبك¹. »

وبين أهمية حضور الحذف بين المتكلم والمستمع في القول وفي الفهم، إذ قال: « إنّّه من غير المعقول بالنسبة للناس أن يُحوّلوا كلّ شيء يقولونه، أو يفهمونه إلى جمل كاملة، فلو فعلوا ذلك لكان أولى بهم أن يفضّلوا أن يتكلّموا بجمل تامّة أكثر كثيرًا ممّا يفعلون . فالاكتمال النحويّ يُنتج تراكيب لا فائدة فيها ولا وضوح². »

أمّا الحذف عند "هالداي" و "رقية حسن" هو علاقة داخل النص إذ يوجد العنصر المفترض في النص السابق ممّا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبلية، غير أنّه يختلف عن الاستبدال كونه استبدالاً بالصفير عكس الاستبدال الذي يترك أثرًا، بينما علاقة الحذف لا تُخلّف أثرًا، فالمستبدل - أو العنصر البديل - يبقى مؤشّرًا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض ممّا يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلّقه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف إذ لا يحلّ محلّ المحذوف أي شيء، فيوجد بذلك في الجملة الثانية فراغًا بنيويًا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادًا على ما ورد في الجملة الأولى أو النصّ السابق³.

¹ النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص 340.

² المصدر نفسه، ص 341.

³ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 21.

وقد حدّد الباحثان أهميّة الحذف في تحقيق اتّساق النص في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة لأنّ العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنيوية لا يقوم فيها الحذف بأيّ دور اتساق¹. هذا ما وضّحه أيضًا عزة شبل محمد حين ذكر أنّ الحذف يظهر عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص، حيث نفترض عنصرا سابقا يُعدُّ مصدرًا للمعلومة المفقودة، فيترك العنصر المحذوف فجوة (gap) على مستوى البنية التركيبية، يمكن ملؤها من مكان آخر في النص.²

ثانيًا- أنواع الحذف:

لقد تعدّدت تصنيفات الحذف تعدّدًا يحمل معه ثراء هذه الظاهرة اللغوية وأهمية لها في اللغة تنظيرًا واستعمالًا إذ لم يكن الحذف في مصنّفات النحو مستقلًّا بمبحثٍ خاصٍّ، بل هو راجعٌ إلى تقاطع بين ما اختاروه لمصنّفاتهم عن أصول التبويب والترتيب، وإدراكهم لطبيعة الظواهر التي لم يفردوها بأبواب خاصة.³

إنّ هذا التعدّد في التصنيف لم يكن حكرًا على النحاة القدماء، وإنّما كان مبحثًا هامًّا عند علماء البلاغة، وعلماء التفسير، وعلماء النص.

فالزركشي قسّم في كتابه "البرهان" الحذف إلى ثمانية أقسام:

¹ المصدر السابق، ص22.

² ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص115-116.

³ ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 1139/2.

1) الاقتطاع 2) الاكتفاء 3) الضمير والتمثيل 4) الاستدلال بالفعل لشيئين وهو في الحقيقة لأحدهما 5) أن يقتضي الكلام شيئين وهو في الحقيقة لأحدهما 6) أن يذكر شيئين يعود الضمير على أحدهما دون الآخر 7) الحذف التقابلي 8) الاختزال.¹

أمّا الإمام السيوطي فلم يبتعد عما ذكره الزركشي كثيرا إلا أنه اكتفى بأربعة أصناف للحذف: أولها الاقتطاع، وهو حذف بعض حروف الكلمة كحذف الهمزة من (لكن أنا) فصارت (لكنّا). وثانيها الاكتفاء، وهو ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكته، كقوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾²، أي والمغرب. والنوع الثالث الاحتباك وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول كقوله تعالى:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا﴾³، فحذف من الأول (غير بيضاء) ومن الثاني (وأخرجها). والنوع الرابع الاختزال: وهو أقسام: حذف اسم أو فعل أو حرف، أو أكثر من كلمة، أو جملة، أو جمل كثيرة.⁴

أمّا ابن هشام فقد فصل بإطناب في أصناف الحذف، إذ ذكر خمسة وأربعين موضعاً للحذف، تتنوع بين حذف الحرف، وحذف الاسم، وحذف الفعل، وحذف الجملة أو الجمل، مبتدئا بحذف المضاف إليه، مُنْهِيًا بحذف أكثر من جملة، فَمِنْ حذف الاسم حذف المضاف والمضاف إليه، والموصول الاسمي والصلة، والموصوف والصفة، والمبتدأ والخبر... إلخ. ومن حذف الفعل حذفه وحده

¹ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، دط، دت، 117/3-134.

² الصافات: 05.

³ النمل: 12.

⁴ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص382-387.

أو مع مضمَر مرفوع أو منصوب، ومن حُذِف الحَرْف حُذِف حَرْف العطف، وفاء الجواب، وواو الحال، ومن حذف الجملة حذف جملة القسم، وجواب القسم، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط.¹ ويقع الحذف عند "هالداي" و"رقية حسن" تحت ثلاثة أنواع: الحذف الاسمي، الحذف الفعلي، الحذف الجملي. مع توجُّه الاهتمام الأكبر نحو العلاقات بين الجمل، ذلك أنَّ الحذف باعتباره شكلاً من أشكال العلاقة بين الجمل سمة أساسية من سمات النصية Texture، وهو ما لا يحقُّه الحذف على مستوى الجملة الواحدة.²

- فالحذف الاسمي: حُذِف داخل المركَّب الاسمي، مثل: محمد لم يعرف Ø هل فَعَلَ Ø؟.
- الحذف الفعلي: الحذف داخل المركَّب الفعلي، مثل: هل أنت تعوم؟ نعم Ø.
- الحذف الجملي: حذف جملة، أو شبه جملة، أو أكثر من جملة، ومن المواضع التي يكثر فيها هذا الحذف الأسئلة التي يجاب عنها بـ (نعم) أو (لا). مثال ذلك: (هل ستأتي؟ - نعم Ø) و(هل أنت علي؟ - لا Ø)، أو جملة الاستفهام أو جواب الاستفهام، إذ يمثِّل الاستفهام الدرجة القصوى للحذف المعجمي تبعاً للمفترض مُقَدِّمًا في تلك الجمل الاستفهامية.³

فهذا التصنيف الثلاثي سننَّحذه في دراسة وتحليل الحديث النبوي مع تأكيدنا على الأثر الذي تُحدثُه هذه الأنماط من الحذف في تماسك النص، وهو مقصدنا في التحليل وهدفنا في الدراسة والتطبيق.

¹ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 716/2-748.

² ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص118.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص118. ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص22، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 193/2-196.

ثالثاً- شروط الحذف:

لقد حدّد علماء اللغة لغويّين وبلاغيّين ومفسّرين ونصائيّين قدماء ومحدثين شروطاً للحذف ينبغي توافرها، فلم يلجأ المتكلّم إلى الحذف ليحقّق خللاً ما في النص، بل على العكس إذ إنّ للحذف جماليات وأغراضاً كثيرة، ونظراً لكون هذه الظاهرة ليست مرتبطة بلغة دون أخرى، فقد التقى رأي علماء العربية مع غيرهم من علماء اللغة حول شروط لهذا المبحث.¹

فابن هشام وضع ثمانية شروط تمثّلت فيما يأتي:

- 1- وجود دليل حالي أو مقالي أو دليل صناعي على المحذوف.
- 2- أن لا يكون مما يحذف كالجزم، فلا يحذف الفاعل ولا نائبه ولا مشبهه.
- 3- أن لا يكون مؤكّداً.
- 4- أن لا يؤدّي حذفه إلى اختصار المختصر، فلا يحذف الفعل دون معموله لأنه اختصار للفعل.
- 5- أن لا يكون عاملاً ضعيفاً، فلا يحذف الجار والناصب للفعل إلّا في بعض المواضع.
- 6- أن لا يكون عوضاً عن شيء، فلا تحذف مثلاً (ما) في (أمّا أنت منطلقاً انطلقت).
- 7- أن لا يؤدّي الحذف إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه.
- 8- أن لا يؤدّي الحذف إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي.²

وقد ضبّطها الخطيب القزويني في وجهين:

¹ ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص116.

² ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، 703-792/2.

أولاً - أن يقام مقام المحذوف ما يدلّ عليه كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ

قَبْلِكَ¹﴾، لا تكون (فقد كذّبت رسل) جواب الشرط لأنّ تكذيب الرسل سابق لتكذيب النبيّ

ﷺ. وجملة (فقد كذّبت) علّة للجواب المحذوف، وهو (الصبر على الابتلاء)، ويمكن تقدير الكلام

هكذا: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ - فاصبر ولا تحزن - فقد كذّبت رسلٌ من قبلك). فالمقام مقام تعزية

للنفس، ودعوة له ﷺ للتأسي، فحاله كحالهم.²

- ثانياً: ألاّ يقيم مقام المحذوف شيء يدلّ عليه، بل يترك إدراكه إلى القرينة الدالة، ومن تلك الأدلّة:

العقل والعرف، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ³﴾، حرّم عليكم أكلها والانتفاع بها، قد دلّ

العقل على وجود حذف في الكلام، حدّد العرف نوع المحذوف وهو (الأكل والانتفاع).

- العقل يدلّ على الحذف والتعيين.

- العقل والشروع في الفعل كما قال القارئ (باسم الله) أي باسم الله أقرأ. دلّ العقل على الحذف،

ودلّ الشروع في الفعل (القراءة) على خصوص المحذوف، وهو (امرؤ).

- ارتباط الكلام بمناسبة معيّنة، كقولك لمنّ أعرس: (بالرفاء والبنين) أي (بالرفاء والبنين أعرست).⁴

¹ فاطر: 04.

² ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، ص150. وينظر: الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، عيسى علي العاكوب، على سعد الشتيوي، الجامعة المفتوحة، 1993م، ص327.

³ المائدة: 3.

⁴ ينظر: المصدر السابق، ص150-151 والكافي في علوم البلاغة العربية، ص325-328. وينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 108/3-111.

رابعاً- فوائد الحذف ودوره في اتساق النص:

للحذف دورٌ كبيرٌ في بناء النص وترابط أجزائه، وجمال أسلوبه، وتحقيق غاياته، ولم يلجأ المتكلم إلى الحذف لتحقيق خللٍ ما في النص، بل على العكس فللحذف جمالياتٌ وأغراضٌ كثيرةٌ، ويمكن عرضها فيما يأتي:

1- يعمل الحذف كواحد من أدوات الاتساق النصي على تحقيق تماسك النص لأن وجود دليل مقاليٍّ أو مقاميٍّ على المحذوف يُحقِّق المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملةٍ إضافة إلى هذا فهو قد يُحقِّق التكرار باللفظ والمعنى، أو بالمعنى دون اللفظ فتكون بذلك الاستمرارية الدلالية للنص قائمة باستمرار المعنى عبر تكراره، ممَّا ينشأ عنه استمرار التواصل عبر دلالات الغياب، وتوجيه اهتمامات المتلقِّي إلى دلالات الحضور¹، ممَّا يُساهم في تماسك النص بنيةً وانسجامه دلالةً.²

2- يقوم الإضمار (الحذف) حسب ما ذهب "دي بوجراند" و "إلهام أبو غزالة" بوظائفه في العادة من خلال اشتراك تراكيب ظاهر النص في مكوّناتها البنيوية، حيث ترد البنية بتمامها قبل ورود البنية المضمرّة إذ يستلزم فهم النص إتمام العنصر المحذوف في التركيب الثاني انطلاقاً من التركيب الأول.³ فحذف عنصر أو تركيب كامل يدلّ السياق اللفظي السابق للموضع الذي تمّ فيه الحذف عن طبيعة المحذوف أو المحذوف ذاته، وفي أحيان كثيرة تجتمع العناصر المذكورة سابقاً مع العناصر المذكورة أيضاً لاحقاً للدلالة عليه.⁴

¹ ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص173.

² ينظر: المصدر نفسه، ص116. وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 221/2-222.

³ ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند وإلهام أبو غزالة، ص101.

⁴ ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو حرمة، ص167. ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطايي، ص121.

3- إذا كان الحذف على مستوى الجملة يراعي القرائن المعنوية والمقالية فلا شك أنّ نحو النص أكثر

اعتمادا على ذلك لأنّه يدخل السياق والمقام من أساسيات الحذف، حيث تكون الجمل المحذوفة

أساسا للربط بين أجزاء النص من خلال المحتوى الدلالي.¹

4- إنّ مفهوم المقولة الفارغة حسب ما ذهب تشومسكي يؤدّي دورا رئيسا وأساسيا في مبدأ الربط،

وأنّ هذه المقولة الفارغة تعتمد على مبدأ هام، هو مبدأ "الإسقاط" الذي ينص بأنّ الأبنية المعجمية

يجب تمثيلها مقوليا في كلّ مستوى تركيبى، مبدأ "الإسقاط" الذي يُستعمل في الاستغناء عن قواعد بنية

العبارة محلية فيما عدا بعض الخصوصيات المتعلقة بكلّ لغة على حدة، فإذا ما تصوّر وجود عنصر ما

في موقع معين فإنّه حينئذٍ في مكان ما في التمثيل التركيبى، إمّا كمقولة ظاهرة، أو كمقولة فارغة لا

يتحدّد لها أيّ شكل صوتي.²

5- ذكر الإمام السيوطي فوائد عديدة للحذف منها:

مجرّد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهور المحذوف، ومنها التنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان

بالمحذوف، وأنّ الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، كما هو باب التحذير والإغراء.³

6- التفخيم والإعظام إذ قال الزركشي: « التفخيم والإعظام لما فيه من الإيهام لذهاب الذهن في كل

مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصرا عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس

¹ نحو النص، أحمد عفيفي، ص125.

² ينظر: أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، ط1، 2003م/1423هـ، ص32.

³ ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، دار مصر للطباعة، مصر، ص377.

مكانه...»¹، زيادة على ذلك فقد ذكر الزركشي أنّ في الحذف زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلّما كان الشعور بالمحذوف أعسرَ كان الالتدّاد به أشدّ وأحسنَ . كما أنّ فيه أيضا طلبا للإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل.²

¹ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 104/3.

² ينظر: المصدر نفسه، 105/3.

المبحث الثاني: حضور الحذف في الحديث النبوي ودوره الدلالي والأسلوبي

- نصّ الحديث الأول:

عَنْ أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ: « مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةً أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ ».¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

قال ابن أبي جمرة: ظاهر الحديث تخفيف صلاة النبي ﷺ مع إتمامها، ورغبة في تخفيفها حق للغير، وهذا التخفيف والإتمام يكون بتقصير القيام، وقد يكون بتقصير أركانها مع شرط عدم الإخلال بواحد منها، وهذا التخفيف لأجل بكاء الصبي رعيًا حقوق الغير، كما تراعى حقوق نفسك، فتخفيفها من أجل الصبي كمال فيها، فإنه حصل له في صلاته القدر المجزئ، وبذلك الكمال تجبر صلاة أم الصبي برفع الفتنة عنها بتعجيل الصلاة، وجبر الصبي نفسه، فجاء الخير هنا متعديًا وهو الأكمل، وأما على قصرها من غير بكاء الصبي فتبيينًا منه ﷺ للقدر المجزئ في العمل كما بيّنهُ بالقول، وتبيين مقادير الأحكام أرفع الأعمال، ويترتب على هذا من الفقه أنه كان ﷺ في كل الأحوال على أتمها وأعلاها.² وقد بيّن الإمام مسلم في رواية ثابت عن أنس محلّ التخفيف ولفظه (فيقرأ بالسورة القصيرة)، وبيّن

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الآذان، باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، [708/43]، ص36. وفي صحيح

البخاري، ص89.

² ينظر: مهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جمرة، 411/1-414.

ابن أبي شيبة عن طريق عبد الرحمان بن سابط مقدارها، ولفظه: « أَنَّهُ ﷺ قرأ في الركعة الأولى بسورة طويلة فسمع بكاء صبي فقرأ بالثانية بثلاث آيات»¹

ومعنى فتنة أم الصبي اشتغال قلبها ببكاء الصبي فتلتهى به عن صلاتها، أو تتركه فيضيع.²

- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبوي:

يتكوّن هذا النص الحديثي من مقطعين سرديّين مترابطين، الثاني منهما يُفسّر الأوّل ويتمّه، يُفصّل مُجْمَلَهُ ويكشفُ سببه ودواعيه.

- المقطع الأوّل: [ما صلّيت وراء إمام قطّ أخفّ صلاةً ولا أتمّ من النبي ﷺ].

بدئ هذا المقطع النصي بـ (ما) النافية وقد تلاها الفعل الماضي (صلّي)، إذ و من خلاله نفى الصحابي الجليل أنس بن مالك صلاته وراء إمام أخفّ في صلاته وأتمّها من النبي ﷺ إلا أنّ هذا الجزء من النص على عموميه لم يكن ليتّضح معناه، وينكشف مقصده من غير ارتباطه بالمقطع الثاني بنية ودلالة .

- المقطع الثاني: [وإن كان لسمع بكاء الصبي فيخفّ مخافةً أن تُفتن أمّه]

أُسْتُهْلَ هذا الجزء من النص بـ (إنّ) وأصله (وإنّه كان...) فخفّ (إنّ)، واسمه ضمير الشأن العائد على النبي ﷺ، وجمله كان في محلّ نصب خبرها.³ ولعلّ في هذا التخفيف في اللفظ يناسب تخفيف

¹ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 255/2.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص101.

³ ينظر: عقود الزجر في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، 125/1. وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص101.

أداء العبادة مسلك النص، ومقصده تخفيف في الصلاة، تخفيف على الأمّ وصبيّها، وعلى الكبير والمريض،¹ وعلى كلّ من يحتاج إلى هذا التخفيف تحقيقاً للعبادة ورفعاً للحرج. وتيسيراً على المؤمنين. فهذا المقطع السردّي الثاني من النص ارتبط بسابقه ارتباطاً دلاليّاً، إذ جاء مُفصّلاً ومُبيّناً سبب ومقصّد النبي ﷺ من تخفيف صلاته مع إتمامها أيضاً، مراعاة للغير، كحين بكاء الصبي وخشية فتنة أمّه به عن الصلاة .

كما ارتبط بسابقه أيضاً ارتباطاً شكلياً بواسطة أدوات ربط لفظيّة كواو العطف، وغيرها من أدوات الاتّساق الأخرى في النصّ كالإحالات الضميرية العائدة على النبي ﷺ (الإمام) في قوله -أنس بن مالك- (كان×) (يسمع×) (يخفف×)، إضافةً إلى الحذف وما أدّاه من دورٍ في تلاخُم بنية النص. وهذا ما سنُبسّط الحديث فيه ونُبيّنه.

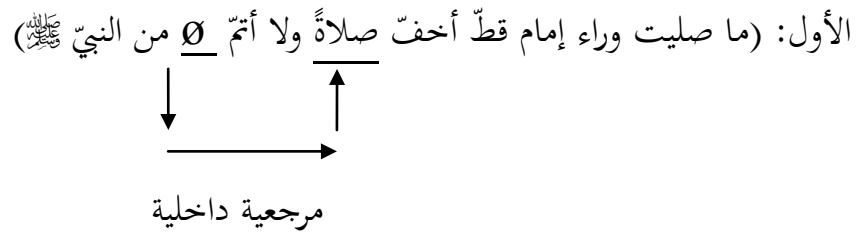
إنّنا حين نقفُ على الحذف في هذا النص الحديثي لنجده حاضراً بدوره في ربط أجزاء النص، إنّ على مستوى الجملة الواحدة أو على مستوى تتابع الجمل، وقد وُجدَ في موضعين في النص، أولاهما في المقطع الأوّل في قوله: (أخفّ صلاةً ولا أتمّ Ø)، وثانيهما في المقطع الثاني (فيخفف Ø مخافةً...).

- الحذف الأوّل: (ما صليت وراء إمامٍ قطّ أخفّ صلاةً ولا أتمّ Ø من النبي ﷺ)، فحين نُعيدُ هذا التركيب الجُملي الظاهر في بنيته السطحيّة إلى أصله في بنيته العميقة يتّضح لدينا العنصر المحذوف موضع الإسقاط هو لفظ (صلاة) بعد اسم التفضيل (أتمّ) إذ أنّ أصل الجملة (ما صليتُ وراء إمامٍ

¹ ينظر: صحيح مسلم، شرح النووي، 4/148.

قطّ أخفّ صلاةً ولا أتمّ صلاةً من النبي ﷺ، فالعنصر المفترض أو المحذوف هو (صلاة)، حذف اسمي أرشدنا إليه الدليل المقالي المذكور سابقاً في قوله (أخفّ صلاةً)، فأخفّ صفة لإمام مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لمنعه من الصرف للوصفية ووزن الفعل، وصلاة منصوب على التمييز لأفعل التفضيل وهو أخفّ، ولا أتمّ معطوف على أخفّ.¹ يقتضي تمييزاً جاء محذوفاً دلّ عليه ما قبله.

إذ أنّ الدليل هنا حقّق المرجعيّة بين المذكور السابق والمحذوف اللاحق في جملة واحدة من المقطع



كما أنّه حقّق التكرار باللفظ والمعنى، وبذلك مكّن هذا الحذف الاسمي من استمراريّة النص على الرغم من عدم تكرار اللفظ،² فعدم الذكر أفضل من الذكر لأنّ ذلك أخصّص في اللفظ وأنشط للفكر فكر المتلقّي، رغبة منه في الحصول والوصول إلى العنصر المحذوف.

فهذا الحذف الاسمي ساهم في تحقيق الترابط بين مكوّنات الجملة الواحدة بإعادة إنتاج العنصر المحذوف ذهنياً كملحقٍ بالمعطوف والمعطوف عليه (أخفّ صلاةً) و(لا أتمّ Ø) ← (أتمّ صلاةً)، فضلاً على الربط العطفى بواسطة الواو.

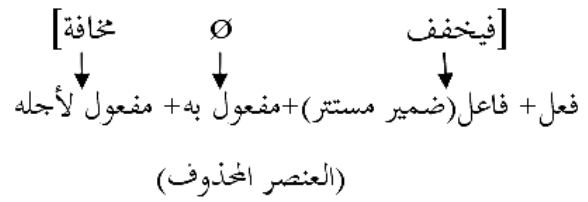
- الحذف الثاني: في المقطع الثاني من النص قوله: « وإنّ كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف Ø مخافة أن تُفَنّ أمّه »

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص101.

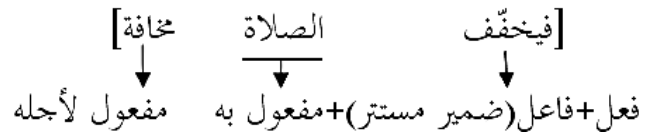
² ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 208/2-209.

فالجملية الفعلية المتضمنة الحذف الثاني (فيخفف Ø مخافة...) الواردة في هذا المقطع السردى الثاني من النص جاءت في سياق إيضاح علّة فعل النبي ﷺ في تخفيف صلاته. المفهوم العام الذي وجّه إليه المقطع النصي الأوّل حين صوّر الصحابيّ الجليل صفة صلاته ﷺ من التخفيف والإتمام.

فالبنية السطحية للجملية تظهر مكوّناتها في يأتي:



أما حين نعيد الجملية إلى أصلها أي بالنظر إلى بنيتها العميقة فنجد:



لكنّ ما الذي يرشدنا إلى العنصر المحذوف أو المقولة الفارغة، ويساعدنا كمتلقين في تقدير العنصر المفترض موضع المعلومة المفقودة. إنّ المقطع الأوّل من النص تضمّن ما يُمكن تسميته بـ"الدليل" وهو المذكور في قوله: (أخفّ صلاةً). فلفظ (صلاة) التمييز المنصوب بعد فعل التفضيل (أخفّ) هو الدليل المذكور، وهو الدليل نفسه الذي دلّ على المحذوف الاسمي الأوّل كونه يمثّل محور الحديث ومقصد النص (التخفيف في الصلاة)، فالمحذوف في هذه الجملية إذن هو المفعول به للفعل المتعدّي (يخفّف). وحذف المفعول به جائز كما يذهب النحاة ما دام هناك دليل دلّ عليه.¹ وقد ورد حذفه

في صحيح البخاري في ثلاثة وستين موضعاً.²

¹ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 702/2.

² ينظر: نظرات لغوية في السنة النبوية، حنفي أحمد بدري، ص53.

فالفعل (يُخَفَّف) فعل متعد ينصب مفعولاً به، والمفعول به في هذه الجملة المثبتة جاء محذوفاً، وحذفه هنا اختصاراً وإيجازاً، أضف إلى ذلك ممّا يدفعه مثل هذا الخطاب المخاطب إلى المشاركة مع المخاطب في أعمال ذهنه بالبحث عن العنصر المذكور الذي يسدُّ به فراغ العنصر المحذوف¹، أو الفجوة الكلامية، إذ بواسطته يتحقّق هذا الفعل ويترك هذا الأثر هذا من جهة. ومن جهة أخرى فقد عمِل هذا الحذف الاسمي على تحقيق تلاخُم نصيٍّ بين المقطع السرديّ الثاني من النصّ مع المقطع السرديّ الأوّل إذ أنّ وجود دليل سابق مذكور (صلاة) على العنصر المحذوف اللاحق حقّقاً مرجعيةً داخليةً كان بواسطتها استمرارية النص الحديثي دليلاً على الرّغم من عدم تكرار اللفظ (الصلاة) المفعول بعد الفعل المتعدي (يُخَفَّف). إذن فهذا الحذف قد ساهم في تحقيق تماسك النص الحديثي بربطه بين مقطعيه السرديين بجُمْلِهِ المتعدّدة، فلم يكن بذلك على مستوى الجملة الواحدة بل على مستوى النص بأكمله، ممّا جعل آخر النص مرتبطاً بأوله.

فيمكننا إجمال هاتين الصورتين من الحذف الاسمي في النص في الجدول الآتي:

النص الحديث/المقطع/جملة	العنصر المحذوف	نوع الحذف	الدليل	نوعه سابق/لاحق	المرجعية داخلية/خارجية	نوع التماسك
ما صليت...أخفّ صلاة ولا أتم.	صلاة	حذف اسمي (تمييز)	أخفّ (صلاة)	سابق مذكور	داخلية	على مستوى الجملة الواحدة.
فيخفّف مخافة أن تفتن أمّه	الصلاة	حذف اسمي (مفعول به)	أخفّ (صلاة)	سابق مذكور	داخلية	على مستوى النص (بين المقطعين).

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 54.

فهذا النصّ الحديثي على قصره قد حققت فيه أدوات الاتساق بأنواعها المختلفة من إحالات ضميرية، وحروف عطف، وحذف اسمي بصورتيه تلاهما في البنية، وانسجاماً في الدلالة للتأكيد على قضية جوهريّة شكّلت محور الموضوع وغاية توجيه النص النبويّ بتفعيل العملية التواصلية بين الملفوظ المنطوق الصادر من المخاطب، والمستمع المتلقّي المعمل ذهنه (المخاطب) بميله إلى إتمام الجملة والكلام، إتمام الناقص المحذوف، وربط الدال بالمدلول في اللفظ والمعنى في هذا النص النبويّ.

فضلاً على ذلك حين نستقري حضور الحذف، وعلاقة المحذوف بالمذكور نجد العنصر المحذوف (صلاة) قد حُذِف في موضعين مُوزَّعين على مقطعي النص الأول فالثاني توزيعاً عادلاً، مع ما يُقَابله من حضور الدليل المذكور في موضعين أيضاً بلفظه (صلاة) تارة، وبفعله (صليت) تارة أخرى . وذكر للفظ أو بمعناه في موضعين قابله حُذِف للفظ في موضعين، أوجدَ توافُقاً وأحدثَ توازياً في بنية النص من حيث حضور الذكر والحذف، وجمالاً في أسلوبه وانسجاماً في مضمونه.

زيادةً على ذلك فالحذف الاسميّ قد جعل تركيب النصّ الحديثيّ أخصر في اللفظ وهو في الآن نفسه قد جاء متناسباً والبُعد الدلاليّ والمقصدية للحديث، فالاختصار في اللفظ عن طريق الحذف حذف (الصلاة) أتبعه تخفيف في عبادة الصلاة - وهي عماد الدين - واختصار في الزمن المستغرق، واقتصاد في الجهد المبذول في أدائها من غير إخلال بأركانها، ورفعاً للخرج بطولها عمّن خُفِّفَتْ لأجلهم، تناسُب في اللفظ ليناسب المعنى.

- نصّ الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ. قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»¹.

- المعنى الإجمالي للحديث:

يُرشِدنا هذا الحديث الشريف إلى الحثّ على الصدقة، والصدقة هذه صدقة متنوّعة ليست مقصورةً في المال أو العطية، بل هي أعمّ من ذلك، ولو بالعمل لنفع نفسه وغيره، أو بإعانة الملهوف ذا الحاجة، أو بالأمر بالمعروف والإمساك عن الشر، والنهي عن المنكر، وكلّ شيء يقرب إلى الله وعكس من قول أو فعل فهو صدقة، وهذه الصدقة على سبيل الاستحباب المتأكّد فلا حقّ في المال سوى الزكاة إلاّ سبيل الندب.² قال ابن بطال: وهو مثل قوله ﷺ «على كلّ سُلّامى من الناس صدقة*» أيّ أنّهم مندوبون إلى ذلك، فإن قيل: كيف يكون إمساكه عن الشرّ صدقة؟ قيل: إذا أمسك

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جرة، كتاب الزكاة، باب: على كلّ مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، [1445/74]، ص52-53، وفي صحيح البخاري، ص175.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص151-152. وشرح رياض الصالحين، العثيمين، 155/2، 207. وإرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 38/3.

*السُلّامى بضمّ السين المهملة وتخفيف اللام: المفصل.

شَرُّه عن غيره، فكأنَّه قد تصدَّق عليه بالسَّلامة منه، وإنَّ كان شرًّا لا يعدو نفسه؛ فقد تصدَّق بأن منعها من الإثم.¹

وذكر العسقلاني أنَّ ليس في قولهم -الصحابة- (فَمَنْ لم يجدْ) ترتيبًا، إنما هو للإيضاح لم يفعله من عجز عن خصلة من الخصال المذكورة فإنَّه يمكنه خصلة أخرى، فَمَنْ أمكنه أن يعمل بيده فيتصدَّق، وأن يُغيث الملهوف، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويمسك عن الشرِّ فليفعل الجميع، ويُفهم من هذا أنَّ الصدقة في حقِّ القادر عليها أفضلُّ من الأعمال القاصرة.²

يقول ابن أبي جمرة: « فمفهوم الحديث على هذه التنويعات أنَّه ﷺ ندب أولًا من الصدقة لما فيها من الخير المتقدِّم، فعند العجز عنها ندب أيضًا لما يقرب منها أو يقوم مقامها ؛ لما فيها أيضًا من الخير المتعدِّي وهو العمل والانتفاع والصدقة، وعند عدم ذلك ندب إلى ما يقوم مقامه - وهي إعانة الملهوف - ثمَّ عند عدم ذلك كأنَّه ﷺ يقول: بعد عدم هذه المذكورات ليس في أفعال البر ما يشبهها، لكن مَنْ فَعَلَ شَيْئًا من المعروف وإنَّ قلَّ فإنَّه صدقةٌ . وفيه تسلية للعاجز عن أفعال المندوبات إذا كان ذلك عجزًا لا اختيارًا ». ³

- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبوي:

تكوَّن هذا الحديث النبوي الشريف من أربعة مقاطع، شكَّلت متوالياتٍ جمليَّةً يرتبطُ اللاحقُ منها بالسابق على تدريجٍ وانتظامٍ، بُنيت على الحوار، الحوار القائم -في معظمه- على الإيجاز والتركيز، لأنَّ

¹ شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 443/3. وينظر: صحيح مسلم شرح النووي، 93/7.

² فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 398/3.

³ بمحة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جمرة، 657-656/1.

طول العبارة الحوارية يُميّث حيوية الحوار، كما أنّ من طبيعة الحوار الاعتماد على المراجعة، فهو يكمل بعضه بعضاً، فما ورد في كلام أحد المتحاورين يبيّن الآخر عليه كلامه.¹

كما بُني هذا النص على الاستفهام بالسؤال والجواب، حتّى ﷺ الصحابة على الصدقة، وسؤالهم المتعدّد والمكرّر على ما ينبغي فعله حين التعذّر أو العجز عن ذلك (فمن لم يجد ؟)، من ثمّ يأتي جوابه لهم عقب كلّ سؤالٍ توجيهاً وإرشاداً إلى أبواب الصدقة الواسعة، وفعل الخير المتنوّع.

أضِفْ إلى ذلك فهذا النص الحديثي اتّسم بالتوالّد والتّصعيد، توالّد عن طريق التساؤل الذي يصعّد الحوار والحدث نحو الأسفل من الأكبر إلى الأصغر.²

ومن الأفضل إلى الأقلّ فضلاً، كلّ فكرةٍ تؤدّي إلى التي تليها بواسطة السؤال:

قال رسول الله ﷺ [على كل مسلم صدقة]	قالوا: [يا نبي الله، فمن لم يجد؟].
↓	↓
قال: [يعمل يده فيتفق نفسه ويتصدق]	قالوا: [فإن لم يجد؟].
↓	↓
قال: [يعين ذا الحاجة الملهوف]	قالوا: [فإن لم يجد؟].
↓	
قال: [فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة].	

إذ تَكُونُ هذا النص من أربعة مقاطع - كما سبق وأن ذكرنا - متمثلة فيما يأتي:

-المقطع الأول: [على كل مسلم صدقة].

عبارة موجزة بلفظ العموم، عموم الصدقة لجميع المسلمين لأنّ اليسارة في الناس هي الأغلب، كما

أنّ اليسير من الصدقة يجزئ، لم يُحدّ فيها نصاباً ولا مقدّاراً مثل ما فعل في الفرض.³

¹ ينظر: الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عيد محمد شبّاك، ص 156.

² ينظر: في ظلال الحديث النبوي معالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص 177، 373.

³ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 653/1.

-المقطع الثاني: [قالوا يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق].

تَكُونُ هذا المقطعُ من سؤالٍ وجوابٍ، ارتباطٍ دلالي بين مفصلي هذا المقطع النصي . في هذا السؤال يبدو وكأنَّ الصحابة فهموا من لفظ (الصدقة) العطيّة والمال فقط، فسألوا عمَّن ليس عنده شيء.¹ بإسناد الفعل المتعدّي المجزوم بـ (لم) النافية إلى فاعله الضمير المستتر (هو) العائد على أيّ مسلم، مفعوله محذوف المقدّر بـ (مالاً) يتصدق به. فبين لهم ﷺ الصدقة أعم وأشمل ولو يكسب من عمل يده، فينتفع بالنفقة على نفسه، والتصدق على غيره، وفي هذا الجواب النبوي تفسير الجمل، وتخصيص العام، فقدّم الصدقة بنفع النفس بالنفقة عليها قبل التصديق على الآخرين، لأنّه من أكبر الصدقات أن يُريل حمله عن غيره ويبدأ بالذي هو أهمّ، وبعد ذلك يتصدق.²

-المقطع الثالث: [قالوا فإن لم يجد؟ قال يُعينُ ذا الحاجة الملهوف].

هنا حلقة أخرى من حلقات الحوار والتصعيد بالنزول من عدم إيجاد المال للصدقة إلى العمل للانتفاع والصدقة، ومنه إلى حال عدم إيجاد العمل أصلاً أو العجز عنه.³ فيأتي تبعاً لذلك جوابه ﷺ مرتبطاً دلاليّاً بسؤالهم، إذ انتقل من أخذ المال إلى العمل لجمع المال إلى عملٍ لا علاقة له بالمال، وهكذا تتخذ الصدقة ملامح وجدانيةً نفسيةً أكثر من كونها كائناً مالياً للشعور والشفقة على ذا الحاجة الملهوف.⁴ والوقوف إلى جانبه بالمعونة على ما هو فيه من شدة وضيق.

-المقطع الرابع: [قالوا: فإن لم يجد؟ قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنّها له صدقة].

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص151-152.

² ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 653/1-654.

³ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص178. وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص152.

⁴ ينظر: المصدر السابق، ص178 وبحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 655/1-656.

وهنا أيضا تصعيدٌ ثالثٌ من الخطاب إذ تضمَّن هذا المقطع تركيًّا يُوازِي المقطع السابق، ويختلف عنه في درجة الإيحاء النفسي ؛ لأنَّ المتلقِّي ازدادَ تعلُّقًا لمعرفة الجواب (قالوا فإن لم يجد ؟)¹. هذا هو سؤالهم-الصحابة-أي إن لم يستطع إعانة الملهوف، فحذفَ مفعول (لم يجد) تقديره (إعانة) ذا الحاجة الملهوف) لأنَّ (يجد) بمعنى يقدر أو يستطع.² فجاءَ جوابه ﷺ تسليَّةً للعاجز تمامًا عن الصدقة في مراتبها المذكورة سابقًا بالتوجُّه إلى عمل الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإمساك عن الشرِّ، وعدم الوقوع فيه.³

فهذه المقاطع الأربعة شكَّلت حركاتٍ متنوِّعة، تُؤكِّد الرحمة الإلهية في تيسير الحصول على ثواب الصدقة بأفعالٍ مختلفةٍ ماليةٍ وجسديةٍ ونفسيةٍ، وبحركاتٍ خارجيةٍ نحو الآخرين، وداخليةٍ تُحصِّن النفس من الشرِّ.⁴ تركيةً للنفس والمال .

فلقد ساهم في بناء الحديث النبوي الشريف تلك الروابط النصية التي جعلت منه نصًّا متسِّقًا في مكوِّناته ألفاظًا وتراكيب، منها "الحذف" حيثُ كانَ حضوره واضحًا وأثره بيِّنًا في تحقيق هذا الترابط النصي.

فحينَ نقرأُ هذا الحديث النبويَّ قراءةً نصيَّةً فإنَّنا واجدون "الحذف" في ثلاثة مواضع من النصِّ مُوزعةً على المقاطع الثلاثة المتوالية . الثاني والثالث والرابع على الترتيب في النص الحديثي، ويمكن تحديدها وتوضيحها فيما يأتي:

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص178-179.

² ينظر: إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 38/3.

³ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص152.

⁴ في ظلال الحديث النبويِّ ومعالم البيان النبويِّ، نور الدين عتر، ص180.

- الحذف الأول:

حذف اسمي في قولهم: (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟) إذ حذف المفعول به للفعل المتعدي (يجد) في الجملة الفعلية الاستفهامية الواردة في المقطع الثاني من النص التي استدعاها خطابه - ﷺ - بِحُثِّهِمْ عَلَى الصَّدَقَةِ فِي المقطع الأول .

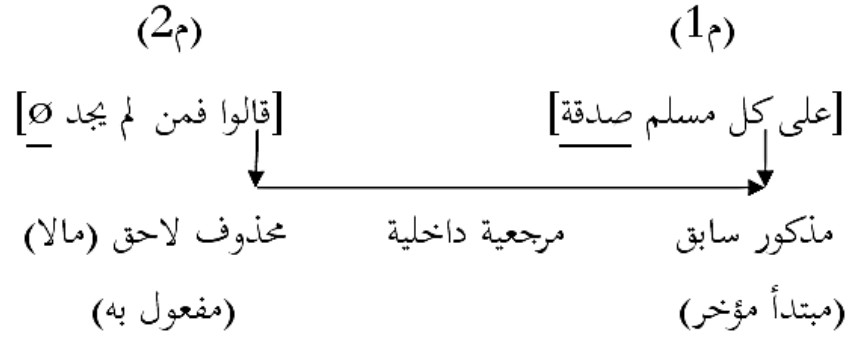
فالبنية العميقة لهذا القول قَبْلَ التَّحْوِيلِ بالحذف، التي مِنْ خلالها يتم استرجاع العناصر المحذوفة انطلاقاً من المذكور السابق في المقطع الأول من النص، وهي كالاتي:

"فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَا لَا (أَوْ عَطِيَّةٌ)؟"
 أداة جزم فعل + فاعل (ضمير مستتر) مفعول به.
 أما البنية السطحية للجملة كما هي منطوقة بالفعل:

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
 أداة جزم فعل + فاعل (ضمير مستتر) العنصر المحذوف (مفعول به)
 ؟

فالعنصر المحذوف إذن (مالاً) حذف اسمي دللنا عليه الدليل المقالي المذكور سابقاً في المقطع الأول [على كل مسلم صدقة]، فلفظ (صدقة) لفظ عام دلّ على الاسم المحذوف (مالاً)، وهو من أهم ما تتحقق به الصدقة ؛ فدّل العام على الخاص، والمطلق على المقيد، والنتيجة على الوسيلة.

فالارتباط وثيق والصلة قوية بين السؤال المتأخر والأمر المتقدم، فالفعل (يجد) فعل متعد يقتضي مفعولاً به مفهوم التقدير من المذكور السابق (صدقة). فالدليل هنا حقق المرجعية بين المذكور السابق والمحذوف اللاحق، لا أقول في جملة واحدة بل بين جمل متعدّدة في مقطعين يرتبط الثاني منهما بالأول بواسطة هذه الأداة الاتساقية، ويمكن تمثيل ذلك في المخطّط الآتي:



فهذا الحذف الاسمي حَقَّق التكرار بالمعنى دون اللَّفظ، فكانت بذلك استمرارية المعنى في النص مُحَقَّقة على الرَّغم من عدم إعادة ذكر اللفظ أو تكراره، فقد ذكَّر ابن الأثير « أَنَّ المعنى الزائد على اللَّفظ المحذوف لا بدَّ له من تقدير لفظ آخر يدلُّ عليه، وتلك الزيادة بإزاء ذلك اللَّفظ المقدَّر... لأنَّ المعنى الزائد ظاهر، واللَّفْظ الدالُّ عليه مضمَّر، وإذا كان مضمَّرًا فلا ينطق به ؛ وإذا لم ينطق به فكأنَّه لم يكن، وحينئذٍ يبقى المعنى موجودًا، واللَّفْظ الدالُّ عليه غير موجودٍ ».¹

فضلاً عن ذلك فقد ساهم أيضاً في تحقيق الترابط بين المقطع الأول من النص المعبر عنه بلفظٍ عام، وأمر مطلق دون تفصيل أو تخصيص (صدقة)، (مسلم) مع المقطع الثاني الذي ينتظر من خلاله الصحابة معرفة الموقف أو المطلوب من المسلم إذا كان عاجزاً عن الإتيان بما أمر به من صدقة. ولما كانت (الصدقة) هي محلَّ العناية ومحور الحديث كان حضورها أيضاً في المقطع الثاني، لكنَّ حضور ذهنيٍّ بعدم الذكر، لا حضور لفظيٍّ بالإعادة والتكرار لما في عدم الذكر في هذا المقام من أفضلية على الذكر، نظراً لما يُؤلِّده غياب اللَّفظ وحضور المعنى من ربط ذهنيٍّ برجوع المتلقِّي إلى العنصر المذكور (صدقة) فيُقَدَّر بواسطته ما يمكن به ردُّم فجوة الحذف (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ Ø ؟)، الفجوة التي تُحْدِثُهَا

¹ المثل السائر، ابن الأثير، 266/2.

هذه العبارة الموجزة بنيةً المختصرة لفظاً بإسقاط المفعول به، ليكون هذا الإسقاط علامة على تماسك الجزء الثاني من النص بالجزء السابق له أكثر من علامة على اختلاله.¹

- الحذف الثاني:

يُمْكِنُ تحديد موضع الحذف الثاني في الحديث بتتبع التدرُّج الموجود في حلقاته الخطائية، والمنحى التصعيدي والتواليدي في تمفُّضاته الحوارية التي تتراوح بين السُّؤال والجواب و الجواب بالسُّؤال اللاحق له.

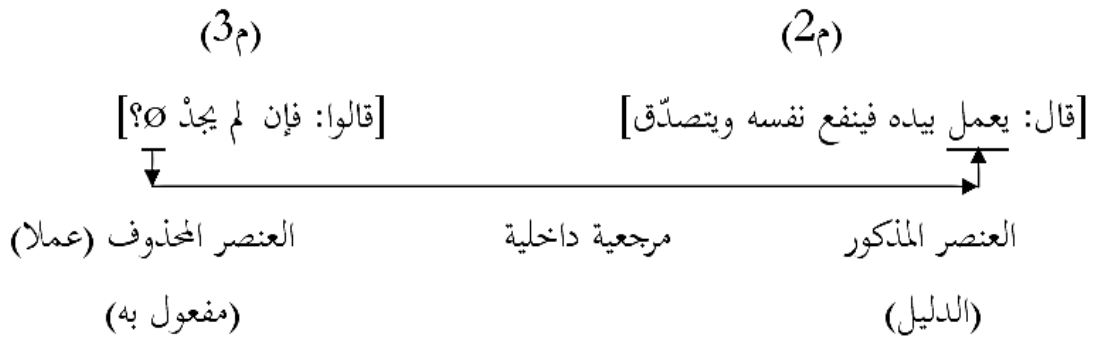
فالمقطع الثالثُ تضمَّنَ حذفًا ثانيًا وهو حذفٌ اسميٌّ أيضًا يتَّضحُ حضوره في الجملة الحوارية الاستفهامية الآتية: (قالوا، فإن لم يجد Ø ؟) .

إنَّ معرفة هذا الحذف والوصول إلى فهمه يتأتَّى لنا مِنَ الفراغ البنيوي على حدِّ قول محمد خطابي الذي نهتدي إلى ملئه اعتمادًا على ما وَرَدَ في المقطع الأول من النص.² إذْ نفترضُ عنصرًا سابقًا، وهو (عملاً) المصدر المسبوك من الفعل (يعمل)، فيُعدُّ مصدرَ المعلومة المفقودة، ودليلاً يرشدنا إلى العنصر المحذوف .

فَيُمْكِنُنا إذنْ توضيح هذا الحذف الاسميِّ من خلال العنصر المحذوف وعلاقته بالعنصر المذكور في ما يأتي:

¹ ينظر: إشكالات النص المداخلة أتمودجا، جمعان بن عبد الكريم، ص393.

² ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص21.



- إنَّ هذا الحذف الاسميَّ بدوره كواحدٍ من أدوات اتِّساق النصِّ عَمِلَ على تحقيق تماسك نصي بين مقطّعين، المقطع الثالث المتضمّن العنصر المحذوف، والثاني المتضمّن العنصر المذكور (يعمل) الذي يُمثّل دليلاً مقالياً على العنصر المحذوف (عملاً) في سياقه اللغوي . نظرًا للدور الفاعل الذي يؤدّيه السياق في تواصلية الخطاب، وفي انسجامه بالأساس، فلم يكن ليُكون للخطاب المحذوفة بعض عناصره قيمة ومعنى لولا الإلمام بسياقه.¹

فهذا الحذف يُحقّق مرجعيّة بين المذكور (يعمل)، والمحذوف (عملاً) في جملتين مختلفتين في مقطّعين متوالين. كما حقّق استمراريّة دلاليّة للنصّ باستمرار المعنى (معنى العمل للانتفاع والصدقة) عبر تكراره بالذكر والحضور تارةً، والتّرك والغياب تارةً أخرى.²

- إنَّ هذا الحذف الاسميّ لم يكن على مستوى الجملة الواحدة من النص، بل امتدّ كما قلنا إلى أكثر من ذلك، فكان العنصر المحذوف عاملاً أساسياً للرّبط بين أجزاء النصّ النبويّ من خلال ربطه بين المقطّعين، فضلاً عن دوره في تفعيل الطاقة التأويليّة لدى المتلقّي باعتماده على خصائص السياق

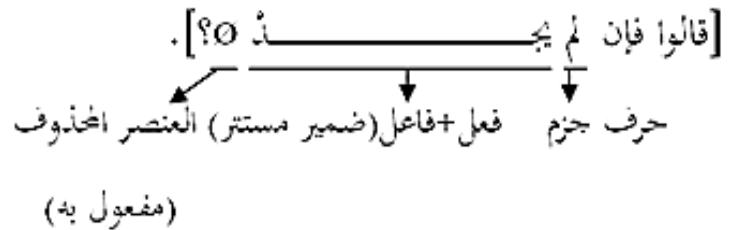
¹ ينظر: المصدر السابق، محمد خطابي، ص56.

² ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص173.

ملء الفراغ.¹ إذ لا يمكن أن يكتمل بناء النص اللغوي، وفهم مضمونه من غير تقدير المفعول به المحذوف (عملاً للفعل (يجد).

- الحذف الثالث:

يظهر الحذف الثالث في النص الحديثي في العبارة نفسها الواردة في المقطع الثالث (قالوا فإن لم يجد ؟) رد الصحابة على النبي ﷺ وسؤالهم إياه. المنحى التصعيدي والبناء التوالدي في التركيب الحوارية بينه ﷺ والصحابة الأجلاء. إذ يمكن توضيح هذا الحذف بالنظر في البنية السطحية للجملة، ومن ثم إعادة إلى الأصل باسترجاع العنصر المحذوف ووضعه في موضعه المناسب في الجملة انطلاقاً من السياق اللغوي الدال عليه، فالتفصل الأول من المقطع الرابع يبدو متمثلاً في الشكل الآتي:

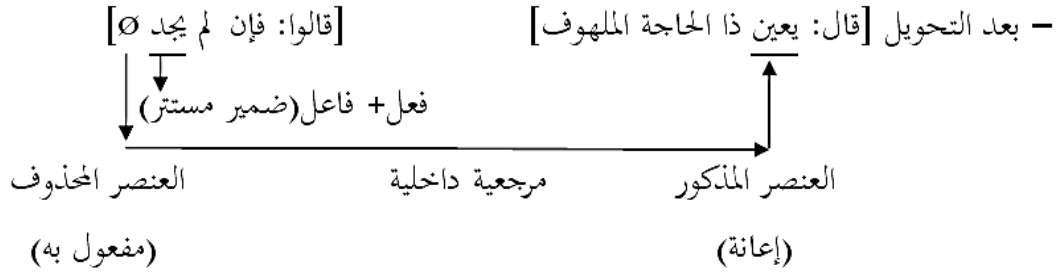


إنّ هذا القول هو البنية السطحية لهذا التفصل الحوارية من المقطع الرابع، ونلاحظ فيه موضع الإسقاط العنصر المحذوف أو الفراغ البنيوي الذي يقتضي تقديرًا يناسب البنية التركيبية والغرض الدلالي الذي تحمله العبارة المتضمنة مَقُول القول.

إذن فالبنية العميقة التي تُمَثِّلُ خلفيةً لهذا البناء الظاهري قبل إجراء هذا التحويل الحذفية بحذف المفعول به يتضح فيما يأتي:

¹ ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، ص 94.

(م3)



- قبل التحويل: [قالوا: فإن لم يجد إعانة].

فعل + فاعل مفعول به

إنَّ العنصر المحذوف المفعول به للفعل المتعدّي (يجد) الذي يعني (يستطيع) أو (يقدر) لا يمكننا الوصول إليه وتقديره تقديرًا دقيقًا مناسبًا للمعنى من غير النظر إلى الدليل المقالي المذكور في المقطع السابق (الثالث) المفهوم والمسبوك من قوله ﷺ (يعين ذا الحاجة الملهوف).

فهذا الحذف الاسمي الثالث في هذا النص النبوي قد أسهم بشكل واضح في تلاحم المقطع الرابع من النص مع سابقه تلاحمًا لا يقلُّ دورًا عن غيره مما تؤدّيه بقية أدوات الاتساق الأخرى في نسيج النص وموضوعه ؛ فإذا كان الارتباط الحاصل بين مكونات المقطع الواحد هو ارتباط دلالي في التمفصلات الحوارية بين طرفي العملية التواصلية (الرسول ﷺ) و (الصحابة)، الاستفهام وجواب الاستفهام، فإنَّ الارتباط المحقق بين المقطع والمقطع المجاور له يقوم على عدّ جوابه ﷺ في نهاية كلِّ مقطعٍ كمرجعيةٍ تتضمَّن الدليل المرشد الذي يتمُّ بواسطته تفسير العنصر المحذوف من جملة مَقُول القول الاستفهامية في المقطع اللاحق له، وبهذا يكون هذا الاتساق النصي محققًا بالفعل بواسطة هذا الحذف الاسمي الثالث عبر مرجعيته المحققة في مقطعين مختلفين تضمَّن العنصر المذكور السابق (الدال) والعنصر المحذوف اللاحق (المقدّر).

يمكن القول إذن أنّ هذا النص النبويّ الحواريّ في نمطه، الإرشادي في أهدافه ومقاصده اعتمد على الحذف، وأقول الحذف الاسميّ موزّع في مواضعه الثلاثة توزيعاً جعل من أجزائه مترابطة، يُعيدك اللاحق منها إلى سابقه . ونُجملُها في الجدول الآتي:

النص الحديث/مقطع/جملة	العنصر المحذوف	نوع الحذف	الدليل	نوعه	المرجعية	نوع التماسك
على كلّ مسلم صدقة. قالوا: فمن لم يجد؟	مالاً	حذف اسمي (مفعول به)	صدقة	سابق مذكور	داخلية	على مستوى النص بين المقطعين (1)+(2)
قال يعمل بيده. قالوا: فإن لم يجد؟	عملاً أو قدرة على العمل	حذف اسمي (مفعول به)	يعمل بيده	سابق مذكور	داخلية	على مستوى النص بين المقطعين (2)+(3)
قال يعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يجد؟	إعانة	حذف اسمي (مفعول به)	يعين	سابق مذكور	داخلية	على مستوى النص بين المقطعين (3)+(4)

فمن خلال استقرائنا وتحليلها لهذه الصّور الثلاثة للحذف الاسميّ في هذا النص الحديثي يبدو الدور الكبير والفعّال الذي لعبه في جعل النصّ لبنه واحدة متماسكة تماسكاً شكلياً، وآخر دلالياً من خلال التسلسل القائم بين مقاطعه الأربعة، والتدرّج المنتظم الذي بُني عليه الحوار القائم بين طرفي

العملية التواصليّة، إذ وكأَنَّ في كلّ توجيهٍ وأمرٍ يصدرُ عنه ﷺ يستدعي عَقِبَهُ مباشرةً تعبير الصحابة عن حيرتهم وتساؤلهم عن الفعل المطلوب حين يتعذّر أداء ذلك الأمر، وهكذا في كلّ مرّة يأتيهم الجواب ميسراً وأكثر سهولةً ممّا سَبَقَهُ، والأجر والثواب حاصل بتلك الصدقة بأوجهها المختلفة، ودرجاتها المتفاوتة.¹ فالارتباط زيادة على كونه دلاليّاً من حيثُ المعنى المفهوم تماسك الأمر والسؤال في المقطع الواحد، فهو أيضاً قد تجاوز الرنط الجُمليّ على مستوى المقطع الواحد إلى الرنط المقطعيّ بين المقطع والمقطع الذي يليه مباشرةً.

فكأنّه بذلك قد شكّل سلسلة غير مرئية يتمّ الوصولُ إلى إدراك دورها الفعّال بحسن النّظر، وحصافة التقدير للمرجعية الداخليّة التي جمعت المحذوف الغائب، والمذكور القائم في السياق اللغويّ للحلقات التركيبية لهذا النص الحديثيّ.

كما أنّ الحذف المتعدّد في حضوره، المكتّف في مدلوله في هذا النص النبويّ يُعَدُّ من أكثر الروابط التي تُناسبُ النصوص الحواريّة أكثر من غيرها من النصوص الأخرى، لاسيما أنّه جاء للإيجاز اعتماداً على فهم المخاطب (النبيّ) - المجيب والأمر - لسياق الحديث، وتجاوبه تواصليّاً مع المخاطب (الصحابة) المتلقّي والسائل.²

¹ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 398/3.

² ينظر: إشكالات النص المداخلة أنموذجاً، جمعان بن عبد الكريم، ص393. ونظرات في السنة النبويّة، حنفي أحمد بدوي، ص55.

- نصّ الحديث الثالث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَذْرَكْتُ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ قَالَ: « نَعَمْ » . وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي الشريف يدلُّ في ظاهره على ما ذكره ابن أبي جمرة على جواز النيابة في الحج،² فهذه المرأة أرادت أن أباهَا أسَلَمَ على الكبر، ومن أدركه الكبر أو الزمن، ولم يستمسك على الراحلة وجب عليه أن يستنيب مَنْ يَحُجُّ عَنْهُ إِذَا قَدَرَ عَلَى الْمَالِ، سواء كان له مال قبل عذره، أو طرأ بعد عذره ولا يلزمه. وهذا قول الإمام الشافعي، وقال الإمام مالك، العُضْبُ (المرض المزمن) يُسْقِطُ الْحَجَّ لِكُلِّ حَالٍ، ولا يلزم الإنسان أن يستنيب في الحج، أمّا أبو حنيفة فقال بعدم وجوب الاستنابة إلّا على من استقرّ الوجوب في ذمّته، فإذا تقدّم العُضْبُ على الوجوب لم يجب.³ وزيادة على جواز النيابة في الحج فقد ذهب أيضًا الإمام مسلم اعتمادًا على الرواية الأخرى (فحجّي عنه) المروية عن الفضل بن عباس إلى أن هذا الحديث فيه فوائد منها: جواز الإزداف على الدّابة إذا كانت مطيقة، وجواز سماع صوت الأجنبية عند الحاجة في الاستفتاء والمعاملة وغير ذلك، ومنها تحريم النظر إلى

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، [1513/77]، وفي صحيح البخاري، ص184. ورد الحديث كما يأتي (عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إنّ فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفحج عنه؟ قال: نعم . وذلك في حجة الوداع".

² ينظر: بهجة النفوس، ابن أبي جمرة، 675/1.

³ ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، 324/2.

الأجنبيّة، ومنها إزالة المنكر باليد لمن أمكنه، ومنها جواز النيابة في الحجّ عن العاجز المأيوس منه بهرم أو زمانة أو موت، ومنها جواز حجّ المرأة عن الرجل، ومنها كما سبق وأن ذكرنا وجوب الحجّ على مَنْ هو عاجزٌ بنفسه مُستطيع بغيره كولده، ومنها جواز حجّ المرأة بلا محرم إذا أمنت على نفسها، وهو مذهب الجمهور.¹

- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبويّ:

يُؤسّس هذا الحديث النبويّ الشريف على الحوار الهادف بينه ﷺ وبين هذه المرأة الختعميّة التي تسأل رسول الله ﷺ: (إِنَّ فريضة الله على عباده في الحجّ أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفحج عنه ؟). قولها الاستفهاميّ له دلالةٌ في طلب الحكم الشرعيّ عن مسألة بعينها (النيابة في الحج) ؛ فيأتي الجواب من جنس السؤال دالاً على الإثبات (نعم) أمرٌ طليّ يتضمّنه بتقدير جملة مقول القول المحذوفة، وبيان للحكم دونما لبس أو تعقيد.²

فقد تكوّن هذا النص النبويّ المرويّ عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - من مقطعين أو تمفصلين رئيسين شكّلا مجتمعين بنية الحوار، هذا الحوار الموجز في سبكه، البيّن في دلالاته ومضمونه، إذ انبى على أسلوب الاستفهام متبوعاً بجوابه كونه ﷺ هو المرئيّ الأول، والموجّه المرشد المبلّغ لهذه الأمة ؛ فكان محجّة المسلمين ومقصدهم في شرح أمور دينهم وعباداتهم، وكلّ ما يتعلّق بشؤون حياتهم . فالمقطعان الحواريان في هذا النصّ الحديثيّ تمثلاً فيما يأتي:

¹ ينظر: صحيح مسلم، شرح النووي، 98/9.

² ينظر: بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد عبده عوض، ص 267.

- **المقطع الأول:** [إِنَّ امرأةً قالت: يا رسول الله إِنَّ فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يثبت على الراحلة، أفحج عنه؟].

تكوّن هذا المقطع النصي الأول من جملة كبرى اسمية الصدر فعلية العجز.¹ مُصَدَّرَةٌ بحرف مشبّه بالفعل (إِنَّ) للتوكيد، واسمه (امرأة)، وخبره الجملة الفعلية (قالت يا رسول الله...)، هذه الجملة الخبرية بدورها تكوّنت من فعل القول المتعدي (قال)، وفاعله ضمير مستتر تقديره هي، ومفعوله جملة مقول القول (يا رسول الله...)، وهي بدورها ابتدأت بحرف النداء ب (يا) لفتاً لانتباهه صَلَّى الله عليه وسلّم، و طلباً لإصغائه إليها و استعمال النداء ب(يا). كما ذهب أكثر النحاة إلى أنّه يختصّ مِنْ بَيْنَ سائر حروف النداء باستعماله في نداء البعيد مسافة أو حكماً، وهي أكثر حروف النداء استعمالاً في الحديث الشريف، فقد استعملت في نداء البعيد بجسمه أو بروحه وفكره.² ونداؤها له ﷺ ب (يا رسول الله) للتشريف والتعظيم والتوقير.³

ويمكن تقسيم هذا المقطع إلى تمفصيلين أو جزأين يتعلّق أولاهما بثانيهما، فالأول في قول المرأة: (إِنَّ امرأةً قالت يا رسول الله... لا يثبت على الراحلة) فيه بسط المرأة الحديث عن عبادة الحجّ، وتوصيف لحالة أبيها العاجز عن تأدية هذه العبادة.

أمّا الثاني في قولها (أفحج عنه؟) سؤالها عن إمكانية وجواز تأديتها هذه الفريضة (الحج) بدل أبيها، وعلى هذا التمفصيل انبنى المقطع النصي الأول، فقد مثّل المحوّر الرئيس الذي ارتبطت به جميع

¹ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 437/2-440.

² ينظر: الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، هناء محمود شهاب، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ط1، 1435هـ/2014م، ص170.

³ ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية (في الموطأ)، محمد سعيد عبد الله، ص165-166.

المكوّنات الإفراديّة والتركيبية المكوّنة لهذا الجزء من النصّ الحديثي، بل في الحديث النبويّ برّفته، فهو يترك القارئ أو المتلقّي ينتظر الجواب جواب رسول الله ﷺ فيأمل سماعه، فاستدعى بذلك حضوره - الجواب- فكان هذا التداعي والتوالد والتلازم بين السؤال والجواب مدعاة لارتباط وثيق بين المقطع الأوّل بكلّ تمفّصلاته بالمقطع الثاني من النصّ المتضمّن جوابه ﷺ على هذا السؤال.

- المقطع الثاني: [قال: نعم. وذلك في حجة الوداع].

هذا المقطع النصّي الثاني على إيجاز لفظه، واختصار بنيته ومكوّناته هو جواب شافٍ وكافٍ، يحمل حُكْمًا شرعيًّا وفتوى نبويّة في جواز النيابة في الحجّ عمّن هو عاجزٌ بنفسه مستطيعٌ بغيره (قال: نعم) أي: حُجّني عنه . وحرف الجواب (نعم)، وقد أُرْدِف ابن عباس هذا القول من سؤال المرأة الخثعمية وجوابه ﷺ بقوله (وذلك في حجة الوداع)، أي ما دُكِر من السؤال وجوابه واقع في حجة الوداع. ولم يحجّ ﷺ بعد فرض الحج سوى حجة الوداع.¹

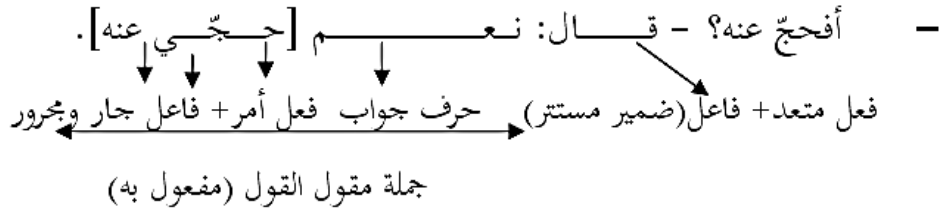
إنّنا حين نعمد إلى استقراء الحديث الشريف واستنباطه باحثين عن أدوات الاتساق فيه على اختلاف شكلها، وتنوّع صورها، وأهمية دورها، وقوّة أثرها واجدون منها ما سمّاه النحاة المتقدّمون منهم والمتأخّرون وعلماء البلاغة والأسلوب (الحذف). فوقفنا فيه على حذف واحد، وهو حذف جملي ورد في المقطع الثاني من النصّ، هذا في قوله ﷺ [قال: نعم Ø] حذف جملة مقول القول.² الواردة في جواب الاستفهام، إذ يمكن الكشف عن العنصر المحذوف، ومعرفة ما يمكن تقديره لسدّ

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص155.

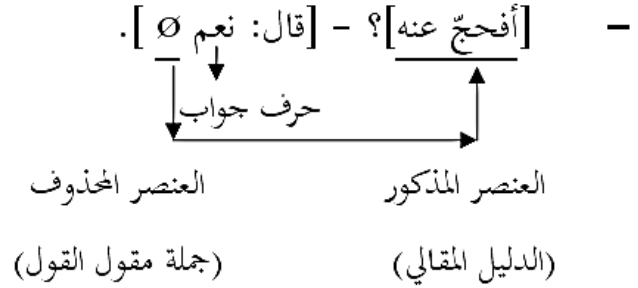
² ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 477/2-478 و ص746.

الفراغ الذي تركه الحذف بتحليل الجملة أو العبارة انطلاقاً من بنيتها السطحية على ما تظهر عليه، وبنيتها العميقة على ما كانت عليه قبل حدوث "الحذف".

إذن فالبنية العميقة لهذا القول قبل الحذف هي:



أما البنية السطحية بعد الحذف هي:



فبالنّظر إلى هاتين الصورتين في هذا القول من النص الحديثي يتبدّى لنا قوله ﷺ الذي كان فيه مختصر الجواب، موجز اللفظ، واضح الحكم بقوله (نعم) اكتفاء منه ﷺ بحرف الجواب، بدل إعادة تكرار الجملة الصادرة عن المرأة الخثعمية كاملة، إدراكاً منه ﷺ الوظيفة التواصلية التي يؤدّيها هذا الحذف الجملي بحكم أنّ منطوقه كمُرْسِلٌ ومُجِيبٌ مفهومٌ عند المرأة كمتلقٍّ وسائلٍ على الرّغم من إسقاط جملة مقول القول الفعلية الطلبية (حجّج عنه) من قوله الجوابي .

فقد تمّ هذا الحذف الجملي لأنّ الباقي في بناء الجملة المنطوقة بعد الحذف مُعْنياً في الدلالة كافياً

في أداء المعنى لوجود قرائن معنويّة أو مقالية تُومئُ إليه وتدلُّ عليه.¹

¹ ينظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003م، ص 259-264.

فبالتَّبَع الخطِّي لهذا النصّ على مستوى الجمل والمتواليات نصل إلى أنّ العنصر المحذوف دلّ عليه دليل سبق ذكره في المقطع السابق من النصّ في سياق سؤال المرأة للنبي محمد ﷺ (أفحجّ عنه ؟)، فقد عُدَّت هذه الجملة الاستفهامية بمثابة دليل مذكور أو قرينة مقالية تُهتدي بها إلى تقدير ما يناسب ملء الفراغ، وسدّ الثغرات موضع هذا الحذف، فقد ذكّر الدكتور تمام حسان أهمية الذكر في دلالاته على الحذف: « الذكر قرينة لفظية، والحذف إنّما يكون بقرينة لفظية أيضًا ولا يكون تقدير المحذوف إلّا بمعونة هذه القرينة وأهمّ القرائن الدّالة على المحذوف هي الاستلزام، وسبق الذكر، وكلاهما من القرائن اللفظية الداخلة في مفهوم التضام ».¹

إنّ هذا الحذف الجمليّ في هذا النص النبويّ في الجملة الجوابية جملة مقول القول جعله يبدو في صورة بنيوية موجزة اللفظ مختصرة التركيب، فللجواب في الحديث النبويّ صورٌ متنوّعة وأساليبٌ متعدّدة تتناسب مع الغرض من الاستفهام. وقد جاء هذا الجواب هنا جوابًا للاستفهام ب (الهمزة) التي طُلِبَ بها التصديق.² ولعلّ من أسباب اقتصار الجواب على لفظ (نعم) -حرف الجواب- عدم احتياجه إلى تعليق أو إضافة أو إعادة لفظ السؤال، بتكرار بعض مكوّناته.³

إضافة إلى ذلك فإنّ الاستفهام الصادر عن المرأة كان مباشرًا وحقيقيًا، فجاء مناسبًا لغرض الحديث، فالاستفهام المباشر كما يقول الدكتور منير سلطان له جوابه المباشر والمناسب.⁴ إذ عبّر عن معنى تعبديّ وحكم شرعيّ عن طريق تركيب سؤال موجز اللفظ وجواب أوجز منه بالتّخاذ الحذف الجمليّ

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص221.

² ينظر: معجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، ص19.

³ ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية (في الموطأ)، محمد سعيد عبد الله، ص103. وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص90.

⁴ ينظر: السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المناع، ص218.

وسيلة من وسائل الاتساق النصي والربط الجملي بين مقطعي النص الرئيسين اللذين انبنى عليهما، فجعله مرتبطاً ارتباطاً دلاليًا بين الاستفهام وجواب الاستفهام من ناحية، وباستمرارية النص الدلالية بتكرار العنصر المحذوف بالمعنى لا باللفظ اعتماداً على المرجعية بين المذكور السابق بالسؤال (أفحج عنه؟)، والمحذوف اللاحق في الجواب (نعم Ø).

يمكننا أن نؤكد أن من أغراض هذا الحذف الجملي وأبعاده البلاغية هو الاختصار والإيجاز بناء على الظاهر، فقد أُستغني عن إعادة الجواب بالقرينة اللفظية أو المقالية العنصر المذكور (أفحج عنه ؟). زيادة على ذلك فإن طبيعة الحوار أنه يُكْمَلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا يَرِدُ فِي كَلَامِ أَحَدِ الْمُتَحَاوِرِينَ يَبْنِي عَلَيْهِ الْآخَرُ كَلَامَهُ مُسْتَعْنِيًا بِالْقَرَأْنِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ وَالسِّيَاقُ الْوَاردُ فِيهِ. فطبيعة الحوار أُمِيلُ إِلَى الْإِيجَازِ، إِيْجَازٌ بِالْقَصْرِ كَانَ أَوْ بِالْحَذْفِ.¹

فضلاً عن ذلك ما اقتضاه الموقف الاستعمالي من هذا الإيجاز اللفظي بواسطة هذا الحذف الجملي لاسيما أنَّ هَـوَ ﷺ كما ذُكِرَ فِي آخِرِ النَّصِّ كَانَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، وَلَعَلَّ الْمَوْقِفَ وَالْمَقَامَ لَا يَسْتَدْعِي الْإِطْنَابَ وَالتَّكَرُّرَ وَالِاتِّسَاعَ فِي الشَّرْحِ وَالتَّعْقِيبِ. وَيُمْكِنُ إِذْنُ إِجْمَالِ هَذَا الْحَذْفِ الْجُمْلِيِّ فِي الْجَدُولِ الْآتِي:

¹ ينظر: الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عبد محمد شبايك، ص211.

النص الحديث/مقطع/جملة	العنصر المحذوف	نوع الحذف	الدليل	نوعه سابق/لاحق	المرجعية داخلية/خارجية	نوع التماسك
أفحج عنه ؟ قال نعم Ø	حجّي عنه	حذف جملي (جملة مقول القول)	أفحج عنه؟	سابق مذكور	داخلية	على مستوى النص بين المقطعين (1)+(2)

وفي الأخير يمكن أن نخلص إلى أنّ هذا النص الحديثي قد تماسكت بنيته التركيبية سواء بين مكوناته الفردية (ألفاظ) بروابط شكلية كحروف العطف (الواو والفاء)، وروابط إحالية كإحالات الضميرية أو بين مكوناته التركيبية (مقاطع وجمل) التي قام "الحذف" فيها كواحد من أدوات الاتساق النصي بدور كبير في تحقيق ذلك التلاحم، فقد عمل على جعل هذا النص الحديثي بنية نصية واحدة بمقطعيه الرئيسين اللذين تضمنا السؤال وجواب السؤال على التوالي مُحققًا بهما مجتمعين بُعدًا دلاليًا ومفصّدًا تعبديًا وحكمًا تشريعيًا كان هو محور هذا الحديث الشريف وغايته، فضلًا عن الارتباط الدلالي الذي امتدّ دوره عن طريق ما يستدعيه السؤال أي سؤال من جواب يُتمّ المعنى، ويُزيل الغموض ويرفع الإبهام ويبسط الفهم والتوضيح.

- نصّ الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِطَرِيقٍ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنُ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهِ كَذَا وَكَذَا، فَأَخَذَهَا»¹

- المعنى الإجمالي للحديث :

يدلّ هذا الحديث النبويّ على تحريم ثلاث خصالٍ أو أفعالٍ، فقد عدّها من كبائر الذنوب، وتوعّد ربّنا عزّ وجلّ مرتكبها بالعذاب الأليم، والحُرمان من كلام الله والنظر إليه²، تمثّلت هاته الأفعال أو الأصناف الثلاث من الرجال فيما يأتي:

أوّلها رجلٌ أتاه الله ماءً فضلاً أيّ فاضلاً عن كفايته وكفاية عياله، فمَنع منه ابن السبيل، وفي رواية عمر بن دينار عن أبي صالح في الشرب أيضاً.

ورجلٌ مَنَعَ فَضْلَ ماءٍ فيقول الله تعالى له: «اليوم أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ». والمقصود بـابن السبيل كما ذكر ابن حجر العسقلاني: المسافر المحتاج إلى الماء لكن يُسْتَشْنَى منه الحربيّ والمرتدّ إذا أصرّ على الكُفْرِ فلا يجب بذل الماء لهما.³

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الشهادات، باب اليمين بعد العصر، [2672/118]، ص 69. وصحيح البخاري، ص 319.

² ينظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جمرة، 2/65. وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 192-193.

³ ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، 13/260-261.

ورجلٌ بايع رجلاً لا يُبايعُهُ إلاَّ للدنيا، هذه البيعة فاسدةٌ لأنَّ البيعةَ أصلُها أن تكونَ لله، ولا تُلَاف كلمة المؤمنين، وباتتلاف الكلمة يكون الذَّبُّ عن الدين، وجهاد العدو، وتحصين الفروج، وصون الأموال، وحقن الدماء، ذلك أنَّ مبايعة الإمام أنَّ يبايعه على العمل بالحق، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.¹

فإن كانت البيعة لعرض الدنيا وحُطامها، وحظوظ النفوس ورغبتها، انصرف ما أُريدت البيعة إليه وكان ضده، وهو سفك دماء المسلمين، ووقوع الخلل في الدين، فأشبهه الأول وزاد عليه.²

والثالث رجلٌ ساومَ رجلاً سلعةً بعد العصر فحلف بالله لقد أُعطيَ بها كذا، فإنما اشترك مع مَنْ تقدّم ذكرهما في العذاب، لكونه ارتكب خمسة أشياء عظيمة محرمة هي: الخيانة، والكذب، واليمين الفاجرة، وغشّ المسلمين، واختراق حرمة هذا الزمان الفاضل وهو بعد صلاة العصر، فلمّا ارتكب هذه الخمسة الأشياء - على عظمها - كان مساوياً في العذاب لمن تعرّض لقتل النفس.³

- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبوي:

تتكوّن بنية هذا الحديث الشريف من أربعة مقاطع سردية، اعتمدَ فيه ﷺ على الإجمال والتفصيل، فالإجمال في المقطع الأوّل القائل فيه (ثلاثة لا يُكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يُزكّيهم وهم عذاب أليم)، ثم يأتي التفصيل والتفسير في المقاطع الثلاثة اللاحقة على التوالي (رجلٌ على فضل ماء بطريق يمنع منه ابن السبيل) و (رجلٌ بايع رجلاً لا يبايعه إلاَّ للدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفي له، وإلاَّ

¹ ينظر: المصدر السابق، 261/13.

² ينظر: بحجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جمرة، 66/2.

³ المصدر نفسه، 66/2-67.

لم يف له). و (رجلٌ ساوم رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لقد أُعْطِيَ بها كذا وكذا فأخذها).

فهذا النمط من البناء النصي يثير التشوّق في قلب السامع، والرغبة في معرفة هذا الإجمال والتكثيف، مَنْ هُم هؤلاء الثلاثة؟ مَا أفعالُهُمْ؟ وبِمَ يَتَصِفُونَ وَيُعَرِّفُونَ؟ فيأتي التفسير والتفصيل بعده، فيقع في القلب موقعاً عظيماً.¹

- فالمقطع الأول: [ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يُزَكِّيهِم، ولهم عذاب أليم [بُدِئَ بِالْعَدَدِ (ثلاثة) نكرة منوّنة مبدوء بها الكلام تحمل من الإبهام ما يدفع المتأمل أو السامع إلى التشويق، ويثير فيه الانتظار لمعرفة التفسير والإيضاح، وهو كما يبدو أكثر عدد ذكراً في النصوص الكريمة.²

لقد تكوّن هذا المقطع من أربع جُمْلٍ موصولة تتّصف بمجموعها النكرة، ثلاثٌ منها سلب يجرّد النكرة من أجر الثواب وصالح العمل، وأوفى في الثواب (كلام الله، نظره سبحانه يوم القيامة، تزكية الله)، وهي جمل فعلية مضارعية تدلّ على أمرين، أولاً على التجدد، أي الحصول بعد العدم، وقد انتفى عنهم أزلاً فانتفى أبداً لا لدواهم، ولكن لصِفاتهم الموجبة للحُزْمَان. وثانياً تدلّ على مثوبة المؤمن وكرامته الذي تتجدّد له هذه الجزاءات ثبوتاً لأنّه بريء من تلك الصفات.

¹ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص43.

² ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، دار اقرأ بيروت لبنان، ط1، 1404هـ/1984م، ص398.

ثم تتقرر الجملة الاسميّة الأخيرة (ولهم عذاب أليم) فتقطع كُلٌّ وهم يستبقي لهم شيئاً قليلاً من الأمل، وجزاؤهم سلْبُ تلك المكارم والعذاب الأليم.¹

فالجُمْلُ النعتيّة الثلاثة التابعة لِمَا قبلها المبتدأ (ثلاثة) الواصفة له، يلزم بعضها بعضاً من جهة المعنى، ترتبط فيما بينها ترابطاً امتدّ بها تصاعديّاً حتى نهاية الأمر وأقصاه العذاب الأليم في الجملة الرابعة من هذا المقطع.

فكلُّ مفهوم يُؤكّد ما سَبَقَهُ، فالخُرُوم من رحمة الله ومن كلامه، ومتعة إقباله عليه، محرومٌ أيضاً من نظره إليه، ومن لا يُكلّمه ولا ينظر إليه غضباً لا يكون محلّ تركيته، ثمّ ما كان كذلك كلّ ليس له إلّا العذاب الأليم، من هنا تلاحمت هذه التمفصلات السرديّة الأربعة في هذا المقطع النصّي تلاحماً دلاليّاً إذ يستدعي فيه التعبير النبويّ الحرمان حرماناً آخر في منحى تصعيديّ واضحة مُحصّلتُه ونهايته، فضلاً على الارتباط الشكليّ بواسطة أدوات الاتّساق المختلفة كواو العطف والإحالة النصيّة القبليّة ضمير الغائب (هم) الحاضر في كلّ جزء من أجزاء هذا المقطع.

- أمّا المقاطع الثلاثة اللاحقة بالمقطع الأوّل فقد جاءت للبيان والتفصيل، استهلّت جميعها بلفظ (رجل) لتعود من جديد في كلّ محطة نصيّة إلى المقطع الأوّل من خلال هذا الرّبط الدلالي، فيكون كلّ واحدٍ منها جزءاً من هذا الإجمال، وبياناً لهذا الإبهام، وإخباراً على هذا الابتداء.

فالمقطع الثاني من النص [رجلٌ على فضل ماء بطريق يمنع منه ابن السبيل] يخبرُ فيه ﷺ بالفعل الأوّل المؤدّي إلى هذا العذاب، وهو منع ابن السبيل من الماء.

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 86.

والمقطع الثالث [رجلٌ بايع رجلاً لا يبايعه إلاّ للدنيا، فإنّ أعطاه ما يُريد وفي له، وإلاّ لم يف له]
 دلّ على بيعة الرجلِ الرجلَ لأجل عَرَض الدّنيا وخطامها الزائل بيعة تُحيدُ عن ابتغاء وجه الله وجنته
 الخالدة ونعيمها الدائم .

والمقطع الرابع [رجلٌ ساوم رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لقد أُعطي بها كذا وكذا
 فأخذها] فبيّن فيه ﷺ كذلك الفعل الشنيع الذي لا يقلُّ عن سابقيه، وهو خيانة المسلمين والكذب
 واليمين الفاجرة، والغشّ واختراق حُرمة زمن بعد العصر.¹

فالمقاطع الثلاثة الموالية للمقطع الأول ارتبطت به ارتباطاً دلالياً كونها مُفَصَّلَةٌ لمَجْمَل، مُفَسَّرَةٌ لِمُنْهَم
 مُبَسَّطَةٌ لِمَكْتَفٍ، زيادة على هذا فقد عملت أدوات الاتّساق المختلفة على تحقيق هذا التلاحم النصيِّ
 في بنية الحديث النبويِّ، لاسيما ذلك الدور الكبير الذي لعبه "الحذف" كواحدٍ من هذه الوسائل
 الرابطة ؛ فقد كان حاضراً بالفعل حضوراً مميّزاً ساهمَ بشكلٍ ملحوظ في تماسك أجزاء النص الحديثيِّ
 بنيةً ومضموناً، هذا ما نسعى إلى بسطه وإيضاح مَوَاضِعِهِ والأثر الذي تركه في اتّساق هذا الحديث
 النبويِّ وانسجامه.

إنّنا حين نستقري هذا الحديث النبويِّ، ونتتبّع مكوّناته والعلاقات النصيّة الرابطة بين أجزاءه فثمة
 صُورٌ متعدّدةٌ للحذف في مواضع مختلفةٍ في النص، كان لها كبيرُ الدور في تلاحُم مكوّناته وانسجام
 دلّاته، وقد تمثّل في ثلاث صُورٍ هي:

¹ ينظر: بحجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وعليها، ابن أبي جرة، 2/66-67.

1- الحذف الأول: حذف "المضاف إليه" بعد العدد المنون المفتوح به الحديث الشريف في قوله ﷺ

(ثلاثة). فاللفظ (ثلاثة) نكرة منونة أغنى التنوين عن ذكر المضاف إليه، لأن المضاف إليه المحذوف

على ثلاثة أقسام: تارة يزول من المضاف ما يستحقه من إعراب وتنوين، ويبنى على الضم كقولك

(ليس غير)، وتارة يبقى إعرابه، ويُردُّ إليه تنوينه وهو الغالب، وتارة يبقى إعرابه ويترك تنوينه.¹

والذي سوغ الابتداء بها ملاحظة الإضافة والوصف، والتقدير (ثلاثة رجال) أو (ثلاثة أصناف)،

ولعل النبي ﷺ قد عمد إلى حذف المضاف إليه ليثبت التنوين للعدد النكرة، فيعطيه لوناً من الإبهام

والغموض يثير به فضول السامعين شوقاً إلى معرفة ما غاب عنهم، فالعدد المبهم في أول الكلام له

دلالة تأثيرية تجعل المخاطب ينصرف ذهنه إلى تتبع مَنْ هُم هؤلاء الثلاثة الذين حُرِّمُوا كُلَّ خَيْرٍ؟ خوفاً

أن يكون منهم.²

فهذا الحذف حذف المضاف إليه قد تمَّ بدلالة قرينة دلَّت عليه لأنه قد يعرض لبناء الجملة المنطوقة

أن يُحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء، وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد

الحذف مُعْنياً في الدلالة، كافياً في أداء المعنى. فقد ورد الحذف بدلالة قرينة لفظية أو معنوية في

"صحيح البخاري" في ثلاثمائة وواحد وثلاثين موضعاً.³ مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ

إِلَيْهِمْ...».

¹ ينظر: الحذف والتقدير في صحيح البخاري دراسة نحوية دلالية مذكورة ماجستير، سهام رمضان محمد الزعبوط، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب قسم اللغة العربية، 2010م/1431هـ، ص93.

² ينظر: الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص188.

³ ينظر: نظرات لغوية في السنة النبوية، حنفي أحمد بدوي، ص66.

فالبنية العميقة لهذه الجملة الابتدائية من الحديث النبوي قبل التحويل بالحذف:

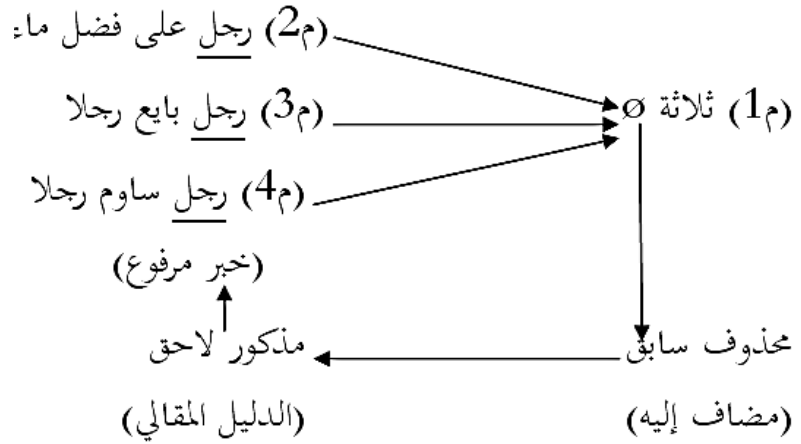
[ثلاثة رجال لا يكلمهم الله...]
 مبتدأ مضاف مضاف إليه

أما البنية السطحية بعد حدوث الحذف فهي:

[ثلاثة Ø لا يكلمهم الله...].
 مبتدأ العنصر المحذوف
 (عدد متون) (مضاف إليه).

فهذه الجملة الاسمية الخبرية حُذِفَ مِنْهَا المضاف إليه (رجال) لدلالة الكلام عليه ووجود قرينة مقالية دالة عليه وقد تأخر ذكرها إلى المقاطع الثلاثة اللاحقة للمقطع الأول، فهذه القرينة تمثلت في لفظ (رجل)، هذا العنصر المذكور الذي يُعَدُّ بمثابة المفتاح لكلِّ مقطعٍ سرديٍّ قد تكرر في بداية المقاطع الثلاثة: (رجلٌ على فضل ماء...) و (رجلٌ بايع رجلاً...) و (رجلاً ساوم رجلاً...) ليربط ذهن المستمع ويُعيدَه في كلِّ مرّةٍ إلى القول الجُمْل والعبارة المكثفة التي ابتداءً بها النصّ الحديثي (ثلاثة Ø لا يكلمهم الله...)، فهو يُمْكِنُ المتأملُ مِنَ التقدير الدقيق لملاء الفراغ الذي أحدثه الحذف الاسمي للمضاف إليه (رجال).

إذن فالدليلُ المقالي حَقَّقَ المرجعيةَ بَيِّنَ المذكور اللاحق (رجلٌ) والمحذوف السابق (رجال) بعد العدَد في قوله ﷺ (ثلاثة Ø). لا أقولُ في جملة واحدة، أو في مقطعٍ واحدٍ بل في مقاطع النص الأربعة إذ بواسطته تمَّ تحقيق الاتساق النصي، والتلاحم الجُملي والمقطعي بربط متوالية المقاطع الثلاثة المتأخرة بالمقطع الأول المتقدم، ويمكنُ تمثيل ذلك في المخطط الآتي:



فحذف المضاف إليه قد حقق الإيجاز في اللفظ من حيث الأسلوب، وعمل على تفعيل حضور المتلقي بإعمال ذهنه في تقدير المحذوف المضاف إليه المميز للعدد المذكور (ثلاثة) ومما يدعمه في سلامة التقدير وحسن التأويل أنَّ في العدد المذكور قرينة لفظية أخرى دالة على أن المحذوف هو المضاف إليه مذكر، حيثُ جاء العدد (ثلاثة) مؤنثاً مما يدلُّ على تذكير المحذوف (رجال).¹ أضف إلى ذلك ما وُصِفَ به الثلاثة (رجال) من جملٍ نعتية تابعة بيَّنت عاقبة ظلمهم، وسوء عملهم، وما ينتظرهم من عذاب أليم، وقد تضمَّنت الضمير المتصل المذكور لجماعة الغائبين (هم) الإحالة الضميرية العائدة على العنصر المحذوف (رجال) لما يقتضيه من تطابق بين المحيل والمحال إليه في النوع والعدد. كما كان لهذا الحذف أثره الكبير في جعل الحديث النبوي كتلة نصية واحدة تلاحت عناصره جملاً ومقاطع تلاهما رفع الإبهام، وأزال الغموض عن فحوى الخطاب النبوي الجمل والمكتف في بداية الحديث، إذ لا يمكن فهم دلالات النص ومقاصده التوجيهية من غير استيفاء جميع مكونات النص الحديثي لتضمينها البيان التفصيلي للأفعال الشنيعة، والسلوكات الشائنة محط التنبيه والتحذير من الوقوع في العذاب الأليم والحرمان من رحمة الله والنظر إليه.

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 68.

2- الحذف الثاني: حذف اسمي (المفعول به) وهذا في ثلاثة مواضع اجتمعت في المقطع الثالث من

النص؛ فالمفعول الأول للفعل المتعدي (يريد)، والثاني للفعل المثبت (وفي)، وثالثها للفعل المنفي (لم

يف) في قوله ﷺ (فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ Ø وفي Ø له وَإِلَّا لَمْ يَفِ Ø لَهُ).

- فالحذف الأول للمفعول به للفعل (يريد) لا يُعْرَف فيه العنصر المُفْتَرَض الذي يمكن تقديره من غير

النظر الدقيق إلى الجمل السابقة في المقطع نفسه، إذْ أَنَّهُ ﷺ حَذَّرَ فِي قَوْلِهِ مِنْ بَيْعَةِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ لِأَجْلِ

عَرَضِ الدُّنْيَا فِي قَوْلِهِ « وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ Ø وفي له».

بَيَّنَ لَنَا مِنْ قَوْلِهِ ﷺ أَنَّ الدَّلِيلَ الْمُقَالِي الَّذِي يَعَدُّ مُرَشِدًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَى إِجَادِ الْعَنْصُرِ الْمَحذُوفِ وَتَقْدِيرِهِ

قَدْ سَبَقَ ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ (لَا يَبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا) فَلَفْظُ (الدُّنْيَا) بِمَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ مَعَانِي الْحَقَارَةِ

وَالْهَوَانِ وَالِدَنَاءَةِ، مِنْ حُطَامٍ زَائِلٍ، وَحُظُوظٍ لِلنَّفْسِ الزَّائِفَةِ مِنْ شَهْوَةٍ وَحُبٍّ لِلْمَالِ وَالْجَاهِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا

يَسَاوِي جَنَاحَ بَعْضَةِ مُقَارَنَةِ بَنِيمِ الْآخِرَةِ الدَّائِمِ وَمَقَامِهَا الْفَاضِلِ، هُوَ الدَّلِيلُ أَوْ الْقَرِينَةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ

تَسَدَّ تِلْكَ الثَّغْرَةَ الْبَنِيوِيَّةَ الَّتِي أَحْدَثَهَا هَذَا الْحَذْفُ الْاسْمِيُّ لِمَفْعُولِ الْفِعْلِ (يريد Ø). فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ، (

فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ مِنْ الدُّنْيَا) أَوْ (مَا يُرِيدُهُ). وَلَعَلَّ الْقَصْدُ فِي تَرْكِ الْمَفْعُولِ بِهِ بِحَذْفِهِ - زِيَادَةً عَلَى

الِاخْتِصَارِ - تَعْبِيرٌ عَنْ تَحْقِيرِهِ ﷺ لِهَذَا الْمَحذُوفِ (عَرَضِ الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا)، فَكَانَ عَدَمُ الذِّكْرِ أَخْصَرَ فِي

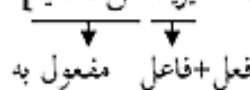
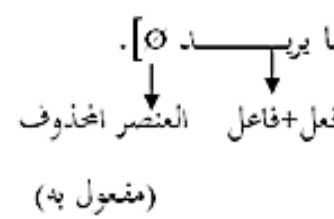
الْلَفْظِ وَأَبْلَغَ فِي الْمَعْنَى.¹

فَقَدْ سَاهَمَ هَذَا الْحَذْفُ الْاسْمِيُّ فِي تَحْقِيقِ الرِّبْطِ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ جُمْلَةُ الشَّرْطِ (فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ Ø)

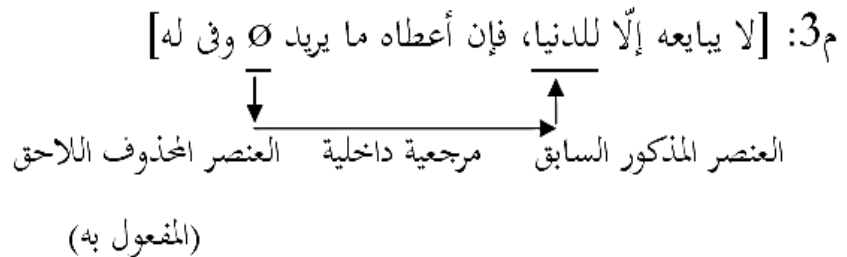
وَالْجُمْلَةُ الْابْتِدَائِيَّةُ الْإِخْبَارِيَّةُ (رَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا لَا يَبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا)، فَالرَّغْبَةُ فِي إِتْمَامِ النَّصِّ بِسَدِّ الْفَرَاغِ

¹ ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص 104.

يُحْتَمُّ لا محالة العودة ذهنيًا إلى القول السابق، حيث العنصر المذكور الدال على هذا المحذوف، فيُحَقِّقُ بذلك اتساقًا بنيويًا على مستوى جملتين أو تمفصلين في المقطع الواحد. كما أفاد هذا الحذف الاستمرارية الدلالية للعنصر المحذوف على الرغم من إسقاطه في البنية السطحية للجملة المقولة بتكرار المعنى دون اللفظ. ويمكن أن تُوضَّحَ هذا التحويل في بنية الكلام في قوله ﷺ، قبل الحذف وبعده كما يأتي:

- قبل الحذف: [رجل بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا] [فإن أعطاه ما يريد من الدنيا].

- وبعد الحذف: [فإن أعطاه ما يريد ○].


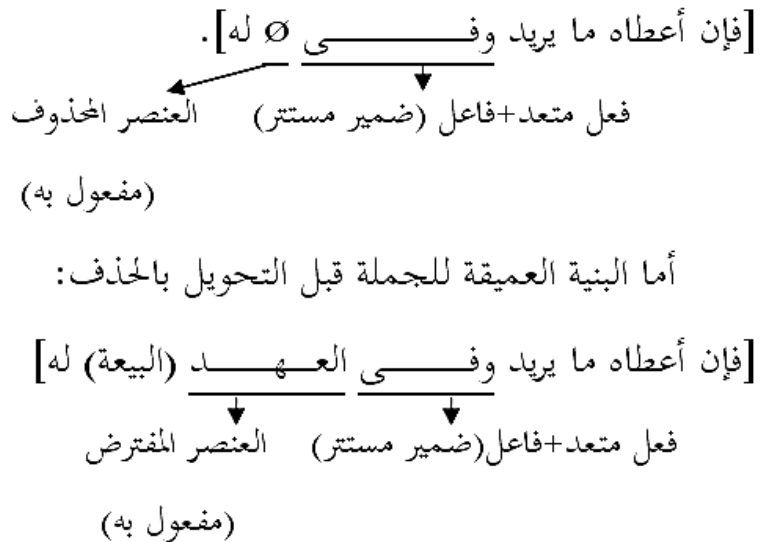
فالمرجعية المحققة بهذا الحذف الاسمي بين المذكور السابق (الدنيا) والمحذوف اللاحق والمفعول به للفعل (يريد) مرجعية داخلية مكنَّ فيها الدليل المقالي من إرشاد القارئ للاهتمام إلى العنصر المحذوف بتقدير مناسب للمفعول به. وهذا الترابط الذي حَقَّقَتْهُ هذه المرجعية يمكن تمثيله كالآتي:



- الحذف الاسمي للمفعول به في السياق نفسه الذي تمَّ فيه الحذف الأول ؛ ففي المقطع الثالث، وبالضبط في الجملة الشرطية (فإن أعطاه ما يريد وفي له) تستوقفنا فجوة لفظية في بنية جملة جواب

الشرط (وفي Ø له)، الفجوة التي أحدثها الحذف الاسمي حذف مفعول الفعل المتعدي (وفي). هذا الحذف الذي يمكننا تقدير محذوفه بالنظر إلى ما سبق من جمل في هذا المقطع، فقد ذكر القرطبي وهو الصحيح رواية ومعنى يُقال (وفي العهد وفاء بالمد) وأما بالتشديد فيُستعمل في توفية الحق، وإعطائه نحو قوله تعالى: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾¹، أي قام بما كلف به من الأعمال.²

فالعنصر المحذوف هو لفظ (العهد) أي عهد البيعة ما التزم الرجل المبايع بما وعد به، فقد دل عليه الدليل المقالي المذكور سابقاً في الجملة الابتدائية الإخبارية من المقطع نفسه (ورجلٌ بايع رجلاً لا يُبايعه إلا للدنيا)، فالعنصر المذكور الفعل الماضي (بايع) يُعدّ دليلاً مقالياً واضحاً، وعنصرًا مفترضاً مصدر المعلومة المفقودة، والفراغ اللفظي في بنية جملة جواب الشرط الفعلية الماضية (وفي Ø له) . فالجملة الواقعة فيها الحذف تظهر البنية السطحية أو الشكل الظاهري لها كما جاءت بالفعل في الحديث النبوي:

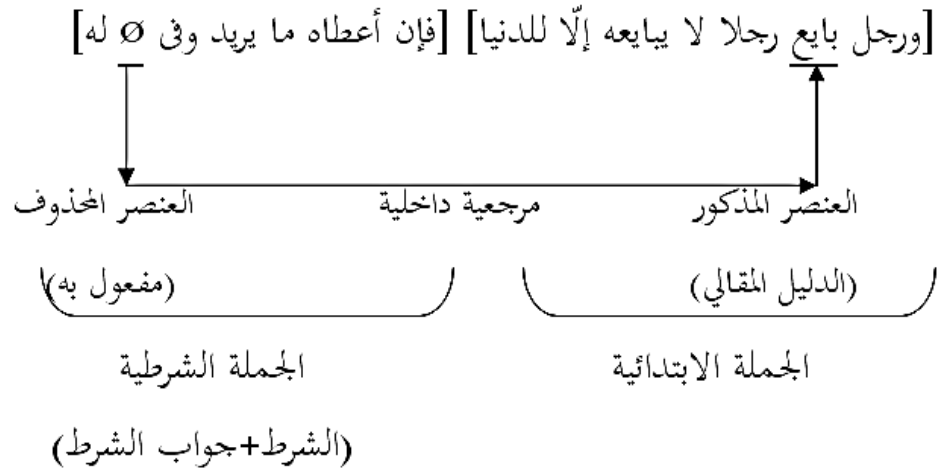


¹ النجم : 37

² ينظر : هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 193

إنّ هذا الحذف الاسميّ بمرجعيتّه الداخليّة بين المحذوف اللاحق والمذكور السّابق الفعل (بايع) - وهو مُرادف للعنصر المحذوف (العهد) - حَقَّقَ تماسُكًا شَكْلِيًّا ودلاليًّا بين جملتين جملة جواب الشرط (وفي له) والجملة الابتدائية المفتوح بها المقطع الثالث (ورجلٌ بايع رجلاً...) ؛ فالصلة قويّة والرّابطة وثقّى والتّلاحم كبيرٌ بينهما لاسيما حين قام متلقّي النص، أو القارئ له بالعملية الذهنيّة الديناميّة لرّدْم فجوة الحذف، أي استبدال الفراغ الصّفري Ø بلفظٍ مذكورٍ مفترض في التقدير الصحيح على مستوى بنية القول ودلالة التعبير.

ونُجْمِلُ هذا التعالق النصّي في المخطط الآتي:

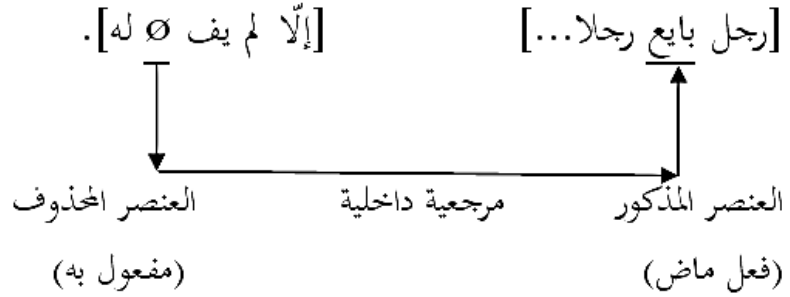


يبدو أنّ في هذا الحذف الاسميّ حذف المفعول به زيادةً على دوره في اتّساق النصّ الحديثيّ وأنسجامة فوائده عديدة أهمّها:

- الإيجاز في اللفظ والاختصار في التعبير اعتماداً منه ﷺ على فهم المخاطب سياق الحديث إعمالاً لذهنه في إكمال الجزء المحذوف من التركيب مما تأنس به النفس، وأداء المعنى كاملاً بالحذف دليلٌ على بلاغة المتكلم وتملكه زمام اللغة، ولا أبلغ من صاحب الحديث محمد ﷺ.¹
- توفير العناية وتوجيه الاهتمام على إثبات الفعل للفاعل كما يقول الجرجاني وتخلص له، وتنصرف بجمليتها إليه، فعنايته ﷺ بالفعل (وفي) عنايةً بمعنى فعل الجزاء المتوقع تحقيقه بتحقيق شرطه، وهو محل الاهتمام وموطن العناية، بدل التركيز على ذكر المفعول الذي قد عُلِم أن ليس للفعل الذي ذكرت مفعولاً سواه بدليل ما سبق من الكلام.²
- ومثل الحذف الاسمي الثاني أيضاً حذف المفعول به للفعل المضارع المنفي في قوله ﷺ (لم يف) الواقع جواباً للشرط المحذوف في قوله ﷺ [وإلا لم يف]، فالعنصر المحذوف هو نفسه المحذوف في الحذف الاسمي الثاني للفعل (وفي) في السياق اللغوي نفسه، إذ يقدر المفعول به (العهد)، فالدليل المرشد قد سبق ذكره في درج الكلام في قوله ﷺ [ورجل بايع رجالاً...]، فالفعل (بايع) دلّ بمعناه كقرينة لفظية، ودليل مقالي على المفعول به المحذوف لهذا الفعل المنفي بحرف الجر (لم). ويمكن تمثيل هذا الترابط المحقق بواسطة المرجعية الداخلية بين الدليل المقالي المذكور سابقاً والعنصر المفترض المفعول به فيما يأتي:

¹ ينظر: نظرات لغوية في السنة النبوية، حنفي أحمد بدوي، ص58.

² ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص156.



فلقد أفادَ هذا الحذف الاسميَّ زيادةً على دوره في الرِّبْط النصِّيَّ عنايةً واهتماماً بإثبات نفي الفعل (وفي) لفاعله، وتخليص (الخلف بالعهد) نقيض الوفاء له، فضلاً على إفادته التعميم والإطلاق¹ تعميم في نفي وإلغاء كلِّ ما تمَّ التوافق عليه بنقض المباحث العهدَ لعدم نيِّله مُرادَه مِنَ الدُّنيا وحُطَامِهَا.

- **الحذف الثالث:** هو حذف جُمْلِيٍّ تَمَثَّلَ في حذف جُمْلَةِ الشَّرْطِ الواردة في نهاية المَقْطَعِ الثالث من النصِّ في قوله ﷺ [وإلا لم يف له]، فقد ذَكَرَ النُّحَاةُ أَنَّهُ يجوز حذف الجملة الشرطيَّة فعلها و مرفوعه معاً بشرط وجود قرينة تدلُّ عليها، وألاً يُذَكَّرُ صريحاً بَعْدَهَا مَا يُفَسِّرُهَا، وقد يَبْقَى بعد حذفها شيء قليل منها مثل (لا) النافية.²

وأكثر ما يكونُ هذا الحذف مع اقتران أداة الشرط (إن) بـ (لا) النافية، وقد استشهد النُّحَاةُ ببيت الأَحْوصِ الأنصاري:

فطلَّقَهَا فلست لها بكُفٍّ * وإلاَّ يعلُّ مِفرقك الحسام³

¹ ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ/1987م، ص228.

² ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 4/448.

³ ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 214/4-216 وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص363.

والبيت في الديوان: فطلَّقَهَا فلست لها بأهل وإلا شق مفرقك الحسام.

ديوان الأَحْوصِ الأنصاري، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال، تقديم شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط2، 1411هـ/1990م، ص238. وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، 2004م، ص359.

ولأجل معرفة العنصر المفترض جملة الشرط المحذوفة موضع المعلومة المفقودة يتطلب الأمر منّا التّبع الخطّي على مستوى جمل النصّ ومتوالياته المقطعية، وبهذا يتبيّن لنا أنّ العنصر المحذوف قد دلّ عليه دليلٌ سبق ذكره في المقطع الثالث نفسه المتضمّن الحذفين الاسميّين السابقين تقديره (إنّ لا يُعطيه ما يُريد)¹.

$$\begin{array}{ccc} \text{لَمْ يَفْ لَهُ} & \emptyset & \text{وَإِلَّا} \\ \downarrow & \downarrow & \downarrow \\ \text{جملة جواب الشرط} & \text{العنصر المحذوف} & \text{أداة الشرط (إن) + (لا)} \end{array}$$

(جملة الشرط)

أما البنية العميقة للقول قبل الحذف تتمثل في ما يأتي

$$\begin{array}{ccc} \text{لَمْ يَفْ لَهُ} & \text{لَمْ يَفْ لَهُ} & \text{لَمْ يَفْ لَهُ} \\ \downarrow & \downarrow & \downarrow \\ \text{جملة جواب الشرط} & \text{جملة الشرط} & \text{أداة الشرط النافية} \end{array}$$

(العنصر المفترض)

يتّضح لنا بالنّظر إلى هاتين الصّورتين للجملة المحوّلّة قبل وبعد الحذف أنّ الدليل المقاليّ مصدر المعلومة المفقودة هو جملة الشرط الفعلية الماضية (أعطاه ما يريد) من قوله ﷺ [فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يَرِيدُ وَفِي لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفْ لَهُ].

فقد اكتفى النبيّ محمدٌ ﷺ بأداة الشرط (إنّ) مُردّفةً بـ (لا) النافية.² لأنّ الباقي في بناء الجملة المنطوقة بعد الحذف مُعْنِيًا في الدلالة، كافيًا للتعبير عن المعنى لوجود قرينة لفظية دالة عليه، فتقدير الكلام كما ذكر الشنواني في شرحه الحديث: « قوله وإلا أي وإن لم يعطه ما يريد... ».³

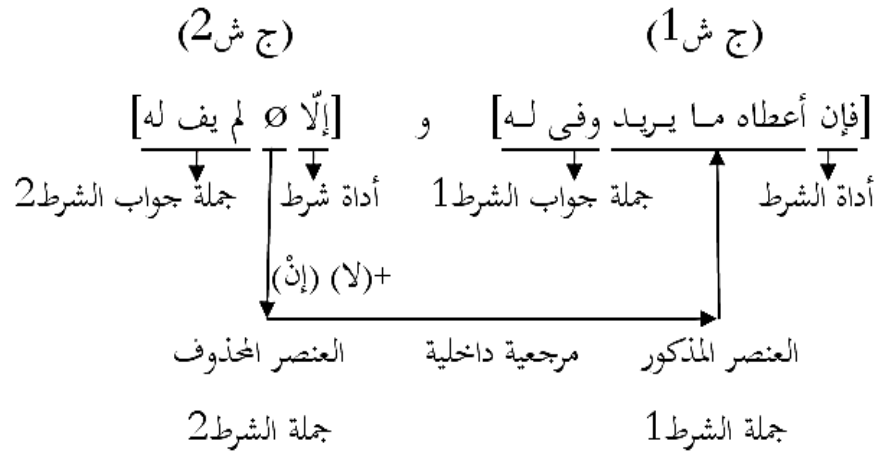
¹ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 193.

² ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 363.

³ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 193.

إذن فالمرجعية في هذا الحذف داخلية بين المذكور السابق جملة الشرط (أعطاه ما يُريد) والمحذوف
اللاحق جملة الشرط الفعلية بعد (إن) المردفة بـ (لا) النافية، وقد ساهمت بشكل واضح في تحقيق
التماسك النصي بين جملتين شرطيتين تلي الثانية منهما الأولى، ارتبطتا بواسطة روابط نصية عديدة
يُعَدُّ هذا الحذف الجُملي واحدًا منها، فضلاً على الارتباط الدلالي بالتقابل بين تحقق الجواب بتحقيق
شرطه في الأولى، ونفي الجواب بنفي شرطه في الثانية.

ونوضح ذلك التعالق النصي في المخطط الآتي:



إضافة إلى هذا فقد أضفى هذا الحذف الجُملي على المقطع النصي خاصّة والنصّ النبويّ عامّة
جمالاً في الأسلوب وإيجازاً في العبارة وصفاءً في الكلام وبعُدًا عن الإطناب الثقيل بإدراك ما دلّت عليه
القرينة، وأمّكن الاستغناء عن ذكره إيقاظاً للذهن، وإثارةً للحسن وتحريكاً للفكر بإدراك ما دلّ عليه
القول اكتفاءً بما بقي من اللفظ المنطوق بالقول الموجز والتعبير المختصر.¹

¹ ينظر: خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير "التحرير والتنوير" أطروحة دكتوراه، إبراهيم علي الجعيد، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية قسم البلاغة والنقد، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م، ص261.

وَيُحْمَلُ جَمِيعُ مَا وُجِدَ مِنْ حَذْفٍ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَ (حذف المضاف إليه) (حذف المفعول به)
(حذف جملة الشرط) في الجدول الآتي:

النص الحديث/مقطع/جملة	العنصر المحذوف	نوع الحذف	الدليل	نوعه سابق/لاحق	المرجعية داخلية/ خارجية	نوع التماسك
ثلاثة لا يكلمهم الله ولا...رجل على فضل ماء...ورجل بايع رجلا...ورجل ساوم رجلا...	رجال	اسمي(مضاف إليه)	رجل	مقالي لاحق	داخلية	على مستوى النص
ورجل بايع رجلا لا يبايعه إلاّ للدين فإِنْ أعطاه ما يريد وفي له	عرض الدنيا	اسمي(مفعول به)	الدنيا	مقالي سابق	داخلية	على مستوى المقطع النصي الثالث
ورجل بايع رجلا لا يبايعه إلاّ للدين فإِنْ أعطاه ما يريد وفي له.	العهد	اسمي(مفعول به)	بايع	مقالي سابق	داخلية	على مستوى المقطع النصي الثالث
ورجل بايع رجلا...وإلاّ لم يف له	العهد	اسمي(مفعول به)	بايع	مقالي سابق	داخلية	على مستوى المقطع النصي الثالث.
فإِنْ أعطاه ما يريد وفي له وإلاّ لم يف له.	ما يعطه يريد.	جملي(جملة الشرط).	أعطاه ما يريد.	مقالي سابق.	داخلية.	على مستوى المقطع النصي الثالث.

- نصّ الحديث الخامس:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: « الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا ». قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ: « ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ » قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ: « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ». فَسَكَتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ اسْتَزِدْتُهُ لَزَادَنِي.¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

سَأَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ؛ وَأَفْضَلُهَا عِنْدَهُ، لِيَكُونَ حَرْصُهُ عَلَيْهِ أَشَدَّ، وَعِنَايَتُهُ بِهِ أَكْبَرَ، فَأَجَابَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّ الْأَحَبَّ وَالْأَفْضَلَ وَالْأَرْفَعُ دَرَجَةً، وَالْأَجْزَلُ ثَوَابًا الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا.² وَقُدِّمَتِ الصَّلَاةُ لِأَجْلِ أَنَّهَا رَأْسُ الدِّينِ وَعُمُدُهُ، وَبِهَا قَوَامُهُ وَلَا يَصِحُّ الدِّينُ إِلَّا بِهَا، وَمَتَى وَقَعَ فِيهَا خَلَلٌ لَمْ يَنْفَعْ غَيْرُهَا مِنَ الْأَعْمَالِ؛ بِدَلِيلِ أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ جَاءَتْ فِي ذَلِكَ.³ فَإِذَا وَقَعَتِ الصَّلَاةُ فِي وَقْتِهَا كَانَتْ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ؛ فَوْقَ الْإِحْتِرَازِ عَمَّا إِذَا وَقَعَتْ خَارِجَ وَقْتِهَا مِنْ مَعْذُورٍ كَالنَّائِمِ، وَالنَّاسِي، فَإِنَّ إِخْرَاجَهُمَا لَهَا عَنْ وَقْتِهَا لَا يُوصَفُ بِالتَّحْرِيمِ، وَلَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ مَعَ كَوْنِهِ مَحْبُوبًا، لَكِنْ إِيقَاعُهَا فِي الْوَقْتِ أَحَبُّ.⁴ ثُمَّ سَأَلَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ عَمَّا يَلِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ. قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: « فَإِنَّمَا قَدَّمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْجِهَادِ

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، [2782/129]، ص78. وفي صحيح البخاري، ص339.

² الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص93.

³ بمحة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جمرة، 156/2.

⁴ ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 13/2.

لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد فرضه وأكَّدَ فيه، ولم يجعل فيه عُذْرًا، وقرن رضاهما بِرِضاه فقال تعالى: ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾¹.²

ثمَّ سأله ابن مسعود عمَّا يلي، فقال ﷺ الجهاد في سبيل الله، قال ابن أبي جمرة: « لأنَّ الأعمال كلّها فيها إعطاء بعض، وإبقاء بعض، والجهاد فيه إعطاء الكلّ: النفس والمال مع ما فيه من إعلاء كلمة التوحيد، ثمَّ إنّ الجهاد كان على الصحابة -رضوان الله عليهم- فرض عين، فانظر إلى هذا النظام العجيب، كيف أمر أولاً بما هو بين الإسلام والكفر، وهو الصلاة. ثمَّ أمر ثانيةً بما فيه رضا الرحمان، وهو برّ الوالدين، ثمَّ أمر ثالثةً بما احتوى على الخيرين العامّ والخاصّ، وهو الجهاد، فالخير العامّ الذي فيه هو ظهور الإسلام، والخير الخاصّ هو ما فيه من بذل جميع المحبوبات في ذات الله تعالى.³

قال الطبري: إنّما خصَّ ﷺ هذه الثلاثة بالذكر لأنّها عنوان على ما سواها من الطاعات، فإنَّ ضيِّع الصلّاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عُذْرٍ مع خفة مؤتيها عليه وعظيم فضلها، فهو لما سواها أضيِّع، ومن لم يبرِّ والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقلّ برًّا، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك، فظهر أنّ الثلاثة تجتمع في أنّ من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيَّعها كان لما سواها أضيِّع.⁴

¹ لقمان: 14-15.

² بمجة النفوس، ابن أبي جمرة، 156/2-157.

³ المصدر نفسه، 157/2.

⁴ فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 7/6.

كما أنّ الرسول ﷺ قد أجاب في مواطن أخرى عن سؤال (أفضل الأعمال) بغير هذه الإجابة، ليس من تعارض بين ذلك وتضارب، لأنه كان يجيب كل سائل بما يناسب حاله، أو يلتئم مع رغبته وميله، أو لاختلاف الأوقات والأحوال؛ ففي أوقات الحرب والنزال، وهجوم الأعداء: الجهاد أحب. وفي أوقات المجاعات: الصدقة أفضل. وفي أوقات الهدوء والطمأنينة الصلاة أهم. وهكذا لكل حال ما يناسبها؛ فالرسول ﷺ كان يلبي لكل حال لبوسها، ويجيب بما يسايرها، وهو البليغ الحكيم.¹

– صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبوي:

هذا الحديث النبوي يؤسس على براعة استهلال، وحسن افتتاح بجملة فعلية إخبارية على لسان الصحابي الجليل عبد الله بن أبي مسعود قال فيها: (سألت رسول الله ﷺ)، فيترك المستمع أو القارئ يترقّب فحوى السؤال، ومن وراءه الجواب، من ثمّة أتبع هذا المقطع أو الجزء من النص بثلاثة مقاطع نصية، كلّ واحد منها شكّل ازدواجًا جمليًا مكثّرًا من جملتين السؤال والجواب في الحوار التناوبي الدائر بين عبد الله مسعود ومحمد ﷺ، لأنّ غالب الحوار في البيان النبوي قائم على السؤال والجواب سواء بدأ النبي ﷺ الحوار بالسؤال، أو كان مبدوءًا هو بالسؤال، لذلك كثر الاستفهام في الحوار النبوي سواء على معناه الحقيقي، أو على معناه المجازي، هذا إلى جانب ما يميّز به الحوار من مخاطبته الإنسان في أكثر من جانب، جانب العقل، وجانب الوجدان والنفس، ممّا يثير انتباه المخاطب ويستحضر حسّه وبديته.² ليختم بعد ذلك الحديث الشريف بجملة ختامية خبرية يقول فيها رضي الله عنه: (فسكّت عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني)، فيعلن فيها عن نهاية الحوار، وكفاية

¹ الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 96.

² ينظر: الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص 133.

الجواب على الرّغم من الإمكانية المتاحة لتواصل المنحى التصعيديّ بالتدرّج في مراتب الأعمال الفاضلة في الخير والثواب .

من هُنا يمكن أن نُقسّم هذا النصّ الحديثي إلى خمسة مقاطع: مقطعان سرديان . المقطع الأول المستفتح به، والآخر المختتم به. وثلاثة مقاطع حوارية شكّلت في حقيقة الأمر جوهر الموضوع ومحور النصّ وغاية الحديث ومقصده، وهو ما سنركّز عليه في التحليل والدراسة، ونوضّح ذلك فيما يأتي:

- **المقطع الأول:** [سألت رسول الله ﷺ] جملة فعلية ماضوية تضمّنت المحاور الأساسية الثلاثة للحوار الثنائي: الفعل (سأل) الدال على الإجراء الفعلي الذي قام به الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود قاصداً بذلك رسول الله ﷺ، لأنّه ﷺ هو الموجه والمرشد للصحابة ولسائر المسلمين . وتاء المتكلم (ت) الإحالة المقاميّة العائدة عليه - رضي الله عنه - فهو الطرف الأول في العملية التواصلية الناشئة عن هذا الحوار، و (رسول الله ﷺ) يمثّل الطرف الثاني في العملية الحوارية، المنتظر منه بسط الجواب، وإزالة الغموض والإبهام بالإيضاح والإفهام .

- **المقطع الثاني:** [قلت يا رسول الله أيّ العمل أفضل؟ قال الصلاة على ميقاتها] تكوّن هذا المقطع النصي من جملتين: الأولى جملة استفهامية (أيّ العمل أفضل ؟) مبدوءة باسم استفهام (أي)، وهو عند سيبويه لتمييز أحد المشاركين في أمرٍ يعُمُّهما، وعند ابن جني هو سؤال عن بعض من كلّ، وتكون لمن يعقل ولما لا يعقل، وقد وليها في الحديث النبويّ مضاف إليه (العمل) متبوعاً

باسم تفضيل (أفضل)¹، ففيه استفهام عن بعض الأعمال الفاضلة من مختلف الأعمال الخيرية ف (أي) اسم استفهام مبتدأ، وهو مضاف، و(العمل) مضاف إليه، و(أفضل) خبر.

فاستفهام ابن مسعود - رضي الله عنه - استفهام حقيقي كونه يطلب الفهم لجهله عما يسأل عنه، مُتَوَخِّيًا معرفة مرغوبه ؛ فكان أكثر ما ورد على لسان الصحابة الكرام من استفهام طلباً للفهم لأنّ الرسول ﷺ هو المبلّغ رسالة الله عزّ وجلّ في الأرض، فكانوا يطلبون منه فهم أمور دينهم، فهو مُعَلِّمُهُمْ ومُرْشِدُهُمْ إلى طريق الحق والاستقامة.²

وعقب هذا السؤال جاء جوابه ﷺ مقتضبا بقوله (الصلاة على ميقاتها). جملة اسمية اكتفى فيها بذكر الخبر، وحذف المبتدأ، وتقديره (العمل الصلاة على ميقاتها)، ويمكن أن تكون (الصلاة) مبتدأ. والخبر محذوف تقديره (أفضل) فيكون تقدير الكلام (الصلاة على وقتها أفضل الأعمال).³

- المقطع الثالث: [قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: ثُمَّ بُرِّ الوالدين]

هذا المقطع يحمل تصعيدا في البناء، وتوالدا في المعاني بتوالي السؤال بعد السؤال، فاستدعاؤه الجواب عقب كلّ سؤال، في مسار تدريجيّ يسعى عبّره عبد الله بن مسعود إلى معرفة أفضل الأعمال وأكثرها أجراً، الأعلى فضلاً فالذي يليه، وهكذا، فإذا اجتمعا بُدِئَ بالذي يُقَرَّبُ إلى الله أكثر.⁴

هذا المقطع النصي من الحوار الثنائي كان مقتضب الصياغة، موجز اللفظ، اكتفى فيه ابن مسعود في سؤاله باسم الاستفهام (أي) وحذف ما بعده من مضاف إليه وخبر، وتقدير الكلام (ثم أي العمل

¹ ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية في الموطأ، محمد سعيد عبد الله، ص 98-99.

² ينظر: المصدر نفسه، ص 74. والخطاب الطلي في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، هناء محمود شهاب، ص 123.

³ ينظر: عقود الزرجد في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، 91/2.

⁴ ينظر: بحجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جرة، 155/2.

أَفْضَلُ؟). قال أبو الفرج: أي هو بالتشديد والتنوين كذا سمعته من ابن الخشاب . وقال الزركشي: هذا إذا وصلته بما بعده. فَإِنْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ فَبِالْإِسْكَانِ، وقال الفاكهاني: ينبغي أو يَتَعَيَّنَ هنا أن لا يُنَوَّنَ لَأَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ فِي كَلَامِ السَّائِلِ، ينتظر الجواب منه عليه.¹ ثم جاء جوابه ﷺ بذكر الطاعة الثانية التي فيها أجر كبير، وفضل عظيم بقوله (ثم برّ الوالدين) جملة اسمية اكتفى فيها بذكر الخبر حاذفاً المبتدأ، فتقدير الكلام (ثم أفضل العمل برّ الوالدين).²

- المقطع الرابع: [قلت ثم أي؟ قال ثم الجهاد في سبيل الله].

تَكُونُ هذا المَقْطَع من جملتين اسميتين، الأولى للاستفهام (ثم أي؟)، والثانية جواب له (ثم الجهاد في سبيل الله) امتداداً للحوار الثنائي، واستمراراً في المنحى التصعيديّ و البناء التوالديّ في هذا الحوار النبويّ القائم على السؤال و الجواب، فيواصل ابن مسعود سؤاله (ثم أي؟)، ويجيبه ﷺ (ثم الجهاد في سبيل الله). قولان مُوجَزَانِ اكتفى السائل باسم الاستفهام (أي) وحذف ما يليها، واكتفى المجيب بالخبر، وحذف المبتدأ، على نفس النسق الذي انبنى عليه المقطع السابق، لِمَا يَحْمِلُهُ هذا الحذف من دلالات، ويُؤدِّيه من دور في اتّساق هذا النصّ الحديثيّ وجمالية في أسلوبه وانسجام في دلالاته.

- المقطع الخامس: [فسكت عن رسول الله، ولو استزدته لزادني].

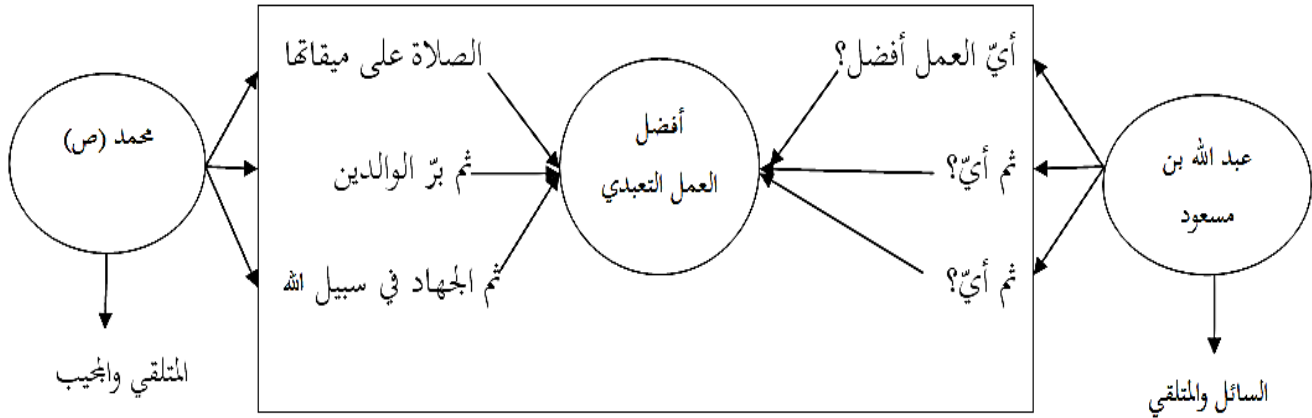
هذا المَقْطَع النصيّ يُعَدُّ الحلقة الأخيرة التي مِنْ خِلَالِهَا أَنْهَى ابن مسعود هذا الحوار، فعَبَّرَ عَنْ ذلك بِالْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَةِ (فسكت عن رسول الله). وَأَتْبَعَ ذلك بِجُمْلَةٍ شَرْطِيَّةٍ مَبْدُوءَةٍ بِحَرْفِ امْتِنَاعٍ لَامْتِنَاعٍ (لو) فِي قَوْلِهِ (لو استزدته لزادني) دليلاً على حُسْنِ تَأْدِيبِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- واحترامه للنبي ﷺ وللعلماء،

¹ ينظر: عقود الزجر في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، 90/2.

² نظرات لغوية في السنة النبوية، حنفي أحمد بدوي، ص 65-66.

وعدم الإكثار عليهم في السؤال بغير ضرورة، واكتفاء منه بتلك الأفعال التعبدية الثلاثة، والأخذ بالقليل من الأعمال، والعمل بها خير من كثير لا يُقام بحَقِّها لأنهم -رضوان الله عليهم- كانوا يعملون بما يعلمون.¹

ويمكن أن نُحمِل ثنائية الحوار في البنية النصية لهذا الحديث النبوي في المخطّط الآتي:



فهذا النص الحديثي كما سبق وأن ذكرنا جاء في مقاطع متعدّدة، توضيحاً للفكرة، وتعميقاً للمعنى، ذلك المعنى التعبدى الذي تضمّنه النص، وعظّم شأنه وأعلى قيمته ضمن مراتب الطاعات، وأفضلية العبادات في مسار تصعيدي وبناء توالدي، ارتبطت الفكرة بالفكرة الموالية، والمقطع بالذي يليه، تدرّجاً دلاليّاً تسلسلت فيه العبادات من حيث الأفضلية في الأجر والثواب، من صلاة على ميقاتها، وبرّ بالوالدين، وجهادٍ في سبيل الله.²

لقد تجسّد هذا الارتباط الشكليّ والدلاليّ بين أجزاء النصّ مفرداتٍ وجُملاً، انطلاقاً من الدلالة المحورية في البنية الكلية لهذا الحديث النبوي، وهي (أفضل العمل) في كلّ تمفّضاته ومقاطعته، فضلاً

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 158/2.

² ينظر: المصدر السابق، 157/2.

عن تلك الروابط النصية التي ساهمت في هذا التلاحم الذي يُعدُّ "الحذف" واحداً مِنْهَا لما فيه من فاعلية نصية، ودلالة بلاغية، وقيمة أسلوبية، فقد قيل لِبَعْضِهِمْ: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز. قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد. وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «ما رأيتُ بليغاً قطّ إلاّ ولهُ في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة».¹

فقد كان للحذف في هذا النصّ الحديثي كاداة نصية دورهُ الفاعل في بنية النصّ لفظاً ومعنى بحضوره المميّز، وتوزُّعه المنتظم حتّى فيه تلاهما بين مكوّناته وتعلّقا بين تمفصلاته لاسيما حين الانتقال من مقطع إلى مقطع آخر. و يتضح ذلك من خلال التتبع الخطي للنصّ في متوالياته اللفظية و الجمليّة والمقطعية.

فللحذف صوَرٌ متعدّدة في مواضع مختلفة مُوزَّعة في مقاطع النصّ، و هي كالآتي:

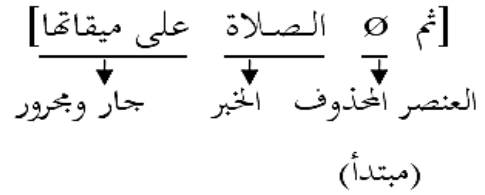
- الحذف في المقطع الثاني:

لقد جاء "الحذف" في هذا المقطع في موضع واحد في قوله ﷺ: (ثم 0 الصلاة على ميقاتها) في سياق جوابه ﷺ على سؤال عبد الله بن مسعود (أيّ العمل أفضل؟)، فبالنظر إلى الجملتين الاسميّتين يبدو لنا أنّ موضع المفعولة الفارغة، أو العنصر المحذوف يمكن تقديره من خلال العنصر المفترض السّابق ذكره في جملة الاستفهام، فتقدير الكلام (أفضلُ العمل الصلاة على ميقاتها). فالعنصر المذكور في جملة الاستفهام (أيّ العمل أفضل؟) في المقطع نفسه موجودٌ في جملة جواب الاستفهام كعنصرٍ مُفترضٍ تقديرًا لا لفظاً من العملية الذهنية التي يقوم بها المتلقّي (ابن مسعود) لرّدْم فجوة الحذف،

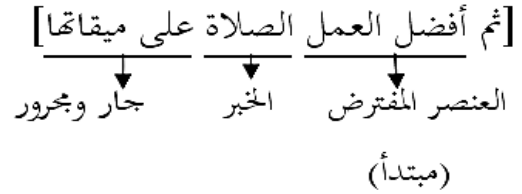
¹ الصناعتين في الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط1، 1371هـ/1952م، ص173-174.

اعتمادًا على دلالة السياق اللغويّ عليه من ناحيةٍ، والمعرفة الضمنيّة المسبقة عند الصحابي الجليل ابن مسعود من ناحيةٍ أخرى، ولا حاجة لإعادة ذكره من جديد.¹

فالبنية السطحية للجملة الجوابية بعد الحذف:



أمّا بنيتها العميقة قبل الحذف:



إنّ هذا الحذف الاسمي لـ (المبتدأ) قد ساهم في تحقيق الاتساق النصي بين مكّونات هذا المقطع من النصّ، لاسيما الترابط بين الجملتين المتلازمتين، جملة الاستفهام وجملة الجواب على التوالي، فملء الفراغ البنيوي الذي تركه الحذف الاسمي من جملة الجواب تقتضي حتما العود إلى جملة الاستفهام السابقة لها حيث العنصر المذكور الذي يمثل القرينة اللفظية، أو الدليل المقالي المرشد إلى العنصر المحذوف.

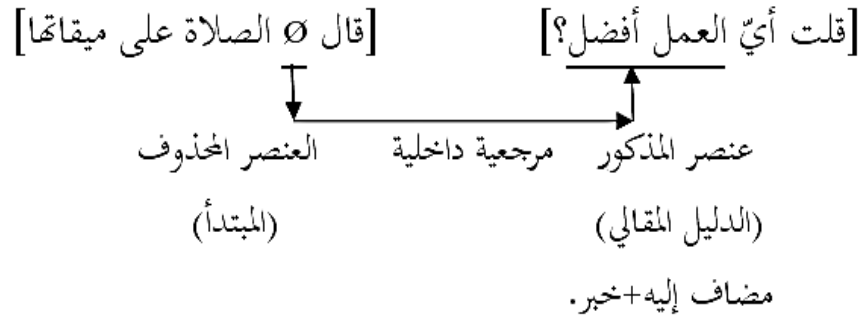
لقد تمّ هذا الحذف لأنّ الباقي في بنية الجملة المنطوقة بعد الحذف مُعْنِيًا في دلالته، كافيًا في لفظه بلاغةً وتبليغًا، لوجود قرائن معنويّة أو مقالّيّة دالّة عليه.² فضلًا على أنّ الاكتفاء بالمسند (الخبر)

¹ ينظر: نظرات لغوية في السنة النبويّة، حنفي أحمد بدوي، ص58.

² ينظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003م، ص259-264.

وذكره منفردا (الصلاة على ميقاتها) يجعل المعنى متمركزا حوله، أي أنه محور العناية ومحط الاهتمام بالتركيز على ذكره، لاسيما أن حسن المستمع، وذهنه موجهة إليه مُنْصَبُّ نَحْوُهُ.¹

ويمكن تمثيل هذه العلاقة النصية التي نَسَجَ وشائجها الحذف الاسمي بين جملتي المقطع الثاني فيما يأتي:



فالنبي ﷺ كَانَ مُخْتَصِرًا فِي جَوَابِهِ، مُوجِزًا فِي لَفْظِهِ، مُكْتَفِيًا بِالْمُسْنَدِ (الخبر) دُونَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ (المبتدأ)، وَلَعَلَّ إِضَافَةً إِلَى مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ أَنَّ السَّرَّ فِي حَذْفِهِ الْمَبْتَدَأَ أَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ اسْتِضَاحٍ وَاسْتِفْسَاحٍ عَنْ شَيْءٍ مَجْهُولٍ لَدَى السَّائِلِ، وَمَادَامَ السَّائِلُ يَطْلُبُ الْمَعْرِفَةَ، وَيَسْتَفْسِرُ عَنْ شَيْءٍ يَجْهَلُهُ فَنَفْسُهُ مُسْتَشْرِفَةٌ إِلَى الْإِجَابَةِ، مُتَشَوِّقَةٌ إِلَى الْمَعْرِفَةِ، تَوَاقِفَةٌ إِلَى الْفَهْمِ، فَلِمَبَادَرَةِ الْإِجَابَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ اخْتِصَارًا وَإِيجَازًا أَفْضَلَ وَأَوْقَعَ فِي نَفْسِ السَّائِلِ، إِذْ يَظْفَرُ بِمَطْلَبِهِ سَرِيعًا، فَيَتِمَكَّنُ مِنْ نَفْسِهِ فَضْلًا تَمَكَّنَ، وَالرَّسُولُ ﷺ هُوَ الْمُرْشِدُ وَالْمَعْلَمُ يُدْرِكُ لَا مُحَالَةَ ذَلِكَ، وَيُرَاعِي أَحْوَالَ مَخَاطَبِيهِ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ،

¹ ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 156.

حريصٌ على إنبلاغ وحي السماء بأوضح أسلوبٍ، وأقصر طريقٍ، وأوجز عبارةٍ، فكلُّ كلمةٍ صادرةٍ عنه مقصودةٌ بمقدار، فهو يُجيبُ كُلَّ سائلٍ بما هو إليه أحوَجُ، وبما هو به أليقُّ، وبجالتِه أنسبُ.¹

- الحذف في المقطع الثالث:

شَهِدَ هذا المقطع النصيُّ أيضًا حُضُورًا للحذف الاسميِّ ؛ فَقَدْ وَجَدَ في موضعين أحدهما في جملة الاستفهام، والثاني في جملة الجواب.

فالصَّورة الأولى للحذف في قول عبد الله بن مسعود [قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟] حَذَفَ كُلَّ من المضاف إليه بعد (أَيُّ) الاستفهامية، وحذف الخبر، قال الفاكهاني: إنه -أي- غيرُ مُنَوَّنٍ لأنَّه غيرُ مَوْثُوفٍ عليه في الكلام، والسائل ينتظر الجواب، والتَّوْنين لا يُوقَف عليه، فتنوينه ووصله بما بعده خطأ، فيوقف عليه وقفةً لطيفةً، ثُمَّ يُؤَوَّى بما بعده.²

ولعلَّ السبب في حذف المضاف إليه (العمل) بعد (أَيُّ) الاستفهامية أنَّ النحاة وجدوا بعض الألفاظ مثل (قبل، بعد، أي، كل...) تأتي على صور عدّة، فحاولوا وضع تعليل وتفسير لكلِّ صورة، فإذا جاءت منونّة بالفتح قالوا بقطعها عن الإضافة، وهي معربة منصوبة، وإذا جاءت غير منونّة قالوا بينائها على الضمِّ وحذف المضاف إليه، وتُويّ ثبوتُ معناه دون لفظه.³

¹ ينظر: الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص186.

² ينظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، تح عبد الله محمود عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 20/5، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 14/2، وعقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، 90/2.

³ ينظر: التأويل النحوي في الحديث الشريف، دكتوراه، فلاح إبراهيم نصيف الفهدي، جامعة بغداد، كلية الآداب والدراسات العليا، 1427هـ/2006م، ص118-119.

ومهما يكن من تأويلٍ نحويٍّ لهذا الحذف يبقى دوره في الربط والاتساق حاضرًا لأنّ فهم تقديره، ومعرفة تأويله لا يتأتّى من غير العودة إلى المقطع السابق (الثاني) الذي يكشف لنا بوضوح الدليل المقالي وهذا في قول ابن مسعود (أيّ العمل أفضل؟)

إنّ في هذا المقطع امتداد للمنحى التصعيديّ في النص النبويّ بإلحاحه رضي الله عنه واستمراره بالسؤال عن مراتب الأعمال الفاضلة تظلّ معه الاستمراريّة الدلاليّة حاضرة كذلك بتكرار العنصر المخدوف تكرارًا ضمنيًّا من غير صورته المنطوقة في البنية السطحية للجملة الاستفهامية من المقطع الثاني، فهو بمثابة استبدال صفري كما ذكر هالداي ورقية حسن.¹ فيكون كلّ من المضاف إليه (العمل) و (أفضل) الخبر هما القرينة اللفظية، والدليل المقاليّ الدالّ على هذا الحذف الاسميّ، فالمرجعيّة المحقّقة بين المخدوف الاسميّ والدليل المذكور ساهمت في تحقيق التماسك بين مقطعي النص الثاني والثالث على التوالي، فضلًا على الإيجاز في التعبير والاختصار في اللفظ.

فسؤال عبد الله بن مسعود المتواصل حول أفضل أعمال البرّ، بشوق نفسه، وتوق وجدانه لسماع الجواب انعكس على قوله ؛ فكان موجزًا في منطوقه، مُعبرًا في مدلوله بلفظٍ أخصر، وأسلوبٍ أبْلَغ.² قال الجاحظ: « ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلامًا، ولكلّ حالة من ذلك مقامًا، حتّى يُقسّم أقدار

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى تحليل الخطاب، محمد خطابي، ص 21.

² ينظر: الحوار في الحديث النبويّ صورته وتراكيبه، محمد عيد شبايك، ص 186.

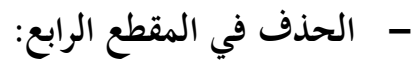
الكلام على أقدار المعاني، ويُقسَّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات¹.

أمَّا الحذف الثاني في هذا المقطع هو أيضا حذف اسمي في جملة جواب الاستفهام القائل فيها ﷺ (ثم 0 برّ الوالدين)، فالعنصر المحذوف هو المبتدأ، ولا يمكن تقديره إلا من خلال العنصر المذكور الوارد في المقطع الأول من النص نفسه الدليل المقالي الدال على الحذف الاسمي الأول، في قوله ابن مسعود (أيّ العمل أفضل؟)، فكان بذلك إذن تقدير الكلام (ثم أفضل العمل برّ الوالدين).

إنّ هذا التلازم بين المحذوف اللاحق في الجواب، والمذكور السابق في السؤال من مقطعين مختلفين حَقَّقَ للنصّ تماسكًا في بنيته التركيبية، لا على مستوى الجملة الواحدة، ولا على مستوى المقطع الواحد، إنّما على مستوى مقطعي النص يلي الثالثُ منهما الثاني، كما أفاد من الإيجاز والاختصار ما جعل كلامه ﷺ مُطَابِقًا لمُقْتَضَى حال سائله -عبد الله بن مسعود- المتلهّف لسماع جوابه رغبةً في فعل الخير، وإقبالاً على الطاعة.

ويمكنُ تمثيل هذا التعالق النصي الذي حَقَّقَهُ الحذفُ الاسمي في صورتيه كالآتي:

¹ البيان والتبيين، الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، تح عبد السلام، محمد هارون، ط7، 1418هـ/1998م، 138/1-139.

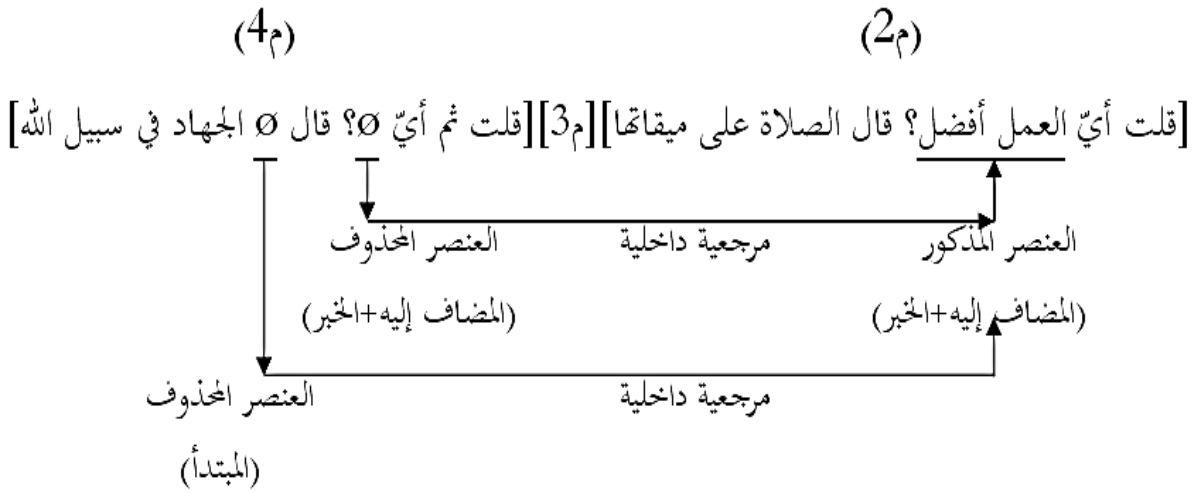


هذا الحذف الاسمي بصورتيه مثيل لما سبق ذكره في المقطع الثالث بدوره الفعّال في تحقيق التماسك النصي، والتلاحم التركيبي بين هذا المقطع والمقطع الأول من النص عن طريق المرجعية الداخلية المتحققة حين رجوع المتلقي إلى العنصر المذكور سابقاً في السياق اللغوي للنص لردم فجوة الحذف كونه يُشكّل الدليل المقالي الذي يُعدُّ مُرشداً إلى إيجاد المحذوف وكيفية تقديره ¹، فيكون بذلك هذا الحذف الاسمي علامة على تماسك النص أكثر منها علامة على اختلاله.² زيادة على ذلك فإنّ هذا الحذف الاسمي جسّد إيجازاً في اللفظ، وجمالاً في الأسلوب، مراعاةً لاعتبارات طبيعة الحوار الثنائي بين المتحاورين، وما يتيسر به من خصائص، لاسيما أنّ الحوار النبوي قائم في معظمه على التركيز والإيجاز

² ينظر: إشكالات النص المداخلة أنموذجا، جمعان بن عبد الكريم، ص 393.

لأنّ طول العبارة الحوارية يميّث حيويّة الحوار، فالحوار الجيّد جيّد المناقشة، سديد المساجلة، سريع الجواب، قصير الخطاب، أكثر تأثيراً، وأبلغ قصداً.¹

ويمكن أن نمثّل تلك العلاقة النصيّة الناتجة عن هذا الحذف الاسميّ في المخطّط الآتي:



¹ ينظر: الحوار في الحديث النبويّ صوره وتراكيبه، محمد عيد شبايك، ص156-157

ونُجْمِلُ جميع صور الحذف الواردة في الحديث النبوي الشريف في الجدول الآتي:

النص الحديث/مقطع/جملة	العنصر المحذوف	نوع الحذف	الدليل	نوعه سابق/لاحق	المرجعية داخلية/خارجية	نوع التماسك
قلت: أيُّ العملِ أفضل؟ قال: الصلاةُ على ميقاتها	أفضل العمل	اسمي (المبتدأ)	العمل - أفضل	مقالي سابق	داخلية	على مستوى مقطع النص الثاني
قلت: ثمَّ أيُّ ؟ قال: ثمَّ برُّ الوالدين	العمل + أفضل	اسمي (مضاف إليه + الخبر)	العمل - أفضل	مقالي سابق	داخلية	على مستوى النص
أفضل العمل	أفضل العمل	اسمي (المبتدأ)	العمل - أفضل	مقالي سابق	داخلية	على مستوى النص
قلت: ثمَّ أيُّ ؟ قال ثمَّ الجهادُ في سبيل الله	العمل + أفضل	اسمي (مضاف إليه + الخبر)	العمل -أفضل	مقالي سابق	داخلية	على مستوى النص
أفضل العمل	أفضل العمل	اسمي (المبتدأ)	العمل -أفضل	مقالي سابق	داخلية	على مستوى النص

إنَّ ما يمكن ملاحظته والخلوص إليه حول هذا الرابط النصي "الحذف" في هذا الحديث الشريف أمران:

1- حضور الحذف الاسمي حضوراً مكثفًا إذ وُجدَ في خمسة مواضع في النص الحديثي، تنوعت أنماطه بين حذف المضاف إليه، وحذف الخبر، وحذف المبتدأ، ساهمَ بقدرٍ كبيرٍ في تحقيق اتّساق بنية الحديث وإحكام نسيجه، وأنسجام دلالاته من خلال شبكة العلاقات النصيّة التي نسجها بين مكوّناته اللفظيّة والتركيبية.

2- جميعُ صُورِ الحذفِ جاءت مُوزَّعةً عبرَ متواليّة مقاطع النص الحديثي تَوَزُّعًا منتظمًا، كما أنّها ترتبط جميعًا بدليل مقاليّ واحدٍ ومُشتركٍ بينها، تعودُ إليه كعنصرٍ مذكورٍ جميع العناصر المحذوفة، هذا ما يؤكّد أهميّة هذا الدليل المقالي، فهو حجر الزاوية في البنية الدلالية الكلية للنص التي تصبُّ فيها متتالية الوحدات الخطابيّة على تنوّعها مفرداتٍ وجملٍ، فهو يُشكِّلُ بالفعل محورَ الحديث النبويّ، وجوهرَ موضوعه، الذي دارَ منْ أجله هذا الحوار الثنائي بين الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود والنبيّ المصطفى محمد ﷺ.

إنَّ أهمَّ ما نخلص إليه من ملاحظات ونتائج للدراسة في هذا الفصل هو:

- إنَّ حُضور الحذف على أنواعه الثلاث وصُوره المتعدّدة في الحديث النبويّ يدفَع من خلاله صلى الله عليه وسلم في خطابه المخاطب إلى المشاركة معه في أعمال الذهن بالبحث عن العنصر المذكور الذي يسدّ به فراغ العنصر المحذوف أو الفجوة الكلامية، فبواسطته يتحقّق هذا المعنى ويترك هذا الأثر. كما عمل على تحقيق تلاحم نصي بين مكونات النص النبويّ جملاً ومقاطع كما وجدنا

حضوراً مكثفاً للحذف الاسمي في الخطاب النبوي لاسيما ما كان منه بناؤه حوارياً وهو ما أسهم بشكل واضح في تلاحم مقاطع النص النبوي اللاحق منها مع سابقه تلاحماً لا يقل دوراً عن غيره مما تؤديه بقية أدوات الاتساق الأخرى .

- كان للحذف في النص الحديثي على تنوع في صورته بين حذف المضاف إليه، وحذف الخبر، وحذف المبتدأ، كأداة نصية دوره الفاعل في بنية النص لفظاً ومعنى بحضوره المميز، وتوزعه المنتظم، حقق فيه تلاحماً بين مكوناته، وتعالفاً بين تمفصلاته لاسيما حين الانتقال من مقطع إلى مقطع آخر. فقد ساهم بقدر كبير في تحقيق اتساق بنية الحديث وإحكام نسيجه، وأنسجام دلالاته من خلال شبكة العلاقات النصية التي نسجها بين مكوناته اللفظية والتركيبية .

الفصل الرابع: الوصل في أحاديث الكتاب

- توطئة
- المبحث الأول: مفهوم الوصل وأنواعه
- أولاً: مفهوم الوصل لغة واصطلاحاً
- ثانياً: أصنافه
- ثالثاً: دور الوصل في اتساق النص وجمالية أسلوبه
- المبحث الثاني: حضور الوصل في الحديث النبوي الشريف ودوره التركيبي والدلالي
- نصّ الحديث النبويّ وشرحه المجمل
- صُور الوصل وأثره في الحديث النبويّ

توطئة:

يقول الإمام الجرجاني: « اعلم أنَّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منتثرة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلصُّ، وإلاَّ قومٌ طُبِعُوا على البلاغة، وأوثُوا فنًا من المعرفة في ذوق الكلام هم بما أفرد¹. من هنا عُدَّ العلم بالعطف خاصَّةً والوصل والفصل عامَّةً سمَّةً لا تتوقَّر إلاَّ في العارفين باللَّغة، والمطبَّوعين على البلاغة، فُعني بذلك العلماء من لغويين ونحاة، وبلاغيين بهذا البحث، كما صارت مسائله محطَّ اهتمام النصائين لِمَا وجدوا فيه - الوصل - من دورٍ في تحقيق التماسك النصي، وذلك لأنَّه يعمل على تقوية الروابط بين متواليات الجمل في النص، وجعلها متماسكة، وبه تترايط عناصر الجمل والفقرات بشكل منظمٍ داخل النص، إذ تدرك عناصر النص مفردةً ومُجملاً، ومتوالياتٍ كوحدة متماسكة، لتتحدَّ لفظاً وتنسجم معنى².

فالوصل يُعتبر المظهر الاتِّساقِي الرابع، والرَّابط النصِّي المختلف عن كلِّ أنواع علاقات الاتِّساق، ذلك لأنَّه لا يتضمَّن إشارةً مُوجَّهةً نحو البحث عن العنصر المُفترض في ما تقدَّم، أو ما سيلحقه كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف، إذ لا يمكن إدراك النص كوحدة متماسكة من غير النَّظر إلى تلك العناصر الرابطة التي تُصلُّ بين أجزاءه³، والتي يرتبط استعمالها بطبيعة النص من حيث موضوعه وأشكاله، فالنص الأدبي مثلاً يختلف عن النصِّ الفلسفي سواءً من حيث الموضوع، أو من حيث نوع

¹ دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص222.

² ينظر: مقال " أثر العطف في التماسك النصي في ديوان على صهوة الماء للشاعر مروان جميل محيسن دراسة نحوية دلالية "، خليل عبد الفتاح حماد وحسين راضي العائدي، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية - غزة،

مج20، ع2، يونيو 2012م، ص327.

³ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطايطي، ص22.

الأدوات الرابطة واستعمالها¹. والنص النبوي يختلف عن النص الشعري كذلك من حيث الفكرة أو من حيث الأسلوب.

إذن فعملنا في هذا الفصل يهدف إلى الكشف عن جملة الروابط الوصلية والعمل على إظهار مدى حضورها في النص النبوي على تنوع أشكالها وتعدد وظائفها، وكثافة معانيها سواء أدت دورها على مستوى الألفاظ أو الجمل والعبارات، وأثرها في تحقيق الترابط في بنية الحديث النبوي وانسجام دلالاته فضلاً على ما تُضيفه على صيغته الأسلوبية من طاقات دلالية ولمسات جمالية.

¹ نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأهر الزناد، ص37

المبحث الأول: مفهوم الوصل وأصنافه

أولاً - مفهوم الوصل (Junction):

- لغة:

جاء في "لسان العرب": وَصَلَ وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصْلاً وَصِلَةً. والوصلُ ضدُّ الهجران، قال ابن سيده: والوصل خلاف الفصل. وَصَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ يَصِلُهُ وَصْلاً وَصِلَةً وَصِلَةً. والواصلة من النساء التي تَصِلُ شعرها بشعر غيرها¹. وَوَصَلَ وَصُولًا وَوُصِّلَ وَصِلَةً. وبلغ الشَّيْءَ وانتَهَى إليه، وَوَصِلَكَ مِنْ يَدْخُلُ وَيُخْرِجُ مَعَكَ.²

وَوَصَلَ فُلَانٌ يَصِلُ وَصْلاً: دعا دعوى الجاهلية بأن يقول: يا لَفُلَان. ووصل الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ وَصْلاً وَصِلَةً: ضمّه به وجمعه. ويقال: وَصَلَ حَبْلُهُ بِفُلَان: برّه وأعطاه مالا. ووصل رَحْمَةُ: أحسن إلى الأقربين إليه من ذوي النسب والأصهار، وعطف عليهم ورفق بهم، وراعى أحوالهم. ويُقال وصل إلى بني فُلَان: إذا انتمى إليهم، وانتسب³.

فالوصل لغة دار حول معاني عدّة: البلوغ والانتهاء، دعوى الجاهلية، الضمّ والجمع، البرّ والرحمة، الانتماء والانتساب... ولعلّ أهمّها هو الرِّبْط والضمّ والجمع وهو ضدّ الهجران والفصل.

¹ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 316/15-317.

² ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، باب اللام، فصل الواو، ص 1371.

³ ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص 1094.

- اصطلاحاً:

تصدى العلماء والباحثون لمفهوم "الوصل" من بلاغيين ونحاة ولسانيين عرباً وغرباً، ونَعَرَضُ لبعض هذه التعريفات فيما يأتي:

- عَرَفَ عبد القاهر الجرجاني الوصل بقوله: « اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلصُّ، وإلا قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة، وأوثوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل. ذاك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ، إلا اكمل لسائر معاني البلاغة »¹.

- والوصل عند محمد الطاهر بن عاشور هو عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه، وعطف الجمل إمّا بالواو المقتضية لأصل التشريك في الحكم المتكلم فيه، وإمّا بحرف آخر يدلّ على معنى زائد على التشريك أو على ضدّ التشريك إذا وجد ذلك الحرف نحو الفاء وحتى وأو وبل².

- وهو عند السيد أحمد الهاشمي عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف بين الجملتين والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى. وبلاغة الوصل لا تُحَقِّقُ إلاّ بالواو العاطفة فقط دون بقية حروف العطف، لأنّ الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف

¹ دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 222.

² ينظر: موجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور، المطبعة التونسية، تونس، ط 1، (د ت)، ص 24-25.

بها إلى لُطْفٍ في الفهم، ودَقَّة في الإدراك، إذ لا تُفيد إلاَّ بُجْرَد الرنْط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحُكْم، نحو: مضى وقت الكسل، وجاء زمن العمل، وقُئِمَ وِ اسْعَ في الخير.

بخلاف العطف بغير الواو فيفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، وكالترتيب مع التراخي في ثُمَّ، وهكذا باقي حروف العطف¹.

- وعَرَفَ كُلُّ مَنْ عِيسَى عَلِيَّ الْعَاكُوبِ وَعَلِيَّ سَعْدَ الشَّيْتَوِيِّ الْوَصْلُ أَنَّهُ عَطَفَ جُمْلَةً فَأَكْثَرَ عَلَى جُمْلَةٍ أُخْرَى بِالْوَاوِ خَاصَّةً، لصلّة بينهما في المبنى والمعنى، أو دَفْعًا لِلْبَسِّ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصَلَ، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾². وليس من البلاغة ترك العطف بالواو في الجملتين الأخيرتين³. فقد ذكر عبد العزيز عتيق أنّ علماء المعاني قد قصروا عنايتهم في هذا الباب -الوصل- على البحث في عطف الجمل بـ"الواو" دون بقية حروف العطف ؛ لأنّ الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويتطلّب فهم العطف بها دَقَّة في الإدراك⁴.

- أمّا النصانيون فنجد منهم محمد خطابي الذي عَرَفَهُ في قوله: « المظهر الاتّساقِي الرابع، وهو يختلف عن كلّ أنواع علاقات الاتّساق السابقة، لأنّه لا يتضمّن إشارةً مُوجَّهَةً نحو البحث عن المفترض فيما تقدّم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال، والحذف، وهو عند "هالداي ورقية حسن" تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكلٍ منظمٍ »⁵.

¹ ينظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ضبط و تع محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر، ط1، 1420هـ/1999م، ص164

² فاطر: 32.

³ ينظر: الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبدیع، عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، ص298.

⁴ ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص161.

⁵ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص22-23.

- أما محمد الأخضر الصبيحي فقال أنّ الوصل يختلف عن الإحالة والاستبدال كونه يصل وصلًا مباشرًا بين جُمْلَتَيْنِ أو مَقْطَعَيْنِ في النص، كالإحالة والاستبدال اللّذين نَبَحْتُ فيهما عمّا يُحِيلان عليه سابقًا كانَ أو لاحقًا¹.

- صبحي إبراهيم الفقي وقف على الوصل باعتبار شرطه وأدواته وأثره، وبالنظر إليه كونه عطف، والعطف واحد من التوابع، ونظرة العلماء القدماء إليه في مباحثهم "الفصل والوصل"، وعرضهم لحالات ثلاث: مَنْ جَوَّازَ العَطف فيه، ومنع للعطف، وتوسَّطَ بَيْنَهُمَا².

- دي بوجراند يرى أنّ الرِّبْط هو الذي يُشِيرُ إلى العلاقات التي بَيْنَ المساحات أو بَيْنَ الأشياء التي في هذه المسافات، فتتربط الصُّور بواسطة مُطْلَق الجمع Conjunction، والفصل Disjunction، والاستدراك Contrajunction يحسن أن تُعَدَّ ذات نظام سطحي متشابه، كما يشير الربط أيضا إلى إمكان اجتماع العناصر والصُّور، وتعلّق بعضها ببعض في عالم النص³. وهذا ما نجده عند هالداي ورقية حسن.

ثانيا: أصناف الوصل:

صنّف علماء النص "الوصل" بصفته مظهرًا تماسكيًا وأداة اتساقية أصنافًا أربعة: إضافي، وعكسي، وسببي، وزمني، ولكل واحد منها أدواته⁴. إلّا أنّ هذه الأدوات منها ما يدخل في الإطار الطبيعي الذي وضعه اللغويون للعطف، ومنها أدوات أخرى كلماتٍ وعباراتٍ تُؤدّي إلى معنى العطف

¹ ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، ص94.

² ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 247/1-249.

³ النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص346.

⁴ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص22-24.

والرَّيْطُ بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّصِّ، لَكِنَّهَا لَا تَدْخُلُ تَحْتَ أَدَوَاتِ الْعَطْفِ أَوْ حُرُوفِهِ، وَهِيَ مَا سَمَّاهَا الْفَقِي بـ " أنماط أخرى للعطف " أو " أنماط أخرى للرَّيْطِ النصِّي " ¹ . كما نجد دي بوجراند قد صنَّفَهَا أصْنَافاً أَرْبَعَةً أَيْضاً: يَرْبُطُ مُطْلَقَ الْجَمْعِ، وَيَرْبُطُ التَّخْيِيرَ، وَيَرْبُطُ الاسْتِدْرَاكَ، وَيُشِيرُ لِلتَّفْرِيعِ ² .

ويمكن تصنيف الوصل من خلال كل ذلك إلى ما يأتي:

1- الوصل الإضافي (الربط الجمعي) Additive: هو ما تُعبّر عنه الأدوات: (الواو، الفاء، أم، أو) حيث يتم الرّبط بين الجُمْل عبر إضافة معنى جديد ؛ إذ تُصنّف كل جملة لاحقة إلى سابقتها عنصراً إخبارياً جديداً سواء عبر التابع من خلال الأدوات مثل (الواو، الفاء)، أو عبر التخيير بإضافة أحد المعنيين من خلال الأدوات مثل (أم، أو) ³، كما يُعبّر عنه بواسطة التعبيرات (بالمثل، أعني، كذلك، فضلاً عن ذلك، بالإضافة إلى ذلك، مثلاً، نحو) ⁴ .

2- الوصل الزمني Temporal: هو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً وتمثله العناصر: الواو، الفاء، ثم، بعد، قبل، منذ، كلما، بينما، في حين، حتى، إذ، لما، إلى أن، خلال، بعدما... الخ ⁵ .

3- الوصل العكسي Adversative: ويفيد أنّ الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة، ويتم في الإنجليزية بواسطة أدوات مثل (but-yet) وبتعابير مثل (Nevertheless – However)

¹ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 262/1.

² ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص346-347.

³ ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص162.

⁴ ينظر: مقال "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابية النبوية نموذجاً"، نادية رمضان النجار، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، مج9، ع2، ص322.

⁵ ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص124، ومقال "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابية النبوية نموذجاً" نادية رمضان النجار، مجلة علوم اللغة، مج9، ع2، 2006 م، ص323. وينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص23-24.

ويمثله في العربية (لكنْ وبلْ)، (بيد أنْ، غير أنْ، وأما) والتعبيرات (خلاف ذلك، على العكس، وفي المقابل... إلخ)¹.

4- الوصل السببي Casual: هو الذي يُمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، وتندرج ضمنه علاقات خاصّة كالنتيجة، والسبب والشرط، والتعليل، ويتم بواسطة العناصر مثل (لذلك، من أجل، لأنّ، لكي، لام التعليل، فاء السببية)، و(إذا، لو، إن، من، مهما، لولا...)²

ثالثاً: دور الوصل في اتساق النص وجمالية أسلوبه:

1- الرابط الوصلي يربط بين معاني الكلمات المتجاورة، وكذلك الجمل المتجاورة، وهو بين كمالين، كمال اتصال وكمال انفصال، كمال الاتصال لا يحتاج فيه إلى رابط كالتوكيد وعطف البيان والصفة، وكمال انفصال لا يحتاج إلى رابط كالبديل، فهو متوسط بينهما³، يُؤدّي إلى التشريك في الحكم المتكلم فيه كما هو الحال في العطف بالواو، وإما بحرف آخر يدلّ على معنى زائد على التشريك أو على ضد التشريك إذا وجد معنى ذلك الحرف نحو الفاء، وحتى، وأو، وبلّ سواء في عطف المفردات أو الجمل⁴، تشريك في اللفظ بالاتباع الإعرابي، وتشريك في الحكم بإثبات العلاقة المنطقية بين

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص23. ومقال "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبويّة نموذجاً"، نادية رمضان النجار، ص322. وينظر: علم اللغة النص النظرية والتطبيق، عزة سبل محمد، ص167.

² لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص23. وينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة سبل محمد، ص165-166. ومقال "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبويّة نموذجاً"، نادية رمضان النجار، مجلة علوم اللغة، مج9، ع2، ص322.

³ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 1/249-250، و ينظر: البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها، عبد الرحمن حسن حبيّكه الميداني، 1/586-592، وأصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، 1/541-544.

⁴ ينظر: موجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور، ص25.

الموضوع والمحمول على سبيل الاشتراك المعنوي لا على سبيل التشريك المطلق الذي يتعلّق به النحاة في معنى العطف بصفة عامة¹.

2- يؤدّي العطف إلى تأكيد تماسك المعطوفات سواءً أكان ذلك بين المفردات أم الجمل، ويكون هذا التماسك أوضح بين الجمل عنه بين المفردات، وهو ناتج عن انسجام الدلالة، فلمّا انسجمت تعاطفت، كما ترى القاعدة الأصوليّة "القران في اللفظ يوجب القران في الحكم"، بمعنى أنّ قران اللفظ دليل قران الحكم².

3- العطف مشاركة بين متعاطفين أو أكثر، يُحيل الثاني على الأوّل، ويرتبط به، فهو أحد مظاهر التماسك النصي، فضلاً على المستوى الجمالي تتكتّف فيه وبه رؤية النص، حيث يكسب العطف النص حركية دلالية تلتقي بها عوالمه، وترتد إلى مركز نصي يتأكد به تناغم هذه العوالم، وتربطها رغم تباعدها³.

4- أدوات الربط الوصلية علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل، وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص؛ ويرتبط استعمالها بطبيعة النص من حيث موضوعه وشكله⁴.

¹ ينظر: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1981م، ص 59-60.

وينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، 544-541/1

² ينظر: النص والخطاب (قراءة في علوم القرآن)، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، علي حسن، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/2009م، ص196.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص197.

⁴ نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ص37.

5- يفيد العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، هذا ما تفيدوه الواو. ومن أدوات العطف ما يفيد مع ذلك فائدة زائدة مثل الفاء وثمّ فيفيدان الترتيب؛ الترتيب مع التعقيب للفاء، والترتيب مع التراخي مع ثمّ، و(أو) للتردّد والتخيير، سواء في المفردات أو في الجمل¹، فيتّم الربط بين الجمل عبر إضافة معنى جديد، إذ تضيف كلّ جملة لاحقة إلى سابقتها عنصراً إخبارياً جديداً سواء عبر التابع الخطّي من خلال الأدوات (الواو، الفاء... إلخ) أو عبر التخيير بإضافة أحد المعنيين من خلال الأدوات مثل (أمّ، أو)، فيُسهم تراكم الدلالة في بناء معنى النص².

6- يمكن الفهم أنّ العطف يربط بين متتاليات الجمل على مستواها السطحي فضلاً على أنّ هذه الجمل تُشكّل نصّاً مترابط الأجزاء والعناصر على مستوى الدلالة، فالعطف يقوم بتوليد علاقات دلالية أفقية على مستوى الجملة، وعلاقات دلالية رأسية بين الفقرات في بنية النص؛ فضلاً على أنّه يربط بين الجمل على المستوى الخطّي، فأدوات العطف تجعل من المتوالية الجمالية مساراً خطيّاً متماسكاً، فتدرك عناصر النصّ مفردةً وجملاً ومتواليات جمل كوحدة متماسكة³.

7- زيادة على التماسك النصي الذي تُحقّقه أدوات العطف فهو يُسهم في تحقيق الاختزال، أو الاختصار في بنية النص، فكُلُّ أداة من هذه الأدوات تُؤدّي حين استخدامها إلى حذف كلمات وجمل كثيرة كانت بالطبع سوف تُؤدّي إلى الحشو في الكلام الذي لا طائل منه⁴.

¹ ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2004م، ص197. وينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص222-223.

² ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص162.

³ ينظر: مقال "أثر العطف في التماسك النصي في ديوان علي صهوة الماء، للشاعر مروان جميل محيسن، دراسة نحوية دلالية"، د. خليل عبد الفتاح ود. حسين راضي العايدي، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج20، ع2، يونيو 2012، ص337-339.

⁴ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 257/1-258.

المبحث الثاني: حضور الوصل في الحديث النبوي ودوره الدلالي والأسلوبي

- نص الحديث الأول:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ».¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

يدلُّ هذا الحديث النبوي الشريف على أنَّ الله ﷻ يقبض العلم؛ أي يرفعه بموت العلماء، وكان تحديث ﷺ بذلك في حجة الوداع كما رواه أحمد والطبراني من حديث أبي أمامة، قال: لما كان في حجة الوداع كما رواه أحمد والطبراني: « خُذُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَقْبِضَ أَوْ يَرْفَعُ، فَقَالَ أَعْرَابِي: كَيْفَ يَرْفَعُ؟ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ ذَهَابَ الْعِلْمِ ذَهَابَ حِمْلَتِهِ »²، لأنَّ العلماء هم مصابيح الهداية، ورسُلُ الرِّشَادِ، وَأَمْنَاءُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، يَهْدُونَ الضَّالَّ، وَيَأْخُذُونَ بِيَدِ الْمُسْتَرِشِدِ إِلَى حَيْثِ السَّدَادِ وَالصَّوَابِ، أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ بَسْطَةِ الْفَهْمِ، وَسِعَةِ الْعَقْلِ، وَنَفَازِ الْبَصِيرَةِ مَا يَكُونُ عِصْمَةً لَهُمْ مِنَ الزَّلَلِ فِي الرَّأْيِ وَالْخَطَلِ فِي الْفَهْمِ³. وبموت العالم يخبُو مصباح يُضيءُ ظلمات الحياة، ويثلم سيف كان للحق ماضيًا، وينهدم رُكنٌ من أركان عظمة الأمة ومجدها، فإنَّ لَمْ يُخْلَفْهُ غَيْرُهُ بَقِيَ ذَلِكَ الْجَانِبُ مُهَيَّضًا، وَظَلَّ ذَلِكَ الرُّكْنُ مُظْلَمًا، وَاسْتَوَلَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعُقُولِ الْأَوْهَامُ وَالْخُرَافَاتُ وَتَارَتْ مِنْ مَكَامِنِهَا هَوَامُ الْفِتْنَةِ وَالزَّيْغِ. وَتَصَدَّرَ

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمر، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، [100/14]، ص 26-27. وفي صحيح البخاري، ص 23.

² ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 268/1.

³ الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 277.

الجالس مَنْ ليس لها بأهل، وأفقي من ليس بينه وبين العلم نسب ولا صهر، فأذاع الأساطير، وملاً الأفئدة والآذان بما ينبو عنه العلم الصحيح¹. فاتخذ العوام هؤلاء الجهال رؤوساً لأجل تشبههم بأهل العلم في الكتب مثلاً، وفي جنس الكتب والنظر فيها، فلما رأى الناس ما جرت العادة به يكون علماً على العلم، وهو النور، ظنّوهم من (العلماء) الرؤوس حقيقة، فصحّت البهجة عليهم، ولهذا قال يمين بن رزق - رحمه الله -: لقلة العقلاء لم يعرف الحمقى، وهذا المعنى بنفسه قد ظهر اليوم في زماننا هذا، وكثر وتفاش، فقوم يقرؤون النحو، والأصول، والمنطق، وعلم الكلام، وعلم الطبائع، وما أشبه ذلك، ثم يدعون بها الرئاسة، ويريدون أن يفتوا في دين الله بتلك العلوم، ويرجح ذلك عندهم بعقولهم الفاسدة حتى أن بعضهم يدّعي الاجتهاد على زعمه، ويخطئ من تقدّم من الفضلاء وأئمة الدين، وذلك لقلة فهمهم لما قالوا وسوء ظنّه بهم².

- صور الوصل وأثره في الحديث النبوي:

افتتح النبي ﷺ هذا الحديث النبوي الشريف بتوكيد بواسطة (إنّ) ليؤكد أنّه سبحانه وتعالى لا يهب العلم لخلقه، ثم ينتزعه بعد أن تفضّل به عليهم، وإنّما يكون قبض العلم بتضييع التعلّم، وموت العلماء³.

¹ الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 278.

² ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 264/1.

³ ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 177/1.

وقد تكوّن هذا النص الحديثي من أربعة مقاطع سردية، جاءت مترابطة بناءً ونسقاً، تتلاحم مكوناته، وترتبط عناصره بواسطة روابط لفظية وأدوات اتساقية، تتنوّع بين الإحالة والروابط الوصلية على تنوّع في صنوفها، وثرأ في معانيها ودلالاتها.

- فالمقطع الأول: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ].

استهلّ هذا المقطع بالتوكيد (إِنَّ) وهو ﷺ إذ يؤكّد على نفي قبض العلم انتزاعاً، لما في الانتزاع من شدة وغلظة، وما في القبض من لين وتسهيل، فأخبر ﷺ بأنّ شدة الانتزاع لا تكون، وإنّما يكون قبض برفق بقبض العلماء¹.

- المقطع الثاني: [ولكن يقبضُ العلم بقبض العلماء].

وقد بدئ بحرف العطف (الواو) متبوعاً بـ (لكن) التي هي حرف ابتداء تفيد الاستدراك نسبة الحكم لما بعدها مخالفاً لحكم ما قبلها². استدراك للكلام السابق نفي لقبض العلم انتزاعاً، وإثبات قبضه بقبض حامله من العلماء.

- المقطع الثالث: [حتى إذا لم يُبَقَّ عالماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُحَاهَاً].

حيث ابتدأ هذا المقطع بـ (حتى) الابتدائية، وقد دخلت على الجملة، وهي حرف تبدأ به الجملة، أي تستأنف كما قال ابن هشام، وجاء بعدها (إذا) التي هي شرطية في موضع نصب بشرطها أو جوابها³. فدلّت على أنّ ذلك واقع بالتدرّج⁴.

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جرة، 257/1-258.

² ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 320/1-322.

³ ينظر: المصدر نفسه، 147/1-148.

⁴ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 197/2.

- تكون هذا المقطع من جملي الشرط والجواب الفعليين الداليتين على إقبال العوام على الجهال، واتخاذهم رؤساء عليهم بزوال العلماء¹.

- **المقطع الرابع:** [فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا].

لقد بدئ بالفاء العاطفة المتصلة بالفعل الماضي (سئلوا)، فالعامي كما قال ابن أبي جمرة وظيفته إلا السؤال، فضل بَعْدَ اتَّخَاذِهِ الرَّأْسَ الْحَقِيقِيَّ، فالسائل والمسؤول جاهلان، فوقع الضلال والإضلال².

فهذه المقاطع الأربعة في تلاحمها شكَّلت نسيجاً نصياً مترابطة أوصاله مُتَّسِقَةٌ مُكَوِّنَاتُهُ وَتَرَاكِيِبُهُ، بواسطة روابطٍ متنوّعةٍ مِنْ بَيْنِهَا أدوات وصلٍ مِنْهَا مَا كَانَ دَوْرَهَا قَائِماً عَلَى مَسْتَوًى أَفْقِيٍّ لِقْطِيٍّ وَجُمْلِيٍّ، وَمِنْهَا مَا كَانَ عَلَى مَسْتَوًى مَقْطَعِيٍّ عَمُودِيٍّ . وَ نُوَضِّحُ ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي:

- في المقطع الثاني من النص أداتان من أدوات العطف، وقد استهل بهما ﷺ، وهما (الواو) العاطفة، و(لكن) الاستدراكية، عملاً على ربط هذا المقطع النصي بالمقطع السابق له؛ فالمتتبع لقوله ﷺ في المقطع الأول (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ...) دُونَ شَكِّ يَنْتَظِرُ إِمَّا تَوْضِيحًا وَتَفْسِيرًا لِهَذَا الْإِخْبَارِ وَالتَّقْرِيرِ، أَوْ تَعْقِيًّا وَاسْتِدْرَاكًا، فَوُضِّفَ الْكَلِمَةُ الْوَائِيَةُ الْعَاطِفَةُ، وَ(لَكِنْ) الَّتِي هِيَ حَرْفُ ابْتِدَاءٍ تُفِيدُ الْاسْتِدْرَاكَ³.

فالجُمعُ حَاصِلٌ بِالْوَاوِ، حَيْثُ أَفَادَتْ إِضَافَةً جَمَلَ الْمَقْطَعِ الثَّانِي إِلَى الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ عُنْصُرًا إِنْجَارِيًّا جَدِيدًا⁴. كَانَ يَنْتَظِرُهُ الْقَارِئُ أَوْ السَّامِعُ لَتَكْتَمِلَ عِنْدَهُ الصُّورَةُ الدَّلَالِيَّةُ لِلنَّصِ.

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 263/1-264.

² ينظر: المصدر نفسه، 265/1.

³ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 321/1-322.

⁴ ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص162.

أما (لكن) فقد دلّت على تقرير الحكم لما قبلها وإثبات ضده لما بعدها تقرير حكم نفي قبض العلم انتزاعاً، وإثبات ضده بقبض العلم بقبض العلماء¹، فالاتصال بين المقطعين مُحَقَّقٌ في قبض العلم، والانفصال مُحَقَّقٌ أيضاً، بما دلّت عليه (لكن) من قبض العلم بقبض أرواح العلماء، وموت حملته، لا بانتزاعه ومحوه من قلوب العباد، ورفعهم عنهم².

فدلّت (الواو) و (لكن) مجتمعتين على التوسط بين كمالين كمال اتصال، وكمال انفصال، جسّد الربط بالواو وصلاً إضافياً حين تمّ بواسطتها إضافة معنى جديد أتمّ معنى ما قبلها بالجمع بينهما على سبيل الاشتراك المعنوي، عبر التابع الخطّي، بين جُمْلٍ مقطعي النص المتعاطفين³، وجسّد الربط بـ (لكن) وصلاً عكسياً بإفادتها الاستدراك رغم تسميتها بـ (الابتدائية)⁴.

- وفي المقطع الثالث أداتا وصل هما (حتى) و (إذا) اللتان كانتا في صدارة قوله ﷺ (حتى إذا لم...جُهِلاً)، ف(حتى) ابتدائية حرّف ابتداء يستأنف بعدها الكلام الجملة بعدها لا محل لها من الإعراب، جملة مضمونها غاية لشيء بعدها في زيادة أو نقص، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقيق⁵.

فأداة الربط (حتى) هنا عملت على وصل المقطع الثالث من النص بالذي قبله، إذ كانت غاية لما قبلها، فتقدير الحديث كما قال الشنواني: «ولكن يقبض العلم بقبض العلماء إلى أن يتخذ الناس

¹ ينظر: مقال "أثر العطف في التماسك النصي في ديوان علي صهوة الماء للشاعر مروان جميل محسن دراسة نحوية دلالية"، خليل عبد الفتاح حماد وحسين راضي العايدي، ص335.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص60.

³ ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص162.

⁴ إشكالات النص المداخلية أنموذجاً، جمعان بن عبد الكريم، ص321.

⁵ الجني الداني في حروف المعاني، المرادي، ص448-553.

رؤوساً جُهَّالاً وقت انقراض أهل العلم، فالغاية هي ما انسبك من الجواب المقيّد ذلك بالشرط»¹.

وهي دالة أيضاً على وقوع ذلك بالتدرّج ؛ أي قبض العلماء حتى إذا لم يترك الله وُجَّهًا عالمياً².

إنّ الرّبط بواسطة (حتى) الابتدائية وصلٌ يُمكن أن نقول أنّه وصلٌ زمنيٌّ كونه جسد العلاقة التابعة

زمنياً بين جملتين، أو بالأحرى بين مقطعي النص الثاني والثالث³.

أمّا الأداة الوصلية الثانية فهي (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان متضمّنة معنى الشرط، مضافة إلى

الجملة التي بعدها، والعامل فيها الجواب على مذهب الجمهور، وذهب بعض النحويّين إلى أنّها ليست

مضافة إلى الجملة بل هي معمولة للفعل الذي بعدها، لا لفعل الجواب⁴، وهي شرطية بعد (حتى)

الابتدائية في موضع نصب اتفاق النحويين على طلب جوابها⁵.

فربطت بين الشرط والجواب، اقتران شرطي حَقَّقَتْهُ (إذا) يدخل في دائرة الترابط النصي لتضمّنه

ترابطاً بين جملتين جملة الشرط وجملة الجواب (لم يُبقِ عالماً) (اتَّخَذَ الناس رؤوساً جُهَّالاً) على الترتيب،

فالجملتان متلازمتان، حصول الجواب مقترنٌ بحدوث الشرط، فاتّخاذ العوام رؤوساً جُهَّالاً مرهونٌ

ومرتبطٌ حدوثة بقبض العلماء.

¹ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 60.

² ينظر: عمدة القارئ، العيني، 197/2.

³ ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص 162.

⁴ ينظر: الجني الداني، المرادي، ص 367-369.

⁵ المصدر نفسه، ص 372.

ف(حتى) أدّت دورها كواحدةٍ من أدوات الوصل الزمني، والدلالة التي أفادتها تؤكد ذلك، قال القسطلاني: قبض العلم بقبض العلماء إلى أن يتَّخذَ الناس رؤوساً جهَّالاً وقتَ انقراض أهل العلم كافة¹.

أما الاقتران الشرطي بواسطة (إذا) الظرفية الشرطية، فهو يكفل تحقيق ما يسمى الوصل السببي - كما ذكرنا سابقاً - فهو نمطٌ من أنماط التدرُّج المنطقي الناجح في النص، تدرُّج بانتقال يقتضيه المنطق من فكرة إلى أخرى، فكانت إحداها نتيجة للأخرى². فقبض العلماء إلى آخر عالم فيهم سبب نتيجته اتخاذ العوام رؤوساً جهَّالاً يستفتونهم.

وفي المقطع الرابع والأخير من النص نجد حضوراً واضحاً وانتشاراً مكثفاً للروابط الوصلية، فقد تمثَّلت في حربي العطف الفاء، والواو، استهلَّ النبي ﷺ قوله بالفاء المتصلة بالفعل (سئلوا) ؛ أي سئلَ الجهَّال من طرف العوام الذين اتَّخذوهم علماء، فوصلت الفاء الجملة الفعلية الماضية (فسئلوا) بما سبقها في المقطع الثالث مساهمةً بذلك في تحقيق الترابط بين الأحداث المتعاقبة من اتخاذ الناس الجهَّال رؤوساً، فأعقب اتَّخاذهم رؤوساً توجَّههم إليهم بالسؤال، لأنَّ السائل يقصد من يثق به قبل أن يسأله، وهذا هو حال الجهَّال العوام السائلين والجهَّال الرؤوس المسؤولين، فارتبط بذلك المقطع الأخير بالذي قبله على مستوى التتابع الجملي، فضلاً على التماسك الدلالي بربط الفكرة بالفكرة السابقة لها، والمعنى بالمعنى المكمل له، فالعوام لم يتَّخذوا هؤلاء الجهَّال رؤوساً، إلا لأجل الفائدة التي عهدها

¹ ينظر: إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 197/1.

² ينظر: مقال "نحو النص وتطبيقاته على نماذج من النحو العربي"، عبد المهدي هاشم الجراح "مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم والتكنولوجيا، إربد الأردن، مج33، ع1، ص76.

مَنْ تَشَبَّهُوا بِهِمْ، وهو الإرشاد لما يصلحهم، ولما لم تكن فيه مواصفات العلماء جاءهم إذ ذاك ضدّ ما أرادوه، وهو الضلال¹.

كما استعمل الفاء أيضاً في موضعين آخرين مع اختلاف مستوى الرّبط بين الحالتين، فإذا كانت الفاء الأولى عَمِلَتْ على الربط بين مقطعي النص، فإنّها في قوله ﷺ (فَأَفْتُوا) و (فَضَلُّوا) قد ربطت بين جُمْلِ المَقْطَع الواحد، إذ عَطَفَتْ الفاء (افتوا) على (سُئِلُوا) أي: فسألهم السائلون فافتوا لهم، وعَطَفَتْ (ضَلُّوا) على (فَأَفْتُوا) وهو من الضلال.

كما استعمل حرف العطف الواو في قوله (ضَلُّوا وَأَضَلُّوا) فعطف (أَضَلُّوا) على (ضَلُّوا) عطف إضافة وجمع، وهو من الإضلال. يقول الإمام العيني: يعني فَضَلُّوا في أنفُسهم، وَأَضَلُّوا السائلين، فالفاء للترتيب والتعقيب والواو لمطلق الجمع². ويقول أيضاً: المجموع المركّب من الضلال والإضلال هو متعقّب على الإفتاء، فالإفتاء بالباطل إضلال، والإضلال للغير ضلال له عَمِلَ بما أفتى، أو لم يعمل³. إنّ هذا المقطع الأخير من النص اجتمعت فيه أربع أدوات ربط عاطفة جميعها من الوصل الإضافي، لعبت الفاء فيه في مواضع ثلاث دوراً بارزاً في تماسك التتابع الجملي (فسألوا)، (فأفتوا)، (فضلوا)، وأدت الواو دورها في تماسك جملتي (ضَلُّوا) و (أَضَلُّوا)، رُبط الإضلال بالضلال، فحدوثهما متزامنين مجتمعين.

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جرة، 264/1.

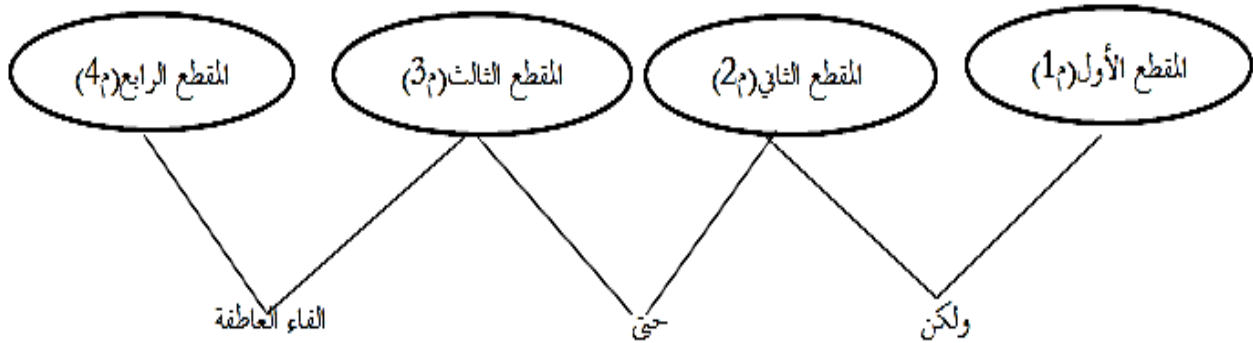
² عمدة القارئ، العيني، 198/2.

³ المصدر نفسه، 198/2.

فالحضور المكثف للروابط الوصلية للوصل الإضافي بالفاء والواو في المقطع الأخير تأكيداً على تماسك المعطوفات الجمليّة، والنتائج أيضاً على انسجام الدلالة بين المعطوفات، فالسؤال يعقبه الإفتاء، وهو بدوره يؤدي إلى الضلال والإضلال، مُشكّلاً بذلك التلاحم حركيّة دلاليّة الثقت بها مُكوّنات المقطع النصي في هذا الحديث النبوي¹.

وبعد تَبَعْنَا لمختلف الروابط الوصلية العاملة على تحقيق اتّساق هذا النص الحديثي اتّضح لنا الحضور المكثف لهذه الأدوات العاطفة لأهميتها في تلاحم بنية الحديث النبويّ وانسجام دلالاته، وما نَسَجْتُهُ من ترابط بين مُكوّناته سواءً ما كان منها على مستوى التتابع المقطعيّ بمساره العموديّ، أو ما كان على مستوى التتابع اللفظيّ و الجمليّ بمساره الأفقيّ، وهذا ما نجملُهُ في المخطّطات الآتية:

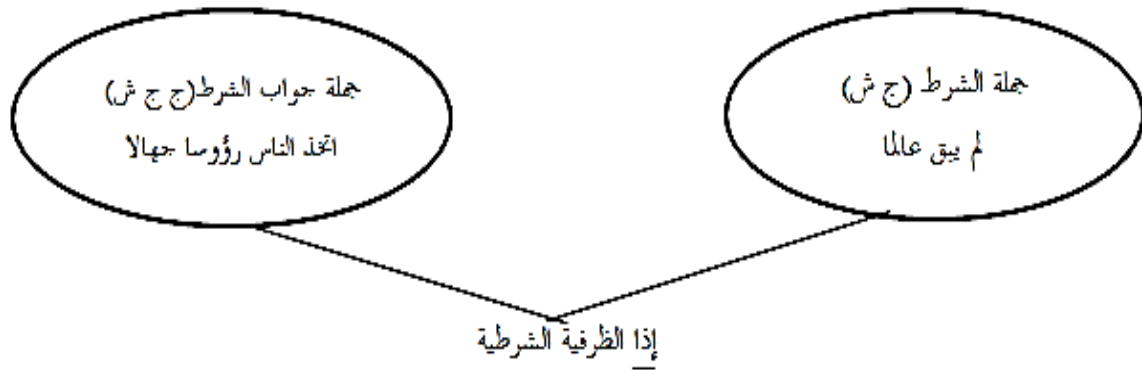
- الترابط النصي للمتوالية المقطعية:



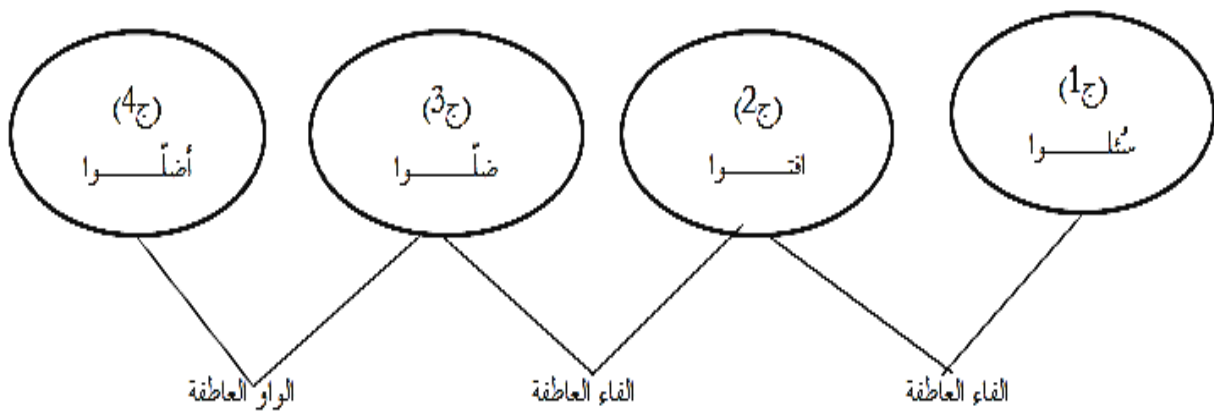
- الترابط النصي للمتوالية الجمليّة:

• في المقطع الرابع (م3):

¹ ينظر: النص و الخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد و صلاح رزق، ص196-197.



• في المقطع الرابع (م4):



ويمكننا إجمال هذه الروابط الوصلية وما يتعلق بها في الجدول الآتي:

النص الجملة/المقطع/ النص	طرفا الوصل المعطوفان	أداة الوصل	نوع الوصل	مستوى الوصل	فائدة الوصل وأثره
- إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ.. وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ	- المقطع الأول والثاني	الواو	إضافي	تتابع مقطعي (النص)	- رُبطَ المقطعين الثاني بالأول، والجمع بينهما على سبيل الاشتراك المعنويّ
- وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ... جُهَّالًا	- المقطع الثاني والثالث	حتى	زمي	تتابع مقطعي (النص)	- اتّصال بين المقطعين الثاني والأول بالدلالة على التشارك بقبض العلم، وانفصال بقبض العلماء بدل انتزاعه من العباد
- إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا	- جملتا المقطع الثالث الشرط والجواب	إذا	سببي	تتابع جملي (المقطع الثالث)	- تحقيق العلاقة التتابعيّة زمنيًا بين مقطعي النص الثاني والثالث
- اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا	- المقطع الرابع والثالث	الفاء	إضافي	تتابع مقطعي (النص)	- تماسك نصي بين جملتي الشرط والجواب لتلازم حدوث الجواب واقتترانه بحدوث الشرط
- فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا	- جمل المقطع الرابع	الفاء	إضافي	تتابع جملي (المقطع الرابع)	- ترابط بين مقطعي النص الثالث والرابع، وترتيب وتعقيب أحداثها
- ضَلُّوا وَأَضَلُّوا	- جمل المقطع الرابع	الواو	إضافي	تتابع جملي (المقطع الرابع)	- ترابط وترتيب جمل المقطع الضلال والإضلال

- نص الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ « أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الشَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ. »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي الشريف وَرَدَ في كتاب "الوضوء"، كما وَرَدَ أَيْضًا في كتابي "الشرب والمساقاة" و"رحمة الناس بالبهائم"، وهو في قالب قصصي في رجلٍ لَمْ يُسَمِّهِ ﷺ².

فظاهر الحديث كما قال ابن أبي جمرة يَدُلُّ على إِدْخَالِ الرجل الجنة بِأَرْوَاءِهِ الكلب³، وهذا من الرحمة بالحيوانات والبهائم كبيرها وصغيرها ؛ فَمَهَّدَ لها بِقِصَّةِ هذا الرجل، وهو إنسان قد أَثَرَتْ فيه الأخلاق الفاضلة، واستجاشت قلبه عواملُ الرحمة، فاستجاب استجابةً خالصةً لا رياء فيها، لَمَّا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الشَّرَى مِنْ شِدَّةِ عطشه لِمَا يَجِدُهُ في التراب من رطوبة تُخَفِّفُ حرارة عطشه. وهذا دليل على شِدَّةِ ما بلغ منه العطش مبلغًا عظيمًا، فنزل البئر، ونزع خُفَّهُ وملاه ماءً، وأمسك الخُفَّ بفيه حتى صَعَدَ البئر، وهنا تظهر حذاقته وإنسانيته بما فيها من تواضعٍ، وما فيها من رحمة⁴. فَأَتَى الله عليه بِأَنْ ذَكَرَهُ بين الملائكة، وأَعْلَى شأنه، وهذا جزاء عظيمٌ جدًّا يقابل الله تعالى هذا به العمل⁵.

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، [173/19]، ص28. وفي صحيح البخاري، ص31.

² ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 5/55.

³ بحجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جمرة، 282/1.

⁴ في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص325.

⁵ ينظر: المصدر نفسه، ص325.

ولا تستكثر الشكر من الله والمغفرة لهذا الذي أنقذ الكلب من ظمئه، فإنه نزل البئر له خاصة ليسقيه، وملاً خفه بالماء، وذلك مما يضرب مجلده، وعانى ما عانى من النزول والصعود مثل ما عانى لنفسه، كل ذلك تجشمة في سبيل رأفته بالحيوان الضمان، ليذل على شعور راقٍ، ورحمة فياضة سكنت تلك النفس العابسة، فكانت لا ريب خليقة بهذا الجزاء. والراحمون يرحمهم الرحمان¹. هذا كله في الإحسان للحيوان وذاك جزاؤه وفضله من الله، فما بالك لو كان مع من هو عاقل مكلف، وكيف بمن هو صالح منهم من عباد الله وَعِبَادُ اللَّهِ².

— صور الوصل وأثره في الحديث النبوي:

هذا الحديث النبوي يتضمن قصة قصيرة وجيزة في حجمها، بالغة في تأثيرها، عميقة في بُعدها، بطل هذه القصة رجل لم يُسمَّ الْكَلْبُ، شخصيته تندقق بالرحمة والشعور الإنساني، ظهرت ملامحه في النص من خلال صنيعه الحمود بإسقاء هذا الكلب حتى إروائه حين نزل بنفسه إلى البئر، واستعمل خفه في إسقاء الكلب، بعد ملئه ماءً. وهو يُصَوَّرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موفقاً حياً صاعاً أسلوبه، وبني تراكيبه على النمط السردى المشفوع بالإخبار، بدأه بمقدمة تتسم ببراعة مسبقة بـ (أنَّ) توكيداً للخبر وتوثيقاً للحكي، وأتبعها بسلسلة من الجمل الفعلية تعبيراً عن تصاعد الأحداث وتطور الأفعال في قالب قصصي مشوق، فقد استعمل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأفعال المضارعة الدالة في سياقها على مُضيِّ الوقوع، لكنها صوّرت صورة الحاضر المشاهد جذباً لانتباه المخاطب إلى القصة وأبعادها الخلقية والإنسانية³.

¹ ينظر: الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص42.

² ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 248/1.

³ ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، ص357.

لقد تَكَوَّنَ هذا النص الحديثي من ثلاثة مقاطع سردية شكَّلت الأحداث الرئيسة والمحاور الكبرى التي انبنى عليها هيكل هذا الحديث، وقد تمثَّلت فيما يأتي:

- المقطع الأول: [أنَّ رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى من العطش].

هذا المقطع مبدوء بجملة اسمية مركبة مبدوءة بحرف التوكيد (إنَّ)، متبوعاً باسمه المنصوب (رجلاً) يمثلُ الشخصية المحورية في القصة، وخبره الجملة الفعلية الماضية بداية الأحداث بالرؤية البصرية (رأى)، وقد استعمل العَلِيَّة الوصف في تجسيد حالة (الكلب) المأساوية المؤثرة (رأى كلباً يأكل الثرى)، والسبب في ذلك واضح في ذكره متعلقات الجملة من الجار والمجرور (من العطش) أي بسبب العطش أو لأجل العطش¹.

إنَّ هذا المقطع النصي الأول ليُكشِفُ عن مصدر الإثارة النفسية التي حَرَّكَتْ قلبَ هذا الرجل، وأثارت حسَّه الإنساني فتألمَ لِألم هذا الحيوان، وكأنَّه هو الذي يقف موقفه من الظمَّ الشديد، فكان كافياً ليكون دافعاً قوياً لتحوُّل تلك المشاعر النبيلة إلى أفعال، وترجم تلك الأحاسيس إلى سلوكياتٍ عمليةٍ ظهرت تجلياتها في المقاطع الموالية في النص.

- المقطع الثاني: [فأخذ الرجل حَقَّه فجعل يغرف له به حتى ارتوى].

تَكَوَّنَ هذا المقطع السردية الثاني من ثلاث جُمَلٍ فعليةٍ، تتوالى في صورة تركيبية بعضها يفضي إلى بعض، يتبع اللاحق منها السابق تسلسلاً في الأحداث، وترتيباً في الأفعال، الأفعال التي عمد الرجل

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 66.

إلى القيام بها عقب رؤيته الكلب في حالة العطش الشديد والهلاك الوشيك (أخذ الرجل خقه)،
(فجعل يغرف له به)، (حتى أرواه).

شَكَّلَتْ هذه التراكيب المترابطة، والعبارات المتسلسلة الإجراء العمليّ والحلّ الفعليّ للأزمة
(القصصية) أو المعاناة التي يُعَانِيهَا هذا الحيوان، لتتكامل الصورة مع الصورة في تقابلٍ دلاليٍّ واضحٍ
(العطش الشديد) $\longleftrightarrow$ (الارتواء) . الذات الفاعلة المحرّكة لصيرورة الأحداث هي (الرجل)،
والذات المتألمة هي (الكلب).

- المقطع الثالث: [فشكر الله له فأدخله الجنة].

هذا المقطع السردّي الأخير يمثّل إعلانَ نهاية هذه القصة النبويّة القصيرة، ببيان فضل صنيع هذا
الرجل من ثناء الله وَجَّكَ عليه، وقبول عمله وإدخاله الجنة¹. إبداناً وترغيباً بأنّ هذا الفضل والثواب
ليس مقصُوراً على هذا الرجل، أو محصوراً بالإحسان إلى هذا الحيوان، لكنّه فضل وثوابٌ يُعطى لكلِّ
إنسانٍ يُسَدّي معروفاً إلى كلّ كائنٍ حيٍّ على وجه هذه البسيطة².

تَكُونُ منْ جملتين فعليّتين (فشكر الله له) (فأدخله الجنة)، شَكَرَ الله له بالثناء عليه أمام ملائكته،
وإدخاله الجنة من باب الجزاء أيضاً، فعطفت الثانية على الأولى من باب عطف الخاصّ على العامّ، أو
أنّ الثانية تفسيريّة للأولى وبيان لها³.

¹ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 378/1.

² ينظر: في ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، ص326.

³ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 63/2. وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص67.

هذا الحديث النبوي يُعدُّ نصًّا قصصيًا هادفًا على قصر طوله، وإيجاز لفظه جاءت عناصره مفردات وتراكيب مترابطة في نظمها، متسلسلة في تتابعها حققت الروابط الوصلية لاسيما حروف العطف فيه سمة الاتساق في بنيته، والانسجام في دلالاته واضحة ؛ فقد شهد حُضورًا بيّنًا وانتشارًا منتظمًا لتلك الأدوات الرابطة العاملة على ربط عناصره اللفظية منها والتركيبية.

فحين نستقري المقطع السردّي الثاني من النص، فإننا أول ما نجد يبدأ به هو (الفاء) في قوله ﷺ (فأخذ الرجل خقه)، هذه الفاء العاطفة عملت على ربط المقطع الثاني المبدوء بالجملة الفعلية الماضية (أخذ الرجل خفه) بما قبلها في المقطع الأول، فضلا على إفادتها الترتيب، ترتيب في معنى الأحداث التي يدفع الواحد منها إلى الآخر، ترتيب معنوي بتأخر زمن تحقق المعنى في المعطوف عن زمن تحقّقه في المعطوف عليه¹، وهذا ما تؤكّده فعلاً دلالة تتابع الأحداث وتناسبها والمسار الحكائي لهذه القصة، ففي بعض الروايات قال رسول الله ﷺ: « بينما رجل يمشي اشتد عليه العطش فنزل بئرا، فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خقه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له »²، وترتيب ذكر المعطوف متأخرا في رتبته عن المعطوف عليه³ مُتّصلاً به كما ذكر ابن مالك:

والفاء للترتيب باتّصالٍ وثُمَّ للترتيب بانفصالٍ⁴.

¹ ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ط3، 573/3.

² صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، [2363]، ص280. و ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص66-67.

³ ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 573/3.

⁴ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، دار مصر للطباعة، مصر، ط20، 1400هـ/1980م، 227/3.

كما دلَّت الفاء أيضاً على التعقيب، تعقيب في الأحداث الواقعة بتحقيق قصر المدّة الزمنية التي تنقضي بين وقوع المعنى على المعطوف عليه (رؤية الكلب يلهث ويأكل الثرى) ووقوعه على المعطوف (فأخذ الرجل خقه...) ¹. فالرجل عقب رؤيته الصورة المثيرة للكلب وهو يلهث نزل البئر، وغرف ماء في خقه، ليصعد، ومن ثمّ يسقي الكلب بواسطته حتى ارتوى، فلا تراخي في توالي هذه الأحداث لأنّ الموقف موقف إنساني، والمسألة مسألة حياة أو موت؛ فسعيه لإنقاذ حياة هذا الحيوان (الكلب) لم ولن تترك له مهلة زمنية للتقاعس والتباطؤ في القيام بكلّ ما يؤسعه لتلك الغاية النبيلة والهدف السامي، (الشعور بألم الكلب إنقاذ ذلك الكلب بسقيه بواسطه الخف) ².

كما أنّها -الفاء- لا تخلو من الدلالة على السببية في وصل المعطوف بالمعطوف عليه ³، إذ أنّ سبب إقدام الرجل على أخذ خقه وملئه ماءً هو رؤيته الكلب يأكل الثرى من شدّة الظمأ، قال المرادي: « فإنّ عطفت مفرداً غير صفة لم تدلّ على السببية نحو: (قام زيد فعمرو)، وإنّ عطفت جملة أو صفة دلّت على السببية غالباً نحو. قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ ⁴ ». ⁵

ومثل الفاء الأولى الفاء الثانية في المقطع نفسه قوله صلّى الله عليه وسلّم (فجعل يغرف له به)، عملت الفاء المتصلة بفعل الشروع (جعل) على ربط هذه الجملة الفعلية الماضية الدالة على بدء الرجل بغرف الماء في خقه، بالجملة التي قبلها (أخذ الرجل خقه)، فحمل هذا الوصل الإضافي بواسطة الفاء العاطفة زيادة على التلاحم والتماسك النصي بين الجملتين دلالة الترتيب والتعقيب في

¹ ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 573/3.

² ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 63-64.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 64.

⁴ القصص: 6.

⁵ الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 64.

توالي أحداث القص النبويّ التي كان الرجل فاعلاً رئيساً في تحقيقها، وبحرصٍ كبيرٍ ودوماً تراخٍ أو تأخيرٍ.

أمّا الوصل الثالث فهو موجودٌ أيضاً في المقطع الثاني بواسطة (حتى) الابتدائية وهي حرف ابتداء غير عامل، ما بعدها غاية لما قبلها يستأنف بعدها الكلام¹. فلقد عملت (حتى) على وصل الجملة الثالثة (ارتوى) بالجملة السابقة لها (جعل يغرف له به)، فالأحداث تتوالى والفعل يتفاعل بتدرُّج وانتظامٍ، يدفع الفعل إلى الفعل الذي يليه، ف (حتى) زيادةً على دورها الكبير في الربط بين الجملتين، فهي تحمل دلالة الاستمرار والزيادة في الفعل، فُعل غُرف الماء وسقي الكلب حتى الكمال، كمال أفضى إلى الارتواء. قال ابن أبي جرة: « فلما أكمل للكلب ريّه أكمل الله له نعمته عليه وأدخله الجنة² ».

كما ساهمت (حتى) الابتدائية في تحقيق الترابط المتتابعي للأحداث، فإنّها قد ساهمت كأداة من أدوات الوصل الزمني السياقي في تماسك أزمنة تلك الأحداث في المقطع النصّي خاصّة والنص النبويّ عامّة، فقد عدّها الدكتور العجمي الأداة التي تُمثّل أسلوب التابع المعبّر عن الغاية النهائية في سيرورة الحدث، أو تمثّل أسلوب إقرار النتائج المترتبة على مرحلة سابقة، وتحوّلها إلى حالة ثابتة في مرحلة لاحقة³.

¹ ينظر: الجني الداني في حروف المعاني، المرادي، ص548-553. والمعجم الوافي في أدوات النحو العربي، على توفيق الحمد، ويوسف جميل الزعبي، دار الأمل، إربد الأردن، ط2، 1414هـ/1993م، ص143.

² ينظر: بهجة النفوس، ابن أبي جرة، 248/1.

³ ينظر: إشكالات النص المدخلة أنموذجاً دراسة لسانية نصية، جمعان بن عبد الكريم، ص343-344.

أما المقطع الثالث والأخير من النص فإنه ابتداءً بالفاء العاطفة (فشَكَرَ الله له)، الفاء التي عملت على وصل هذا المقطع بما سَبَقَهُ من الكلام في المقطع الثاني، فكان لها دورٌ بارزٌ في تحقيق الاتِّساق النصِّي بين المتتابعين (المعطوف والمعطوف عليه)، كما أنَّها لا تخلو من الدلالة على السببية، فقد مثَّلتْ همزة وصلٍ وأداةً ربطٍ بين الفعل والجزاء، السبب والمسبَّب، ففعل الخير بالإحسان للحيوان وما يقابله من ثواب الله وَجَّكَ وشُكْرُه وثنائه للمُحسن بقبول عمله، ورضاه عنه، وإدخاله الجنة¹.

فالجزاء من جنس الفعل؛ فنال الرجل شكر الله له، وثنائه عليه برحمته للكلب، ودخلت امرأة النار في هرةً حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وقد حَذَّرَ ﷺ من سوء وعاقبة إيذاء الحيوان².

وفي المقطع نفسه نجد الفاء حاضرةً أيضًا في قوله ﷺ (فأدخله الجنة)، عطفتُ الجملة الفعلية (أدخله الجنة) على الجملة السابقة لها (شَكَرَ الله له) مِنْ باب عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ³. كما أفادت الترتيب في الذكر بعطف المَفْصَّل على المِجْمَل هو في المعنى، فدخول الرجل الجنة تفصيل وتفسير لشكر الله وثنائه عليه⁴.

إذن فالاتِّساق النصِّي مُحَقَّقٌ في هذا النص الحديثي بواسطة صُورٍ شَتَّى مِنْ صُورِ الوصل، وصلٍ إضافيٍّ جَسَدَتْهُ الفاء العاطفة في مواضعٍ أربعةٍ من النص، ووصلٌ زمنيٌّ بـ (حتى) الابتدائية الدالة على

¹ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 378/1، وبهجة النفوس، ابن أبي حمزة، 284/1.

² ينظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم 3482، ص 423. وينظر: في الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 42-43.

³ عمدة القارئ، العيني، 63/2.

⁴ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 64.

تتابع الأحداث بتتابعها الزمني، للوصول إلى لحظة أو زمن الحالة الثابتة ونقطة الاستقرار حين ارتواء الكلب، وزوال معاناته بانتهاء عطشه.

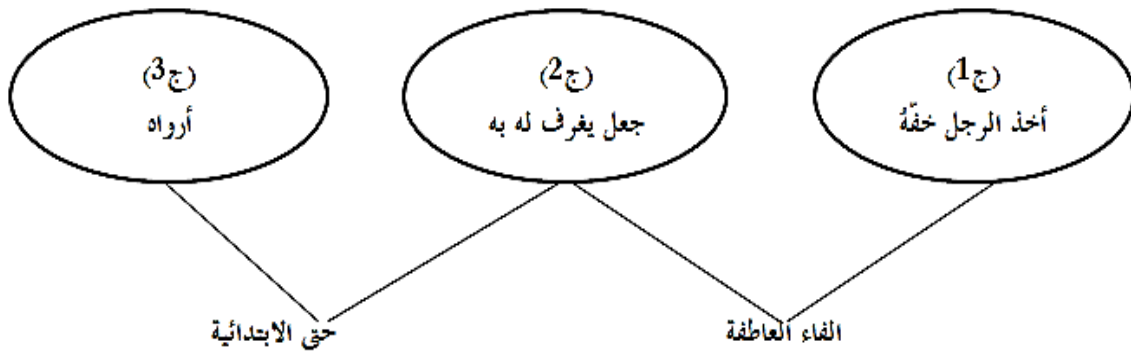
فهذه الروابط الوصلية كانت فاعليتها واضحة، ودورها كبيرا في تحقيق تلاحم النص، إن على المستوى الجُملي داخل المقطع الواحد في مسار أفقي، أو على المستوى المقطعي داخل النص بتتابع المتوالية المقطعية في مسار عمودي. ونوضح ذلك في المخططات الآتية:

- الترابط النصي للمتوالية المقطعية:

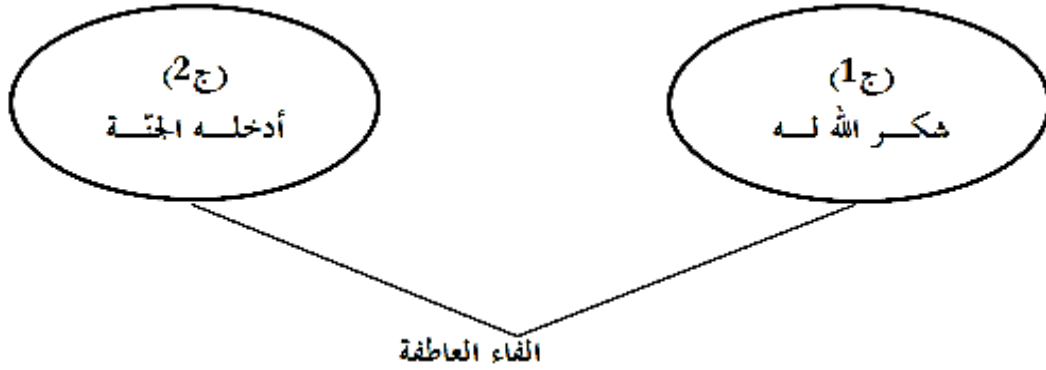


- الترابط النصي للمتوالية الجُملية:

في المقطع الثاني (م2):



في المقطع الثاني (م3):



إنّ هذا النص الحديثي تماسكت بنيته وانسجمت دلالاته، فهو في قالب قصصي تتلاحم فيه الألفاظ والتراكيب، وتتلاحق فيه الأحداث في صور تركيبية يُفضي بعضها إلى بعض، فتحقق للنص تماسكه تماسكاً شكلياً وتماسكاً دلاليّاً.

فالتماسك الشكلي ساهمت في تحقيقه مجموعة الروابط الإحالية منها والوصلية، الروابط بين عناصره المفردة والمركبة، الألفاظ والجمل والمقاطع، حضورها الواضح وتوزعها المنتظم على مستوى النص في متوالياته الجملية والمقطعية، وتماسك دلاليّ اتّضح في الوحدة الموضوعية لهذه القصة النبوية، الوحدة التي يكاد يكون كلّ شيء فيها واحداً، فهي تشمل على فكرة رئيسة واحدة، وتتضمن شخصية محورية واحدة، ولها هدف واحد، وتخلص إلى نهاية منطقية واحدة، وتُخلف لدى المتلقّي أثراً أو انطباعاً واحداً¹، فهذه القصة النبوية عبّرت عن جملة من الأفعال المتتالية، والأحداث المتعاقبة، كان الرجل فاعلاً محورياً في صنعائها، توقّف بعضها على بعض، يرتبط اللاحق منها بالسابق في ثلاثة محاور

¹ ينظر: فن كتابة القصة، فؤاد قنديل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، يونيو، 2002م، ص57.

رئيسة: (رؤية الرجل الكلب يلهث عطشا) ← (نزوله البئر وملء

خقه ماء وسقيه الكلب) ← (جزاء الله له بالشواب والجنة).

وبعد استقراء هذا الحديث الشريف وتتبع ما فيه من روابط وصلية كان لها كبير الأثر في اتساق هذا

النص النبوي وانسجام دلالاته يمكن إجمال ذلك في الجدول الآتي:

النص الجملة/المقطع/النص	طرفا الوصل المعطوفان	أداة الوصل	نوع الوصل	مستوى الوصل	فائدة الوصل وأثره
- أن رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه	- المقطع الأول والثاني	الفاء	إضافي	تتابع مقطعي (النص)	- ربط المقطعين والجمع بينهما مع الترتيب والتعقيب في الحدوث مع تضمن معنى السببية.
- أخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به	- الجملتان الأولى والثانية من المقطع الثاني.	الفاء	إضافي	تتابع جملي (المقطع الثاني)	- ربط الجملتين المتتاليتين مع دلالة الترتيب والتعقيب.
- جعل يغرف له به حتى أرواه	- الجملتان الثانية والثالثة من المقطع الثاني.	حتى	زمني	تتابع جملي (المقطع الثاني)	- تحقيق العلاقة التتابعية زمنياً للأحداث بين جملتي المقطع الثاني
- فأخذ الرجل خفه فجعل... فشكر الله له	- المقطع الثاني والثالث.	الفاء	إضافي	تتابع مقطعي (النص)	- تحقيق الترابط النصي بين المقطعين الثاني والثالث وربط الجزء والثواب بفعل الرفق والإحسان.
- شكر الله له فأدخله الجنة	- جملتا المقطع الثالث.	الفاء	إضافي	تتابع جملي (المقطع الثالث)	- ترابط بين جملتي المقطع من باب عطف الخاصّ بالعام والمفصلّ بالمجمل.

- نص الحديث الثالث:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي يدلُّ على عدم جواز الحسد إلا في صفتين مذكورتين ومنعه مما عدا ذلك، الحسد الجائر هو مجاز لا حقيقة، الحسد الذي يُحَقِّقُ غِبْطَةً وتنافسًا، لا الحسد الذي يريد فيه شخص انتقال نعمة إليه أو لغيرها، ويفقدها صاحبها ؛ لأنَّ هذا الحسد بهذا الشكل هو بَغْيٌ²، وهو رذيلةٌ ممقوتةٌ لأنَّ كراهية الخير للناس، وتميُّ زوال النعم عنهم، لا يتخلَّقُ به إلا ذوو النفوس الخبيثة والقلوب الأثيمة التي مات فيها داعي الخير، وحيي مكانه باعث الشر³.

فإذا كان الحسد كله شرًّا كان قوله ﷺ (لا حسد إلا في اثنتين) من قبيل الاستثناء المنقطع، فلا حسد محمود أو جائز مطلقا لا في مال أو علم، ولا في غيرهما، لكن الحسد المقصود في قول النبي ﷺ هو الغبطة مجازا، وهو محصورٌ إلا في خلتين⁴.

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الزكاة، باب إنفاق المال في حقه، [1409/70]، ص51، وصحيح البخاري، ص170.

² بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 618/1، وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص148. وصحيح مسلم بشرح النووي، 97/6.

³ ينظر: الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص196.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص197.

خصلة الرجل الأول إنفاق المال في الخيرات، وقد عَبَّرَ عَنْهَا ﷺ بالتسليط والهلكة إشعار بفناء الكل
أي كل المال في الخير لا في المحرمات .

وخصلة الرجل الثاني هي تعليمه العلم وحُكْمُهُ بِهِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ الرَّسُولُ ﷺ بالحكمة، والمراد
بها القرآن، وقيل السنة، وقيل العلم النافع الشامل للقرآن والسنة يحكم بها بين الناس وَيُعَلِّمُهَا لَهُمْ¹.

فالخصلة الأولى الجديرة بالتمني إذْ خَصْلَةُ رَجُلٍ وَهَبَهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ قَتُورًا بِخِيَلًا، وَلَا مُبَدَّرًا
سَفِيهًا، يُبَدِّدُهُ بِالْكَأْسِ وَالطَّاسِ، وَنَثَرَهُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْمَائِلَاتِ الْمَمِيلَاتِ الْفَاتِنَاتِ الرَّاقِصَاتِ، وَيُرْمِي بِيَدِهِ
عَلَى مَنَاضِدِ الْمَيْسَرِ، وَيَهْلِكُهُ فِي وَلَائِمِ الرِّبَاءِ وَالشَّهْرَةِ، وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَنْفَقُهُ، وَفِي إِقَامَةِ الْحَقِّ
يَهْلِكُهُ، وَفِي سَبِيلِ الْعِزَّةِ لِقَوْمِهِ، يُهَذِّبُ بِهِ نَفْسَهُ، وَيُعَلِّمُ أَوْلَادَهُ وَيُثَقِّفُ، وَيُوَاسِي أَصْحَابَهُ، يَفْتَحُ بِهِ
الْمَدَارِسَ، وَيَنْشِئُ بِهِ الْمَصَحَّاتِ وَالْمَلَاجِئِ وَيَقِيمُ الْمَصَانِعَ، وَيَعْطِفُ عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْفُقَرَاءِ، وَفِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ الْمَخْتَلِفَةِ².

والخلة الثانية فيمن أوتي القرآن، وَوُهِبَ حِفْظُهُ وَالْعِلْمُ بِهِ، فَذَاقَ حُلَاوَتَهُ، وَعَرَفَ مَكَانَتَهُ، وَحَرَصَ
عَلَيْهِ، وَعَضَّ عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ، وَتَلَوَهُ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ، يَحْكُمُ بِهِ فِي الْمَنَازِعَاتِ، وَيَقْضِي بِهِ عَلَى
الشُّبُهَاتِ، يَفْتِي بِهِ فِي الْمُسْتَفْتَيْنِ، وَيُعَلِّمُهُمْ أَحْكَامَهُ، وَيَعْظُمُهُمْ بِعِظَاتِهِ، فَهَذَا حَقِيقٌ بِأَنْ يَغْبَطَ مِنْ غَيْرِ
تَمَّتْ زَوَالُ هَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ³.

¹ هامش مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة، ص 148.

² الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 198.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 197.

فخلاصة هذا الحديث ما ذكره ابن بطال في شرحه: « وقد بيّن السَّيِّدُ ذلك في بعض طرق هذا الحديث، فقال فيه (فَرَاهُ رَجُلٌ) يعني بـ (ينفق المال ويتلو الحكمة)، فيقول: ليتني أوتيت مثل ما أُوتِي ففعلت مثل ما يفعل، فلم يتمنَّ أن يسلب صاحب المال ماله، أو صاحب الحكمة حكمته، وإنما تَمَّيَّ أن يصيرَ في مثل حاله، مِنْ تَفْعُلِ الْخَيْرِ، وَتَمَّيَّ الْخَيْرَ وَالصَّلاحَ جَائِزٌ، وَقَدْ تَمَّيَّ ذَلِكَ الصَّالِحُونَ وَالْأَخْيَارُ...¹ ».

- صُورُ الوصل وأثره في الحديث النبوي:

يُؤَسَّسُ هذا الحديث النبوي الشريف على جمل اسمية، تنوَّعتْ بَيْنَ النفي والإثبات، تهدف إلى التوكيد والتقرير لحكم من الأحكام الشرعية، والنظر في واحد من المشاعر القلبية، النابع عن رؤية إنسان لغيره من الناس، وما أفاء الله عليهم من نعم، ورغبته وتمنييه مثل ما للغير، وَقَدْ سَمَّاهُ ﷺ (الحَسَدَ).

فقد تنوَّعتْ أساليبه التركيبية، فَبَدَأَ ﷺ نَصَّهُ بِجُمْلَةٍ اِسْمِيَّةٍ اعْتَمَدَ فِيهَا اُسْلُوبُ الْقَصْرِ، متبوعةً بِجُمْلَتَيْنِ اِسْمِيَّتَيْنِ ضَمَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَرَكَيبَ فَعْلِيَّةٍ، تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا دَلَالَاتٍ بَلَاغِيَّةً تَسْتَشْفُ مِنْ الْمَعَانِي الضَّمْنِيَّةِ لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ .

فهذا النص الحديثي يبدأ بالتكثيف والإجمال متبوعاً بالتفسير والتفصيل، هذا النمط من التعبير الذي يُثِيرُ التَّأَمُّلَ فِي الذَّهْنِ لِفَهْمِ أَمْرٍ كَبِيرٍ وَاسِعٍ، تَحْمِلُهُ اللَّفْظَةُ أَوْ الْعِبَارَةُ الْمَكْتَفَةُ الَّتِي تَحِيطُ بِالْمَعْنَى قَبْلَ

¹ شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 158/1.

الكلام الذي يبسط المعاني، فيتوجَّه المتلقِّي لفهمها على سعتها وكمالها، فيأتيه التبسيط وقد تهيَّأ له، فيتقبَّله مزيد قبول، ويرسخ فيه مزيد الرسوخ¹.

و قد تكوَّن من ثلاثة مقاطع، في بناءٍ متَّسقٍ، وتركيبٍ محكِّمٍ، أوَّلها مجملٌ مكثَّفٌ، والمقطَّعان المواليان أتيا تفصيلاً وتبسيطاً للفكرة العامة والمفهوم الشامل الذي تضمَّنهُ المقطع الأول.

- المقطع الأول: [لا حسد إلا في اثنتين].

هذا القول الأول الذي استهلَّ به ﷺ حديثه النبويّ، وهو على قِصر طوله وإيجاز لفظه عرَّض الفكرة بأسلوبٍ دائريٍّ مغلقٍ، إذ استخدم النفي والاستثناء (لا...إلا...) أيَّ أسلوب الحصر، فالجملة اسمية، (لا) نافية للجنس و(حسد) اسمه مبني على الفتح، وخبره محذوف أيَّ (لا حسد جائز) أو (صالح)، والمستثنى منه محذوف كما قال الإمام العيني (لا حسد جائز في شيء من الأشياء إلا في اثنتين)؛ أي خصلتين. وقد أطلق الحسد وأراد الغبطة من قبيل إطلاق اسم المسبب على السبب على سبيل المجاز لا الحقيقة².

فصاغ النبي ﷺ قوله على طريقة النفي والاستثناء ؛ أي على أسلوب الحصر لما فيه من إيجازٍ وتوكيدٍ، فساقه عليه السلام في بداية الحديث ليشير انتباه المخاطبين بما يحمله هذا الأسلوب من غرابة المعنى المؤكِّد³.

¹ ينظر: في ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، ص378.

² ينظر: عمدة القارئ، العيني، 86-85/2.

³ ينظر: الحوار في الحديث النبويّ تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص170.

ففي هذا القصْرِ توكيدٌ وتقريرٌ، توكيدٌ لمعنى وحُكم استهْلَ به ﷺ حديثه، حُكمٌ قاطعٌ لا مرأى فيه، لفت به الانتباه انْطِلاقاً ممَّا هُوَ معروفٌ من تحريم الحسدِ، الحسدُ المذموم على معناه الحقيقي، وتجويز الحسد المحمود على معناه المجازي، معنى الغبطة بحسن أسلوبٍ، وإيجازٍ لفظٍ¹.

والمراءُ في هذا الحصرِ كمَّا قال الشنواني مقابلة ما في طباع الشخص بالضدِّ، فإنَّ طَبَعَ الإنسان إذا رأى غيره يجمع المال يحسُّده ليكون مثله، وإذا رأى غيره يُعْطِي أحداً يذمُّه ليكون مثله، فالتطباع تحسد بجمع المال، وتذمُّ ببذله، فبيَّنَ الشرُّعُ عكس الطبع، فكأنَّه قال: لا حسد إلا فيما تدمون عليه، ولا مذمَّة إلا فيما تحسدون عليه. ووجه الجمع بين الخصلتين أي المال يزيد بالإنفاق ولا ينقص، والعلم أيضاً المعبر عنه بالحكمة يزيد أيضاً بالإنفاق منه أي بتعليمه².

إذن فمن خلال هذا المقطع المستفتح به النص توكيدُ حرمة الحسد على إطلاقه في معناه الحقيقي، ولُفَّت انتباه إلى ما يخرج عنه من حسد محمود في معناه المجازي المشروع، بتميّ رغبة إنفاق المال في الخير، وتعليم الحكمة، والحكم بها في الناس، مع عدم تمي زوال تينك النعمتين على غيره من الناس.

- المقطع الثاني: [رجل أتاه الله مالاً، فسَلَطَهُ على هلكته في الحق].

تكوّن هذا المقطع من جملتين متعاقبتين، أولاهما اسمية، وثانيهما فعلية، جاءتا في سياق تفصيل الجمل، وتبسيط المكثف، أولى الخصلتين رجلٌ رُزِقَ مالاً فأحسن إنفاقه في الحق، فالجملة الاسمية

¹ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 86/2. وينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 147-148.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 148.

مبدوءة بـ (رجل) وهو اسم ذكر لتغليب الذكورة في الأسلوب العربي يشمل النوعين، فضلاً على إفادته طلب القوة والحركة القويّة في جمع الحكمة والمال¹.

و(رجل) على ثلاثة أوجهٍ إعرابيّة، على الجرّ أن يكون بدلاً من (اثنتين)، أي (خصلة رجلين)، وعلى النصب بإضمّار (أعني) أي (أعني رجلاً)، والرفع على أنّ التقدير: إحداها خصلة رجل، فلمّا حُذِفَ المضاف اكتسب المضاف إليه إعرابه²، ولَفِظَ (مالاً) جاءت نكرة، وقابلها لَفِظَ (الحكمة) في المقطع الثالث معرفة ؛ لأنّ المراد من الحكمة معرفة الأشياء التي جاء الشرع بها يعني الشريعة، فأراد التعريف بلام العهد خلاف، لهذا دخل صاحبه بأيّ قدر منه أهلكه في الحق تحت هذا الحكم³.

كما استعمل ﷺ التعبير (فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ) إشعارٌ بفناء المال كلّهُ، أي كلّ المال، ولیدلّ أيضاً على قهر النفس المحبولة على الشحّ، وتطويعها على إنفاق المال في الحقّ⁴.

- المقطع الثالث: [ورجل] أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعَلِّمُهَا].

هذا المقطع أيضاً تتمّة لما سبق من تفصيل للمجمل وتفسير للمكتف بالتوازي مع المقطع الثاني سواء من حيث الطول، أو من حيث طبيعة البناء والتركيب ؛ فهو مُكوّنٌ من جملتين متعاقبتين أولاهما اسمية (رجل أتاه الله الحكمة)، والثانية اسمية أيضاً (فهو يقضي بها ويُعَلِّمُهَا)، فإذا كان الرجل الأوّل أوتي مالاً فإنّ الرجل الثاني أوتي الحكمة، ولما أنفق الأوّل ماله في الخير فإنّ الثاني يقضي بحكمته

¹ ينظر: في ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، ص244.

² ينظر: إعراب الحديث النبويّ، العكبري،، تح علي محمد البجاوي، عيسى الباي الحلبي وشركاه، القاهرة مصر، د ط، د ت، ص290، وعمدة القارئ، العيني، 85/2.

³ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 87/2.

⁴ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص148.

وَيُعَلِّمُهَا . فالمقطع الثالث معطوف على الثاني بواسطة الواو العاطفة في اتساق بنائي، وانتظام تركيبى وتكامل دلالي. وإذا كان استعماله الْعَلِيَّة في المقطع الثاني النمط الجملي الفعلي بالفعل الماضي (فَسَلَّطَهُ...) للدلالة على انقضاء الفعل وفناء المال في الحق، فإنه استعمل النمط الجملي الاسمي (فهو يَقْضِي بها...) مع الإخبار بالفعلين المضارعين (يقضي) و (يُعَلِّمُ) تفيد استمراراً تجددياً في الفعل¹، القضاء بالحكمة وتعليمها في كلِّ زمان، وفي أيِّ مكانٍ، فضلاً على عدم محدوديتهما يظل طلب الحكمة والحُكْم بها وتعليمها مستمرّاً ما استمرت حياة الإنسان على وجه البسيطة .

إنَّ هذا النص الحديثي على اتّساق بنائه، وانسجام دلالته قد ساهمت جملة من أدوات الاتّساق في تحقيق هذا التلاحم فيه، منها أدوات الوصل العاملة على تنسيق تمفصلاته، وتوزيع مكوّناته بشكل انتظمت فيه مقاطعه انطلاقاً من الإجمال انتهاء عند التفصيل، فَمَعَ الارتباط الدلالي ارتباطاً شكلياً، يمكننا أن نكشف عنه بالنظر في الأدوات الوصلية ودورها في ذلك الترابط النصي والتناغم الدلالي.

فحين نستقري بنية هذا الحديث النبوي نجد بتتبع المتوالية الخطية لمجموع كلماته وجُمْلِهِ ومقاطععه حضوراً واضحاً للروابط الوصلية، تلك الأدوات العاملة على تلاحم عناصر هذا النص النبوي بعد أن توزعت بين جملة ومقاطععه، جعل فيه تماسكاً في الدلالة بعد أن تماسكت فيه البنية، وقد تمثلت في أداتي الوصل الواو والفاء العاطفتين.

¹ ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2، 1419هـ/1998م، ص341.

فالمقطع الثاني تضمّن الفاء العاطفة في قوله ﷺ: (فسلّطه على هلكته)، وإذا كان هذا المقطع مرتبطاً بالمقطع الأول ارتباطاً دلاليّاً كونه جاء في سياق تفصيل الجمل وتبسيط المكثّف فإنّ عناصره ترتبط فيما بينها بروابط لفظيّة، الفاء العاطفة واحدة منها، فهو مكوّن من جملتين الأولى اسمية (رجل أتاه الله مالاً) والثانية فعلية (سلّطه على هلكته في الحق). ربطت بينهما الفاء العاطفة المتّصلة بالفعل (سلّط)، لتدلّ بدورها فضلاً على معنى الإضافة والجمع بينهما الترتيب والتعقيب، فإتيان الله ﷻ العبد مالاً هو الأوّل ويعقبه إنفاقه ذلك المال في وجوه الخير المناسبة حتى لا يبقى منه شيء¹.

فالوصل المحقّق للاتّساق النصّي هنا هو وصل إضافي أدّى دوره على المستوى الجملي، أي المتوالية الخطيّة الجمليّة المشكّلة لبنية المقطع الثاني من النص، وهو ترتيب منطقيّ، وتعقيب موضوعيّ أفادته الفاء، بالتعبير عن توالي فعلين يأتي الثاني بعد الأوّل، فليس من المنطق بشيء أن ينفق الرجل مالاً وهو لا يملكه، ففاقد الشيء لا يُعطيه، فلو لم يؤت الله العبد مالاً فما الذي ينفق؟! ومن أين سيُنْفَق؟!.

إذن فهذه الفاء العاطفة عملت على ربط الجملتين ربطاً نصياً مع ترتيب في لفظ التركيب، وتعقيب في حدوث الفعلين، ومع ذلك الترتيب ترتيب في معنى الأحداث التي يأتي الثاني منها بعد الأوّل، ترتيب معنويّ يتأخّر به زمن تحقّق المعنى في المعطوف عن زمن تحقّقه في المعطوف عليه²، فإتيان الله الرجل المال سابق تسليط الرجل المال على هلكته في الحق. أضف إلى ذلك فدلالة الفاء على

¹ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 86/2-87. وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص148.

² ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ط3، 573/3.

التعقيب تعقيب في الفعلين يتحقق بقصر المدة الزمنية بين إتيان المال وإنفاقه¹، فنتصور أنّ مَنْ رزقه الله مالاً لم ولن يتوانى في إنفاقه، بل على العكس فهو يسارع إلى توجيهه في أبواب الخير بدل كثره وتجميعه، لأنّه لا خلود لا له ولا لماله.

أمّا المقطع الثالث فقد تضمّن ثلاثة روابط وصلية (الواو) في موضعين، و(الفاء) في موضع واحد، وقد استهلّ ﷺ كلامه بالواو في قوله: (ورجلٌ أتاه الله الحكمة...)، فالواو هنا عاطفة²، وصلت المقطع الثالث بالمقطع الثاني، وقد جاء هذا المقطع في سياق تنمة التفصيل للمجمل في قوله ﷺ: (لا حسد إلاّ في اثنتين)، إضافة إلى ذلك فالواو أفادت أيضاً مطلق الجمع والتشريك في الحكم³، بالجمع بين الخصلتين اللتين أوردتهما ﷺ في حديثه (إنفاق المال في الخير) + (القضاء بالحكمة وتعليمها) ← مبعثا الحسد الجائر والغبطة الممدوحة⁴.

فالوصل المحقق هنا وصلٌ إضافيٌّ تمّ بواسطته إضافة المعنى الثاني للمعنى الأوّل ليشتراكا في حكمٍ واحدٍ حكم المستثنى (لا حسد إلاّ في اثنتين).

وفي المقطع نفسه نجد الفاء العاطفة الدالة على الترتيب والتعقيب المتصلة بالجملة الاسمية (يقضي بها ويُعلّمها)، فعملت على وصل هذه الجملة بالجملة الاسمية التي قبلها (رجل أتاه الله الحكمة)⁵، في تسلسل وترتيب محكمين، فالفاء العاطفة تحيل الجملة الأولى الدالة على إتيان الله الرجل الحكمة إلى

¹ المصدر نفسه، 573/3.

² عمدة القارئ، العيني، 86/2.

³ ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، ص197. ودلائل الإعجاز، الجرجاني، ص222-223.

⁴ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص148.

⁵ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 86/2.

الجملة الثانية الدالة على القضاء بالحكمة، وتعليمها الناس، وبذلك تحقّق التماسك عبر المتوالية الجمليّة، فأكسب النصّ حركيّة دلاليّة تلتقي بها عوالمه، وترتدّ إلى المركز النصي الذي ترتبط به جميع العناصر وهو جواز الحسد بمعناه المجازي في هذا الموضع¹.

الواو العاطفة كان لها دور آخر أيضاً بحضورها ثانية في هذا المقطع في قوله ﷺ: (وَيُعَلِّمُهَا)، إذ وصلت الجملة الفعلية (يُعَلِّمُهَا) بالجملة الفعلية الخبرية (يقضي بها)، فأفادت فضلاً على تحقيق الاتساق النصي على المستوى الجملي برّبط الجملتين الفرعيتين عن الجملة الأصليّة (فهو يقضي بها وَيُعَلِّمُهَا)، مُساهمةً بذلك في تحقيق الاختزال أو الاختصار في بنية النص². وهذا بحذف المسند إليه المبتدأ (هو) من الجملة المعطوفة بدل إعادة تكراره الذي يؤدّي إلى الحشو في الكلام الذي لا طائل منه³. إضافة إلى اشتراك الجملتين في المخبر عنه الواحد (هو)، فازداد بذلك العطف معنى الجمع قوة وظهوراً⁴.

إنّ هذه الروابط الوصلية مع توزّعها عبر تفصّلات الحديث الشريف قد تفرّغ دورها الربطي على مستويي النص، من ترابط نصي على مستوى التابع المقطعي النصي في مساره العمودي، هذا متمثّل في الواو العاطفة الرابطة بين مقطعي النص الثاني والثالث. والربط النصي على مستوى التابع الجملي عبر المتوالية الخطيّة في مساره الأفقي، هذا متمثّل في الفاء العاطفة والواو اللّتين ساهمتا في نسج النص وتلاحم مكّونات كلاً من المقطعين الثاني والثالث.

¹ ينظر: النص والخطاب (قراءة في علوم القرآن)، محمد عبد الباسط عيد، ص196.

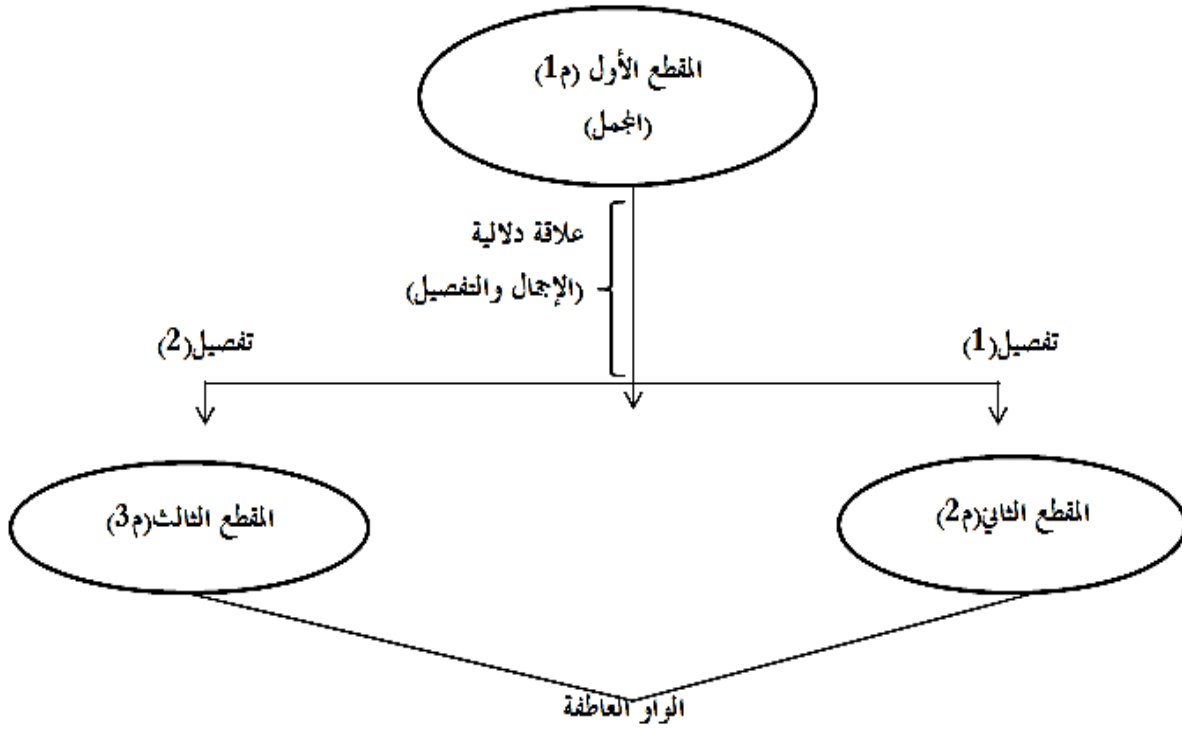
² ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 1/257-258.

³ ينظر: المصدر نفسه، 1/257-258.

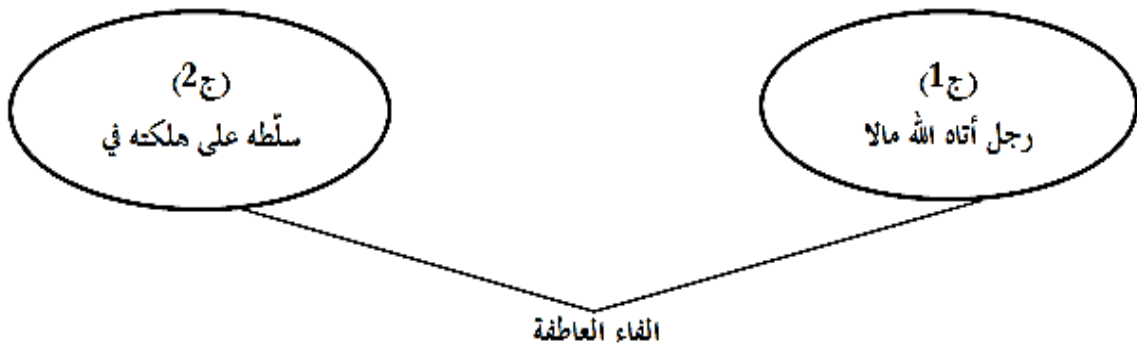
⁴ ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص226.

ويمكن توضيح هذا الاتساق النصي المحقق في هذين المستويين من النصّ فيما يأتي:

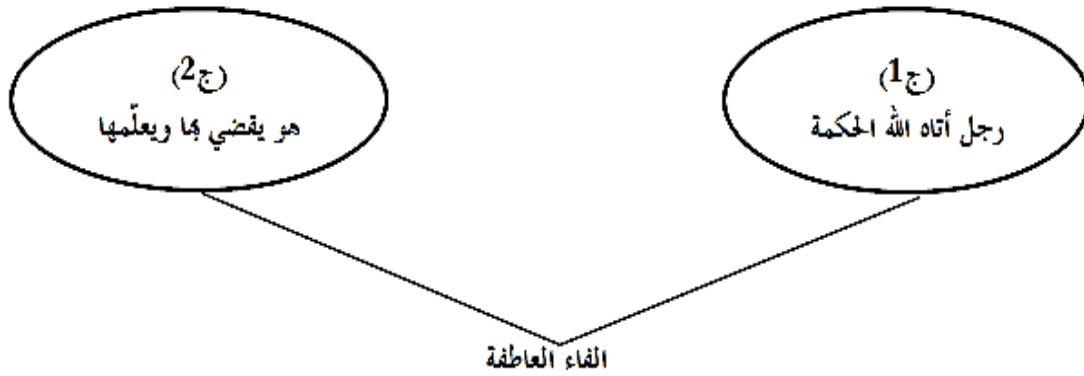
- على مستوى التتابع المقطعي (النص)



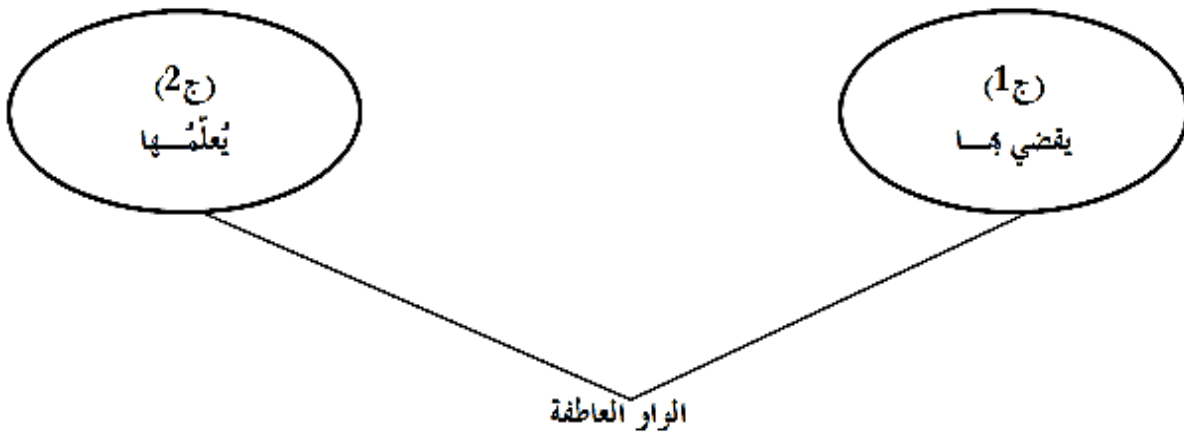
- على مستوى التتابع الجملي (المقطع م2)



- على مستوى التابع الجملي (المقطع م3)



- على مستوى التابع الجملي (الجملة الثانية من المقطع الثالث)



إنّ هذا الحديث النبوي الشريف تماسكت عناصره مفرداتٍ وتراكيبٍ تماسكاً دلاليّاً من خلال علاقة الإجمال والتفصيل، إجمالاً في مقطعه الأوّل الدال على الحسد المحرّم عامّةً في معناه الحقيقي، والحسد الجائر خاصّةً في معناه المجازي المقصود به الغبطة المحمودة في موضعين. ومن ثمّ يأتي التفصيل في المقطعين الثاني والثالث على التوالي، وتماماً شكليّاً على مستوى البنية السطحيّة للنص، بتلاحم مكوناته بواسطة جملة أدوات الاتّساق على تنوعها من روابط إحالية، وروابط وصلية، هاته الأخيرة التي كان حضورها واضحاً وتوزّعها منتظماً في بناء هيكله الحديث، وترابط أجزائه سواءً على مستوى

النص كلّهُ بيّن مقاطعه، أو على مستوى المقطع النصّي الواحد بيّن جُمْلَه، أو على مستوى الجملة الواحدة بيّن عناصرها.

وبعد أن تَبَعْنَا هذا النص الحديثي واستقرينا ما فيه من روابط وصلية يمكن إجمال كل ذلك في الجدول الآتي:

النص الجملة/المقطع/النص	طرفا الوصل المعطوفان	أداة الوصل	نوع الوصل	مستوى الوصل	فائدة الوصل وأثره
- رجل أتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق ورجل أتاه الله الحكمة...	- المقطع الثاني والثالث	الواو	إضافي	تتابع مقطعي (النص)	- ربط المقطعين والجمع بينهما وتشريك في الحكم (جواز الغبطة)
- رجل أتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق	- جملة المقطع الثاني الأولى والثانية	الفاء	إضافي	تتابع جملي (المقطع الثاني)	- ربط الجملتين المتتاليتين مع دلالة الترتيب والتعقيب
- رجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها	- جملة المقطع الثالث الأولى والثانية	الفاء	إضافي	تتابع جملي (المقطع الثالث).	- ربط الجملتين المتتاليتين مع دلالة الترتيب والتعقيب
- هو يقضي بها ويعلمها.	- جملة الخبر في الجملة الثانية من المقطع الثالث	الواو	إضافي	تتابع جملي (الجملة الثانية)	- تحقيق الترابط بين الجملتين الخبريتين والجمع بينهما

- نص الحديث الرابع:

عَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي الشريف يمثل فيه الرسول ﷺ المؤمنين في هذه الخلال الثلاثة (التراحم، التواد، التعاطف) بالجسد الواحد؛ فكما أنّ الجسد إذا مرض منه عضو تألم له الباقي، فلم يذق نوماً، وسارت إليه حرارة الحمى فألمته، فكذلك المؤمنون حقيقة إذا أصاب أحدهم مصيبة تألم بها الباقون، فسعوا متعاطفين معه لدفع الألم عنه، وجلب الخير له². يقول ابن أبي جمرة: « ظاهر الحديث يدلّ على أنّ المؤمنين كلّهم وإنّ تباينوا أو تباعدوا كالجسد الواحد، كلّما أُصيب أحدهم بشيء أصاب الجميع منه بنسبة »³. وقد يبيّن أيضاً أنّ التراحم معناه أنّ الرحمة التي جعلت في قلوب المؤمنين بعضهم لبعض إنّما هي من أجل أخوة الإيمان لا لولوع، ولا لإحسان، ولا لشيء خلاف الإيمان. أمّا توادّهم فهو كناية عن التواصل بينهم، واستعمالهم أسبابه، وأصله أيضاً الإيمان. وأمّا التعاطف فهو تقوية بعضهم لبعض كما يعطف طرف الثوب عليه ليقويه، وهو من باب قوله ﷺ: « وَتَعَاوَنُوا عَلَى

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، [6011/241]، ص118. وصحيح البخاري، ص729.

² ينظر: الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص121.

³ بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 628/2.

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى¹. فأصل الإيمان هو الذي عطف قلوب بعضهم على بعض، كما قال جلّ جلاله:

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾².

- صُورُ الوصل وأثره في الحديث النبوي:

هذا الحديث النبوي نصّ فيه النبي ﷺ أنّ المؤمنين في مجموعهم كشخص واحد وكلّ فرد منهم بالنسبة للمجموع كالعضو بالنسبة للشخص، فالخير يصيب الواحد منهم كأنما أصاب كلّهم، والشرّ ينوبه كما ينوب جميعهم⁴، وهو أيضا تصوير دقيق لحقيقة الأخوة والتماسك بين المؤمنين، تصوير تمثيلي عظيم في لغته وتراكيبه، انتقال من قضية معنوية تمس المشاعر الباطنية، والروابط الأخوية، والصلات العاطفية بين أفراد المجتمع الإسلامي، وهو دليل وحدثهم، إلى جانب حسّي يعمد فيه إلى خلق الإنسان واتصال أعضائه في الجسد الواحد وتماسكها بالألم المشترك الجمعي لألم عضو واحد منها.

لقد تكوّن هذا النص النبوي من مقطعين بل من جملتين إخباريتين تتصل الثانية منهما بالأولى، وترتبط بها، وتمهّد الأولى للثانية ولا يكتمل فهم دلالتها إلاّ بها.

- فالمقطع الأول: [ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد].

¹ المائدة: 2.

² الأنفال: 63.

³ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جرة، 629-628/2.

⁴ الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 121.

ابتدأ النبي ﷺ قوله بالفعل المضارع (تري) مُحَاطِبًا النعمان بن البشير¹. ومحل الرؤية هم المؤمنون لأنَّ الإيمان يجعل الخلق يشعرون ويُقرُّون بوحدتهم إزاء الخالق، وافتقارهم إليه، كما يدعُوهم إلى عدم تعالي أحد على أحد²، بل إلى التعاضد بالشعور الجمعي والمواساة العملية في الرخاء والشدة، وقد عبَّر عنه ﷺ بِالْقَاطِ مِنْ الحَقْلِ المعنوي (تراحمهم، توادَّهم، تعاطفهم) على وزنٍ واحدٍ، لتؤدِّي نغماً جميلاً وبوزن التفاعل المتحرِّك، والمشاركة الحيويَّة والإشارة إلى طلب همَّة واحدة في هذه الخلال الحيَّة³، التفاعل الذي يستدعي تطابقاً في الوزن، وتقارباً في المعنى⁴، لتُشكِّل هذه الصورة للمؤمنين الركن الأول في التشبيه، فهي المشبَّه، لتأتي من ثَمَّة أداة التشبيه وقد تمثَّلت في الأداتين على التوالي (الكاف) و(مثل) مجتمعتين في قوله ﷺ: (كَمَثَل)، فهو العَلِيَّة لم يكتفِ بواحدةٍ منهما لما فيه من توكيدٍ على تحقيق هذه المماثلة، وتقريرها في اللفظ والمعنى، فالكاف تُزاد في التركيب النحوي للتوكيد قد وَرَدَتْ زائدة في "صحيح البخاري" في ثلاثة وعشرين موضعاً، بالإضافة إلى ضرب المثل، وتقريب معناه، وتوكيده في أذهان المستمعين⁵.

ثم يأتي ذكر المشبَّه به، وقد تمثَّل في لَفْظ (الجسد)، الجسد بجميع أعضائه، إلى هنا ينتهي المقطع الأول، فيجدُّ القارئ نفسه موصولاً بالمقطع الثاني بحثاً عن تفسيرٍ لهذه المماثلة، وهو ما ينجلي في وجه الشبه.

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص333.

² ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص296.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص296-297.

⁴ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 167/22.

⁵ ينظر: نظرات لغوية في السنة النبويَّة، حنفي أحمد بدوي، ص105-106. ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، 203/1.

- المقطع الثاني: [إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى].

هذا المقطع من النص يمثل وجه الشبه في هذا الخطاب النبوي، وقد بُني من جملة شرطية استهلها ﷺ ب (إذا) الظرفية المتضمنة معنى الشرط، متبوعة بفعل الشرط (اشتكى) في صيغة الماضي التي توحى بتشخيص طرف أو جماعة من المؤمنين في حركة سريعة وفي مشهد متحرك أضفت عليه الاستعارات تشخيصاً بارعاً ينقل حركة بشرية، ليأتي جوابه سريعاً في قوله ﷺ (تداعى) حيث المشاركة الوجدانية المشخصة في دعوة الأعضاء لبعضها، وحثها لبعض من أجل إسعاف العضو المريض¹.

فهذا المقطع النصي إذن تكوّن من أداة الشرط (إذا)، وجملة الشرط (اشتكى عضوا)، وجواب الشرط (تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) في ترابط محكم وتتابع مرصوف بتلازم جملتي الشرط والجواب، ذلك الترابط الذي نسجت صورته مجانسةً جواب الشرط لفعله في الماضي، مع إمكان أن يكون مضارعاً (اشتكى) (تداعى) أدل على هذه الصفات لما فيه من إشعار بالمبادرة، وإسراع بالنجدة للاقتران الزمني بين الشكوى والتداعي².

فهذا النص النبوي تتلاحم عناصره، وترتبط مكوناته لتشكّل وحدته البنيوية وحادّة دلالية، تنسجم ووحدة المؤمنين وتماسكهم، كما تتلاحم أعضاء الجسد الواحد، وتتفاعل في صورة من الترابط ساهمت فيه مجموعة من أدوات الاتساق بتحقيق غاياته، ونسج خيوطه، إذ تُعدّ أدوات الوصل من أبرز هذه الروابط، فكان لها حضور واضح، ودور فاعل، وتوضّح ذلك فيما يأتي:

¹ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص 297.

² ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، ص 161.

- المقطع الأول من النصّ تضمّن أداتيّ وصلٍ، الأولى منهما الواو العاطفة، والثانية لُفْظَةً (مثل) .
فالواو العاطفة نجّدها جمعت تلك الخلال التي تُميّز عباد الله المؤمنين في تماسكهم ووحدتهم، وهذا في قوله ﷺ: (تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم).

فالواو أفادت الجمع والتشريك في اللفظ والمعنى بين المتعاطفات الثلاث، وتَحَقُّقُهَا مجتمعةً في سلوك وشعور المؤمنين، ربطت الألفاظ الثلاث لتقاربها في المعنى، واشتراك جماعة المؤمنين في أصول الأفعال من باب التفاعل في (التراحم) و (التوادد) و (التعاطف)¹. مع وجود فرق لطيف بينها كما ذهب إلى ذلك ابن أبي جمر². فالواو مع دلالتها على اتصال بين المتعاطفات الثلاثة دلّت في الوقت نفسه على انفصال من حيث تخالف معاني هذه الخلال، بإضافة معنى جديد بكل معلومة إضافية بكلّ عطْفٍ منها³.

فالواو أسهمت هنا في اتّساق النصّ من خلال الربط بين مجموع الكلمات في الجملة الواحدة، ممّا أعطى تكاملاً في الصورة، صورة المؤمنين المتحابّين المتراحمين المتعاطفين فيما بينهم.

أمّا الوصل الثاني فهو بواسطة أداة التشبيه (مثل)، حيث قامت بدورها كرابط وصلي ربطت المشبّه (المؤمنين) بالمشبّه به (الجسد) بكلّ أعضائه تشبيهاً مجملاً على مستوى الجملة الواحدة الممثّلة للمقطع الأول من النص، التشبيه الذي يدلّ في مفهومه على مشاركة شيءٍ لشيءٍ في معنى من المعاني، أو

¹ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 167/22.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص333.

³ ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 541/1-544. وعلم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، 262/1.

أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما¹، وهو رُبطٌ بين شيئين أو أكثر في صفةٍ من الصفات².

فَتَتِمُّ بواسطة هذه الأداة الوصلية (مثل) تحقيق الترابط بين لفظين أو صورتين أولاهما معنويّة (تراحم المؤمنين) وثانيهما حسّيّة (الجسد الواحد)، اتّساقٌ نصّيّ على مستوى المقطع الأوّل بجملته الوحيدة عن طريق هذا الوصل الإضافي، فضلاً على ما تركه من أثر دلالي وجمالي من ناحية أخرى، ذلك الأثر الذي ما كان له ليكون واضحاً من غير الانتقال إلى المقطع الثاني، حيثُ نجدُ تكملة الصورة البيانيّة في ركنها الرابع وجه الشبه، لأنّ المتلقّي من حقّه أن يطرح السؤال: كيف كان هذا الربط وهذا الجمع بين المؤمنين والجسد؟ وما علاقة هذه الصورة بتلك؟. هنا يتجسّد الترابط الدلالي بين مقطعي النص الأوّل والثاني ليكون بذلك وحدةً موضوعيّة تتكرّس أركانها باكتمال أركان التشبيه الأربعة.

حين نستقري المقطع الثاني من النص القائل فيه ﷺ: (إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) فإننا واجدون حضوراً لأدائي وصلٍ هما (إذا الشرطية) و (الواو العاطفة).

ف (إذا) الظرفية المتضمّنة معنى الشرط دخلت على جملة الشرط الفعلية (اشتكى عضوا) لتتبعها جملة جواب الشرط الفعلية المحسّنة للنتيجة (تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى).

¹ ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمان حسن جبّكه الميداني، دار القلم دمشق سوريا، الدار الشامية بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، 161/2.

² المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام نوال عكاوي، مر أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2، 1417هـ/1996م ص68. ص324.

إنّ هذه الأداة الشرطيّة قامت بدورها كواحدةٍ من أدوات الوصل، إذ عملت على تحقيق التماسك النصي بين كلّ من جُمْلتي الشرط والجواب، كونهما جملتين متلازمتين يتعلّق حدوث الثانية بحدوث الأولى، فالوصل وصلٌ سببيٌّ كما عرّفه محمد خطابي¹، لأنّه يُمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ومما دعم ذلك الارتباط أيضا مجانسة جواب الشرط لفعله في الماضي دليل آخر على هذه الصفات المحقّقة في المؤمنين لما فيه من إشعار بالمبادرة، وإسراع بالنجدة للاقتران الزمني بين الشكوى والتداعي²، فضلا على ربطه بين الجملتين على المستوى الخطّي، فجعل من المتوالية الجُمْلية الشرط والجواب مسارًا خطّيًا متماسكًا تُدرَك بواسطته مُكوّنات النص عامّةً، والمقطع خاصّةً كوحدة متماسكة³، بحيث شكّلت هذه البنية التركيبية المقطعية من النص على تماسكها بيانًا وتوضيحًا لذلك التمثيل البلاغي والتصوير الفني بمشابهة المؤمنين في وحدتهم بالجسد في تماسك أعضائه، قال الإمام الجوزي: « إنّما جعل المؤمنين كجسد واحد، لأنّ الإيمان يجمعهم كما يجمع الجسد الأعضاء، فلموضع اجتماع الأعضاء يتأدّى الكلُّ بتأدّي البعض، وكذلك أهل الإيمان يتأدّى بعضهم بتأدّي البعض »⁴. فتربط المؤمنين بوحدتهم، وتربط أعضاء الجسدِ بآملها وأملها حقّق في الجمل والمفردات اتّساقها وانسجامها .

أمّا أداة الوصل الثانية هي الواو العاطفة، التي جمعت بين المتعاطفين في قوله ﷺ: (السهر والحمى)، جمعٌ لأمرين يُعبّران على ألمٍ مشتركٍ وتعَبٍ مُضنٍّ تشعُر به جميع الأعضاء بألم عضوٍ واحدٍ منها، وفي

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص23.

² ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، ص161.

³ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 257/1-258.

⁴ كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، 212/2.

ذلك أيضاً إضافة معنى إلى معنى سابق له ليؤدّي هذا الوصل الإضافي إلى تشريك للمتعاطفين في الحكم المتكلم فيه ﷺ وهو (التداعي)¹، فتكون بذلك - الواو العاطفة - كعنصر جوهري و رابط وصلي مُحَقِّقَةً للاتّساق النصي على مستوى الجملة الواحدة جملة الجواب من المقطع الثاني من النص في سياق المتوالية الخطية القائمة على تسلسل المتعاطفين وارتباط الثاني منهما بالأول.

أضف إلى ذلك أنّ هذا الوصل الإضافي بواسطة الواو العاطفة يمكن حمله أيضاً على أنّه وصل سببي بناءً على الدلالة التي تحملها الواو زيادة على الجمع والتشريك بين المتعاطفين في الحكم، فهي قد جمعت بين المسبب والسبب، ذلك أنّ ما قبلها، أي المعطوف عليه (السهر) سبب فيما بعدها أي المعطوف (الحمى)، يقول ابن حجر العسقلاني: «أما السهر فلأنّ الأ لم يمنع النوم، وأما الحمى

فلأنّ فقد النوم يُثيرها»²، فهو باب عطف المسبب على السبب كما قال بذلك الشنواني³.

إذن فهذا النصّ الحديثي على قصر طوله، وإيجاز تراكيبه تميّز بكثافة دلالاته وجمالية صورته، كونه تمثيلاً صحيحاً، وتشبيهاً صريحاً، تمثيلاً بالصّور الماديّة الحسيّة المتحرّكة، ففيه تقريبٌ للفهم، وإظهار

¹ ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص222-223. ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، ص197. وموجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور، ص25.

² فتح الباري، العسقلاني، 561/10.

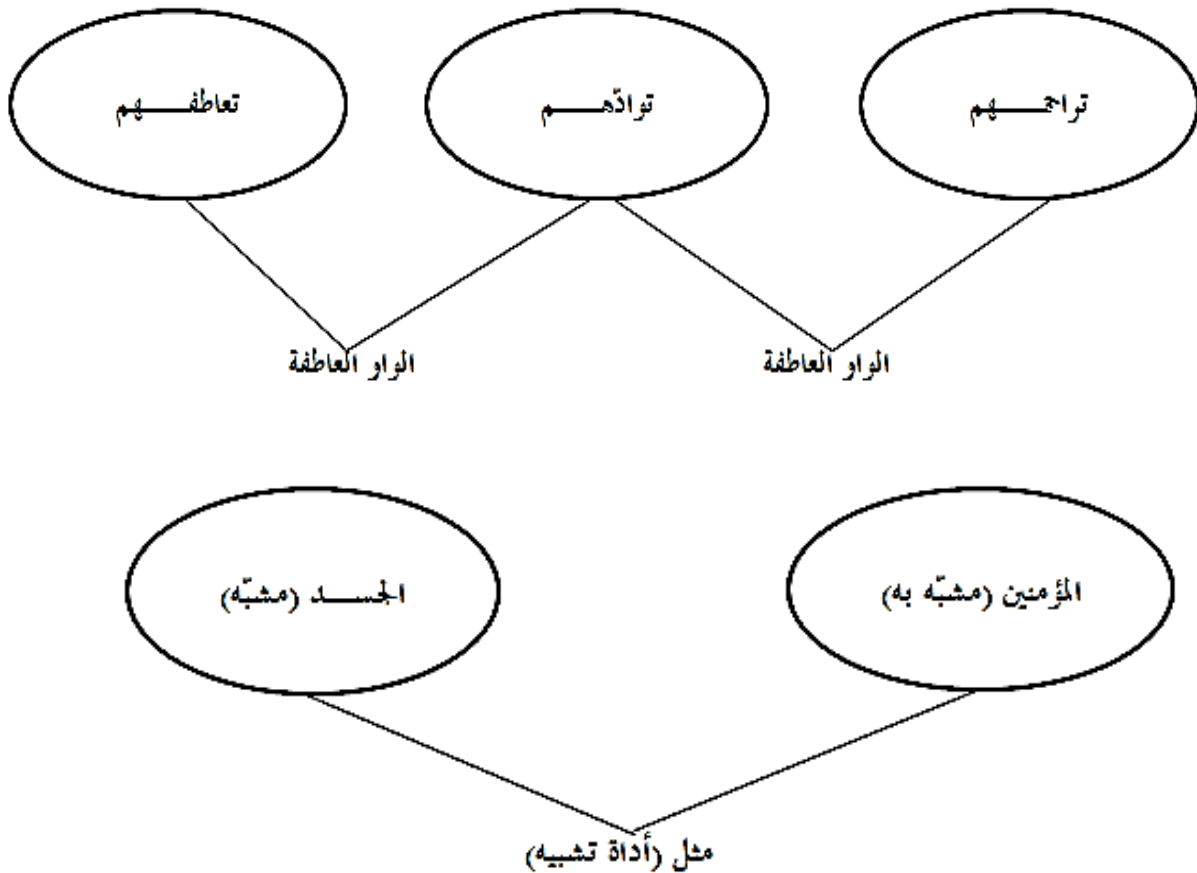
³ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص334.

للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين، وحضٌّ على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً¹، فهو أَوْفَعُ في النفس، وأدعى لرسوخ المشهد، وسرعة تصوُّره، وامتداد أثره والاهتمام به².

كُلُّ ذَلِكَ سَاهَمَتْ فِي تَحْقِيقِهِ جَمَلَةُ أَدَوَاتِ الْإِتْسَاقِ كَانَ مِنْ أَهْمِّهَا كَمَا ذَكَرْنَا وَبَيَّنَّا الْأَدَوَاتِ الْوَصْلِيَّةَ عَلَى تَوَزُّعِهَا فِي النَّصِّ، إِنَّ عَلَى مَسْتَوَى الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ أَوْ عَلَى مَسْتَوَى الْمَقْطَعِ الْوَاحِدِ، يَرْبُطُ الْمَفْرَدَاتِ أَوْ رِبْطَ الْجُمْلِ، وَهُوَ مَا نُوضِّحُهُ فِي الْمَخَطَّطَاتِ الْآتِيَةِ:

- في المقطع الأول:

● الترابط النصي للمتوالية اللفظية:

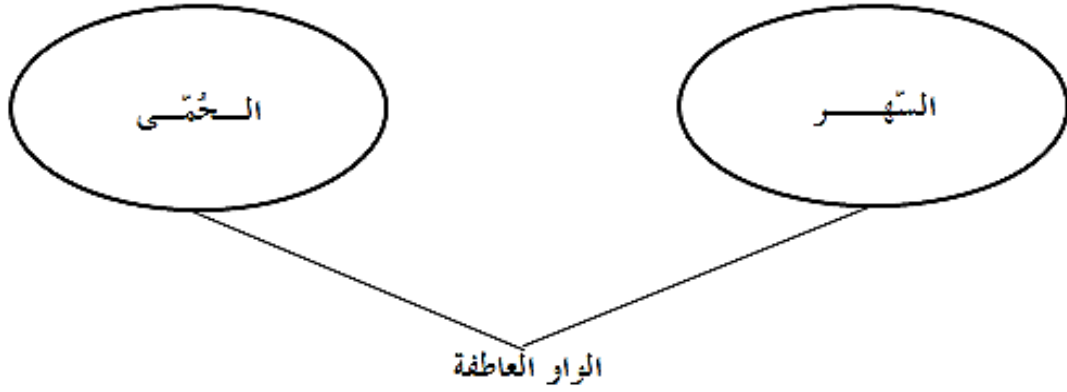


¹ فتح الباري، العسقلاني، 561/10.

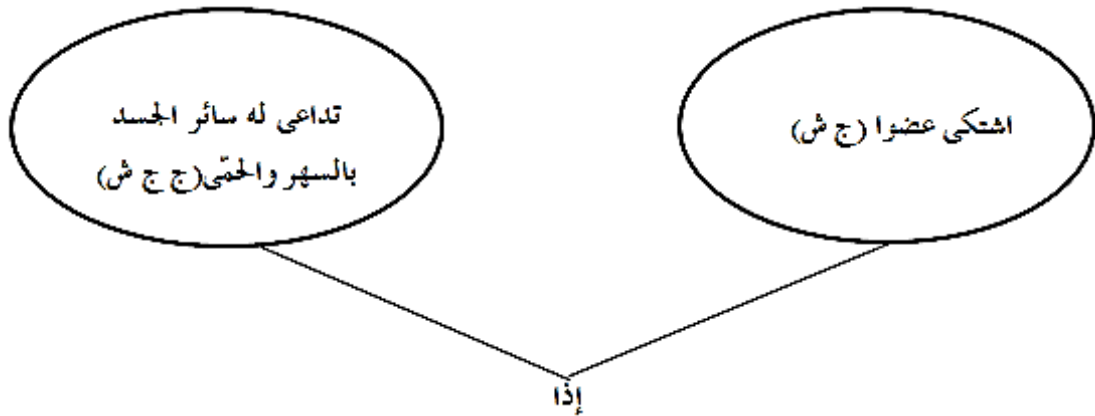
² ينظر: أدب الحديث النبوي، بكرى شيخ أمين، ص 145.

- المقطع الثاني:

- الترابط النصي للمتوالية اللفظية:



- الترابط النصي للمتوالية الجُمليّة:



ويمكنُ إجمالُ كلِّ صُورِ الوصلِ ودلالاتها في الجدول الآتي:

النص الجملة/المقطع/النص	طرفا الوصل المعطوفان	أداة الوصل	نوع الوصل	مستوى الوصل	فائدة الوصل وأثره
- ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم	تراحمهم/ توادهم/ تعاطفهم	الواو العاطفة	إضافي	تتابع لفظي (الجملة) المقطع(1)	- ربط المفردات والجمع بينهما على سبيل الاشتراك المعنوي

- ترى المؤمنين... كمثّل الجسد	المؤمنين/ الجسد	مثّل	إضافي	تتابع لفظي (الجملة) المقطع (1)	- ربط اللفظين الموصولين لعلاقة المشابهة بينهما
- إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى	جملتا الشرط والجواب	إذا	سببي	تتابع جملي المقطع (2)	- تماسك نصي بين جملي الشرط والجواب لتلازم حدوث الجواب بحدوث الشرط، واقتراحهما سببيا وزمنيا
- تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى	السهر/ الحمى	الواو العاطفة	إضافي/ سببي	تتابع لفظي (جملة) جواب (الشرط)	- ربط المتعاطفين وتشريك في الحكم بينهما وجمعهما جمع المسبب بالسبب

إنّ أهمّ ما نخلص إليه من دراسة في هذا الفصل هو:

- الوصل يعتبر المظهر الاتساقيّ الرابع والرابط النصي المختلف عن كلّ أنواع علاقات الاتساق، ذلك لأنّه لا يتضمّن إشارة موجهة نحو البحث عن العنصر المفترض في ما تقدّم، أو ما سيلحقه كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف. إذ لا يمكن إدراك النص كوحدة متماسكة من غير النظر إلى تلك العناصر الرابطة التي تصل بين أجزائه .

- الحضور المكثّف للروابط الوصلية في الحديث النبويّ لاسيما الوصل الإضافي بالفاء والواو ؛ فالوصل المحقّق للاتساق النصي فيه قد أدّى دوره على المستوى الجملي، أي على مستوى المتوالية الخطيّة

الجملية المشكّلة لبنية مقاطع النص، وهو ترتيب منطقيّ، وتعقيبٌ موضوعيّ أفادته كلٌّ من الواو و الفاء، بالتعبير عن جمع أو توالي حدثين أو خبرين أو أمرين أو نهيين أو توجيهين أو مجموعة منها على التوالي في النص الحديثي .

- كما تنوّعت صُورُ الوصل الحاضرة في الحديث النبويّ بين وصل إضافي، ووصل سببيّ بواسطة إذا الشرطيّة وربطه بين الشرط والجواب، والفعل والجزاء خاصّة أنّ الخطاب النبويّ يعمدُ فيه صلى الله عليه وسلّم إلى الترغيب والترهيب و الثواب والعقاب حصّاً للعباد على الخير، وتحذيراً من الشرّ، ووصلٌ زمنيّ ب (حتى) الابتدائية الدّالة على تتابع الأحداث بتتابعها الزمنيّ . ووصلٌ عكسيّ بواسطة لكنّ الاستدراكية لدلائها على مخالفة الموصول التابع للمعطوف عليه المتبوع السابق له، فمحمل هذه الروابط الوصلية فاعليتها واضحة، ودورها كبير في تحقيق تلاحم النص النبويّ .

الفصل الخامس: التكرار في أحاديث الكتاب

- توطئة:
- المبحث الأول: مفهوم التكرار وأصنافه
 - أولاً: مفهوم التكرار لغة واصطلاحاً
 - ثانياً: أنواع التكرار
 - ثالثاً: أثر التكرار في التماسك النصي
- المبحث الثاني: حضور التكرار في الحديث النبوي ودوره التركيبي و الدلالي
 - نصّ الحديث النبويّ وشرحه المجمل
 - صُور التكرار وأثره في الحديث النبويّ

- توطئة:

تعددت وسائل الاتساق النصي بين وسائل الربط النحوي كإحالة، والاستبدال، والوصل، والحذف، ووسائل الربط المعجمي كالتكرار، التكرار الذي يُعدُّ واحدًا من هذه الوسائل وأداة نصية فاعلة تعمل على تحقيق التماسك في بنية النص.

فالربط المعجمي الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر، ويقوم على مستوى المعجم (Lexis)، فيحدث الربط بواسطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية، حيث تتحرك العناصر المعجمية على نحوٍ منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنص وتكوينه، كما تقدّم على نحوٍ متكرر معلومات تتصل بتفسير العناصر المعجمية الأخرى المرتبطة بها، ممّا يُسهّم في الفهم المتواصل للنص عند سماعه أو قراءته¹، هذا الربط المعجمي الذي يُعدُّ فيه التكرار أحد وسائله المحققة له.

إنّ التكرار من الظواهر التي تتسم بها اللغات عامة، واللغة العربية خاصة، ولا يتحقق التكرار على مستوى واحد ؛ بل على مستوياتٍ متعددة، كتكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص².

ولقد حظي التكرار باهتمام العلماء من لغويين وبلاغيين ونصائيين، عالجوه كظاهرة من أبعاد مختلفة، ورؤى متباينة تلتقي حيناً، وتتباعده حيناً آخر، وثمة مفارقات بين البلاغيين العرب، وعلماء لغة النص في دراسته، فلقد غُولج عند البلاغيين العرب من منظورٍ بلاغيٍّ صرفٍ، فكان التركيز عندهم

¹ علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص105.

² علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 17/2.

على الكلام الأدبي والشعري خاصة، وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي، بينما عُولج عند علماء لغة النص من منظور لساني صرفٍ، ومن ثمّ شملت النصوص بمختلف أنواعها، إضافةً إلى سيطرة الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية خاصة مرحلة التقعيد، بينما سيطرت على علماء لغة النص الغاية الوصفية التشخيصية¹.

وإذا كان التكرار يقومُ بدورٍ أساسيٍّ في التماسك النصي في اللغة العربية بوجه عام، فإن أهميته تبدو أكثر في تماسك النص القرآني الذي يمثل أعلى وأرقى مستوى فصاحة وبلاغة في سائر النصوص².

ولما كانت له هذه الأهمية كان أيضاً أثره كبيراً، ودوره فاعلاً في الخطاب النبوي الصادر عنه صلى الله عليه وسلم، المتمثل والمتجلي في نص الحديث النبوي، الحديث النبوي الذي يمثل نموذجاً سامياً فريداً للكلام العربي البليغ، ويعتبر ذروة ما انتهى إليه كلام العرب بلاغةً وروعةً وإشراقاً، خلا من التكلف المسجوع، والحوشي الثقيل، يتنزّه عن الاختصار مع الحاجة، والتطويل بدون طائل³.

ونظراً للمكانة التي يحظى بها الحديث النبوي ضمن سائر النصوص العربية بعد كلام الله ارتأينا في هذا الفصل الخامس والأخير دراسة "التكرار" باعتباره أداة اتساقية في نص الحديث النبوي، وهذا من خلال الوقوف على مفهوم التكرار عند القدامى والمحدثين، علماء اللغة والبلاغة والتفسير والنص، عرباً وعَرَبِيَّين، إضافةً إلى النظر في صوره المختلفة، والعمل على الكشف على مدى حضوره -

¹ ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، د ط، 1998م، ص 85-86.

² ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، ص 139.

³ ينظر: في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 1432هـ/2011م، ص 46-47.

التكرار - في النصّ الحديثي، وما له مِنْ دَوْرٍ فَاعِلٍ في تحقيق التلاحُم بين مُكوّناته والاتّساق في بنيته، والانسجام في دلّالته، والتوجيه في أَحْكَامِهِ والتبليغ في مقاصِدِهِ.

المبحث الأول: مفهوم التكرار وأنواعه

- أولاً: مفهوم التكرار (Récurrence)

- لغة:

جاء في لسان العرب: كَرَّرَ، الكَرُّ: الرجوع. يقال: كَرَّرَهُ وَكَرَّرَ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، والكَرُّ: مصدر كَرَّرَ عليه يَكْرُرُ كَرًّا وَكَرُورًا وتكرارًا. عطف وَكَرَّرَ عنه: رجع. وَكَرَّرَهُ: أعاده مرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . والكثرة المَرَّة. ويقال: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الحديث وَكَرَّرْتُهُ إِذَا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ، والكَرُّ الرجوع على الشيء. ومنه التكرار: والكَرَّةُ: البَعْثُ وتحديد الخلق بعد الفناء، والكَرُّ: ما ضَمَّ ظِلْفَتَي الرَّحْلِ وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا، وهو الأديم الذي تدخل فيه الظلِّفات مِنَ الرَّحْلِ، والجمع أَكْرَارٌ¹.

وفي القاموس المحيط: كَرَّرَ عليه كَرًّا وَكَرُورًا وتكرارًا: عطف، ومنه: رجع فهو كَرَّارٌ، وَمَكْرَرٌ بكسر الميم وَكَرَّرَهُ تَكْرِيرًا وَتَكَرَّرًا وَتَكَرَّرَ، والكَرُّ: قَيْدٌ مِنْ لِيْفٍ أَوْ خَوْصٍ، وَحَبْلٌ يَصْعَدُ بِهِ عَلَى النَخْلِ، أَوْ الْحَبْلُ الغليظ².

وَكَرَّرَ فَلَانُ الشَّيْءَ دَفْعَهُ وَرَدَّهُ، وَالشَّيْءَ أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَجَمَعَهُ . وَيُقَالُ: كَرَّرت الرِّيحُ السحابَ: جَمَعَتْهُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ وَضَمَّتْهُ³.

وعَرَّفَهُ الشريف الجرجاني: عبارة عن الإتيان بشيءٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى⁴.

¹ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 95-94/12.

² ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 606-607، باب الراء فصل الكاف.

³ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص 835.

⁴ التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 48.

فكلمة التكرار، أو التكرير تدور لغة حول معاني أهمها: الرجوع، العطف، إعادة الشيء مرّة بعد أخرى، البعث وتجديد الخلق، والضمّ والجمع، والقيّد، والدفع والردّ.

فهذه المعاني اللغويّة للتكرار ترتبط بمفهومه الاصطلاحي لاسيما عند علماء النصّ، فقد وضح صبحي إبراهيم الفقي أنّ من معانيه الرجوع، بالرجوع إلى ما سبق ذكره في النص بتكراره مرّة أخرى، ومن معانيه أيضاً: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء إحياء لما سبق ذكره من كلمات أو جمل متتالية بعد أن كاد يُنسى، فيكرّره المتكلّم ليذكّر المستمع، ويبعث الجملة ويجددها، إضافة إلى ما يدلّ عليه من ضمّ وجمع بين شيئين دلالة على معاني التماسك بين المتباعدين¹.

- اصطلاحاً:

حظي التكرار كظاهرة لغويّة باهتمام العلماء لغويّين وبلاغيّين ونحاة ونصائيّين قدماء ومحدثين في التراث العربيّ، وفي الدراسات اللغويّة واللسانيّة الحديثة على اختلاف وجهّة دراساتهم وتعريفاتهم، فإذا كان التكرار عند البلاغيّين مرتبطاً بخصائص أسلوبية وجمالية ضرب من ضروب الإطناب، وما يتركّز من أثر دلاليّ وأسلوبيّ، فهو عند النحاة مرتبط بالتوكيد اللفظي في بعض صوره، وهو عند النصائيّين مرتبط بالتماسك النصي وقيّمته في تحقيق الترابط بين مكّونات النص واتّساق بنيته².

¹ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 18/2.

² ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص 84-85. والمعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، ص 144-147.

- عند ابن الأثير:

دلالة اللفظ على المعنى مردّدًا، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإنّ المعنى مردّد واللفظ واحد. ومنه ما يأتي لفائدة، ومنه ما يأتي لغير فائدة، فالذي يأتي لفائدة هو جزء من الإطناب، وهو أخص منه، وعليه فكلُّ تكرير يأتي لفائدة هو إطناب، وليس كلّ إطناب تكريرًا يأتي لفائدة¹.

- السيوطي:

عدّ التكرير النوع الرابع من أنواع الإطناب، وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، وله فوائد كالتهليل، والتأكيد، وغيرها².

- صبحي إبراهيم الفقي:

التكرار هو إعادة لفظ أو عبارة، أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمّها التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة³.

- عزة شبل محمد:

يقصد بالتكرار الإعادة المباشرة للكلمات، فتستمرّ بالإشارة إلى الكيان ذاته في عالم النص، وعندئذ يتدعم ثبات النص بواسطة هذا الاستمرار الواضح فيخلق تعدّد التكرار أساسًا مشتركًا بين الجمل ممّا يُسهّل في وحدة النصّ وتماسكه⁴.

¹ ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، 345/2.

² ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ص 391-395.

³ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الفقي، 20/2.

⁴ ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 105.

- أحمد عزت يونس:

التكرار من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط اللفظي، وتبدو هذه العلاقة واضحة أكثر في تكرار القصص النبوي في القرآن الكريم نظرًا لتكرّر القصص الخاص بالأنبياء هو الذي يتكرّر ذكره في الغالب مقارنةً بغيره من القصص الأخرى لما فيه من دورٍ في تحقيق التماسك، والترابط النصي بين وحدات النص القرآني¹.

- الأزهر الزناد:

عدّ التكرار نوعًا من أنواع الإحالة القبليّة العائدة على (مفسّر) سابق التلقّط به، فيقول: « وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النص قصّد التأكيد، وهو الإحالة التكراريّة (Epanaphora)، وتمثّل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورًا في الكلام»².

- هالداي ورقية حسن:

التكرار هو شكّل من أشكال الاتّساق المعجمي يتطلّب إعادة عنصرٍ معجمي أو وُرد مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصرًا مطلقًا أو اسمًا عامًّا وقد ضربًا لذلك مثالاً يوضّح تلك الإحالات:

شرعت في الصعود إلى القمة

$\left[\begin{array}{l} \text{الصعود} \\ - \text{التسلق} \\ - \text{العمل} \\ - \text{الشيء} \end{array} \right]$	سهل للغاية
--	------------

¹ ينظر: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية القاهرة مصر، د ط ، د ت، ص 279.

² نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، ص 119.

فَ (الصعودُ) إعادةُ الكلمة نفسها، و(التسلُّق) مرادفٌ لها، و(العملُ) اسمٌ مطلقٌ، و(الشيءُ) كلمةٌ عامَّةٌ تُندرجُ تحتها (الصعود)¹.

- دي بوجراند:

يُطلقُ مصطلح التكرار على الإعادة المباشرة للعناصر، وذلك لأنَّ الواقعة الأصليَّة تقع مرَّةً أخرى دون أيِّ إضافاتٍ، ويقعُّ التكرار في مستوياتٍ مختلفةٍ². وتُعَدُّ إعادةُ اللَّفظ في العبارات السطحيَّة التي تتَّجِدُ محتوياتها المفهوميَّة وإحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام في مقابل المواقف الشكليَّة³.

- كلاوس برينكر:

أطلقَ على التكرار لفظ "الإعادة"، إعادة صريحة، وإعادة ضمنيَّة، فالإعادة الصريحة تكمن في تطابق الإحالة لتعبيرات لغويَّة معيَّنة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذ يُكرَّرُ تعبيرٌ مُعيَّنٌ (كلمة أو ضميمة مثلاً) من خلال تعبير أو عدَّة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة مطابقة إحالية*⁴. أمَّا الإعادة الضمنيَّة على النقيض من الإعادة الصريحة بأنَّه لا توجد بين التعبير المُستأنَف والتعبير

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 24-25.

² ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند، دريسلر، إلهام أبو غزالة، علي خليل الحمد، ص 81.

³ ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 303.

*المطابقة الإحالية أو التحاول: الإحالة المشتركة بين التعبيرين التعبير المرجع والتعبير المستأنَف.

⁴ ينظر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر تر: سعيد حسن بحيري، ص 38 ولسانيات النص عرض تأسيس، كريستن آدمستيك، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، ط 1، 2009م ص 292-293.

المستأنف (التعبير المرجع)، أي مطابقة إحيائية، فكلا التعبيرين يستند إلى أصحاب إحالة مختلفين، لكن بين هذه الأشياء تُوجد علاقاتٌ محدّدة كعلاقة الجزء، أو علاقة الاشتمال¹.

هذه بعض التعريفات التي عُولجَ فيها التكرار باعتباراتٍ عديدةٍ تلتقي في بعض المواضع، وتختلف في مواضعٍ أخرى معالجهً من منظورِ البلاغيين العرب بالتركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصة، وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي، ومعالجة عند علماء لغة النص من منظور اللسانيين على مستوى الجملة إلى مستوى الجُمْل والفقرة والنص بتمامه².

لكن مع هذه الرؤى والتعاريف فإنه لا يُعَدُّ حينَ دراستنا النصية لمفهوم التكرار ودوره في الترابط النصي من أن يتلاقى التحليل النصي للحديث النبوي انطلاقاً من الروابط التكرارية مع الوقوف على الدلالات البلاغية، والجماليات الأسلوبية، والأبعاد الشرعية التي يَحْمِلُها التكرار في البنية النصية للحديث النبوي.

ثانياً: أنواع التكرار

نظراً للاهتمام الكبير الذي حظي به التكرار عند علماء اللغة من بلاغيين ومفسرين ونصائين قدماء ومحدثين، فإنهم فصلوا البحث في أنواعه، فتعددت اعتبارات تصنيفهم له.

فنجِدُ من القدماء ابن الأثير إذ اعتبر التكرار نوعين: تكرير في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ³. وهو التصنيف نفسه الذي نجدُه عند التنوخي لكن زادَ عليه صنفاً ثالثاً هو تكرير

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 49 ولسانيات النص عرض تأسيس، ص 294.

² ينظر: البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص 84-85-86.

³ ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، 3/3.

اللفظ دون المعنى¹. وهو في أحد وجوهه يعني المشترك اللفظي، ولا يبعُد السجلُماسي في تصنيفه أيضًا عن سابقه، فقد صَنَّف التكرار صنفين: تكرير لفظي (المشاكلة) وهو إعادة اللفظ، وتكرير معنوي (المناسبة) وهو إعادة المعنى².

أما من المحدثين فنجد صبحي إبراهيم الفقي قد وقفَ على أربعة أصنافٍ للتكرار في دراساته للنص القرآني: تكرارٌ باللفظ والمعنى للكلمة والعبارة والجملة والآية - تكرارٌ دلاليٌّ ناتجٌ عن وحدة الهدف - ردّ العجز على الصدر - الجمل التفسيرية³.

وَبَجْدُ عند عزة شبل محمد أربعة أصناف: التكرار المباشر - التكرار الجزئي - الاشتراك اللفظي - الترادف⁴.

أما أحمد عفيفي فعنده تتنوعُ صُورُ الرّوابط التكرارية إلى ستّ صُورٍ:

أ- التكرار المحض (التكرار الكلّي)، وهو نوعان: التكرار مع وحدة المرجع، وتكرارٌ مع اختلاف المرجع. ب- التكرار الجزئي. ج- المرادف. د- شبه التكرار. هـ- تكرار لفظ الجملة. و- التضام⁵. نلِفِتْ هُنا إلى الصورة السادسة (التضام) التي عدّها ضِمن صُور التكرار، وقد خَصَّها بالتحليل

¹ ينظر: الأقصى القريب في علم البيان، التنوخي، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1327هـ، ص90-92.

² ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلُماسي، تق وتحت علال الغازي، مكتبة المعارف الرباط المغرب، ط1، 1401هـ-1980م، ص476-477.

³ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 58/2.

⁴ علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص141.

⁵ ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص106-107.

والدراسة في حين أنّها تُمثّل قسمًا ثانيًا مستقلًّا مِنْ أقسام الاتّساق المعجمي¹. فيبْدُو في هذا شيءٌ من الخلط والتداخل المفهومي بين الأدوات النصّية عنده.

أمّا جميل عبد المجيد فقد رَصَدَ جميعَ صُور وأنماط التكرار في البديع، وقد أجمَلَهَا في شكلين، الأول يَبْدَأُ من البلاغة العربية إلى اللسانيات النصّية، والثاني يَبْدَأُ من اللسانيات النصّية إلى البلاغة العربية². فَمِنْ صُور التكرار في اللسانيات النصّية: التكرار المحض للعنصر المعجمي نفسه - التكرار الجزئي للعنصر المعجمي نفسه - التكرار الصوتي (سبك نحوي) - الترادف أو شبه الترادف - الاسم الشامل³.

أمّا النصابيون الغربيون فنجد عند "هالداي" و"رقية حسن" التكرار أربعة أنواع: إعادة عنصر معجمي نفسه - التكرار بالترادف أو شبه الترادف - التكرار بالاسم الشامل - التكرار بالاسم العام⁴.

أمّا دي بوجراند و دريسلر نجدهما قد فَرَّقَا بين نوعين من التكرار: تكرار لفظي، وهو إعادة الكلمات أو التعبيرات نَفْسِهَا بالدلالة نَفْسِهَا أو بدلالة أخرى، ومنهُ أيضًا استعمال المكوّنات الأساسيّة للكلمة مع نقلها إلى فئة كلماتٍ أخرى، وتكرارٌ معنويٌّ وهو إعادة الصياغة بِتَكَرُّر المحتوى مع تغييرٍ في التعبير⁵.

¹ المصدر السابق، ص112-114.

² ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية، جميل عبد المجيد، ص102.

³ المصدر نفسه، ص102-104.

⁴ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص24-25.

⁵ ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند و دريسلر و إلهام أبو غزالة و علي خليل الحمد، ص81-88.

وَنَجِدُ كَلَاوُسَ بَرِينَكِرَ قَدْ صَنَّفَ التَّكْرَارَ كَمَا سَبَقَ وَأَنْ ذَكَرْنَا صَنْفَيْنِ: إِعَادَةَ صَرِيحَةً، وَتُقَابُلَهَا إِعَادَةً ضَمْنِيَّةً، وَتَصْنِيفُهُ هَذَا بِاعْتِبَارِ وُجُودِ الْمَطَابَقَةِ الْإِحَالِيَّةِ بَيْنَ التَّعْبِيرِ الْمَرْجِعِ وَالتَّعْبِيرِ الْمُسْتَأْنَفِ¹.

هذه هي أْبْرُرُ مَا يُمَكِّنُ اعْتِبَارَهُ مِنْ تَصْنِيفَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ سِوَاءَ عِنْدَ اللُّغَوِيِّينَ الْقَدَمَاءِ أَوْ الْمَحْدَثِينَ سِوَاءَ مَا تَقَارَبَ مِنْهَا فِي الْمَصْطَلَحِ وَالْمَفْهُومِ، أَوْ مَا تَبَاعَدَ مِنْهَا .

فَبِالنَّظَرِ إِلَى جَمِيعِ هَذِهِ الِاعْتِبَارَاتِ نَرَى أَنَّ التَّرْكِيزَ عَلَى اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى هُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي رُوعِيَ أَكْثَرَ مَنْ غَيْرِهِ عَلَى الْأَقْلَى فِي مَا عَرَضْنَاهُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّكْرَارِ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ أَوْ النُّحَاةِ أَوْ النِّصَائِيِّينَ أَوْ الْمَفْسَّرِينَ.

مِنْ هُنَا يُمْكِنُ أَنْ نَعْتَبِرَ أَنَّ التَّكْرَارَ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ:

1- تَكَرَّرَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى 2- تَكَرَّرَ اللَّفْظُ دُونَ الْمَعْنَى 3- تَكَرَّرَ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ.

1- تَكَرَّرَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى:

يُقْصَدُ بِهِ تَكَرَّرَ الْكَلِمَاتِ فِي النَّصِّ دُونَ تَغْيِيرٍ مَعَ اخْتِفَازِ الْكَلِمَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ بِالْمَدْلُولِ نَفْسِهِ، أَيْ إِعَادَةُ أَغْيَانِ الْأَلْفَازِ أَوْ الْجُمْلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾²، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾³. وَهُوَ (تَكَرَّرَ كَلِّي). أَوْ مَا يَحْدُثُ فِيهَا تَغْيِيرٌ جُزْئِيٌّ فِي الصِّيغَةِ مَعَ الْإِحْتِفَازِ بِالْجَذْرِ اللَّغَوِيِّ وَقَدْ سَمَّاهُ عِزَّةُ شَبَلٍ مُحَمَّدٌ (التَّكْرَارَ الْجُزْئِيَّ)⁴. مِمَّا يَعْنِي اسْتِمْرَارَ

¹ ينظر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، تر: سعيد حسن بحيري، ص38-55.

² المؤمنون: 36.

³ النبأ: 4-5.

⁴ ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص106-107 والمعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، ص159-161.

الإشارة إلى العنصر المعجمي داخل النص، ممّا يُؤكِّد استمرارية المعنى وترباط النص¹. وهو قد يكون في مفردة واحدة، وقد يكون بعدّة مفرداتٍ منتظمةٍ في جملة². ومثاله: (ينفصل، انفصال) و (يحكم، حكم، حُكَّام، حكومة).

2- تكرار اللفظ دون المعنى:

وهو الاشتراك اللفظي، ويعني الاتفاق في الحروف والاختلاف في المعنى بين كلمتين أو أكثر، ويتميّز هذا الشّكل من أشكال التكرار بعدم وُقوعه في إطار الجملة الواحدة، وإنّما يختصّ بالربط بين جملتين أو بيتين أو آيتين أو أكثر من ذلك³. ومثاله قول أبي منصور الثعالبي:

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا * فَأَنْفِ الْبَلَابِلِ بِأَحْسَاءِ بَلَابِلِ

لأنّ الأوّل جمعٌ بُلْبُل وهو الطائر المعروف، والثاني جمعٌ بَلْبَال وهو الهمّ يختلج في الضمير، والثالث جمعٌ بُلْبُلَة الإبريق يشرب منه الخمر فأطلق اسمها على الخمر، وهذا من مליح التجنيس على قول التنوخي⁴.

3- تكرار المعنى دون اللفظ:

وهو ما يسمّى التكرار بالترادف أو شبه الترادف، ويقصد بالترادف اتفاق اللفظين في المعنى واختلافهما في الشكل، ويتضح الترادف أكثر بين اللفظين إذا استعملوا في كثير من السياقات

¹ ينظر: في لسانيات النص، أيمن محمود موسى، ص 66-67.

² ينظر: إشكالات النص المداخلة أنموذجا دراسة لسانية نصية، جمعان بن عبد الكريم، ص 363.

³ ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 147-148.

⁴ الأقصى القريب في علم البيان، التنوخي، ص 91.

المختلفة بالمعنى نفسه لكن مع اختلافات طفيفة في تفاصيل المعنى الدقيقة، وفي تلويناته المكتسبة من السياق أو العرف أو رحلة اللفظ في الزمن والمكان¹.

ويقع الترادف داخل الجملة الواحدة وعندئذ يكون مدى الربط قصيرا نسبيا مثل: (أَحَلْتُ الْعَيْنَ عَلَى جَدْوَلٍ أَوْ نَهْرٍ)، وَقَدْ يَقَعُ بَيْنَ جَمَلَتَيْنِ، فعندئذ يكون مدى الربط طويلاً نسبياً مثل: (ابْتَدَرَ الشَّيْخُ فَقَالَ: خَبِرْ ذَائِعَ، وَحَدِيثَ شَائِعَ)، (إِنْ تَرِنِي وَقَدْ نَفَذَ زَادِي، وَصَفَرَ مَزَادِي)، فهذا النوع من التكرار يسهم في تعالق المعاني وبناء موضوع النص، وهو أيضاً وسيلة من وسائل الربط المعجمي يُسَهِّمُ فِي صُنْعِ وَسَائِلٍ أُخْرَى لِلتَّماسك داخل النص متمثلة في الروابط الصوتية: السجع، والجناس، والتوازي التركيبي².

أما شبه الترادف، فالمقصود به تكرار المعنى مع وجود فروق بين المعنيين في دلالة اللفظ، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾³، ففيل البث هو تفرق الحزن وعدم كتمانته من قولك (بثتك ما في قلبي) أي أعلمتك إياه. أما (الحزن) فهو غلظ الهم وكتمانته⁴.

ثالثاً - أثر التكرار في التماسك النصي:

للتكرار فوائد جلية، وآثار عديدة، وأبعاد دلالية وأسلوبية ونصية على مستوى الألفاظ أو التراكيب، ويمكننا التركيز على أهم ما يُفيدُه التكرار باعتباره واحداً من أدوات الاتساق النصي و تتمثل فيما يأتي:

¹ ينظر: إشكالات النص المداحلة أمودجا دراسة لسانية نصية، جمعان بن عبد الكريم، ص363.

² ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص149-152.

³ يوسف: 86.

⁴ ينظر: مقال "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الخطابة النبوية نموذجاً"، نادية رمضان النجار، مجلة علوم اللغة، مج9، ع2، 2002م، ص337.

1- يُسهمُ التكرار في ربط عناصر النص المتباعدة، وتحقيق استمراريته، وتلاحم عناصره وذلك من خلال امتداد عنصرٍ لغويٍّ من أول النص إلى آخره، هذا العنصر قد يكون كلمةً أو عبارةً أو جملةً أو فقرةً، هذا الامتداد يربط أجزاء النص بعضها ببعض، ويصنع فيه نوعاً من التماسك الخاصّ وضرباً من انسجام الخطاب فيه¹، وهو يهدف إلى تدعيم التماسك النصي، وتحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكوّنة للنص².

2- في التكرار شدّ انتباه المتلقي، وتكثيف الدلالة وتكوين النصّ بمعانٍ عديدة³.

3- سلسلة الكلمات المتكررة بين الجُمْل تُسهمُ في الرّبط بين المحتوى القضويّ للجمل في أجزاء مختلفة من النص، كما يسهم في تحديد القضية الأساسية في النصّ بالتأكيد على محتوى معيّن، أو بتكرار الكلمات المفاتيح.

4- يُعدُّ التكرار أحد العوامل المرتبطة بالقدرة على الفهم، فالفهم يكون أسرع في حالة استخدام التكرار بنفس الألفاظ⁴.

5- يشكّل التكرار الجزئي سلاسل من التكرار، فيُحدثُ إيقاعاً صوتياً متكرراً ومنظماً ممّا يزيدُ الرّبط بين الجُمْل، خاصّةً مع وجود التوازي التركيبيّ، كما يُضفي على النص طابع التنوّع، وينفي عنه الرتابة⁵.

¹ ينظر: في لسانيات النص، أيمن محمود موسى، ص 67-68. وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 21/2.

² علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 21/2.

³ نحو النص، أحمد عفيفي، ص 107-108، وعلم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 143.

⁴ ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 105.

⁵ المصدر نفسه، ص 145.

6- التكرار يشير إلى الخصوصية اللغوية للنص، إذ يعكس مهارة الكاتب في توظيف حصيلته اللغوية داخل النص وثقافته، إضافة إلى دوره في إدخال الغريب في النص سواءً على مستوى المعنى نحو التكرار في (الأرجاف، رجفة، الرجاف)، (صدع، الصديق)، أو على مستوى الاشتقاق نحو (دار، ديار)، (حاول، حويلا)، (راع، رائع)¹.

7- يُسهم التكرار في تحقيق الوظيفة الإقناعية في النصوص الحجاجية، كما يسهم في تناسق المقاطع، والجمال المتجاورة، وتحقيق نصيتها، إضافة إلى ذلك فتكرار المتواليات اللفظية والتركيبية يُحقق لمسة عاطفية وجدانية في النص، ممّا يجعل لدى المتلقي قدرةً على التأويل والتأمل بشكلٍ جدّ فعّالٍ، وهذا ضربٌ من ضروب الانسجام الوجداني بين النصّ والمتلقي².

8- يهدف التكرار إلى تدعيم التماسك النصي، ويُوظف من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكوّنة للنص، ويُشيرُ د صلاح فضل شرطاً أساسياً حتى يقوم التكرار بهذه الوظيفة، وهو أن يكون لهذا الملمح المكرّر نسبةً وزودٍ عاليةً في النص تجعله يميّز عن نظائره، وأن يُساعدنا رضده على فكّ شفرة النص، وإدراك كيفية أدائه لدلالته³.

9- من معاني التكرار إضافة معنى جديد إلى المكرّر، وهو أبلغ من التوكيد في القرآن الكريم، كما يذهب إلى ذلك الزركشي لأنّ التأكيد يُقرّر إرادة معنى الأول وعدم التجوّز، ولكن التكرير يضيف معنى جديداً إلى المكرّر، ففي قوله تعالى تكرر: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا

¹ المصدر السابق، ص 147-148.

² ينظر: مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، ص 122-123.

³ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 21/2-22.

أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١﴾، فيحتمل أن يكون هذا من قبيل التأسيس، ويحتمل أن يكون من قبيل التوكيد.²

10- للتكرير في تعامل المفسرين وظائف مختلفة فضلاً عن كونه وسيلةً بها ترتبط أجزاء الخطاب بعضها ببعض، فله وظيفة تداوليةٌ مُعَبِّرٌ عنها بالاهتمام بالخطاب، أي لفتُ أَسْمَاعِ المتلقين لأهمية الكلام وعدم إغفاله.³

11- من غايات التكرار عند دي بوجراند و دريسلر أنه يُسْتَعْمَلُ بوضوحٍ من أجل تقرير وجهة نظرٍ معيّنة، وتوكيدها في نصٍّ ما، كما يُسْتَعْمَلُ للتعبير عن الدهشة من وقائع قد تبدو متضاربة مع وجهة نظرٍ مُسْتَقْبَلِ النص، ومثاله واضحٌ في الحوار الآتي:

- حسين: (متعجلاً) أنت ساخط ولا ريب.

- حضور: ساخط؟

- حسين: نعم لا بدّ أن تكونَ ساخطاً، والوضّح في الحقيقة مُسَخِطٌ.

فهنا تجنّب حضور بسؤال رجل المباحث له عن السخط (المؤكّد)، وهو يُعيدُ كلمة (ساخط) وكأنّه لم يسمّعها هي نفسها، في حين يُعيدُ حسين رجل المباحث الكلمة ذاتها لتوكيد وجهة نظره الخاصّة التي أدهشت حضوراً.⁴

¹ الانقطاع: 17-18.

² ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، ص 148-149.

³ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 179.

⁴ ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند، دريسلر، إلهام أبو غزالة، علي خليل الحمد، ص 82-83.

12- كما يُستعملُ التكرار أيضًا فيما يُعرِّفه هالداي ورقية حسن لرفض مادة ذُكرت صراحةً أو

ضمنًا في مقال سابق¹، كذلك قد يجد المرء عاملًا سياقيًا آخر لحديثه يستدعي التكرار هو الحاجة إلى

التغلب على مقاطعة شخص آخر لحديثه بكلامٍ غير ذي صلة، وإلى متابعة إنتاجه للنص².

13- للتكرار أثره الحسن من حيث المعاني والأفكار، ومن حيث المباني والألفاظ، فمن حيث المعاني

ما كان وثيقًا بالارتباط بالمعنى، إمّا بتوكيده، أو توضيحه، أو تقويته، أو استغراق تفاصيله وأجزائه،

وأما من حيث المباني فيُعَدُّ فيه التكرار ركنًا أساسيًا من أركان الرنين والانسجام في الشعر، فضلًا عمّا

يُضفيهِ التكرار من العناية والدعوة إلى الاهتمام به، والتنبيه عليه « فَأَثَرُ التَّكَرُّارِ رَاجِعٌ إِلَى أَنَّهُ يَزِيدُ

الشَّيْءَ الْمَكْرَّرَ تَمَيُّزًا مِنْ غَيْرِهِ، فَالْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَقَعُ نَظْرِي عَلَيْهِمْ كَثِيرًا يَزْدَادُونَ وَضُوحًا فِي إِدْرَاكِ

وَتَصْبِحُ صُورُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الصَّبْغَةِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي تَسْتَأْثِرُ بِذَاكَرَتِي، وَكَذَلِكَ الْأَقْوَالُ، وَلِهَذَا كَانَ التَّكَرُّارُ وَالْإِلْحَاحُ

فِي التَّكْرِيرِ هُوَ الرِّكْنُ الْأَسَاسِيُّ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ فَنُّ الدَّعَايَةِ»³.

14- ذكر البلاغيون والمفسرون فوائد كثيرةً للتكرار نذكر منها:

• ما ذكره ابن الأثير من أنّ التكرار يأتي في الكلام تأكيدًا له، وتشديدًا من أمره وللدلالة على

العناية بالشيء الذي كرّرت فيه كلامك، إمّا مبالغةً في مدحه أو في ذمه، أو لتقرير المعنى وإثباته⁴.

¹ المصدر السابق، ص 83.

² المصدر نفسه، ص 83.

³ مقال: "التكرار في الحديث النبوي الشريف"، د أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، مج 26، ع 1+2، 2010، ص 78.

⁴ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، 6/3-31.

• ذكر السيوطي من فوائد التكرير التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ، ومنها التأكيد، ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنها أيضًا إذا طال الكلام، وخشي تناسي الأول أُعيدَ ثانيه تطريةً له، وتجديدًا لِعَهْدِهِ¹.

15- من المعاني التي يُفيدُها التكرار الاستقصاء والاستيعاب كقوله: (مشيت المدينة شبرًا شبرًا وتعرَّفْتُ أعلامها علمًا علمًا). ويفيد أيضًا التنويه بشأن المتحدِّث عنه أو النيل منه كقولهم (الكریم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)، ويُفيدُ المبالغة في التوجُّع والتحسُّر. كما يُفيدُ أيضًا وَصْلَ الكلام حيثُ يُكَرَّرُ مَا قَدْ بَعْدَ لَفْظٍ يَجِيءُ الكلام مبتورًا لا طلاوة فيه².

16- ذكر محمد عبد الباسط عيد، وصلاح رزق زاويتين من وظائف التكرار خاصة في القرآن الكريم، بعضها ذو طابع دلالي، وبعضها الآخر ذو طابع نصي يتحقَّقُ بها تماسك الخطاب، فأما الوظائف ذات الطابع الدلالي فنُلخِّصُها فيما يأتي: (التأكيد، التعظيم والتهويل، الوعيد والتهديد، التعجُّب، التنبيه). والوظائف ذات طابع نصي منها: تعدُّد المتعلِّق كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾³، فتكرار الآية هذه راجعٌ إلى تعلُّق كلِّ منها بما يسبقها، فلما تعدَّدت النعم المذكورة كان التكرار طلبًا للإقرار والشُّكْرُ متعدِّدًا كذلك، ومنها أيضًا المحافظة على إيقاع الكلام، لأنَّه قد يثقل تكرار بعض الدوال على الأذن فيعدل النص عن لفظها إلى معناها كقوله تعالى: ﴿فَمَهْلٍ

¹ ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ص 391.

² ينظر: الكافي في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب، وعلي سعد الشتيوي، ص 335-338.

³ الرحمان: 13.

الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤُودًا¹، حَيْثُ غَيَّرَ (مَهْلًا) إِلَى (أَمْهَلًا)، فَلَمَّا ثَلَّثَ تَرَكَ اللَّفْظَ أَصْلًا، فَقَالَ (رُؤُودًا)².

يُمْكِنُ إِذْنُ إِجْمَالِ وَظَائِفِ التَّكَرُّارِ فِي مَقَارِبَاتِ عُلَمَاءِ الْقُرْآنِ فِي ثَلَاثِ نَقَاطٍ:

الأولى - تكثيف الطاقة الدلالية للكلام عبر تركيزها في نقطة محدّدة يُلحَّحُ عَلَيْهَا النص، فالعناصر المكررة تنطبع في الذاكرة، ويتحقّق ما يُوصَفُ في اللسانيات النصية الحديثة بـ "الكفاءة النصية" (Textual Efficiency).

ثانيها - يعمل التكرار على تماسك الكلام، فالعنصر المكرر يُشِيرُ ضرورةً إِلَى مُكَرَّرِهِ، وبها يتظافر المذكور أَوَّلًا مع المذكور ثانيًا.

وثالثها - شَحْنُ الكلام بطاقاتٍ تأثيريّةٍ مَرْجِعُهَا الْأَوَّلِيّ البناء الموسيقي المميّز الذي يتأسّس على تماثل الصيغ المكررة أو تشابهها³.

¹ الطارق: 17.

² ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، وصلاح رزق، ص 149-152.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 152-154.

المبحث الثاني: حضور التكرار في الحديث النبوي ودوره الدلالي والأسلوبي

- نص الحديث الأول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

ذكر ابن أبي جمرة أنَّ ظاهر الحديث دوام صلاة الملائكة على المصلي ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، وتستغفر له، وتترحم عليه². فالملائكة هم الحفظة أو السفرة، وصلاتهم المقصود بها الدعاء للمصلي ما دام في مُصَلَّاهُ أي مدة دوامه فيه، والمصلي عند الجمهور محل سجوده وركوعه فقط دون بقية المسجد، فإنَّ تحوُّل يميناً أو شمالاً فائت هذا الخير، وهو صلاة الملائكة عليه، وبقائه في مُصَلَّاهُ مقرُّون بطهارته من الحدث، فإنَّ أحدث حرِّم استغفارهم ولو استمرَّ جالساً معاقبةً له لإيذائه لهم برائحته الخبيثة، وصلاة الملائكة قولها: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة، وقولها: (اللهم اغفر له، اللهم ارحمه) بيان لقوله صلى الله عليه وسلم (تُصَلِّي) ³.

ففي هذا الحديث كما ذكر ابن أبي جمرة حثٌّ على إتيان الطاعة طاعةً أخرى، فلمَّا كانت صلاة المؤمن أو بعضها على التقسيم المتقدِّم مقبولة تبعها خيرٌ آخر، وهو جلوسه حتى استغفرت له الملائكة فكان خيراً تبعه خيرٌ، وفيه أيضاً حثٌّ على ملازمة الموضع الذي صلى فيه من أجل زيادة ذلك الخير

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد، [445/30]، ص31. وصحيح البخاري، ص62.

² بحجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جمرة، 338/1.

³ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص80.

له، ولو لم يُخبر عليه السلام به ما كان فيه من أجل زيادة ذلك الخير له، ولو لم يُخبر عليه السلام به ما كان أحد يعلم ذلك حتى يفعل، فمواضع الخير كثيرة ومن حُرّمها حيف عليه أن يكون من أهل الضد، ويبيّن ذلك قصّة موسى عليه السلام حين قال: ربّ هل أعرفُ مالي عندك؟ فقال: يا موسى إذا أُحِبَّت الدنيا فزوّيْتُها عنك، وأُحِبَّت الآخرة فيسرّتها عليك، فأعلم أنّ لك عندي حظًا، فالتيسير منه عزّ وجلّ للخير من علامة الخير¹.

– صور التكرار وأثره في الحديث النبوي:

يُبنى هذا الحديث النبوي على السرد الإخباري الذي من خلاله أخبر صلى الله عليه وسلم مُبشّرًا عباد الله المصلّين بالخير الكثير الذي ينالونه بمكوّثهم في مُصلاّهم عقب الصلّة وهم طاهرون من الحدث بصلّة الملائكة عليهم بدعائها لهم بالمغفرة والرحمة.

فاعتمد هذا النص النبوي على التكثيف أو الإجمال، ومن ثمة التفصيل والتفسير، فتكوّن من مقطعين سرديّين ارتبط الثاني منهما بالأول ارتباطًا وثيقًا، فالإجمال في المقطع الأول [الملائكة تُصليّ على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث] والتفصيل في المقطع الثاني [تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه].

– المقطع الأول: [الملائكة تُصليّ على أحدكم ما دام في مُصلاّ الذي صلى فيه ما لم يُحدث]

هذا المقطع مُكثّف يشدّ الانتباه، ويستجلب القلوب بإخباره صلى الله عليه وسلم بصلّة الملائكة على المصلّي ما دام في مُصلاّ.

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 340/1.

وهو طاهرٌ من الحدث. جاء هذا المقطعُ مُستَهلاًً بجملةٍ اسميةٍ مبتدأً فيها (الملائكة)، خبره الجملة الفعلية (تُصَلِّي على أحدكم...) التي يُمثَّلُ فيها الفعلُ (تُصَلِّي) محوَر الإخبار والإبلاغ وبُورَة النص، وحُضُورُهُ في هذا المقطع النصي بكثافة بتكراره إمّا بلفظه أو بمشتقاته (تُصَلِّي مُصَلِّهُ ← صَلَّى). لكن يطرح السؤال حول مفهوم صلاة الملائكة وطبيعتها، فيأتي التفصيل والتفسير في المقطع الثاني تبعا لذلك.

– المقطع الثاني: [تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه]

هذا المقطع الثاني من النص سردي إخباري أيضاً، جاء مُكوّناً من جملة فعلية مبدوءة بفعل القول (تقول)، الفاعل فيها ضميرٌ مستترٌ عائدٌ على (الملائكة)، والمفعول به مَقُولُ القول هو مضمونُ دعاء الملائكة واستغفارهم للمُصَلِّي، فجاء بياناً وتفسيراً لقوله صَلَّى الله عليه وسلّم (تُصَلِّي)، الوارد في المقطع الأول من النص، فمثَّل هذا تفصيلاً بعدَ إجمال، وبياناً بعدَ إنهام¹.

إنّ هذا المقطع السردِي على قِصره فهو قد أزال الغموض، وفصَّلَ الجُمْلَ القائم عليه النص الحديثي (صلاة الملائكة)، تلك البشرية التي ظفر بها عباد الله المصلُّون الماكثون في مُصَلَّاهم، الطَّاهِرُونَ في أبدانهم، فتعالقَ المقطعانِ السَرديَّانِ تعالقَ السَرْد والإخبار، وتعالقَ الإجمال والتفصيل في بنية النص الكُلية القائمة على حثِّه صَلَّى الله عليه وسلّم على بقاء المِصَلِّي عَقِبَ صلاته في مُصَلَّاه وتبشيرَه بصلاة الملائكة عليه، وهو فضيلةٌ شريفةٌ يتسارعُ إليها كُلُّ مُؤْمِنٍ عاقلٍ سَمِعَ بها، ليحرص على الأخذ بأوْفَرِ الحِظِّ منها، ولا تَمُرَّ عنه صَفْحاً².

¹ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص80.

² ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 95/2.

هَذَا النِّصُّ الْحَدِيثِيُّ تَضَمَّنَ فِكْرَهُ جَوْهَرِيَّةً عَبَّرَ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَيْنِ الْمُقْطَعَيْنِ السَّرْدِيَيْنِ، وَقَدْ تَلَاَحَمَتِ الْعُنَاصِرُ الْمَكُونَةُ لَهَا بِوَاسِطَةِ جُمْلَةٍ مِنْ أَدَوَاتِ الرِّبْطِ النَّصِّيِّ كَالِإِحَالَةِ وَالِاسْتِبْدَالِ وَالتَّكْرَارِ، هَذَا الْآخِرُ الَّذِي نُسَلِّطُ عَلَيْهِ الضُّوْءَ بِدَوْرِهِ كَأَدَاةٍ نَصِيَّةٍ ضِمْنَ أَدَوَاتِ الْإِتْسَاقِ الْمُعْجَمِيِّ الْعَامِلَةِ عَلَى تَحْقِيقِ التَّرَايُطِ فِي بَنِيَّةِ النَّصِّ وَانْسِجَامِ دَلَالَتِهِ.

فَحِينَ نَسْتَقْرِئُ هَذَا الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ نَجِدُ حَضُورًا وَاضِحًا لِلتَّكْرِيرِ فِي صُورَتَيْنِ مِنْ صُورِهِ، تَكَرُّرُ اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى، وَتَكَرُّرُ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ عَلَى التَّوَالِي.

فَالصُّورَةُ الْأُولَى لِلتَّكَرُّارِ بَجِدْهَا فِي الْمُقْطَعِ السَّرْدِيِّ الْأَوَّلِ مِنَ النَّصِّ، وَقَدْ تَمَثَّلَتْ فِي إِعَادَةِ لَفْظِ الْفِعْلِ (تُصَلِّي) بِلَفْظِهِ دُونَ مَعْنَاهُ مِنْ خِلَالِ تَجْدِيدِ ذِكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا اللَّفْظَ بِمَشْتَقَاتِهِ، اسْمَ الْمَكَانِ (مُصَلًى)، وَالْفِعْلَ الْمَاضِي (صَلَّى) فِي سِلْسِلَةٍ كَلَامِيَّةٍ يَذْكُرُ فِيهَا حَدَثَ (الصَّلَاةِ) إِمَّا بِالْفِعْلِ مَبَاشَرَةً (صَلَّى، تَصَلَّى)، أَوْ بِالاسْمِ (مُصَلًى)، فَالاشْتِرَاكُ فِي الْعُنَاصِرِ الْمَكْرَّرَةِ مَعَ الْمَرْجِعِ فِي جَذَرِ اللَّفْظِ (الصاد) و(اللام) و(الألف) (ص، ل، ا) مَعَ اخْتِلَافِهَا فِي الْمَعْنَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَقَارُبِهَا فِي الْحَقْلِ الدَّلَالِيِّ كَوْنِهَا أَلْفَاظَ تَعْبُدِيَّةً، فَقَدْ ذَكَرَ الرَّائِغُ الْأَصْفَهَانِي مَعْنَى الصَّلَاةِ فِي قَوْلِهِ: « وَالصَّلَاةُ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ: هِيَ الدُّعَاءُ، وَالتَّبَرُّكُ، وَالتَّمَجِيدُ، يُقَالُ: صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، أَيُّ: دَعَوْتُ لَهُ وَرَكَّيْتُ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطَرًا فَلْيَطْعَمْ »¹ أَيُّ: لِيَدْعُ لِأَهْلِهِ... وَصَلَاةُ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ هُوَ فِي التَّحْقِيقِ تَرْكِيبُهُ إِيَّاهُمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ

¹ صحيح مسلم، كتاب النكاح، (تر 1431)، ص 651.

صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ¹، ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار... والصلاة التي هي العبادة

المَخَصَّصَةُ أصلها: الدعاء، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه².

فصلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار والدعاء فيما ذكره السخاوي³، وصلاة العباد العبادة المفروضة التي هي ثاني أركان الإسلام الخمسة.

فهذا التكرار في الحقيقة أدى دوراً كبيراً سواءً من حيث شكل النص وبنية السطحية، أو من حيث دلالة وبنية العميقة.

فهو لم يقتصر دوره الربطي على مستوى الجملة الواحدة، أو المقطع الواحد، بل تجاوز أثره ليحقق الاتساق على مستوى النص برميته على الرغم من تركزه في المقطع السردى الأول، ذلك أن المقطع الثاني يُعد في الحقيقة تفصيلاً للأول وبياناً لمجمله، فهو تابع له دلالةً، مُستقلٌ بنيةً. فيُعدُّ لفظ (تُصَلِّي) تعبيراً مُستأنفاً أو مرجعاً، ولفظاً (مُصَلَّاه) و(صَلَّى) تعبيرين مُستأنفين، هذا التكرار للفظ (صَلَّى) ومشتقاته، ووجوده في ثلاثة مواضع من النص لاشك أنه يُحدث تماسكاً نصياً تأكيداً للموضوع الذي مثل محور النص، وارتبطت به جميع العناصر شكلياً ودلاليًا (صلاة الملائكة ← المكوث في المصلى ← فعل صلاة المؤمن).

إن هذا التكرار قد عمل على تعميق الفكرة المقصودة في نفس المتلقي، والتوكيد الذي يُفيد لفت أنظار المتلقي لأهمية قضية (الصلاة) بمعانيها المختلفة ومطلّبات كمالها، وفُضِّل ذلك كله، فالنبي

¹ البقرة: 157.

² مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية سوريا، ط4، 1430هـ/2009م، ص490-491.

³ المصدر نفسه، ص491.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ كَثِيرًا مَا يَعْمَدُ إِلَى التَّكْرَارِ مِرَاعَاةً لِأَهَمِّيَّةِ مَا يَقُولُ، فَهُوَ يُبَلِّغُ رِسَالَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَرْتُمُّهَا فِي قَلْبِ السَّامِعِ لِيُحْفَظَ عَنْهُ، وَلِيُثَبَّتَ قَاعِدَةً دِينِيَّةً تُؤَثِّرُ فِي السَّلُوكِ¹.

أَمَّا الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ لِلتَّكْرَارِ فَهِيَ تَكَرُّرُ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ، وَقَدْ تَوَزَّعَ عُنْصُرَاهُ بَيْنَ الْمُسْتَأْنَفِ وَالْمُسْتَأْنَفِ الْمُقْطَعَيْنِ الْأَوَّلِ فَالثَّانِي مِنَ النَّصِّ؛ فَلَمَّا كَانَ الْإِجْمَالُ وَالتَّكْثِيفُ بَاسْتِهْلَالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدِيثَ فِي مَقْطَعِهِ الْأَوَّلِ بِصَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ (تُصَلِّي) اقْتَضَى الْأَمْرَ تَفْصِيلاً وَبَيَاناً وَتَفْسِيراً يَرْفَعُ الْغُمُوضَ، وَيُزِيلُ الْإِبْهَامَ وَيُفَصِّلُ الْإِجْمَالَ لِيُفْهَمَ مِنْ خِلَالِهِ دَلَالَةُ هَذَا الْفِعْلِ وَمَقْهُومُهُ، فَجَاءَ الْعَنْصَرُ اللَّفْظِيُّ (تُصَلِّي) بِاعْتِبَارِهِ تَعْبِيراً مُسْتَأْنَفًا مُكْرَّرًا بِإِعَادَتِهِ لَا بِلَفْظِهِ مَفْرَدًا، وَإِنَّمَا بِجُمْلَةٍ كَامِلَةٍ هِيَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) بَيَاناً وَتَفْسِيراً لِمَعْنَى صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ الْمَعْبَرِ عَنْهَا بِجُمْلَةٍ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ (تُصَلِّي) الْمَفْسَّرَةِ بِجُمْلَةِ الْقَوْلِ بِدَعَاءِ الْمَلَائِكَةِ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لِلْعَبْدِ الْمُصَلِّي².

إِنَّ هَذَا النَّمْطَ مِنَ التَّكْرَارِ قَدْ خَصَّهُ صَبْحِي إِبْرَاهِيمَ الْفَقِي بِقِسْمٍ مُسْتَقِلٍّ بِذَاتِهِ سَمَّاهُ "تَكَرُّرُ الْجُمْلَةِ التَّفْسِيرِيَّةِ"³. وَهُوَ كَمَا يَرَى يَدْخُلُ ضَمْنَ تَكَرُّرِ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ بِإِعَادَةِ الْمَعْنَى وَاسْتِمْرَارِيَّتِهِ دُونَ لَفْظِهِ وَإِنْ كَانَ الْعَنْصَرُ الْمُسْتَأْنَفُ كَلِمَةً وَاحِدَةً (تُصَلِّي) وَالْعَنْصَرُ الْمُسْتَأْنَفُ جُمْلَةً تَامَةً (تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ).

مِنْ هُنَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ مِنْ فَائِدَةِ التَّكْرَارِ بِصُورَتَيْهِ فِي هَذَا النَّصِّ فَإِنَّهُ قَدْ حَقَّقَ فَضْلاً عَلَى اتِّسَاقِ الْبَنِيَّةِ النَّصِيَّةِ لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ بِمَقْطَعِيهِ السَّرْدِيَيْنِ، فَهُوَ قَدْ حَقَّقَ اسْتِمْرَارِيَّةَ دَلَالِيَّةٍ بِامْتِدَادِ

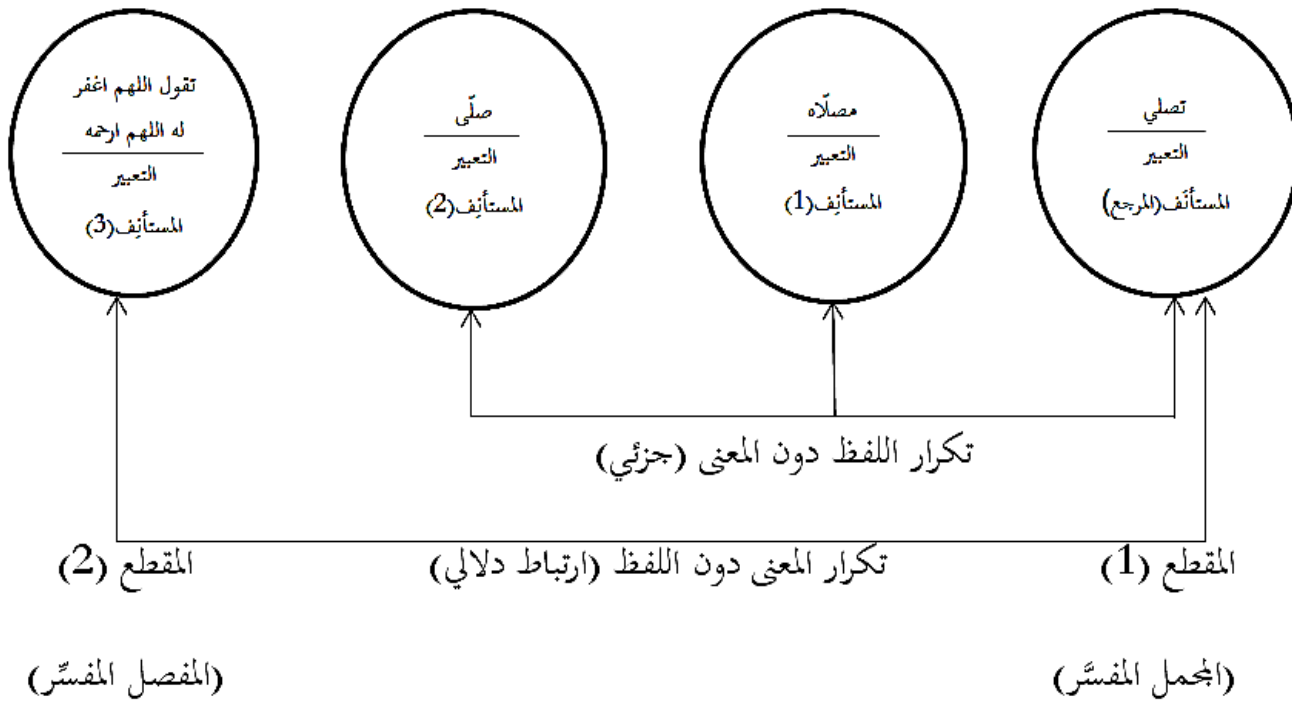
¹ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص 348.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 80.

³ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 25/2-26.

العنصر المستأنف (تصلي) بمشتقاته، هذا الامتداد رَبطَ بَيْنَ أجزاء النصّ لاسيما المقطع الأول بِجُمْلِهِ الثلاثة: الجملة الابتدائية (الملائكة تُصَلِّي على أحدكم)، والجملة الاسمية الظرفية (ما دام في مُصَلَّاه)، والجملة الموصولة (الذي صَلَّى فيه ما لم يُحْدِثْ)، هذا الامتداد صَنَعَ في الحديث تماسكاً في بنيته، وضرَباً من انسجام الخطاب فيه¹. إضافةً إلى ذلك ما أفادَهُ التكرار في صورته الثانية بربطه بَيْنَ المقطعين الأول والثاني بامتداد العنصر المستأنف (تُصَلِّي) مِنَ المقطع الأول بإعادته معنى دونَ لَفْظٍ بواسطة الجملة الفعلية المضارعية، جملة القول المحددة والمفسرة لصلاة الملائكة، ارتباطُ المفصل بالمجمل، المفسر بالمفسر، فشكَّلت الصورتان التكراريتان نسيجاً للنصّ الحديثي، تلاحمتْ مكوّناته، وتماسكتْ عناصرُهُ على مُستوى المقطع الواحد، وعلى مُستوى النصّ كبنيةٍ كُليّةٍ يرتبطُ أوّلُهُ بآخره تحت موضوعٍ واحدٍ، وقضيّةٍ محوريّةٍ هي الصلّاء والمكوثُ في المصلّى وفَضْلُ ذَلِكَ. ويُمكننا تمثيلُ هذا التكرار بصُورتيهِ في المخطط الآتي:

¹ ينظر: في لسانيات النص، أيمن محمود موسى، ص 67-68. وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 21/2.



- نص الحديث الثاني:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَّةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي يدلُّ على أنَّ كُلَّ مَنْ اسْتَرْعى على شيء يُسأل عنه، والرعاية تعني الحفظ والأمانة²، والراعي الحافظُ المؤتمنُّ صلاح ما أوتمنَّ على حفظه، فهو مَطْلُوبٌ بالعدل فيه، والقيام بمصالحه³، ففي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كُلُّكُمْ رَاعٍ) أي كُلُّ واحدٍ منكم حافظٌ لأعضائه وجوارحه وحواسه، فكلُّ واحدٍ مأمورٌ بحُسْنِ تعهدها وصرفها في مرضاة الربِّ جلَّ جلاله، ومأمورٌ بصلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، فكلُّ مَنْ كَانَ تَحْتَ نَظَرِهِ شيءٌ فهو مَطْلُوبٌ بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته، فَإِنْ وَفَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الرَّعَايَةِ حَصَلَ لَهُ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ وَالْخَيْرُ، وَإِلَّا طَالَبَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ فِي الْآخِرَةِ بِحَقِّهِ⁴.

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، [893/51]، ص41. وصحيح البخاري، ص109.

² ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 482/1.

³ فتح الباري، العسقلاني، 146/13.

⁴ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص116-117.

ذكر ابن العثيمين أنّ الخطاب للأمة جميعاً يبيّن فيه الرسول (ص) أنّ كلّ إنسان راع ومسؤول عن رعيته، والراعي هو الذي يقوم على الشيء، ويرعى مصالحه فيهيئها له، ويرعى مفسده فيجنبه إيّاها، كراعي الغنم ينظر، ويبحث عن المكان المربع حتّى يذهب بالغنم إليه، وينظر في المكان المجدب فلا يتركها في هذا المكان¹.

فالإمام راعٍ فيمنّ وليّ عليهم، يُقيم فيهم الحدود والأحكام على سنن الشريعة، لأنّه لما كان عليه أن يرعى حقوقهم، ومنّ جعلتها إقامة الجمعة فيجب عليه إقامتها، وإن كانت في قرية فهو راع عليهم. فالأمير راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والأمراء يختلفون في نفوذهم وفي مناطق أعمالهم، قد يكون هذا الأمير أميراً على قرية صغيرة، فتكون مسؤوليته صغيرة، وقد يكون أميراً على مدينة كبيرة فتكون مسؤوليته كبيرة، وقد تكون مسؤوليته على أمة، كالأمير الذي ليس فوقه أميرٌ في منطقته كالرؤساء والملوك، وكأمراء المؤمنين في عهد عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، ومن بعدهم وهكذا².

والرجل راعٍ في أهله زوجته وأبنائه ومن يلزم الرجل نفقته شرعاً، كقول نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾³، وكقوله تعالى في قصّة أيّوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾⁴. وكانوا زوجه وبنيه، والعبد داخلٌ في الأهل، لأنّه من جملة الرعية، فكلّ هؤلاء مسؤولٌ عن كسوتهم ونفقتهم وسكنهم، وحفظهم في دينهم حتّى يحملهم عليه

¹ شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، باب حق الزوج على المرأة، ج3، ص149.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص117. وعون الباري لحل أدلة البخاري، أبي الطيب حسن علي الحسيني القنوجي البخاري، كتاب الجمعة، الحديث العاشر، دار الرشيد، حلب، سوريا، (دط)، (دت)، ص27. وشرح رياض الصالحين، ابن العثيمين، ص149-150.

³ هود: 45.

⁴ ص: 43.

فرضه وندبه، وكلّ على وجهه، وهو آكد من النفقة والكسوة بدليل أنّ الكسوة والنفقة قد تسقط عنه بالعسر، والإرشاد إلى الدين وتعليمه لا يسقط عنه بوجه، وما لا يسقط آكد ضرورة ممّا يسقط¹.

والمرأة راعية في بيت زوجها بحسن تدبيرها في المعيشة، والنصح له، والأمانة في ماله، وحفظ عياله، وأضيافه ونفسها². والمرأة لا تباشر من حال الزوج إلا ما هو في الدار، فلم تكلف ما هو خارج الدار لكونها لا تصل إليه اتصالاً كلياً، وهو ما يفسره قوله صلى الله عليه وسلم: «تَحْفَظُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»³، وهذا هو الواجب. أما المندوب هو حُسن التبعل كالترنن له، وبماله قدرت وزيادة التحفظ عليه وعلى غرضه وما أشبه ذلك⁴.

والخادم راعٍ في مال سيده يحفظ ماله، ويقوم بما عليه من حقوق السيد على عبده⁵. والرجل راعٍ في مال أبيه يحفظه وتدير مصالحه، وعدم أخذ ماله والتصرف فيه إلا بإذنه⁶. وختم صلى الله عليه وسلم حديثه بما بدأ به (وكلّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته) أي كلّ هؤلاء مؤمن حافظ ملتزم إصلاح ما قام عليه ومسؤول عنه يوم القيامة⁷.

¹ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 483/1-484.

² هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 117.

³ ورد هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (دط)، 2000م، رقم الحديث (1838)، ص 453. وروايته ((خير النساء التي تسرُّه إذا نظرت، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره))

⁴ ينظر: بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 492/1-493.

⁵ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 117.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص 117. وبحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 493/1-494.

⁷ عون الباري لحل أدلة البخاري، أبي الطيب القنوجي البخاري، 27/2.

- صُورُ التَّكْرَارِ وَأَثَرُهُ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ:

صَدَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْحَدِيثَ بِجُمْلَةٍ اِسْمِيَّةٍ الْمُبْتَدَأُ فِيهَا لَفْظُ (كُلُّ) وَهِيَ اِسْمٌ وُضِعَ لاسْتِغْرَاقِ أَفْرَادِ الْجِنْسِ بِإِضَافَتِهَا إِلَى الْمَعْرِفَةِ¹ (الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ كُمْ) وَخَبَرُهُ (رَاعٍ)² وَقَدْ أُفْرِدَ الْخَبَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى لَفْظَةِ الْمُبْتَدَأِ (كُلُّ)، وَقَدْ اشْتَرَكَ الْإِمَامُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْخَادِمُ فِي هَذِهِ التَّسْمِيَةِ³.

تَأَسَّسَ بِنَاءُ هَذَا النَّصِّ الْحَدِيثِيِّ عَلَى التَّكْثِيفِ وَالْإِجْمَالِ فِي مَقْطَعِهِ الْأَوَّلِ الْقَائِلِ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ]، ثُمَّ يَأْتِي التَّفْصِيلُ وَالتَّفْسِيرُ فِي مَا يَلِيهِ مِنْ تَمَفُّضَاتٍ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي [الْإِمَامُ رَاعٍ... وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ].

كَمَا بُنِيَ أَيْضًا بِنَاءً دَائِرِيًّا مَغْلَقًا وَهُوَ لَوْ أَنَّ مِنْ تَرَابُطِ النَّصِّ يَمْسُكُ أَوَّلُهُ بِآخِرِهِ، فَيَحْتَمِلُ الْحَدِيثُ بِمَا بَدَأَ بِهِ، وَكَأَنَّهُ دَائِرَةٌ انْتَهَتْ بِمَا بَدَأَتْ بِهِ⁴. وَهَذَا وَاضِحٌ تَمَامَ الْوُضُوحِ فِي افْتِتَاحِ الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ [كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ] وَاحْتِتَامِهِ بِالْمَقْطَعِ الثَّالِثِ [كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ].

هَذَا النَّصُّ الْحَدِيثِيُّ تَكْوَنُ مِنْ ثَلَاثَةِ مَقَاطِعَ تُسَجِّتُ تَرَكَيبُهَا بِجُمْلٍ اِسْمِيَّةٍ ارْتَبَطَتْ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ بِوَسْطَةِ رَوَابِطٍ لَفْظِيَّةٍ مِنْهَا وَآخَرَى مَعْنَوِيَّةٍ، تَعَدَّدَتْ صُورُهَا وَتَظَافَرَتْ فَاعِلِيَّتُهَا بَيْنَ رَوَابِطٍ إِحَالِيَّةٍ، وَرَوَابِطٍ وَصِلِيَّةٍ، وَرَوَابِطٍ تَكَرَّرِيَّةٍ، تَوَزَّعَتْ عَبْرَ فُضَاءِ هَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ.

¹ ينظر: معجم الإعراب والإملاء، لإميل بديع يعقوب، ص 337.

² أصل: راعٍ راعي فأعل، إعلال قاض، من رعى رعاية، وهو حفظ الشيء وحسن التعهّد له، والراعي: هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، للمزيد ينظر: عمدة القارئ، العيني، 275/6.

³ ينظر: المصدر نفسه، 275/6.

⁴ في ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، ص 375.

- فالمقطع الأول: [كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ]

فيه إجمالٌ وتكثيفٌ بالخطاب النبوي للأمة جميعاً، بَيَّنَّ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فِي صُورَةٍ مُجْمَلَةٍ، الْخَطَابُ فِيهَا عَامٌّ، يُثِيرُ التَّأْمُلَ فِي الذَّهْنِ لَفَهْمِ هَذَا الْحُكْمِ الْعَامِّ، وَالتَّقْرِيرِ الشَّامِلِ الصَّادِرِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْعِبَارَةُ الْمَكْتَفَةُ (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، فَيَتَوَجَّهُ الْمَخَاطَبُ لِفَهْمِهَا لِيَجِدَ جَوَابًا عَلَى سُؤَالِهِ الْمَتَوَقَّعِ (أَيُّ رِعَايَةٍ نَحْنُ مُطَالِبُونَ بِهَا ؟ وَكَيْفَ السَّبِيلُ لِتَأْدِيتِهَا، وَإِعْطَائِهَا حَقَّهَا تَجَاهَ رَعِيَّتِنَا ؟)، فَيَأْتِي التَّبْسِيطُ وَالتَّفْسِيرُ، وَالتَّخْصِصُ وَالتَّقْسِيمُ فِي الْمَقْطَعِ التَّالِيِ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَتَتَابَعِ مَكُونَاتِهِ وَ تَمَفُّضَاتِهِ الْخَمْسَةِ الْمُتَلَحِّقَةِ.

- المقطع الثاني: لَقَدْ تَكَوَّنَ هَذَا الْمَقْطَعُ مِنْ خَمْسَةِ تَمَفُّضَاتٍ كَمَا سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ، وَهِيَ عَلَى التَّوَالِي:

* التَمَفُّضُ الْأَوَّلُ [الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ].

* التَمَفُّضُ الثَّانِي [وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ].

* التَمَفُّضُ الثَّلَاثُ [وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا].

* التَمَفُّضُ الرَّابِعُ [وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ].

* التَمَفُّضُ الْخَامِسُ [وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ].

لَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمَقْطَعُ النَّصْبِيُّ شَارِحًا الْإِجْمَالَ، مُفَصِّلًا الْإِهْمَامَ، مُحْصِصًا الْعَامَّ فِي جَمَلَةٍ مِنَ التَّرَاكِبِ الْأَسْمِيَّةِ تَرَاوَحَتْ بَيْنَ الطُّوْلِ وَالْقَصْرِ، مُتَوَازِنَةً فِي طَوْلِهَا، مُتَوَازِيَةً فِي نَعْمِهَا بِذِكْرِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ الْمَكْلُفِ

بالرعاية (الإمام)، (الرجل)، (المرأة)، (الخادم)، ثمّ المسند الخبر المشترك فيها جميعاً (راع)، ومن ثمّ إلحاق ذلك التركيب الإسنادي بتركيب إسنادي معطوفٍ عليه في كلّ تمفصلٍ من التمفصلات الخمسة (مسؤول عن رعيته) في توزيع منتظم، وإحكام متقن، وتتابع متسلسل، حيثُ قُسمت المسؤولية تجاه الرعية إلى أقسام، من جهة الإمام أو الأمير، ومن جهة الرجل، ومن جهة المرأة، ومن جهة الخادم، ومن جهة النسب¹.

ولعلّ البناء الاسميّ لنسيج الجُمْل المكوّنة للمقطع الثاني في تمفصلاته الخمسة يُضفي عليه قوّة في الدلالة، وتقريباً في الحُكم باستمرارية في المسؤولية وثباتٍ في الحدث، وإلزامية في واجب الرعاية في الدُّنيا، وإيفاء الرعية حقّها كما نصّ على ذلك الشارع الحكيم.

- المقطع الثالث: [كلّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيّته]

هذا المقطع النصيّ يتجسّد به البناء الدائريّ في هذا النص الحديثي، إذ به اختتم صلى الله عليه وسلم قوله النبويّ وخطابه التوجيهي بما بدأ به في مُستهلّ النص، ليؤكد من جديد إلزامية مسؤولية الرعاية، والحكم العامّ الذي لا يُخصّ فرداً دون فرد، بل الأُمَّة جميعاً².

إنّنا حين نستقري هذا النصّ النبويّ، ونتبّع بنيته التركيبية عبر متوالياته الخطيّة لاشكّ أنّنا نلمس فيه ذلك التماسك المحقّق في نسيجه، والعلائق الرابطة بين مكوّناته سواءً بين مقاطعه الثلاثة أو تمفصلاته بجميع جُمْلها، أو جُمْلها بكلّ مفرداتها، فقد كانت متنوّعة الصُور كما ذكرنا بين روابطٍ إحيائيّة، وروابطٍ

¹ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 275/6 وعون الباري لحلّ أدلة البخاري، أبي الطيب القنوجي البخاري، ص 27-28، وينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 117-118.

² ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 118. وعون الباري لحلّ أدلة البخاري، أبي الطيب القنوجي البخاري، ص 28.

وصليّة، وروابط تكراريّة . هذه الأخيرة التي نُعنى بها في هذا المقام، وذلك نظرًا للحضور الملفت والدور الفاعل الذي حققه التكرار كأداة نصيّة في اتّساق هذا الحديث الشريف وانسجام دلاليته.

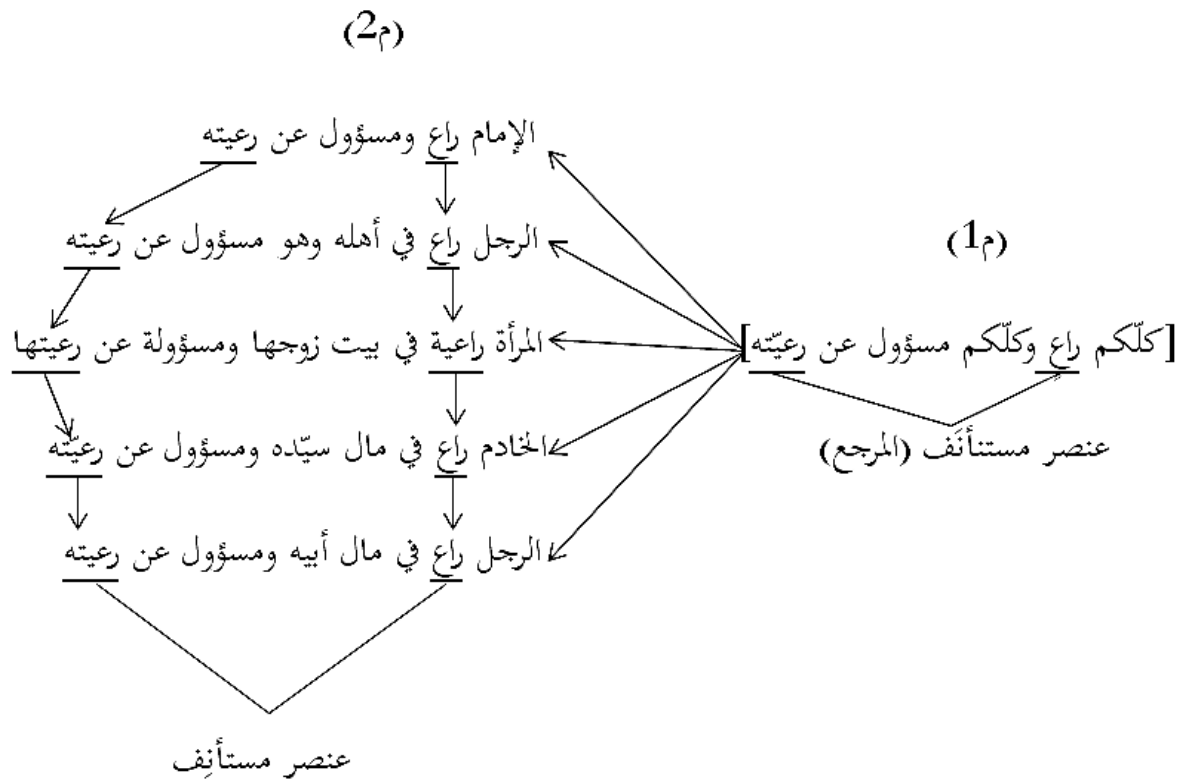
فبالنّظر في نصّ الحديث النبويّ نجدُ صُورتينِ ماثلتينِ للتكرار: تكرار اللفظ دون المعنى، وتكرار اللفظ والمعنى، وقد ناسبتنا التنوّع في بناء هذا النص وهيكليته وفق نمطيّ تركيبيّ اللذين أُقيِم عليهما الحديث، الإجمال والتفصيل أولاً، والبناء الدائري المغلق ثانياً.

فتكرار اللفظ دون المعنى يتّضح في قوله صلى الله عليه وسلم من المقطع الأول المستفتح به النصّ [كُلِّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ] إذ تُعدّ هذه العبارة لاسيما لفظي (راعٍ) و(رعيته) بمثابة المرجع أو العنصر المستأنف - وهو أحدُ رُكني التكرار - إذ يدُل على المسؤولية الجماعيّة في الرعاية، وعلى الجماعة المسؤولة بكلّ أجزائها عمّن ترعاه سواء الفرد مع نفسه أو مع من حوله على تنوّع في المستوى، واتّساع مجال الأمانة.

هذا المرجع بهذين اللفظين (راعٍ، رعيته) قد أُعيد ذكرهما في المقطع الثاني في جميع تمفصلاته على تفصيل في أقسام المسؤولية تجاه الرعيّة، وتعدّد الجهات المنوطة بذلك انطلاقاً من الإمام، فالرجل، فالمرأة، فالخادم، فالنّسب.

لقد جاء هذا التكرار المحدّد برُكنيّه المرجع (العنصر المستأنف) في المقطع الأول، والعنصر المستأنف في المقطع الثاني مُناسباً لنمط بناء النص وتلاحم مقطعيّه من خلال ارتباط المحمّل بالمفصل، العام بالخاص.

ويمكن أن تمثل هذا التكرار في المخطط الآتي:



إنّ هذا التكرار هو تكرار اللفظ دون المعنى، وهو يعني الاشتراك اللفظي والاتفاق في الحروف والاختلاف في المعنى بين كلمتين أو أكثر¹، فقد ذكر الخطابي أنّ « أصل الرّعاية في الكلام حفظُ الشيء، وحُسن التعهّد له، وقد اشترك هؤلاء المذكورون في التسمية، وجرى الاسم عليهم على سبيل التسوية ومعانيهم في ذلك مختلفة، فأما رعاية الإمام فإنّها ولاية أمور الرعيّة، والحيطة من ورائهم، وإقامة الحدود والأحكام فيهم، وأما رعاية الرّجل أهله فالقيام عليهم، والسياسة لأمرهم وتوفيتهم الحقّ في النفقة والعشرة، وأما رعاية المرأة في بيت زوجها فحسن التدبير في أمر بيته، والتعهّد لمن تحت

¹ ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 147.

يَدِيهَا مِنْ عِيَالِهِ، وَأَضْيَافِهِ، وَخَدَمِهِ، ورعايةُ الخادمِ حفظُ ما في يده من مالِ سيِّده، والنصيحة له فيه، والقيام بما استكفاهُ مِنْ شُغْلٍ وخدمةٍ...»¹، وإلى مثل هذا ذهب الإمام العيني²

لقد ارتبطَ مَقْطَعَا النِّصِّ الأوَّل والثاني ارتباطاً دلاليّاً مِنْ خِلالِ علاقةِ الإجمالِ والتفصيلِ والعمومِ والتخصيصِ، وفضلاً عن ذلك نجدُ الرابطَ التكراريَّ مجسّداً بالحضور المكثّف لمادة الرأى والعين والياء (رعي) تارة باسم الفاعل (راعٍ)، وتارة أخرى بالجهة المرعية (الرعية) وهذا في المقطع الثاني خمس مرّات، وقد ساهم بتعميق الفكرة (مسؤولية الراعي تجاه الرعية) وترسيخها في أذهان المؤمنين رُسُوخاً تنتهي بقبولها حقيقة ناصعة، وتأكيدها في نفوس الأفراد والجماعات، وإقرارها في قلوبهم إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها عقيدةً وسلوكاً³.

أضِفَ إلى ذلك ما أفادَهُ مِنْ تَرابُطٍ مُحَقِّقٍ وَاتِّسَاقٍ مُحْكَمٍ بَيْنَ مَقْطَعِي النِّصِّ الأوَّل والثاني بتوزيع الفكرة العامة والدالة على الخطاب العام، ومسؤولية الأمانة وحفظ الرعية، وتقسيمها إلى أفكار جزئية مِنْ خِلالِ التفصيلِ في الجهات الموجهة إليها الخطابُ على اختلافِ المستوى، ونوعيّة المسؤولية، ودرجة الأمانة ومتطلّباتها. هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى تلك الشُّحنة التأثيريّة التي تحملها

¹ أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، الخطابي، تح محمد بن سعد بن عبد الرحمان آل سعود، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1409هـ/1988م، 580-579/1.

² ينظر: عمدة القارئ، العيني، 275/6.

³ ينظر: الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص198.

العناصر المكررة وتوزعها بانتظام عبر تمفصلات المقطع الثاني بإعادتها خمس مرات في قالب تركيبى منتظم والإيقاع الموسيقي المتميز الذي يتأسس على تماثل الصيغ المكررة في كل جزء من التركيب¹.

هذه هي الصورة الأولى للتكرار، أما الصورة الثانية فنجدها ماثلة في التكرار القائم زكناً العنصر المستأنف (المرجع)، والعنصر المستأنف (المكرر) في المقطعين الأول والأخير، الأول المفتتح به الخطاب النبوي، والأخير المنتهي عند قوله صلى الله عليه وسلم، المختتم به نصه هذا.

إن الصورة الثانية للتكرار هي تكرار اللفظ والمعنى (كُلِّي) بإعادته صلى الله عليه وسلم المقطع الأول (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) بلفظه ومعناه في المقطع الثالث والأخير (كلكم راع ومسؤول عن رعيته).

فهو عليه السلام بعد أن عمم أولاً، ثم حصص ثانياً حين قسم المسؤولية إلى أقسام من جهة الإمام ومن جهة المرأة، ومن جهة الخادم، ومن جهة النسب، ثم هو يعمم ثانياً - بهذا التكرار - (كلكم راع ومسؤول عن رعيته) تأكيداً ورداً للعجز إلى الصدر بياناً للعموم الحكم أولاً وآخر².

وهو مظهر من مظاهر الارتباط المعنوي بين بداية الحديث وآخره، وقد عرفه ابن المعتز - رد العجز إلى الصدر - في كتابه "البدیع": «رُدُّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها وهذا الباب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: 1- فمن هذا الباب ما يُوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول. 2- ومنه ما يُوافق

¹ ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، صلاح رزق، ص 149-152.

² ينظر: عمدة القارئ، العيني، 257/6.

آخر كلمة منه أول كلمة في نصه الأول. 3- ومنه ما يُوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه... قال عزّ

وجل: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾¹.

فإن كان من أثر لهذا التكرار فإن أثره يتضح في مظهرين بارزين، إن على مستوى شكل النص وبنية السطحية، أو على مستوى دلالة وبنية العميقة.

فأما أثره من ناحية شكل النص ومبناه فقد عمل هذا الرابط التكراري على تحقيق الاتساق النصي في هذا النص الحديثي من خلال تناغمه مع شكل البناء الدائري الذي تأسس عليه النص مُحققًا وحدثه العضوية من البداية إلى النهاية، ومُحققًا ترابطًا بين عناصره في غاية الإحكام، وأحسن الانتظام³.

والأمر الثاني وهو أن تكرار قوله صلى الله عليه وسلم في مُستهل الحديث (كلّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته) وإعادته في المقطع الأخير يأتي كما قال ابن الأثير تأكيدًا لهذا الحكم، وتشديدًا من أمره، وللدلالة على العناية بهذا الأمر وتقريرًا للمعنى وإثباته⁴.

ولعلّ صلى الله عليه وسلم بتكريره هذا القول في نهاية الحديث إضافة معنى جديد إلى المكرر،

¹ طه: 61.

² كتاب البديع، ابن المعتز، تح عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1433هـ/2012م، ص62-

63. وينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص132-133.

³ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص47.

⁴ ينظر: المثل السائر، ابن الأثير، 3/6-31.

فضلاً عن تأكيده بلقت أسماع المتلقين للاهتمام بفحوى هذا الخطاب ولأهميته¹، لاسيما أنه جاء عقب تفصيله صلى الله عليه وسلم في مراتب، ومستويات، وجهات، ومقتضيات "مسؤولية الراعي تجاه الرعية"، فحتى لا يشعر أو يتوهم المتلقي أو المخاطب أن هذا الأمر مقصور فقط على هؤلاء الأصناف، أو الجهات الخمسة المذكورة تَباعاً في المقطع الثاني (الإمام ُ ← الرجل ← المرأة ← الخادم ← النسب).

يقول ابن أبي جمرة عن الرعاية: « هَلْ تَتَعَدَّى لِأَكْثَرِ مِمَّا فِي الْحَدِيثِ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ قُلْنَا بِفَهْمِ الْعَلَّةِ فحَيْثُمَا وَجَدْنَا تِلْكَ الْعَلَّةَ عَدَّيْنَا الْحُكْمَ، وَيَكُونُ الْحَدِيثُ مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِالْأَقْلَ عَلَى الْأَكْثَرِ إِذْ هِيَ الْأَمَانَةُ وَالْحِفْظُ وَقَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ مِنْ هَذَا كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ بِالنَّصِّ وَالضَّمَنِ »².

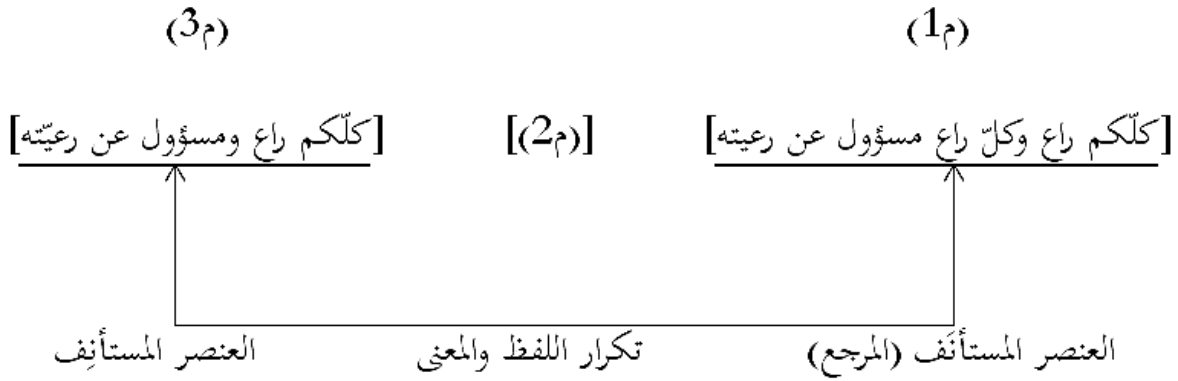
فهو يرمي إلى أن يُوَجَّهَ الجميع بأن يستشعروا أن الله جعل أعمالهم بيدهم أماناتٍ في أعناقهم، فكلُّهُمْ مسؤولٌ عمَّا وُكِّلَ إِلَيْهِ أَمَامَ إِمَامِهِ وَوَلِيِّ أَمْرِهِ فِي دُنْيَاهُ إِنْ لَمْ تُقَصِّرْ أَجْهَزَتُهُمْ بِهَذِهِ الْمِرَاقَبَةِ وَالْحِسَابِ، وَأَمَامَ اللَّهِ يَوْمَ تُحْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ³.

ويمكن أن تمثل هذه الصورة من التكرار في المخطط الآتي:

¹ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 179.

² بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 482/1-483.

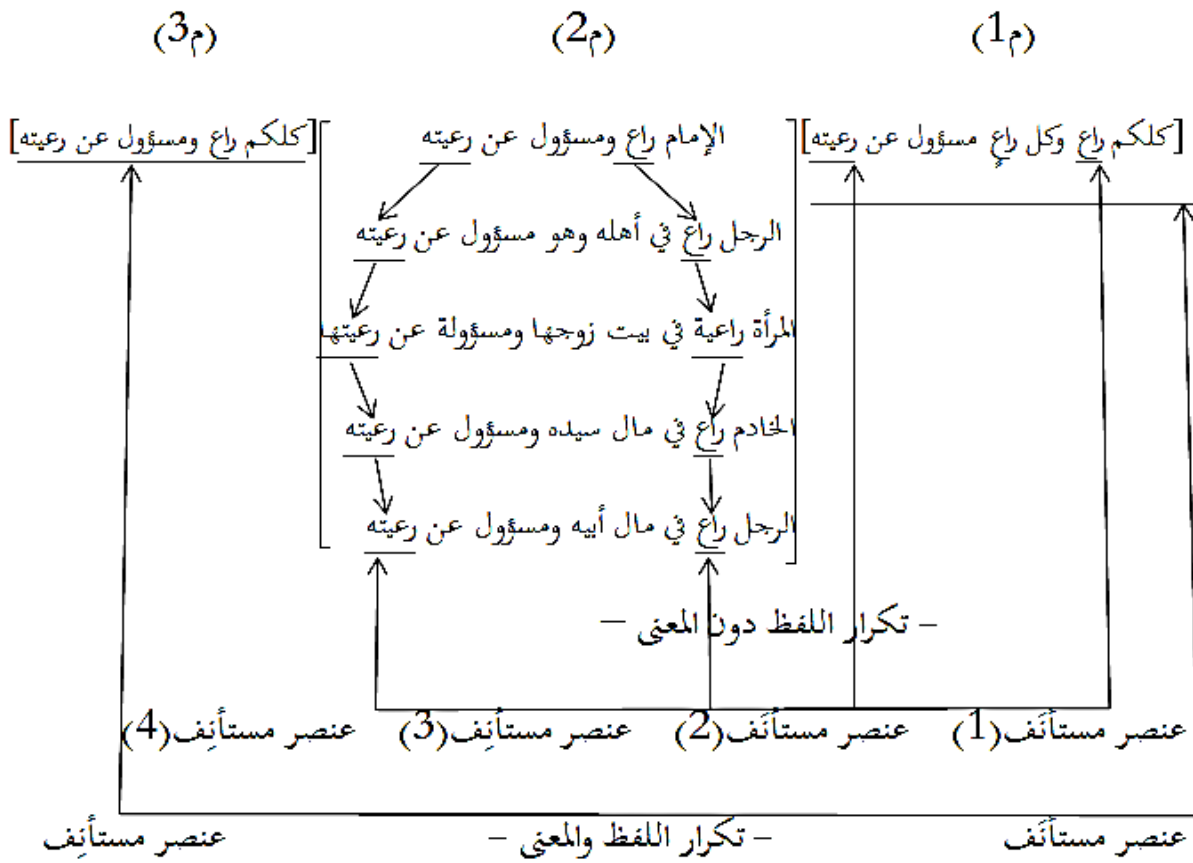
³ ينظر: أدب الحديث النبوي، بكري الشيخ أمين، دار الشروق، بيروت، لبنان، القاهرة، مصر، ط5، 1981م/1401هـ، ص 156.



إذن في هذا الحديث النبويّ كان حُضور التكرار واضحاً، ودوره متميّزاً بصوريّته، فقد أسهم في ربط عناصر النصّ وتحقيق استمراريّته، وتلاحُم عناصره بامتداد العنصر اللغويّ المستأنف (راعي، رعيّته) من أوّل النصّ إلى آخره عبّر سلسلة تراكيبيه، وجُمَلِهِ، ومقاطعِهِ. هذا الامتدادُ ربطَ بالفعل أجزاء النصّ بعضها ببعض، وحقّق فيه اتّساقاً في مبناه وأنسجاماً في معناه¹.

وفي الأخير يُمكننا أن نُحمِل مختلف صُور التكرار الحاضرة والفاعلة في هذا الحديث النبويّ الشريف في المخطّط الآتي:

¹ ينظر: في لسانيات النص، أيمن محمود موسى، ص 67-68. وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 21/2.



- نص الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّْي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ﴾¹.

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث النبوي أَخْرَجَهُ أصحابُ الكتب الستة عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي رواية عنه أيضا الاختصار على قول (لا إله إلا الله)، وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة عن عمر رضي الله عنهما. وفي حديث ابن عمر زيادة إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة²، وسببه كما في مصنف ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال: قال عمر أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لأدفعنَّ اللّوَاءَ غَدًا إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ بِهِ. قال عمر: تَمَنِّيْتُ الأَمْرَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ تَطَاوَلْتُ لَهَا، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: قُمْ، اذْهَبْ، وَقَاتِلْ، وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فقال: يا رسول الله عَلَامَ أَقَاتِلُهُمْ؟ قال: حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا حُرِّمَتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا³. قال الطحاوي: قد لبث الرسول بعد النبوة سنين يدعو الناس إلى الإسلام، ويقيم عليهم الحجج والبراهين كما أمره الله بقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁴ وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾⁵. ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ بَعْدَ

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، [2946/143] ص 83. وصحيح البخاري، ص 357.

² البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، ابن حمزة الحسني، ص 167.

³ المصدر نفسه، ص 168.

⁴ المؤمنون: 96 وفصلت: 34.

⁵ المائدة: 13.

ذلك ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾¹. فأباح قتال مَنْ قَاتَلَهُ، ولم يُيَحَّ قِتَال مَنْ لَمْ يُقَاتِلْهُ، وكان الإسلام ينتشر في ذلك، وتقوم الحجة به على مَنْ لم يكن علمه، ثم أنزل الله بعد ذلك: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾² قاتلوكم قبل ذلك أم لا، فكان في ذلك زيادة في انتشار الإسلام، ثم أنزل عليه ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾³، فأمر بقتالهم كافة حتى يكون الدين كله لله⁴.

وقد قال بذلك أيضًا الإمام العيني إذ ذَكَرَ أَنَّ هذا الحديث قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال قتاله لأهل الأوثان الذين لا يُقَرُّون بالتوحيد، وهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾⁵. فدعاهم إلى الإقرار بالوحدانية، وخلع ما دونه من الأوثان، فَمَنْ أَقَرَّ بذلك منهم كان في الظاهر داخلا في صفة الإسلام، وأما الآخرون من أهل الكفر الذين كانوا يوحِّدون الله تعالى غير أنهم يُنْكِرُونَ نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هؤلاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويشهدوا أنَّ محمدا رسول الله، فإسلام هؤلاء الإقرار بما كانوا به جاحدين، كما كان إسلام أولئك إقرارهم بالله أنَّه واحد لا شريك له، وعلى هذا تحمل الأحاديث⁶.

¹ البقرة: 191.

² التوبة: 123.

³ التوبة: 36.

⁴ شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 117/5-118.

⁵ الصفات، 35.

⁶ عمدة القارئ، العيني، 300/14.

فالحديث بَيَّنَّ فيه النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم أمرَ الله له بمقاتلة الناس، والناس هو من العام الذي أُريدَ به الخاص، فالمراد به المشركون، وأهل الأوثان الذين لا يقرُّون بالتوحيد¹، إلى أن يقولوا لا إله إلا الله، أي كلمة الشهادة لأن هذه الكلمة (لا إله إلا الله) عَلَّمَ عليها، وكلمة الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) لا خصوص الشهادة بالوحدانية². فمن أظهر شعار الدين أرشد الحديث إلى حرمة دمه وماله، وقد سَوَّى بينهما في الحكم لأن الأموال تابعة للدماء، فإذا استبيح الدم استبيح المال بالضرورة ما لم تكن في حد من الحدود³.

وقد استثنى من تلك العصمة من قتل النفس المحرمة والزنا بعد الإحصان والارتداد عن الدين⁴. وحسابه على الله بالحكم عليه بالإسلام، وتواخذه بحقوقه بحسب ما يقتضيه ظاهر حاله، والله - سبحانه وتعالى - يتولَّى حسابه، فيثيب المخلص، ويعاقب المنافق، ويجازي المصرِّ بفسقه، أو يعفو عنه⁵.

- صُورُ التكرار وأثره في الحديث النبوي:

يقومُ هذا الحديث النبوي على السرد والإخبار من النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى الصحابة - رضي الله عنهم - وقد بَيَّنَّ أمر الله له بمقاتلة الكفار لكفرهم، وأمره بالكف عن مقاتلة من آمن بالله

¹ فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 144/6 وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص228.

² المصدر نفسه، ص228.

³ بحجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، ابن أبي جرة، 203/2-204.

⁴ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص228.

⁵ عمدة القارئ، العيني، 300/14.

وَوَحَّدَهُ، مِمَّا جَعَلَ النَّصَّ يُبْنَى بِنَاءً تَعَارُضِيًّا، وَهُوَ بِنَاءٌ قَائِمٌ عَلَى عِلَاقَةِ التَّضَادِّ بَيْنَ الْمَفْرَدَاتِ فِي عَالَمِ النَّصِّ¹.

فَتَكُونُ هَذَا النَّصُّ مِنْ مَقْطَعَيْنِ سَرْدِيَيْنِ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا تَضَمَّنَ دَعْوَةً وَأَمْرًا بِمَقَاتِلَةِ النَّاسِ لِكُفْرِهِمْ وَشُرْكَهِمْ، وَالثَّانِي تَضَمَّنَ دَعْوَةً وَأَمْرًا بِالْكَفِّ عَنْ مَقَاتِلَةِ النَّاسِ أَوْ بَعْضِهِمُ الْمُؤَحِّدِينَ مِنْهُمْ لِإِيْمَانِهِمْ، انْتِقَالَ الْخُطَابِ النَّبَوِيِّ مِنَ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ (الْمَقَاتِلَةِ) إِلَى النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ عَدَمِ الْمَقَاتِلَةِ (السَّلَمِ)، وَانْتِقَالَ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤَحِّدِينَ، هَذَا الْإِنْتِقَالُ جَعَلَ التَّعَارُضَ فِي النَّصِّ الْحَدِيثِيِّ ظَاهِرًا فِي بَنِيَّتِهِ، مَعَ أَتَمِّمَا - الْمَقْطَعَانِ السَرْدِيَّانِ - يَتَّجِهَانِ فِي مَسَارٍ وَاحِدٍ، وَنَحْوُ تَحْقِيقِ غَايَةٍ وَاحِدَةٍ سَامِيَةٍ، فَتَشَكَّلَ بَيْنَهُمَا تَوَافُقٌ وَتَكَامُلٌ فِي الْمَحْتَوَى الْفِكْرِيِّ، وَالبُعْدُ الْمَقْصِدِيُّ الَّذِي يَرْمِي إِلَيْهِ حَدِيثُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ (تَوْحِيدُ اللَّهِ وَتَرْكُ الْكُفْرِ وَالْوَثْنِيَّةِ).

- المقطع الأول: [أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ]

هَذَا الْمَقْطَعُ بَدَأَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي (أُمِرْتُ) الْمُسْنَدُ إِلَى تَاءِ الْمُتَكَلِّمِ صِيغَةً مُجْهُولَةً، اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا هُوَ الْأَمْرُ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمَأْمُورُ²، وَقَدْ جَاءَ الْأَمْرُ بِصِيغَةِ الْخَبَرِ، وَهُوَ عَلَى أَنْوَاعٍ الْإِخْبَارِ بِلَفْظِ (أَمَرَ) كَمَا هُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَيَأْتِي بِلَفْظِ (فَرَضَ)، أَوْ بِلَفْظِ (وَاجِبَ)³. فَالْأَمْرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمَأْمُورُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْأَمْرُ أَمْرٌ بِمَقَاتِلَةِ الْكُفَّارِ، هَذَا كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِي التَّمْفِصُلِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْمَقْطَعِ (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ)، لِيَأْتِيَ التَّمْفِصُلُ الثَّانِي (حَتَّى

¹ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص 273.

² هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 298، وعمدة القارئ، العيني، 300/14.

³ ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية في (الموطأ)، محمد سعيد عبد الله، ص 132-133.

يقولوا لا إله إلا الله) مبدوءٌ بـ (حتى) وهي حرف نصب للغاية¹، غاية التوحيد بقول كلمة أو عبارة (لا إله إلا الله). هذا التمفصل يُعدُّ امتدادًا للتمفصل الأول، ويُشكِّلُ زيادةً بيانٍ وتوضيحٍ في تحديد الغاية الزمانية للمقاتلة، فضلاً عن الدافع أو السبب وراء ذلك الأمر (الكفر بالله وعدم التوحيد).

- المقطع الثاني: [فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مَنِّي دَمَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ]

هذا المقطع جاء مُركَّبًا من الشرط والجزاء، السبب والنتيجة، وقد استهلَّه صَلَّى الله عليه وسلَّم بـ (مَنْ) الشرطية الجازمة متبوعةً بفعل القول -الشرط- (قال) ومضمون القول هو (لا إله إلا الله) فحوَّى الخطابُ ومضمونُ الشرط كلمةَ التوحيد التي تعني عبادة الله وحده دون شريك، والالتزام بما جاء من عند الله، فالله لم يُنزل (لا إله إلا الله) لتكونَ مجرد كلمةٍ تُنطقُ باللسان، إنما أنزلها لتشكِّلَ واقع الكائن البشريَّ كُلِّهِ، لترفعه إلى المكان اللائق به، فتسري في أعماقه، وتنبض نبضًا حيًّا يُحرِّك كلَّ ذرةٍ فيه².

لقد تَكَوَّنَ هذا المقطع النصِّي من تمفصلين متلازمين، يرتبط الأول منهما بالثاني ارتباط السبب بالنتيجة، والشرط بالجزاء، فعقبَ ذكره صَلَّى الله عليه وسلَّم الشرط وهو (قول لا إله إلا الله) إعلان توحيد الله، ونبد الشرك والوثنية، يأتي كنتيجةٍ لذلك جواب الشرط صريحًا مُؤكِّدًا بـ (قد) - وهو حرف تحقيق لجيئه قبل الفعل الماضي -³ وهو قوله صَلَّى الله عليه وسلَّم (فَقَدْ عَصَمَ مَنِّي دَمَهُ وَمَالَهُ...)

¹ عمدة القارئ، العيني، 300/14. ومعجم الإعراب والإملاء، إميل بدیع يعقوب، ص 186-187.

² ينظر: لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، (دط)، 1415هـ/1995م، ص 20.

³ ينظر: معجم الإعراب والإملاء، إميل بدیع يعقوب، ص 315.

فيظفر صاحب التوحيد ناطق الشهادة بالأمان، الأمان الذي هو في الظاهر حفظ ماله ونفسه، والأمان الذي هو في الباطن ما تضمنه قوله عز وجل في كتابه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾¹.

إنّ هذا النص الحديثي بمقطعيه السرديين، وبتمفصلات الأربعة المتوازنة والمتوازية عبر فضاء البنية النصية فيه لم تكن لتؤدي فكرة، وتعبّر عن قضية - ولا أعظم قضية - كقضية "التوحيد" بهذا التعبير المقتضب، والتصوير الدقيق لولا تلك الروابط اللفظية منها والمعنوية، التي شكّلت أدوات الاتساق النصي فيها دورها الكبير في تحقيق تلاحم أجزائه، وتناغم مكوّناته، ويُعدّ التكرار واحداً منها، فقد كان له حضور واضح، ودور فاعل في هذا الحديث النبوي الشريف، لاسيما أنّه مثّل في هذا النص المحور الرئيس والغاية الكبرى التي انبنى عليها قوله عليه السلام .

فحين نستقري النص نرصد تشكّل التكرار في هذا الخطاب النبوي في صورته الأولى "تكرار اللفظ والمعنى" مجسّداً من خلال قوله صلى الله عليه وسلم (لا إله إلا الله) الجملة الاسمية جملة الشهادة والإيمان التي بها اختتم عليه السلام المقطع الأول، وهي "كعنصر مستأنف"، أو كمرجع، منه انطلقت الفكرة، وعلى أساسه انبنى الأمر (أمر بقتال الناس). والعبارة نفسها بلفظها ومعناها، وجدناهُ صلى الله عليه وسلم استهلّ بها المقطع الثاني، في تسلسلٍ مطرّد، وتدريجٍ منتظم، بين غاية يتوقّف بتحقيقها تعرّض (الناس) للقتال. وهذا ما عبّر عنه في المقطع الأول باستعمال -عبارة التوحيد- بعد حتى (حتى يقولوا لا إله إلا الله)، وإعادتها في المقطع الثاني في سياق أسلوب شرط صيغ فعله ماضياً، وكأنّه مُحَقِّقُ فعلاً (فَمَنْ قَالَ لا إله إلا الله) انجرّ عنه ونتج عليه حفظ للدم وعصمة للمال.

¹ الرعد: 28.

هذه الإعادَةُ لعبارة التوحيد في هذا المقطع تُمثِّلُ "العنصرَ المُستأنف" الذي جَسَّدَ بتكراره استمراريةً دلاليةً واضحةً، استمرارية بإعادة العنصر المكرَّر وامتداده لفظاً ومعنىً إلى المقطع الثاني، فصنَّع في الحديث تماسكاً في بنيته وانسجماً في الخطاب فيه¹ مُشكَّلةً اتَّساعاً في مساحة المعنى الدلالي، تلك المساحة تكوَّنت بالتوافق بين البنية السطحية والبنية العميقة، وبين الدال (العنصر المستأنف)، والدال المكرَّر (العنصر المستأنف)، واختلاف المنطقة التي يُسلَّطُ كلُّ عنصُرٍ مِنْهُمَا فاعليته عليها².

لقد عَمِلَ هذا التكرارُ تكرارُ اللفظ والمعنى - بإعادة القول مبناه ومعناه - على أداء وظيفة متعدِّدة في البنية النصية للحديث الشريف إنَّ على مستوى البُعد النصيِّ من خلال تحقيق الترابط والتلاحم بين مكوِّناته، أو على مستوى البُعد الدلالي بانسجام معناه، وتُموِّ مغزاه ؛ فالحديث الشريف كما عرفنا تكوَّن من مقطعين سرديين، الأوَّل مِنْهُمَا تَرَكَّبَ من تمفُّصَين مترابطين، يُعَدُّ الثاني منهما امتداداً للأوَّل، مُوضِّحاً له، مُبيِّناً غايته الزمانية، ومُبَرِّزاً الدعوة إليه [أمر بقتال الناس] ← [حتى يقولوا لا إله إلا الله]، وقد انتهَى بالعنصر المستأنف (المرجع) [لا إله إلا الله] هذا القولُ أُعيدَ ذكره في التمفُّصُ الأوَّل من المقطع الثاني المتضمَّن شرط تحقيقه - قول لا إله إلا الله - تحقُّقُ الأمن وعصمة المال والنفس من القتال.

فإذا كان تمفُّصُ المقطع الأوَّل يرتبطان ارتباطاً دلاليّاً، ثانيهما بيانٌ وتحديدٌ لسابقه، وتمفُّصُ المقطع الثاني يرتبطان ارتباطاً السببِ بالنتيجة، الشرط بالجزاء، فإنَّ هذا التكرار أدَّى وظيفته في تحقيق

¹ ينظر: في لسانيات النص، أيمن محمود موسى، ص 67-68. وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 21/2.

² ينظر: مقال "التكرار في طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة وظيفية أسلوبية لأسلوب من أساليب الإقناع في الخطاب النبوي"، د فوزي سهيل نوال، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج 7، ع (1/أ)، 1433هـ/2011م، ص 164.

التماسك بين مقطعي النصّ الأول والثاني، فعنصرا التكرار (المستأنف) و(المستأنف) شكلاً همزة وصل، وحلقة ربط بين جزئي النص على مستوى بنيته التركيبية. فضلاً على الاستمرارية الدلالية للفكرة والموضوع (قضية التوحيد)، فهو بذلك قد أدى دوره الفاعل في الجمع بين المقطعين السريين، المتكاملين في الغاية "غاية التوحيد"، المنسجمين في الدلالة، فضلاً على الوظيفة التداولية المعبر عنها بالاهتمام بفحوى الخطاب، ولفت أسمع المتلقين إلى أهمية هذا القول قول التوحيد¹.

كيف لا، وأي قضية أعظم من توحيد الله عز وجل، وما كان التكرار هنا ليكون هكذا من غير بُعدٍ أو فائدة، لاسيما مع التأكيد والتعظيم والتركيز على أهمية هذه الفكرة وعمق أبعادها؛ فلقد كانت دعوة الرسل جميعاً إلى أقوامهم دعوة واحدة هي دعوة التوحيد لا إله إلا الله...اعبدوا الله ما لكم من إله غيره...وفي أكثر من سورة من سور القرآن يأتي تسلسل مقصود لتاريخ الرسل الذين أرسلوا إلى أقوامهم، كل رسول يقول الكلمة ذاتها، ويمضي، فيجيء الرسول الذي يأتي بعده فيقول ذات الكلمة، حتى لكأنهم رسول واحد على اختلاف الزمن، واختلاف لغات الأقوام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾².

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾³.

¹ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 179.

² هود: 25-26.

³ هود: 50.

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾¹

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾²

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾³

فالرسلُ جميعًا كأَهم رسول واحد لأنهم كلهم جاءوا بدعوة واحدة دعوة "لا إله إلا الله".⁴
فالقضية هي قضية القضايا في حياة الإنسان، هي المحور الذي ارتكز عليه النصُّ الحديثي وقام عليه،
وعليه نُسجتْ شبكةُ العلاقات النصّية في أجزاء النصّ لفظًا ومعنى، فالأمرُ بالقتال سببهُ الكفرُ
والانحرافُ عن "لا إله إلا الله"، والدعوةُ إلى الكفّ عن القتال سببهُ الإيمانُ والتوحيدُ والفرارُ إلى "لا
إله إلا الله".

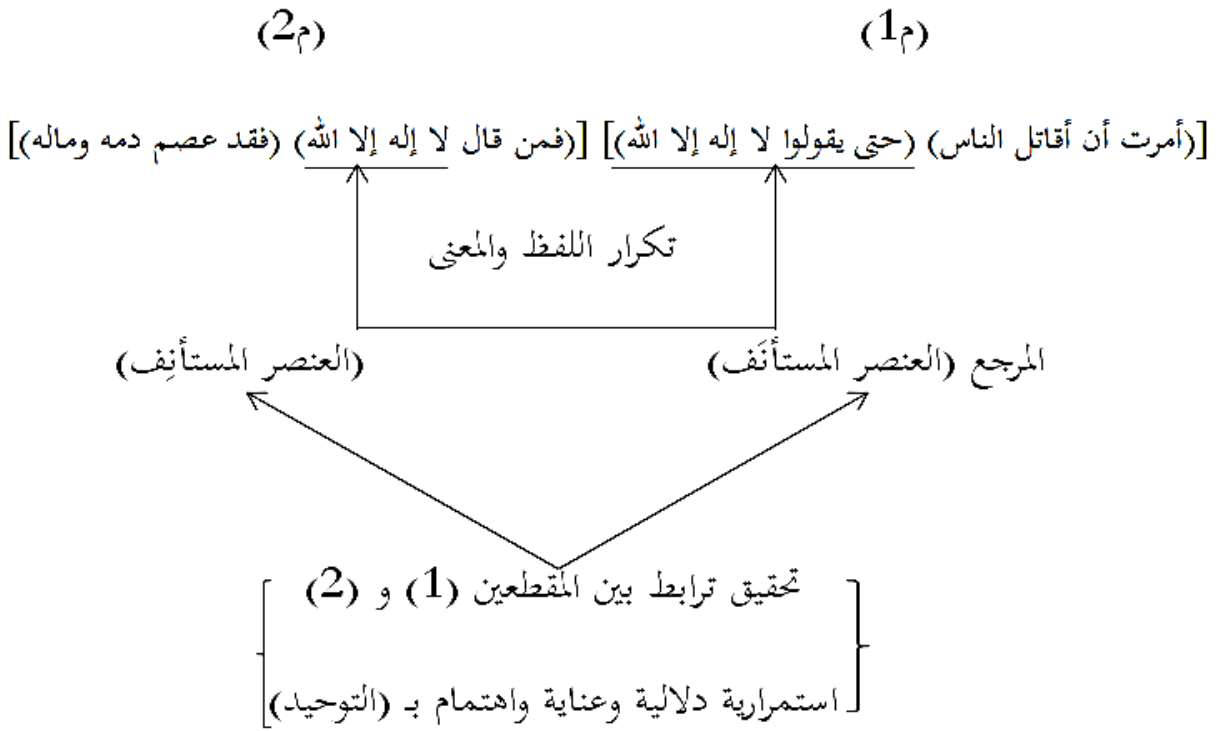
ويمكننا أن نُجمل هذه الصورة التكرارية، وما أدّته من دورٍ في اتّساق هذا الحديث وانسجام دلالاته في
المخطّط الآتي:

¹ هود: 61.

² هود: 84.

³ الأنبياء: 25.

⁴ ينظر: لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، محمد قطب، ص 15-16.



- نصّ الحديث الرابع:

عَنْ جَابِرٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِذَا اسْتَجَنَحَ اللَّيْلُ - أَوْ كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَطْفِئِ مِصْبَاحَكَ، وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ، وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ، وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعَرَّضُ عَلَيْهِ شَيْئًا »¹.

- المعنى الإجمالي للحديث:

قال ابن أبي جمرة: ظاهر الحديث يدلُّ على خمسة أحكامٍ منها: الإخبارُ بانتشار الشياطين أول الليل وكثرتهم في ذلك الوقت، والأمر بكفّ الصبيان ذلك الوقت عن التصرّف، والأمرُ بغلق الباب وذكر الله تعالى إذ ذاك، والأمر بإطفاء السراج وذكر الله تعالى إذ ذاك، والأمر بتغطية الإناء وذكر الله تعالى إذ ذاك وإن لم يجد ما يُعطِّيها يَعرِضُ عليها شيئاً².

هاته الأوامر هي الإرشادُ إلى ما فيه الخير والتسبب فيه، وفي دفع الضرر، والمقصود بها تحقيق مصالح دنيويّة، وقد يكونُ للنّدب وحسبِ الوجوب إذا خُشي من المخالفة ضررٌ بالنفس أو المال، فإن أُمنَ الضرر فلا وجوب³.

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، [3280/178]، ص96. وصحيح البخاري، ص396.

² بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 389/2.

³ ينظر: المصدر نفسه، 389/2. والأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص176.

استهّل النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بقوله (إذا استجبح الليل) أي وقت إقبال الليل بعد غروب الشمس¹. ففي هذا الوقت ينبغي العملُ بأشياء وتوجيهاتٍ خمسة: أولها كفُ الصبيان ومَنعُهُم من الخروج ذلك الوقت وإيوائهم إلى المنازل خشيةً عليهم عند انتشار الجنّ أن تُلمّ بهم فتؤذيهم، لأنّ حركتهم في الليل أمكنُ منها في النهار لأنّ الظلام أجمعُ للقوى الشيطانية، وعند انتشارهم يتعلّقون بما يمكنهم التعلُّق به، فلهذا خيفَ على الصبيان من إبدائهم²، فإذا مضت ساعة من الليل فحينئذٍ يُتركُ الأطفال، فلو خرجوا بعد ذلك فلا مضرة لأنّ وقت انتشار الشياطين قد ذهب.

الأمر الثاني: إغلاقُ الباب وذكرُ اسم الله (أغلق بابك واذكُر اسم الله). ذكر العسقلاني أنّ هذا خطابٌ لمفرد، والمراد به كلّ أحدٍ، فهو عامٌّ بحسب المعنى³. وقال ابن دقيق العيد: في الأمر بإغلاق الأبواب من المصالح الدينية والدينية حراسة الأنفس والأموال من أهل العبث والفساد لاسيما الشياطين⁴.

الأمر الثالث: إطفاءُ المصباح من جهة الاحتياط على المال والنفس وذكر اسم الله، وقد نَبّه عليه الصلاة والسلام في حديثٍ آخر: «فإنّ القُويّسقة ربّما اجتَرَّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت»⁵. أو كما قال عليه الصلاة والسلام هي الفأرة فإنّها تأتي المصباح، وتأخذ طرف الفتيل فتجرّه وهو موقودٌ،

¹ جاء في "لسان العرب": «جَحَجَ جنوح الليل: إقباله. وجَحَجَ الظلام: أقبل الليل، وجَحَجَ الليل يجحج جنوحاً: أقبل، وجَحَجَ الليل وجَحَجُهُ: جانيئُهُ. وقيل أولُهُ. وقيل قطعة منه نحو النصف» لسان العرب، ابن منظور، 379/2 مادة (جَحَج).

² ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 76/6-77. وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 628. شرح النووي، 184/13-185. وعمدة القارئ، العيني، 237/15.

³ فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 437/6.

⁴ المصدر نفسه، 109/11.

⁵ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: خمس من الدواب الفواسق يقتلن في الحرم، ص 399-400. وكتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم، ص 758.

فتحرق البيت وما فيه، وقد يكون نومُ أهله ثقیلاً فيحترقون بالنار، فينبغي على هذا أن لا ينام أحدٌ ويترك مصباحه موقوداً قد يطرأ عليه منه الضرر اللهم إلا إن كان له عُذرٌ¹.

الأمر الرابع: إيكاء الأسقية التي فيها الماء في قوله صلى الله عليه وسلم: (أوك سقاءك واذكر اسم الله)². أي اشدد فم قريتك بخيطٍ أو غيره³، والوكاء ما يُشدُّ به فم القرية، والسقاء اللبن والماء، والوطبُ لِللبن خاصةً، والنَّحْيُ للسَّمَنِ، والقريةُ للماء⁴، لأنَّه قد جاء أنَّ ليلةً في السنة ينزلُ بلاءٌ من السماء، فكلُّ إناءٍ وجدَّه مكشوفاً حلَّ فيه، وتلك الية مجهولة، وأيضاً قد يأتي الحيوانُ الذي فيه سُمٌّ وضررٌ فيشرب من ذلك الماء ويقع من سُمِّه في الإناء، أو يقع هو بنفسه فيلحق لشاربه بشرب ذلك الماء ضررٌ.

والأمر الأخير: تخميره أي تغطيته صيانةً من الشيطان والنجاسات لأنَّه لا يكشف غطاء، وفي تغطية الإناء أيضاً أمنٌ من الحشرات وغيرها ومن الوباء⁵. وفي حال عدم القدرة على أن تُعطِّي فلا أقلَّ من أن تُعرضَ عليه عُوداً، أي تُعرضه عليه بالعُرض (بضمِّ الراء وكسرهما)، وتمدُّه عليه عرضاً أي خلاف الطول. وفي قوله (شيئاً) وفي رواية (عوداً)، وهذا مطلقٌ في الآنية التي فيها شرابٌ أو طعام⁶، يقول ابن أبي جرة: «كيف يقوم مثلاً عود أو خيط إنَّ عرضته على الإناء مقام تغطيته كُلِّه، لأنَّ شيئاً

¹ بحجة النفوس، ابن أبي جرة، 390/2.

² أوك: فعل أمر من أوكى إيكاء. والوكاء في ما ذكره ابن منظور: «كلَّ سير أو خيط يشدُّ به فم السقاء أو الوعاء، وقد أوكيته بالوكاء إيكاء إذا أشدَّته. ابن سيده: الوكاء رباط القرية وغيرها الذي يشدُّ به رأسها» لسان العرب، 389/15.

³ هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص268.

⁴ عمدة القارئ، العيني، 238/15.

⁵ ينظر: هامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص268، وعمدة القارئ، العيني، 238/15.

⁶ عمدة القارئ، العيني، 238/15.

يقع على القليل والكثير، فتكون هذه الإشارة هنا تُبيّن فائدة قوله عليه الصلاة والسلام: (واذكر اسم الله) فإنّ المانع للضرر كلّهُ والجالب للخير كلّهُ هو ذكر اسم الله تعالى «....»¹.

- صُورُ التكرار وأثره في الحديث النبوي:

يقوم هذا الحديث النبوي على النمط الأمري في الإنشاء الطلبيّ ضمن خطابه صلى الله عليه وسلم للصحابة رضوان الله عليهم، وإسدائه لهم سلسلة من الأوامر على سبيل التوجيه والإرشاد، ممّا جعله ينبنى بناءً تجاورياً²، تتعلّق فيه مجموعة التراكيب والجمل والمقاطع الفعلية في مجملها، الأمرية في غالبها، المعطوف اللاحق فيها على السابق، المترابطة بواسطة أدوات ربط متنوعة الصُور، بين حروف عطفيّ وجزاء وشرطيّ وإحالات نصيّة منها ومقاميّة، وصُور تكراريّة، متضافرة في سبك بنية النصّ وحَبْك دلالاته.

افتتح صلى الله عليه وسلم حديثه هذا بشرط غير جازم بواسطة (إذا) الظرفية المتضمّنة معنى الشرط، الدّالة بدخولها على الفعل الماضي (استجرح) في جملة الشرط (استجرح الليل) على وقت بداية الليل³. هذا التحديد الزمنيّ المستفتح به النص ارتبطت به جميع الأوامر والتوجيهات التي أسداها صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة وسائر المؤمنين حتى نهاية الحديث في مقاطعه المتتابعة والمتماسكة.

¹ بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 391/2.

² ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 104-105. وفي ظلال الحديث النبويّ ومعالم البيان النبويّ، نور الدين عتر، ص 143.

³ ينظر: ينظر: عمدة القارئ، العيني، 237/15.

- المقطع الأول: [إذا استجبح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ)، (فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم)].

هذا المقطع تكوّن من تفصيلين شرطيين . وأسلوب الشرط من أساليب التشويق في الكلام لأن الشرط بجملته في حكم الجملة الواحدة، ومعانيه شديدة الاتصال، لذلك إذا سمع المخاطب الشرط استشرّف وتطلّع لمعرفة الجزاء ممّا يُحقّق اليقظة والانتباه¹.

لقد تماثل تمفصلاً هذا المقطع في البناء التركيبي حيث أداة الشرط (إذا)، ثم جملة الشرط الماضيتان (استجبح الليل) و (ذهب ساعة...)، وجملة جواب الشرط الفعليتان الأمريتان (فكفوا صبيانكم...) و(فخلوهم). كما أنّ بينهما تعارضاً دلاليّاً، كَوْنُ الأوّل منهما يتضمّن دعوةً لكفّ الصبيان حين جُبح الليل، والثاني يتضمّن دعوةً لتخليتهم وتركهم بذهاب ساعة العشاء.

لقد ارتبطت مكوّنات هذا المقطع وعناصره عبر مساحته التركيبية بجملة من أدوات الربط أهمها (إذا) الشرطية التي جعلت جُمْلَتَي الشرط والجواب متلازمتين، والفاء الرابطة لجواب الشرط (فكفوا) و (فخلوهم)، والفاء العاطفة (فإذا)، والفاء التعليلية (فإنّ) الشياطين...². فضلاً على الارتباط الدلالي بين التمثيلين، فإثبات الأول نفى الثاني والعكس بالعكس.

¹ موسوعة بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد عبده عوض، مركز الكتاب للنشر، القاهرة مصر، ط1، 2013م، ص861.

² معجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، ص296. والأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص176-177.

-المقطع الثاني: [وأغلق بابك] و (اذكر اسم الله)

هذا المقطع مقطع فعلي، ذو تمفصلين فعليين فعلٌ كُلٌّ منهما أمرٌ (أغلق، اذكر) على التوالي، وأفعال الأمر في هذا المقطع وفي سائر تمفصلات الحديث (كفوا، خلّوهم، أغلق، اذكر، أطفئ، أوك، خمر) وردت على سبيل الإرشاد والتوجيه، اتخذت شكل الطلب لما فيه من قوة الحسم وسرعة الإنجاز، ولكن لا يشترط فيها الإلزام والوجوب¹. فالرسول صلى الله عليه وسلم يُسدي توجيهه وإرشاده بإغلاق باب البيت مع ذكر اسم الله، وقد ارتبط التمفصلان بالواو العاطفة التي أفادت الجمع بين الطلبين، وتشريك المتعاطفين ومصاحبة في الزمن²، بإغلاق الباب يصحبه ذكر اسم الله.

تحول الخطاب من صيغة الجمع في المقطع الأول (كفوا، خلّوهم) إلى صيغة الأفراد في المقطع الثاني (أغلق، اذكر) لأن المراد بقوله: أغلق لكل واحد، وهو عامٌ بحسب المعنى³.

فبالنظر في المقطع الثاني نجد الجملتين الطلبيتين المتجاورتين (أغلق بابك) (اذكر اسم الله) متعاطفتين بالواو، وثمة تجانس وتماثل واضح بينهما سواء من حيث بنية التركيب الجملي؛ فكلاهما تركيبان طلبيان فعليان، أو من حيث الدلالة والمقصد فهما من التوجيه النبوي، يرميان إلى الاحتراس بما قد يلحق أذى بالنفس والمال من أهل العبث والفساد لاسيما الشياطين⁴.

¹ الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، هناء محمود شهاب، ص 47.

² ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 558/3 ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 408/2-409. والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 158-160.

³ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 237/15.

⁴ فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 109/11.

- المقطع الثالث: [(وأطفئ مصباحك) و (اذكر اسم الله)]

هذا المقطع رديف للمقطع السابق، وهو يأتي تبعاً لسلسلة الأوامر التي وجهها صلى الله عليه وسلم للصحابة ولسائر المؤمنين معلماً ومُرشدًا بأمرين آخرين مُستخدماً الإنشاء الطلبي بالجمليتين الفعليتين (أطفئ مصباحك) مع (اذكر اسم الله)، طلبين متلازمين متزامنين ؛ فذكر الله ينبغي أن يكون حاضراً ومُصاحباً لإطفاء المصباح كما كان مُصاحباً ومتزامناً مع إغلاق الباب، تمفصلاً يرتبط الواحد منهما بالآخر بواسطة الواو ليؤكد وحدة المقطع من الناحية الفنية، ومن الناحية التعبديّة الشرعيّة.

- المقطع الرابع: [(أوك سقاءك) و (اذكر اسم الله)]

مثّل هذا المقطع النصي بتمفصليّه الطلبيين الفعليين (أوك سقاءك) و (اذكر اسم الله) أمرين آخرين بعد ما سبق من أوامر نبويّة في المقاطع السابقة. وقد ارتبطاً بواسطة الواو العاطفة. فالأمر الأول أمر بإيكاء السقاء والثاني مُرتبط به متزامن معه وهو ذكر اسم الله، إذ يعدّ هذا المقطع امتداداً تركيبياً يحمل معه إيقاعاً موسيقياً بالتوازي الفعلي بين شطري المقطع من ناحية وتجانسه البنيوي مع المقطعين السابقين له من ناحية أخرى .

- المقطع الخامس: [(خمر إناءك) و (اذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً)]

اشتمل هذا المقطع من النص الحديثي على طلبين آخرين آخرين ورّدًا في سلسلة توجيهاته صلى الله عليه وسلم، تلك التوجيهات التي ينبغي الامتثال لها لاسيما أنّها جميعاً مرتبطة بزمان حدّده —

عليه السلام - في بداية الحديث وهو (جنوح الليل)، فأمر صلى الله عليه وسلم بتخمير الآنية صيانة لها من الشياطين والنجاسات والحشرات وغيرها، وأمر بذكر اسم الله حين فعل ذلك التخمير لما فيه من بركة وفضل في صون الإنسان من أي أذى، وقد دلّ على ذلك إضافة التركيب الشرطي (ولو تعرّض عليه شيئاً) المسبوق بالواو الحالية المتبوعة "بلو" الشرطية الآتية لاستقصاء ما قبلها، والتنبيه على حالة داخلية فيما قبلها¹ والمتضمنة مع الشرط معنى التقليل أي عود أو نحوه ما كان غير كافٍ على قلته لتغطية الإناء وحبسه من أي حيوان أو غيره وقايةً لصاحب الإناء من الأذى والضّرر لولا اسم الله الواقى وذكر اسمه الأعظم وبركته الواسعة².

هذه هي المقاطع الخمسة جاءت جميعها إنشائية الأسلوب، طلبية النوع، أمرية الفعل على تعددّها وتناوبها، توزعت فيها أفعال الأمر العشرة الموجهة منه صلى الله عليه وسلم عبر مساحة الحديث الشريف على قصر طوله، وتجانس جملة، وتوازي تراكيبه، وتناغم إيقاعه، وارتباط مكّوناته، وانسجام دلالاته، كل ذلك ساهمت في تحقيقه جملة من الروابط اللفظية وأخرى معنوية، فالتكرار كان فيه - الحديث النبوي - رابطاً اتساقياً حضوره بارزاً، ودوره فاعلاً، وقد ظهر عبر رصد انتشاره في عجز كل مقطع من مقاطع النصّ عدداً المقطع الأول.

فالتكرار الموجود في النصّ هو تكرار قوله صلى الله عليه وسلم [اذكر اسم الله] ليس تكرار حرف، ولا تكرار كلمة، وإنما هو جملة بعينها (جملة الطلب) المكوّنة من الفعل والفاعل والمفعول به، (اذكر)

¹ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، 4/40. والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص290.

² بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 391/2.

الفعل، والفاعل ضمير مستتر، و(اسم الله) المفعول به، هو تكرارٌ كُلِّيٌّ من النوع الأول " تكرار اللفظ والمعنى".

لكن ما هو المرجع؟ وما هو العنصر المستأنف فيه؟ وأيُّ دورٍ قام به هذا التكرار على مستوى بنية النصّ الحديثي من تلاخُمٍ في مُكوّناته وانسجامٍ في دلالاته؟.

لَقَدْ تَشَكَّلَ هذا النصّ النبويّ في بنيته على أفعال الأمر، الأمر فيها محمدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، والمأمورُ هم الصحابة وسائر المؤمنين، هذه الأفعال الطليبة تَوَزَّعتْ عَبْرَ تتابعٍ جميع مقاطع الحديث الخمسة، وَجُمِلَ العشرة، وهي على التوالي: [فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ] و [فَخَلُّوهُمْ] ← [أَغْلِقْ بَابَكَ] و [اذكر اسمَ الله] ← [أَطْفِئْ مَصْبَاحَكَ] و [اذكر اسمَ الله] ← [أَوْكِ سِقَاءَكَ] و [اذكر اسمَ الله] ← [خَمِّرْ إِنَاءَكَ] و [اذكر اسمَ الله]. اتَّخَذَتْ شَكْلَ الطَّلَبِ لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الحُسْمِ، وسرعة الإنجاز على الرّغم من عدم حَمْلِهَا على الإلزام والوجوب بل على النصّ والإرشاد¹.

إنّنا حين نستقري هذه المتوالية الخطية لتتابع الجمل الطليبة نجد التكرار مُحَسَّدًا من خلال العنصر المستأنف (المرجع) قوله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم (اذكر اسمَ الله) الجملة الفعلية الأمرية الحاضرة في المقطع الثاني معطوفة على الجملة الفعلية الأمرية (أغلق بابك) رديفٌ لها، يجمعُهما تشاركٌ في الأمر، وتلازمٌ في الإنجاز، وتزامنٌ في الحدوث.

¹ ينظر: الخطاب الطلي في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، هناء محمود شهاب، ص 47.

وإذا انتقلنا إلى المقاطع اللاحقة، الثالث والرابع والخامس فإننا واجدون العنصر المستأنف حاضراً بصورته لفظاً ومعنى في آخر كل منها، بربط كل أمر (اذكر اسم الله) بالأمر السابق له وعطفه عليه في شكل ثنائيات تركيبية، يتلازم فيها الأمر مع الأمر بذكر الله في تسلسل منتظم، وتتابع محكم (إطفاء المصباح مع ذكر اسم الله) (إيكال السقاء مع ذكر اسم الله) (تخمير الإناء مع ذكر اسم الله). هذه الإعادة لجملة طلب "التسمية" تمثل التكرار بعنصره العنصر المستأنف والعنصر المستأنف، إذ حقق بإعادته دون تغيير مع احتفاظه بالمدلول نفسه عدّة وظائف سواء في مبنى الحديث أو في معناه، وهي كالآتي:

1- إن في هذا التكرار بامتداد العنصر المرجع في المقاطع المختلفة حقق في النص استمرارية دلالية واضحة لفكرة مهمّة، وقضية عبديّة (ذكر اسم الله) جعل منها قضية جوهريّة، وموضوعاً مركزياً بحضورها المكثف، صنع في الحديث تماسكاً في بنيته، وانسجاماً في دلالاته، كونها ترتبط بهذه الفكرة، ومنها تنطلق الأوامر وبها يرتبط العبد بربه وجدانياً وإيماناً.

ففي هذا التكرار ترميد معنوي لما تلقاه الفكر، فكر المتلقي من مضمون كلام سيّد المرسلين حول (ذكر اسم الله)، ممّا يكون له أثره في إثباته بالذاكرة، وترسيخه بالعقل وتأثيره في النفس¹. وهو أيضاً ما يُحقّق بواسطته ما يوصف في اللسانيات النصيّة الحديثة بـ "الكفاءة النصيّة" (Textuel Efficiency)².

¹ ينظر: موسوعة بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد عبده عوض، ص 867.

² النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد وصلاح رزق، ص 152-153.

ولما كان لهذا العنصر المكرر نسبة وُودٍ عالية، وحُضورٌ مُتميّز في النص جعله مُميّزًا عن نظائره من العناصر، وهو ما ساعدنا رصده في فكّ شفرة النص وإدراك كيفية أدائه لدلالته¹.

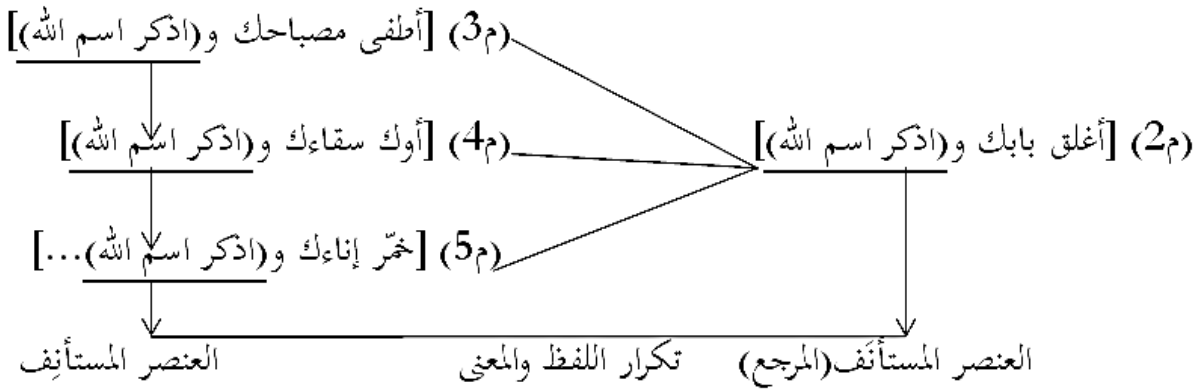
2- كان لهذا التكرار الجملي للجملة الفعلية (اذكر اسم الله) في عجز كُلِّ مقطعٍ من مقاطع الحديث أثره في الجانب الصوتي؛ فهو فضلًا عن كونه ترديدًا معنويًا لفكرة وموضوع، فهو ترديدٌ صوتيٌّ لِمَا تَلَقَّاهُ السَّامِعُ مِنَ الحُرُوفِ، والكلمات، والجُمَلِ، فكان لهُ أثرُهُ في الأذنِ فأحدثَ إيقاعًا صوتيًا مُتَكَرِّرًا ومنتظمًا ممَّا يزيدُ الربطَ بَيْنَ الجُمَلِ الطلبيّة في هذا الحديث النبويّ خاصّةً مع وُجُودِ التوازي التركيبي، والتجانس اللفظي بَيْنَ مقاطعِهِ².

3- تكرار اللفظ والمعنى لجملة "طلب التسمية" ابتداءً من المقطع الثاني إلى آخر مقطع في النص ساهم بشكلٍ واضحٍ في تلاخُمِ التابع المقطعيّ في النص وتربط عناصره، فكان بمثابة همزة الوصل والحلقة الرابطة والحبل المتين الذي يَشُدُّ نسيجَ النصّ بعضه إلى بعض، ويُوَحِّدُ أجزاءَهُ ضَمَّنَ السلسلة التركيبية والمتوالية الخطيّة المشكّلة لبنيته السطحيّة، فضلًا عن الروابط الوصلية والروابط الإحالية التي تضافرت مجتمعةً مع هذا الرابط التكراريّ في إحكام بناء النص وانسجام دلالته.

ويمكن أن نمثّل هذا التكرار وربطه البنية النصية على المستوى المقطعي في المخطط الآتي:

¹ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 21/2-22.

² ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 145 وموسوعة بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد عبده عوض، ص 867.



إذن فلولا الأهمية الكبرى لقضية (اذكر اسم الله)، القضية التعبديّة الإيمانية لما كان حضور هذا الأمر النبويّ كثيرًا ؛ فهو صلى الله عليه وسلّم لم يقتصر فيه على هذا النص الحديثي، بل اتّسع أمره هذا و وُجدَ في أحاديث نبويّة أخرى في مواضع متعدّدة جمّعها الترابُطُ المعنويّ والتّفافُها حولَ قضية (ذكر الله) وهي تربطُ العبدَ المؤمنَ بخالقه من خلال التوكّل على ربّه مع اتخاذ الأسباب في جلب خيرٍ أو دفعِ ضررٍ، وهو ما يُؤكّدُ الدّورَ المحوريّ لهذه القضية التي ارتكز عليها هذا النصّ الحديثيّ وقام عليها، وُنيّت بواسطتها شبكة العلاقات النصيّة في أجزاء النصّ ومقاطعِهِ، بل وحتى رنّطها بينَ هذا الحديث - كما ذكرنا - وغيره من الأحاديث النبويّة الأخرى ارتباطًا شكليًّا وانسجامًا دلاليًّا.

ونذكرُ من بين هذه الأحاديث ما يأتي:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: «أما إنّ أحدكم إذا أتى أهله وقال: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَرَزَقًا وَلَدًا، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»¹.

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، [3271/168]، ص94. وصحيح البخاري، ص396.

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ»¹.

- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِيَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيُّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهِ»².

- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ شَكََا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَحَدٌ وَأَحَادِرُ»³.

- عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ، أَفَنَأْكُلُ فِي آبَتِهِمْ؟ وَبِأَرْضِ صَيْدٍ، أَصِيدُ بِقَوْسِي وَبِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ، وَبِكَلْبِي الْمُعَلَّمِ، فَمَا يَصْلُحُ لِي؟» قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ آبِيَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلَا

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب الأطعمة، باب الأكل مما يليه، [212]، ص 109. وصحيح البخاري، ص 667.

² صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (رقم 2017)، ص 971.

³ المصدر نفسه، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم، مع الدعاء، (رقم 2202)، ص 1049-1050.

تَأْكُلُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا، وَمَا صِدَّتْ بِقَوْسِكَ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ
فَكُلْ، وَمَا صِدَّتْ بِكَلْبِكَ الْمُعَلَّمِ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلْ، وَمَا صِدَّتْ بِكَلْبِكَ غَيْرِ الْمُعَلَّمِ
فَأَذَرْتِ ذَكَاتَهُ فَكُلْ»¹

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَثَلُ
الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»².

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمر، كتاب الذبائح والصيد، باب صيد القوس، [5478/215]، ص 110. وصحيح البخاري، ص 677.

² المصدر السابق، كتاب الاستئذان، باب فضل ذكر الله عز وجل، [6407/262]، ص 124. وصحيح البخاري، ص 770.

- نصّ الحديث الخامس:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»¹

- المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث الشريف يدلُّ على خمسة أمورٍ غيبيةٍ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، والغيب ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال².

والمَرَادُّ بالغيب الغيب الذي لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ حقيقةً لأنَّ الغيوبَ على ما هي عليه حقيقتها تلك لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. والغيبُ نوعان: غيبُهُ سبحانه عَنَّا بذاته وصفاته، وغيب بالأُمور الجارية في مخلوقاته، فلمَّا كانت تلك الأُمور غائبةً عَنَّا لا نَقْدِرُ على العلم بها ولا الوصول إليها، وَلَمَّا كَانَ جَمِيعُ الوجود محصُورًا في علمه سبحانه شَبَّهَهُ عليه السلام بالمخازن، وَكُلُّ مخزِنٍ لا بدَّ لَهُ من بابٍ، وَكُلُّ بابٍ لا بدَّ لَهُ من مفتاحٍ فاستعار عليه السلام لَهُ المفاتيح³ على سبيل الاستعارة. قال الإمام العيني: «قَوْلُهُ (مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ) استعارةٌ إمَّا مَكْنِيَّةٌ وَإِمَّا مُصَرَّحَةٌ، وَلَمَّا كَانَ جَمِيعُ مَا فِي الوجود محصُورًا فِي عِلْمِهِ شَبَّهَهُ

¹ جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، كتاب التوحيد، باب (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد) (الجن 26) [7379/290]، ص 134 وصحيح البخاري، ص 878.

² إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 351/10.

³ بمحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 846/2-847.

الشارع بالمخازن، واستعار لبابها المفتاح»¹، فالمفاتيح يُتوصَّل بها إلى ما في المخازن المستوثق منها بالإغلاق والأقفال، ومن علم مفاتيحها وكيفية فتحها توصَّل إليها فأراد أنَّه المتوصَّل إلى المغيبات المحيط علمه بها، لا يتوصَّل إليها غيره، فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته، وتعلَّقت به مشيئته، وفيه دليل على أنَّه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها والحكمة في كونها خمساً الإشارة إلى حصر العوالم فيها². هذه الغيوب الخمسة كما ذكرها نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم هي:

1- علم الله تعالى وحده بما في الأرحام (لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله)، قال ابن أبي جمرة: «دليل على ما يزيد في النفوس وينقص، وذكر منها الأرحام لكونها للناس في ذلك عوائد يعرفونها، وقد تقرَّرت على ذلك أحكام شرعية، فهذه أغلاها، فإذا كانت هذه التي قد تقرَّرت عليها أحكام بحسب جري العادة لا يعرف حقيقتها لا متى تزيد ولا متى تنقص، فغيرها من باب أخرى، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾³، فدل بهذا أنَّ غيره سبحانه لا يعلم ذلك»⁴.

واختلف في معنى الزيادة والنقصان على أقوال: فقل ما ينقص من الحلقة وما يزداد فيها، وقيل ما ينقص من التسعة الأشهر في الحمل وما يزداد على التسعة الأشهر بقدر ما حاضت، وقيل ما ينقص في الحمل بانقطاع الحيض وما يزداد بدم النفس من بعد الوضع، وقيل ما ينقص من الأولاد قبل وما

¹ عمدة القارئ، العيني، 130/25.

² إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، 351/10-352.

³ الرعد: 08.

⁴ بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 848/2.

يزدادُ مِنَ الأولادِ بَعْدُ¹. والأجنَّةُ التي في الأرحامِ لها أحوالٌ، مِنْهَا ما يُعْلَمُ إِذَا وُجِدَ ولو كان الإنسان في بطن أمِّه، وَمِنْهَا ما لا يُعْلَمُ أَبَدًا، فَكَوْنُهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى يُعْلَمُ وهو في بطن أمِّه، وَلَكِنَّهُ لا يُعْلَمُ إِلَّا إِذَا خَلَقَ اللهُ تعالى فيه علاماتِ الذكورةِ أَوْ علاماتِ الأنوثة. وَأَمَّا متى يُولَدُ، وهل يُولَدُ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، وهل يَبْقَى في الدُّنْيَا طَوِيلًا أَوْ مَدَّةً قَصِيرَةً، وهل يَكُونُ عَمَلُهُ صَالِحًا أَوْ سَيِّئًا، وهل شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَكُلُّ هَذَا لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ².

2- عدمُ العِلْمِ بالمستقبلِ إِلَّا اللهُ (ولا يَعْلَمُ ما في غَدٍ إِلَّا اللهُ) إشارةٌ إلى أنواعِ الزمانِ وما فيها من الحوادثِ، وَعَبَّرَ بلفظِ (غَدٍ) لتكونَ حَقِيقَتُهُ أَقْرَبَ الأزمنةِ، وَإِذَا كانَ مع قُرْبَةِ لا يَعْلَمُ حَقِيقَةً ما يَقَعُ فيه مَعَ إمكانِ الأمانةِ والعلامةِ فَمَا بَعْدَ عِنْدَهُ أَوَّلَى³.

3- اللهُ تعالى أُخْتُصَّ بالعِلْمِ بنزولِ المطرِ (ولا يَعْلَمُ متى يَأْتِي المطرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ). فَفِي هَذَا كما ذَكَرَ العسقلاني إشارةً إلى أُمُورِ العالمِ العلويِّ، وَخَصَّ المطرَ مع أَنَّهُ لَهُ أسبابًا قَدْ تَدُلُّ بِجَرَيِ العادةِ على وَقُوعِهِ، لَكِنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقٍ⁴.

4- عدمُ عِلْمِ الإنسانِ بِأَيِّ أَرْضٍ يَمُوتُ: فاللهُ وَخَدَهُ العالمُ بِذلكِ (ولا تَدْرِي نفسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ) ؛ فالإنسانُ لا يَدْرِي بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، فَأَنْتَ أَيْضًا لا تَعْلَمُ متى تَمُوتُ، صَبَاحًا أَمْ مَسَاءً أَمْ لَيْلًا، فِي هَذَا الشَّهْرِ أَوْ شَهْرٍ بَعِيدٍ⁵، قال العسقلاني: « فِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أُمُورِ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ مَعَ أَنَّ

¹ فتح الباري، العسقلاني، 473/13.

² ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن العثيمين، 441/3.

³ فتح الباري، العسقلاني، 473/13.

⁴ المصدر نفسه، 473/13.

⁵ ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن العثيمين، 442/3.

عادة أكثر الناس أن يموت في بلده، ولكن ليس ذلك حقيقة، بل لو مات في بلده لا يعلم في أي بقعة يُدفن منها ولو كان هناك مقبرة لأسلافه بل قبر أعدّه هو له¹.

5- عدم العلم بوقت يوم القيامة إلا الله (ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) قال ابن أبي جمرة: «و دلّ بقوله «ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» على علم الآخرة بأجمعها، وذكر يوم القيامة منها، لأنه أولها وأقربها، فإذا كنت لا تعلم أقرب الأشياء منها وهو يوم ظهورها وبدايتها فمن باب أخرى غير ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾² أي: عظم أمرها على أهل السماوات والأرض، والكل جاهلون بها، وممّا يشهد لذلك قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام حين سأله عنها: «ما المسؤل عنها بأعلم من السائل، ولكن أخبرك عن شروطها...»³»⁴.

- صور التكرار وأثره في الحديث النبوي:

بني هذا الحديث النبوي على التكثيف والإجمال ثم التفصيل والتبسيط بأسلوب ملوّن مقنع وممتع، فالفكرة العامة ذات أقسام يسبقها مفتاح تشويقي⁵، عبّر عنه صلى الله عليه وسلم في بداية الحديث بلفظ (مفاتيح الغيب) مع وجود العدد (خمس) في الجملة الاسمية المكوّنة من المبتدأ والخبر (مفاتيح الغيب خمس) تجعل الذهن يتأمل ويتسارع انتظاره وشوقه لفهم أكبر قبل الكلام الذي يبسط المعاني

¹ فتح الباري، العسقلاني، 473/13.

² الأعراف: 187.

³ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي (ص) عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (رقم 50)، ص 15. وصحيح مسلم،

كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (رقم 08)، 23/1.

⁴ بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 849/2-850.

⁵ في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص 227.

فيتوجّه القارئ والمتلقّي إلى فَهْمِهَا على سَعَتِهَا وكمالِها ؛ فيأتيه التبسيط وقد تهيّأ له، فيتقبّله مزيد قبول ويترسّخ فيه مزيد رسوخ¹. وهذا في مقطعين:

- المقطع الأول: [مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله]

استهلّ صلى الله عليه وسلّم هذا المقطع بلفظ (مفاتيح) جمع تكسير مفردها مفتاح، وهو في الأصل كلّ ما يتوصّل به إلى استخراج المغلقات التي يتعدّد الوصول إليها، وهو إمّا استعارة مكنية أو تصريحية على ما ذهب الإمام العيني²، مبتدأ مضاف إلى (الغيب) خبره العدد (خمس)، والتخصيص بهذا العدد لا يدلّ على نفي الزائد، كما أنّه ذكّر هذا العدد في مقابلة ما كان القوم يعتقدون معرفتهم به، فضلاً على أنّها أمّهات الأمور، هذه لأنّها إمّا أن تتعلّق بالآخرة (علم الساعة)، وإمّا بالدنيا وما تعلّق بالجماد أو الحيوان، وإمّا بحسب مبدأ وجوده، أو بحسب معاده ، أو بحسب معاشه³. فخصّر بها صلى الله عليه وسلّم الخمس العوالم⁴.

فهذا المقطع الابتدائي في الحديث جاء كما بيّنا جملةً اسميةً، المبتدأ (مفاتيح الغيب) خبره (خمس)، وقد جاء الخبر نكرةً متبوعاً بجملةٍ نعتيةٍ قوله صلى الله عليه وسلّم (لا يعلمها إلا الله) صيغت على أسلوب القصّر، المعتمد على النفي بواسطة (لا) والاستثناء بواسطة (إلا)، إذ يُعدّ القصّر فناً دقيقاً المجزى، لطيف المغزى كثير الفوائد غزير الأسرار، يستعمله الأديب ليأتي أسلوبه مصوراً قوياً موحياً إلى

¹ المصدر السابق، ص 378.

² عمدة القارئ، العيني، 87/7.

³ المصدر نفسه، 87/7.

⁴ بحجة النفوس، ابن أبي جمرة، 848/2.

القارئ بمعانٍ شتى في عبارة موجزة، وقد يلجأ إليها المتكلم إذا رغب في تأكيد كلامه تأكيداً حاسماً ليقطع شك المخاطب¹.

إذن في هذا القصر إثبات وتوكيد بعلم الله العالم بكل شيء حقيقة في كونه عالماً صفة لذاته، وهو ذو علم لا يُشاركه في كماله وقدرته أحد².

- المقطع الثاني: [(لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله) و (لا يعلم ما في غد إلا الله) و (لا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله) و (لا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله) و (لا يعلم حتى تقوم الساعة إلا الله)]

مكون هذا المقطع من خمسة تمفصلات إخبارية فعلية قصيرة، متوازية في أطوالها، متوازية في نغمها وإيقاعها في حسن سبك وإحكام نظم، مثلت مفاتيح العوالم الخمسة التي تفرّد جلّ جلاله علماً بها، وقد تضمّن كلّ منها إشارة إلى عالم غيبي؛ فبعد حديثه صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الرحم، وما يزيد في النفس وينقص، انتقل إلى العالم العلوي (إتيان المطر)، فانتقاله إلى العالم السفلي موطن وبلد موت العبد، ومن ثمّ يتحوّل إلى عالم الزمن وما فيه من حوادث في المستقبل القريب والبعيد، لينتهي بعدها إلى عالم علوم الآخرة بعلم قيام الساعة وما بعدها³.

وهكذا نجد كلّ تمفصل في هذا المقطع قد تضمّن على قصره معنىً جديداً وغنياً عزيزاً على غير الله العلم به حقيقة، ومع ذلك فإنّ صورة ثابتة نجدها تتردّد عبر تتابع هذه المفاصل الخمسة، تلك الصورة

¹ الحوار في الحديث النبوي تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، ص 169.

² ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 407/10-408.

³ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 130/25.

هي توحيد الله والجزم بعلمه المطلق وتفردّه بعلم الغيب دون سواه، وهو ما مثَّلَهُ قوله صَلَّى الله عليه وسلم (لا يعلم...إلا الله) في كلّ جزءٍ من أجزاء هذا المقطع.

فكل واحدٍ منها مبدوءٌ بـ (لا) النافية للفعل المضارع (يعلم) أو ما يرادفه، للدلالة على استمرارية ودوام نفي الفعل زماناً ومكاناً وُحدوثاً¹، مع وجود أداة الاستثناء، المستثنى بعدها هو لفظ الجلالة (الله) العظيم بجلاله وكماله كونه المتفرد بهذا العلم تأكيداً وتبييناً لذلك، لأنّ الأصل في طريق القصّر بالنفي والاستثناء أن يجيء لأمرٍ يُنكرُ المخاطب، أو يشكُّ فيه، فنزلت جملة القصّر (لا يعلم...إلا الله) منزلة التوكيد، توكيد في كلّ مرّة علم الله².

إنّ هذين المقطعين المشكّلين للنصّ قد ارتبطا ارتباطاً نصيّاً، تلاحمت فيه عناصر الحديث وارتبطت مكوّناته ارتباطاً دلاليّاً حين جاء الثاني منهما تفصيلاً للأوّل، وبياناً وتفسيراً له، وارتباطاً شكليّاً من خلال عديد الروابط النصية التي يُعدُّ التكرار واحداً من أبرزها. إذ كان حضوره في النص الحديثي واضحاً، وفاعليته النصيّة بارزةً من خلال عمله على تحقيق عدّة وظائف، لعلّ أهمّها ذلك الاتّساق المعجمي في الحديث الشريف بتلاحم تمفّصلاته ومقاطعهِ وجملهِ عبر تماسك وتتابع مكوّناته اللفظية والتركيبية.

فحين نقف على بنية هذا النص الحديثي فإننا نَرصدُ جملة القصّر الفعلية التي أنهى بها صَلَّى الله عليه وسلم المقطع الأوّل (لا يعلمها...إلا الله) وهي جملةٌ تابعةٌ لما قبلها بـ (مفاتيح الغيب خمس)

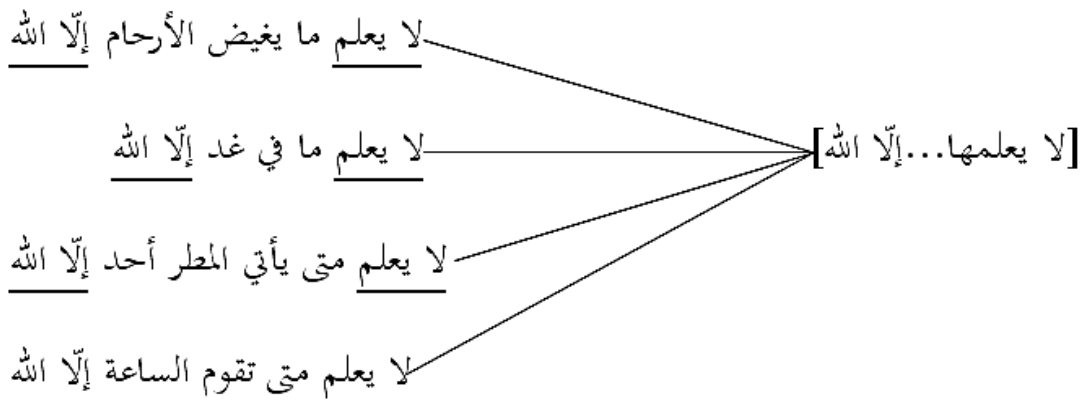
¹ ينظر: الكليات، الكفوي، ص341. ومعاني الأبنية العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط2، 1428هـ/2007م ص16.

² ينظر: بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد عبده عوض، ص733.

فالهاء رابطٌ إحيائيٌّ عائِدٌ على (مفاتيح الغيب) بيانٌ للجُملة التي قَبَلَهَا¹، هذه الجملة بألفاظها القليلة، الموحية بلفظها، المعبرة بتركيبها عبّرت عن فكرةٍ رئيسيةٍ تأسّس عليها هذا الحديث النبويّ، فكرة علم الله المطلق بالغيوب دون سواه، فكرة عقيدة وإيمان، وتفردُه جلّ جلاله بالألوهية وعلم الغيب، مثَلت فيه جُمْلَةُ القَصْرِ (لا يعلم...إلا الله) رابطاً تكرارياً بعنصره "المرجع" وهو ذكرُه صَلَّى اللهُ عليه وسلّم هذه الجملة في آخرِ المقطعِ الأول، و"العنصر المستأنف" وهو الوحدة اللغويّة التركيبيّة نفسها - جملة القَصْرِ - التي امتدّت صورُتها في جميعِ تَمَفُّصَاتِ المقطعِ الثاني خمسَ مرّات مع كُلِّ عالمٍ غيبيٍّ يُعادُ حُضُورها إثباتاً وبياناً لاختصاصه عزّ وجلّ بالقُدرةِ الكاملةِ التامةِ، والرحمةِ الشاملةِ العامّةِ، اختصاصه تعالى بعِلْمِ الغيبِ². وردّاً على المشكّكينَ والمدّعينَ من المشركينَ بسؤالهم رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم عن وقت قيام الساعة، وادّعائهم علَمَ ذلك شأن النبوءة³.

لقد تَكَرَّرَ ذَكَرُ هذا المرجعِ خمسَ مرّاتٍ، فشكّلَ نمطينَ من التكرار:

تكرار اللفظ والمعنى بإعادة الجملة مبناهَا ومعناها في أربع تَمَفُّصَاتٍ هي:



¹ ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، د ط، 1984م. 271/7.

² روح المعاني، الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، 9/20.

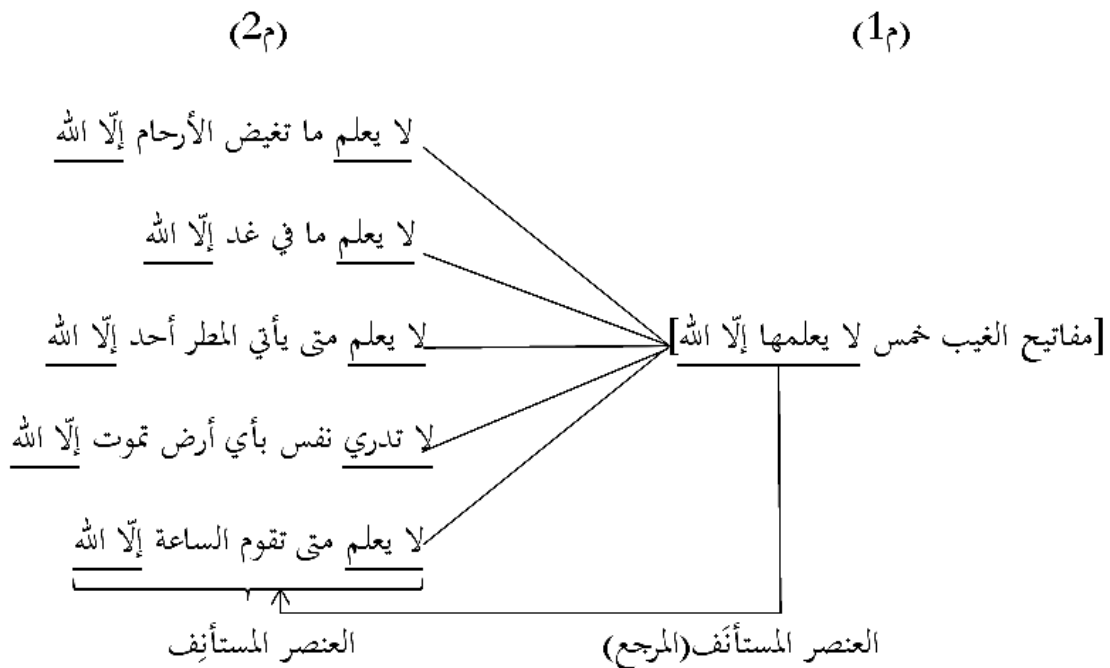
³ المصدر نفسه، 19/20.

وتكرار المعنى دون اللفظ بإعادة الجملة بمعناها و ببعض ألفاظها:

[لا يعلمها إلا الله] ← [لا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله].

ففي هذا التكرار استبدال لفظ الفعل (يعلم) بمرادفه (تدري)، ولعل ذلك عائد إلى تعلق هذا الفعل بفعل الدراية بالعالم السفلي، والدراية كما قال الإمام العيني أخص لأتباع علم باحتيال، أي أنها لا تُعرف وإن أُعملت حيلها¹.

ويمكننا أن نمثل هذا التكرار في هذا الحديث النبوي بصورتيه بالمخطط الآتي:



إنّ هذا التكرار بدوّه كرابط نصي قد عمّل في هذا النصّ الحديثي على تحقيق جملة من الوظائف سواءً على مستوى البنية السطحية للحديث أو بنيته العميقة، ولعلّ أبرزها ما يأتي:

¹ عمدة القارئ، العيني، 88/7. وهامش مختصر صحيح البخاري، الشنواني، ص 369-370.

- إذا كانت تمفصلات ومقاطع هذا النص الحديثي قد ارتبطت بأدوات ربط كالواو العاطفة وبعض الروابط الإحالية، فإنّ التكرار أيضاً قد ساهم بالفعل في زيادة هذا التماسك بنيةً والانسجام دلالةً؛ إذ لم يقتصر دوره في الربط على مستوى المقطع الواحد، بل على مستوى النص كلّ بربطه بين مقطعي النص الأول والثاني.

فُعْضُرا التكرار (العنصر المرجع) و (العنصر المستأنف) شكلاً همزة وصلٍ وحلقة ربط بين جميع أجزاء النص عبر تتابع عناصر المتواليّة الخطيّة المشكّلة لبنية الحديث النبويّ، وهذا بامتداد المعنى وبلاستمراريّة الدلاليّة للموضوع المحوريّ للحديث بواسطة جملة القصّر (لا يعلم...إلاّ الله)، قصّر "الإفراد" الذي حدّده البلاغيّون بقصّر الصفة على الموصوف وتقرّد الله عزّ وجلّ بالعلم، ونفي صفة العلم عن كلّ ما سواه وعمّن سواه من الشركاء¹.

إنّ حُضُور الوحدة التكراريّة (جملة القصّر) وانتشارها عبر تمفصلات ومقاطع النصّ جعله وحدةً كليّة نصيّة ترمي إلى غاية عظيمة وهي توحيد الله وتقرّده جلّ جلاله بالعلم المطلق².

نعم بالفعل إنّ أبرز ما حقّقه هذا التكرار في سلسلة العبارات المتكرّرة بين أجزاء النصّ الحديثيّ، إسهامه في اتّساق وتلاحم مكوّناته وربطه بين المحتوى القضوي للجمل في الأجزاء المختلفة للنصّ،

¹ ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبيكه الميداني، 528/1.

² ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي، ص 179. وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 21/2. وعلم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 149-152.

بتحديدده القضية الأساسية للنص بالتأكيد عليها تثبيثاً وترسيخاً بإعادتها لفظاً ومعنى، وبإعادتها معنًى ولفظاً¹.

فمُجْمَلُ القول إذن في نهاية هذه الدراسة للتكرار في الحديث النبوي ما يأتي:

- حَظِيَ التكرارُ كظاهرةٍ لغويّةٍ باهتمام العلماء لغويّين وبلاغيّين ونحاةٍ ونصائيّين قدماء ومحدثين في التراث العربي، وفي الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة على اختلاف وجهّة دراستهم وتعريفاتهم، فهو عند النصائيّين مرتبطٌ بالتماسك النصّي وقيمته في تحقيق الترابط بين مكوّنات النص واتّساق بنيته وهو ثلاثة أنواع: 1- تكرار اللفظ والمعنى 2- تكرار اللفظ دون المعنى 3- تكرار المعنى دون اللفظ.
- شكّلت الصُّورُ التكراريّةُ المتعدّدة من تكرار اللفظ دون المعنى، وتكرار اللفظ والمعنى، و تكرار المعنى دون اللفظ نسيجاً للنص الحديثي، تلاحمت مكوّناته بواسطتها، وتماسكت عناصره على مستوى الجملة الواحدة، وعلى مستوى المقطع الواحد، وعلى مستوى النص كبنيةٍ كليّةٍ يرتبط أوّلُهُ بآخره تحت موضوعٍ واحدٍ، وقضيّةٍ محوريّةٍ، ومُحقّقاً ترابطاً بين عناصره في غاية الإحكام، وأحسن الانتظام.
- كما حَقَّقَ في النص استمراريّةً دلاليّةً واضحةً لفكرةٍ مهمّةٍ وقضيّةٍ تعبديّةٍ (أهميّة الصلاة)، (مسؤولية الراعي نحو الرعية)، (كلمة التوحيد)، (ذكر اسم الله)، (علم الله الغيبي المطلق) جعل منها قضايا جوهريّة، وموضوعاً مركزيّاً¹ بحضورها المكثّف، وهو ما صَنَعَ في كلّ واحدٍ من الأحاديث النبويّة تماسكاً في البنية، وانسجاماً في الدلالة كوئنها ترتبط بهذه الفكرة، ومنها تنطلق الأوامر وبها يرتبط العبدُ برَبِّه وجدانيّاً وإيمانيّاً و تعبديّاً.

¹ ينظر: علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص105.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث و بَعْدَ هذه الدراسة النصّية المستفيضة للنصّ النبويّ من خلال تتبّع الحُضُور
الفعليّ و الدّور الفاعل لمختلف أدوات الاتّساق النصّي، والكشّف عن أثرها الدلاليّ و الأسلوبيّ في
البنية النصية للحديث النبويّ الشريف في واحدٍ من أهمّ كتب الحديث وهو "جمع النهاية في بداية
الخير و الغاية" لابن أبي جمرة . قد توصّلنا بعد ذلك كلّهُ إلى النتائج الآتية:

- كتاب "جمع النهاية في بداية الخير والغاية" يحوي مئتين وستة وتسعين حديثاً للنبي ﷺ جمعها الإمام
ابن أبي جمرة من كتاب "الجامع الصحيح" للإمام البخاري بعد حذف أسانيدّها تسهياً للقارئ في
حفظها، وقد بدأها ابن أبي جمرة بحديث بدء الوحي لرسول الله ﷺ وختمها بحديث دخول أهل الجنّة
الجنّة، وهو ما ناسب بمقتضى وضعه تسميته بـ (جمع النهاية في بداية الخير والغاية) .

- حَظِيَ الكتاب "جمع النهاية في بداية الخير والغاية" باهتمام كبير سواء في شروحه أو في العناية به
من تحقيق وتعليق وطباعته مرات عديدة والتي نذكر منها: مختصر صحيح البخاري وبهامشه شرح
العلامة محمد الشنواني - مختصر صحيح البخاري جمع النهاية في بدء الخير وغاية، وبهامشه شرح
العلامة عبد المجيد الشرنوبلي الأزهرى - مختصر صحيح البخاري، مع ذكر فوائد الحافظ ابن حجر
على الحديث وشرح مفردات الحديث للعلامة الشرنوبلي - جمع النهاية في بداية الخير والغاية، تحقيق
الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب .

- الإحالة هي رابطة و أداة من أدوات الاتّساق النصي التي تجعل من النصّ بنيةً واحدةً تُسهِمُ بقدرٍ
كبيرٍ في تلاحُمِ مُكوّناته جملاً وتراكيب، وقد تعدّدت التقسيمات عند الباحثين للإحالة، فاتّفق
بعضها واختلف بعضها الآخر سواءً في المفهوم أو في المصطلح إلّا أنّ الذي يكادُ أن يكونَ حوْلَهُ

إجماعٌ أو تقاربٌ هو أنّ الإحالة لها قسمان: نصيّة (داخلية)، ومقامية (خارجية)، والنصيّة تتفرّع بدورها إلى إحالة قبيلة وأخرى بعدية، كما أنّ للإحالة أربعة عناصر أو أدوات وهي: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة واسم الموصول .

- تعدّدت الإحالات في الحديث النبوي وتنوّعت صُورُها، فقد بلغت في ما درسناه في الأحاديث النبويّة الثمانية ثمانية وسبعين إحالةً، خمسة وخمسين منها نصيّة أغلبها إحالاتٌ قبليّةٌ ضميريّةٌ وقد بلغت تسعةً وأربعين، وستّ إحالاتٍ بعديّةٍ بيّنَ ضمائر الغائب وأسماء الإشارة . أمّا الإحالات المقاميّة إلى خارج النصّ فقد بلغت ثلاثة وعشرين إحالةً منها ما يدلُّ على مخاطَبٍ، أو متكلّمٍ، أو غائبٍ و هذا تبعاً لحديثه صلى الله عليه وسلّم عن ذات مقصودة أو فكرة مستوحاة من سياق الموقف، كما توزّعت هذه الإحالات على تنوّع في صُورِها في النص النبوي من بدايته إلى نهايته لتؤدّي دورها في اتّساق النص وتُشكّل وحدة نصية متكاملة بنيةً ودلالةً.

- إنّ في حضور الإحالات مع العناصر الإشاريّة أو المراجع التي تشير إليها نجدُ سيطرةً واضحةً و حضوراً قوياً و انتشاراً واسعاً للإحالات الضميريّة لاسيما ضمير الغائب العائد على المرجع الدال عليه، وهو ما يؤكّد التركيز على ذات محوريّة مُمثّلةٍ لذلك المرجع كونها تُمثّلُ صورة الغائب بالحديث عنه، و المحور الذي انبثت عليه تلك الأحاديث . كما كان حضور الروابط الإحاليّة في النص الحديثي معتبراً لاسيما النصية القبلية منها، إذ أنّها بمثابة همزة الوصل وأداة الربط لأجزاء النص النبوي ودليل على تداوليته القويّة، فضلاً عمّا تؤدّيهِ من تحقيقٍ للصلات الموضوعيّة للنص باتّساق بنيته وتماسكِه الشكليّ و الدلاليّ معاً .

- الحضور المعتبر للروابط الإحالية المتنوعة بين الضمائر والإشارة والموصول مع تعدد العناصر الإشارية في النص النبوي شكّل منه نسيجاً نصياً ارتبطت عناصره وتلاحمت مكوّناته كلماتٍ وجُملاً، فتحقّق فيه الاتّساق النصّي فضلاً على كونه - الحديث النبوي - رسالة نصيّة جاء جواباً لسؤالٍ أو توضيحاً لإبهام، أو حتّى على خيرٍ أو نهياً عن مُنكرٍ أو ترغيباً في برٍّ وفضلٍ أو ترهيباً من ذنبٍ وشرٍّ وغير ذلك من تنوع في أسلوب الخطاب النبويّ و تعدّد في أغراضه، فمحمّد ﷺ هو المجيب وهو الأمر وهو الناهي وهو الموجه والمرشد، وهو المحاور، وهو المفسّر و الشارح، و هو في كلّ الحالات المرسل، والصحابيّ أو جماعة الصّحابة أو سائر المؤمنين هم المتلقّي أو المرسل إليه

- الاستبدال عند علماء اللغة النصّيين هو عملية تتم داخل النص، تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو علاقة اتساق شأنه في ذلك شأن الإحالة مع اختلافه عنها كونه علاقة تتم في المستوى الدلالي. وهو من جهة أخرى وسيلة أساسية تُعتمد في اتّساق النصّ وتلاحم مكوّنات بنيته الداخلية، كما أنّه يحقّق الاستمرارية الدلالية، والاقتصاد اللغوي، وهو ثلاثة أنواع: استبدال اسمي، استبدال فعلي، استبدال حرفي .

- إنّ وجود الاستبدال في الحديث النبويّ يؤشّر إلى الاستمرار الدلاليّ والشاء المعجميّ، فهو علاقة تتمّ على المستوى النحويّ والمعجميّ، أضفّ إلى هذا فالاستبدال زيادة على كونه يُمثّل أداة من أدوات الاتّساق النصّي فهو وسيلة بها يُحقّق مُنشئ النص - محمّد ﷺ - عرض فكرته التبعديّة وتوجيهه النبويّ دون تكرار كلماتٍ بعينها. مع الاستمرارية الدلالية للفعل أو الاسم أو القول المعوّض في الجملة السابقة بالفعل أو الاسم المعوّض في الجملة اللاحقة.

- الاستبدال المحقق بواسطة اسم الإشارة (هكذا) في النص النبوي عامل قوي وعنصر فاعل، فاستخدامه كان مُجَنَّبًا للتكرار، مُحَقَّقًا للاختصار، مُفِيدًا للمعنى . كما أنَّ هذا العنصر الإشاري كواحدٍ من أشكال الاستبدال عَمِلَ على إيجاد ذلك النسيج النصي، فضلًا على حُضُورِ العنصر المستبدل حُضورًا إشاريًا حَقَّقَ استمراريةً دلاليةً بارتباطٍ وثيقٍ بَيْنَ عنصري الاستبدال البديل والمبدل أو العنصر البديل والمستبدل.

- إنَّ في استعماله صَلَّى الله عليه وسلَّم صيغتي الفعل الكنائي (فعل) و (تَفَعَّل) أُغْنَى عن إعادة ذِكر الأفعال، وأَحَالَ دون تكرارٍ للأقوال، وإعادتها بلفظها المطول . فصيغة الفعل الكنائي لفظ قليل في أحرفه، موسَّع بشموليته، مكثَّف في دلالاته، وهو صورة من صور الإيجاز في أسلوبه ﷺ ما يبلغ به العِلِّيَّةُ الكمال في البيان البشري وهو من جوامع كلمه، ولا يؤتَى الإيجاز إلَّا من رزق حدَّة في الذهن ومعرفة تامة بدلالة المفردات، وإدراكًا واعيًا لأحوال المخاطبين، وقد اجتمع ذلك كُلُّهُ في الرِّسُولِ ﷺ أَكْمَلَ وَجْهٍ .

- يقع الحذف عند علماء النص تحت ثلاثة أنواع: الحذف الاسمي - الحذف الفعلي - الحذف الجملي . ويعمل كواحد من أدوات الاتساق النصي على تحقيق تماسك النص لأن وجود دليل مقالي أو مقامي على المحذوف يَحَقِّقُ المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة، إضافةً إلى هذا فهو قد يَحَقِّقُ التكرار باللفظ والمعنى، أو بالمعنى دون اللفظ فتكون بذلك الاستمرارية الدلالية للنص قائمة باستمرار المعنى عبر تكراره، ممَّا ينشأ عنه استمرار التواصل عبر دلالات الغياب وتوجيه اهتمامات المتلقِّي إلى دلالات الحُضُورِ ممَّا يُسَاهِمُ في تماسك النصِّ بنيةً وانسجامه دلالةً.

- إنَّ حضورَ الحذفِ على أنواعهِ الثلاثِ وصُورهِ المتعدّدةِ في الحديثِ النبويّ يدفعُ مِنْ خلالهِ صُلَى الله عليه وسلّم في خطابهِ المخاطَب إلى المشاركة معه في إعمالِ الذهنِ بالبحثِ عنِ العنصرِ المذكورِ الذي يَسُدُّ به فراغَ العنصرِ المحذوفِ أو الفجوةَ الكلاميّةِ، فبواسطته يتحقّقُ هذا المعنى ويتركُ هذا الأثرَ. كما عَمِلَ على تحقيقِ تلاخُمِ نصِّي بَيْنَ مُكوّناتِ النصّ النبويّ جملاً ومقاطعَ إذْ أنَّ وجودَ دليلٍ سابقٍ مذكورٍ على العنصرِ المحذوفِ اللاحقِ يُحقّقُ مرجعيّةً داخليةً يكونُ بواسطتها استمراريّةُ النصّ الحديثي دلالياً على الرّغم من عدمِ تكرارِ اللفظِ المحذوفِ. ممّا جعلَ آخرَ النصّ مرتبطاً بأوّلِهِ.

- الحضورُ المكثّفُ للحذفِ الاسميّ في الخطابِ النبويّ لاسيما ما كان منه بناءً حوارياً وهو ما أسهمَ بِشَكْلٍ واضحٍ في تلاخُمِ مقاطعِ النصّ النبويّ اللاحقِ منها مع سابقِهِ تلاخُماً لا يقلُّ دوراً عن غيره ممّا تُؤدّيهِ بقيّةُ أدواتِ الاتّساقِ الأخرى في إحكامِ نسيجِ النصّ وتوحيدِ موضوعِهِ ؛ فإذا كان الارتباطُ الحاصلُ بَيْنَ مُكوّناتِ المقطعِ الواحدِ هو ارتباطٌ دلاليٌّ في التمفصّلاتِ الحواريّةِ بَيْنَ طرفي العمليةِ التواصليةِ (الرسول ﷺ) و (الصحابة)، الاستفهامِ وجوابِ الاستفهامِ، فإنَّ الارتباطَ المحقّقَ بَيْنَ المقطعِ والمقطعِ المجاورِ لَهُ يقومُ على عَدِّ جوابِهِ ﷺ في نهاية كُلِّ مقطعٍ كمرجعيّةٍ تَتَضَمَّنُ الدليلَ المُرشِدَ الذي يتمُّ بواسطتهِ تفسيرُ العنصرِ المحذوفِ من جملةِ مَقُولِ القَوْلِ الاستفهاميّةِ في المقطعِ اللاحقِ لَهُ، وبهذا يكونُ هذا الاتّساقُ النصّيُّ مُحَقَّقاً بالفعلِ بواسطة الحذفِ الاسميّ عَبْرَ مرجعيّتهِ المحقّقةِ في مقطعينِ مختلفينِ تَضَمَّنَا العنصرَ المذكورَ السابقَ (الدال) والعنصرَ المحذوفَ اللاحقَ (المقَدَّر).

- يمكن القول أنَّ النصّ النبويّ الحواريّ في نمطهِ، الإرشاديّ في أهدافِهِ ومقاصدِهِ اعتمد على الحذفِ، كما أنَّ الحذفَ المتعدّدَ في حضورِهِ المكثّفِ في مدلولِهِ في النصّ النبويّ ليعدُّ مِنْ أكثرِ الروابطِ

التي تُناسِبُ النصوصَ الحواريةَ أكثر من غيرها من النصوص الأخرى، لاسيما أنه جاء للإيجاز اعتماداً على فهم المخاطب (النبي) - المجيب والامر - في سياق الحديث، وتجاوبه تواصلًا مع المخاطب (الصحابة) - المتلقّي والسائل - لأنّ غالب الحوار في البيان النبوي قائم على السؤال والجواب سواءً بدأ النبي ﷺ الحوار بالسؤال، أو كان مبدوءاً هو بالسؤال، لذلك كثّر الاستفهام في الحوار النبوي سواءً على معناه الحقيقي، أو على معناه المجازي، هذا إلى جانب ما يميّز به الحوار من مخاطبته الإنسان في أكثر من جانب، جانب العقل، وجانب الوجدان والنفس، ممّا يُثير انتباه المخاطب ويستحضر حسّه وبديته .

- إنّ الحذف الجُملي في الحديث النبوي في الجملة الجوابية - جملة جواب الاستفهام - جعله يبدو في صورة بنويّة موجزة اللفظ مختصرة التركيب، فللجواب في الحديث النبوي صورٌ متنوّعة وأساليبٌ متعدّدة تتناسب مع الغرض من الاستفهام . فمن أهمّ أغراض الحذف الجُملي وأبعاده البلاغيّة هو الاختصار والإيجاز، فاستُغني عن إعادة الجواب بالقرينة اللفظيّة أو المقاليّة العنصر المذكور، زيادة على ذلك فإنّ طبيعة الحوار أن يُكَمَّلَ بعضه بعضاً، فما يرد في كلام أحد المتحاورين يبيّن عليه الآخر كلامه مُستغنياً بالقرائن الدالة عليه والسياق الوارد فيه. فطبيعة الحوار أميل إلى الإيجاز بإيجاز بالقصر كان أو بالحذف، الإيجاز في اللفظ والاختصار في التعبير اعتماداً منه ﷺ على فهم المخاطب بناءً على سياق الحديث إعمالاً لذهنه في إكمال الجزء المحذوف من التركيب ممّا تأنس له النفس، فأداء المعنى كاملاً بالحذف دليلٌ على بلاغة المتكلّم وتمكّنه زمام اللغة ولا أبلغ من صاحب الحديث محمد

- كَانَ لِلحذفِ فِي النصِّ الحديثيِّ عَلَى تَنَوُّعٍ فِي صُورِهِ بَيْنَ حَذْفِ المضافِ إِلَيْهِ، وَحذفِ الخبرِ، وَحذفِ المبتدأ، كَأَدَاةٍ نَصِيَّةٍ دَوْرُهُ الفاعِلُ فِي بنيةِ النصِّ لَفْظًا وَمَعْنَى بِحَضُورِهِ المميّزِ، وَتَوَزُّعِهِ المنتظمِ، حَقَّقَ فِيهِ تَلاخُمًا بَيْنَ مُكَوِّنَاتِهِ وَتَعَالُفًا بَيْنَ تَمَفُّضَاتِهِ لِاسِيْمًا حِينَ الانتقالِ مِنْ مَقْطَعٍ إِلَى مَقْطَعٍ آخَرَ. فَقَدْ سَاهَمَ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ فِي تَحْقِيقِ اتِّسَاقِ بنيةِ الحديثِ وَإِحْكَامِ نَسِيجِهِ، وَانْسِجَامِ دَلَالَتِهِ مِنْ خِلَالِ شَبَكَةِ العَلاَقَاتِ النَصِيَّةِ الَّتِي نَسَجَهَا بَيْنَ مُكَوِّنَاتِهِ اللَّفْظِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ.

- الوصلُ يُعْتَبَرُ المظهرَ الاتساقِيَّ الرَّابِعَ والرابطَ النصيَّ المختلفَ عَنْ كُلِّ أنواعِ عَلاَقَاتِ الاتِّسَاقِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَتَضَمَّنُ إِشَارَةً مُوجَّهَةً نَحْوَ البَحْثِ عَنِ العنصرِ المُفْتَرَضِ فِي مَا تَقَدَّمَ، أَوْ مَا سَيَلْحَقُهُ كَمَا هُوَ شَأْنُ الإِحَالَةِ وَالِاسْتِبدَالِ وَالحذفِ. إِذْ لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكَ النصِّ كَوَحْدَةٍ مَتَمَاسِكَةٍ مِنْ غَيْرِ النَظَرِ إِلَى تِلْكَ العنَاصِرِ الرَّابِطَةِ الَّتِي تَصِلُ بَيْنَ أَجْزَائِهِ . وَيُصَنَّفُ أَرْبَعَةً أَصْنَافٍ: أ- الوصلُ الإِضَافِيَّ (الرَّبطُ الجُمُعِي) . ب- الوصلُ الزِمْنِي . ج- الوصلُ العَكْسِي . د- الوصلُ السَّبَبِي .

- الوصلُ رَابِطٌ قَوِيٌّ بَيْنَ مُتتَالِيَاتِ الجُمْلِ عَلَى مُسْتَوَاهَا السَطْحِيَّ فَضْلًا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الجُمْلُ تُشَكِّلُ نَصًّا مُتَرَابِطًا الأَجْزَاءِ عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ، فَالوَصْلُ يَقُومُ بِتَوْلِيدِ عَلاَقَاتٍ دَلَالِيَّةٍ أَفْقِيَّةٍ عَلَى مُسْتَوَى الجُمْلَةِ، وَعَلاَقَاتٍ دَلَالِيَّةٍ رَاسِيَّةٍ بَيْنَ الفِقرَاتِ فِي بنيةِ النصِّ ؛ إِضَافَةً إِلَى أَنَّهُ يَرِيطُ بَيْنَ الجُمْلِ عَلَى المُسْتَوَى الخَطِّيِّ، فَأَدَوَاتُ العُطْفِ تَجْعَلُ مِنَ المُتَوَالِيَةِ الجُمْلِيَّةِ مَسَارًا خَطِيًّا مَتَمَاسِكًا، فَتُذَرِكُ عَنَاصِرُ النصِّ مُفْرَدَةً وَجُمْلًا وَمُتَوَالِيَاتٍ جُمْلٍ كَوَحْدَةٍ مَتَمَاسِكَةٍ.

- الحَضُورُ المُكْتَفٍ لِلرَوَابِطِ الوَصْلِيَّةِ فِي الحديثِ النَبَوِيِّ لِاسِيْمَا الوصلِ الإِضَافِيَّ بِالفَاءِ وَالْوَاوِ ؛ فَالوَصْلُ المُحَقَّقُ لِلاتِّسَاقِ النصيِّ فِيهِ قَدْ أَدَّى دَوْرَهُ عَلَى المُسْتَوَى الجُمْلِيِّ، أَيْ عَلَى مُسْتَوَى المُتَوَالِيَةِ

الخطية الجملية المشكّلة لبنية مقاطع النص، وهو ترتيب منطقي، وتعقيب موضوعي أفادته كل من الواو و الفاء، بالتعبير عن جمع أو توالي حدثين أو خبرين أو أمرين أو نهيين أو توجيهين أو مجموعة منها على التوالي في النص الحديثي .

- لقد تنوّعت صُورُ الوصل الحاضرة في الحديث النبوي بين وصلٍ إضافي بواسطة الواو والفاء، ووصلٍ سببي بواسطة إذا الشرطية الرابطة بين الشرط والجواب، والفعل والجزاء خاصة أن الخطاب النبوي يعمد في صلى الله عليه وسلم إلى الترغيب والترهيب، و الثواب والعقاب، حصًا للعباد على الخير وتحذيرًا من الشر، ووصلٍ زمني ب (حتى) الابتدائية الدالة على تتابع الأحداث بتتابعها الزمني، وتحقيقه للعلاقة التتابعية زمنيًا بين الأفعال والأحداث لاسيما مع الأسلوب القصصي السردى في الخطاب النبوي، ووصلٍ عكسي بواسطة لكن الاستدراكية لدلتها على مخالفة الموصول التابع للمعطوف عليه المتبوع السابق له، فمُجمل هذه الروابط الوصلية فاعليتها واضحة، ودورها كبير في تحقيق تلاحم النص النبوي إن على المستوى الجملي داخل المقطع الواحد في مسارٍ أفقي، أو على المستوى المقطعي داخل النص بتتابع المتواليات المقطعية في مسارٍ عمودي من البنية التركيبية للحديث النبوي .

- حظي التكرار كظاهرة لغوية باهتمام العلماء لغويين وبلاغيين ونحاة ونصانيين قداماء ومحدثين في التراث العربي، وفي الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة على اختلاف وجهه دراساتهم وتعريفاتهم ؛ فهو عند البلاغيين مرتبطٌ بخصائص أسلوبية وجمالية ضربٌ من ضروب الإطناب، وما يتركه من أثر دلالي وأسلوبى، وعند النحاة مرتبطٌ بالتوكيد اللفظي في بعض صوره، وهو عند النصائين مرتبطٌ بالتماسك النصي، وقيمتُهُ في تحقيق الترابط بين مكوّنات النص واتّساق بنيته ، كما فصّلوا البحث في

أنواعه، فتعددت اعتبارات تصنيفهم له. فبالنظر إلى جميع تلك الاعتبارات فقد كان تركيزهم يدور حول اللفظ والمعنى وهو الأساس الذي روعي أكثر من غيره عند البلاغيين أو النحاة أو النصائين أو المفسرين، فالتكرار ثلاثة أنواع: 1- تكرار اللفظ والمعنى 2- تكرار اللفظ دون المعنى 3- تكرار المعنى دون اللفظ.

- للتكرار فوائد جلية، وآثار عديدة، وأبعاد دلالية وأسلوبية ونصية على مستوى الألفاظ أو التراكيب، فمن أهم ما يفيد التكرار باعتباره واحدًا من أدوات الاتساق النصي أنه يساهم في ربط عناصر النص المتباعدة، وتحقيق استمراريته، وتلاحم عناصره وذلك من خلال امتداد عنصر لغوي من أول النص إلى آخره، ويصنع فيه نوعًا من التماسك الخاص وضربًا من انسجام الخطاب فيه. - لقد شكّلت الصور التكرارية المتعددة من تكرار اللفظ دون المعنى، وتكرار اللفظ والمعنى، و تكرار المعنى دون اللفظ نسيجًا للنص الحديثي، تلاحمت مكوناته بواسطتها، وتماست عناصره على مستوى الجملة الواحدة، وعلى مستوى المقطع الواحد، وعلى مستوى النص كبنية كلية يرتبط أوله بآخره تحت موضوع واحد وقضية محورية، ومحققًا ترابطًا بين عناصره في غاية الإحكام، وأحسن الانتظام، كما ناسبت تلك الصور التكرارية ذلك التنوع في بناء الحديث النبوي وهيكلته التي أقيم عليه من سرد وإخبار أو إجمال وتفصيل، وبناء دائري مغلق، وبناء تعارضية.

- إن التكرار بامتداد العنصر المرجع في المقاطع المختلفة في الحديث النبوي حقق في النص استمرارية دلالية واضحة لفكرة مهمة وقضية تعبدية (أهمية الصلاة)، (مسؤولية الراعي نحو الرعية)، (كلمة التوحيد)، (ذكر اسم الله)، (علم الله الغيبي المطلق) جعل منها قضايا جوهرية، وموضوعًا مركزيًا

بحضورها المكثف، وهو ما صنَعَ في كُلِّ واحدٍ من الأحاديثِ النبويّةِ تماسُكًا في البنية، وانسجامًا في الدلالةِ كَوْنُها ترتبطُ بهذه الفكرة، ومنْهَا تنطلقُ الأوامرُ وبها يرتبطُ العبدُ برَبِّهِ وجدانيًّا وإيمانيًّا و تَعْبُديًّا.

الفهارس العامّة

- فهرس الآيات القرآنيّة

- فهرس الأحاديث النبويّة

- فهرس الشواهد الشعريّة

- قائمة المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات

- فهرس الآيات القرآنية -

الصفحة	رقم الآية	الآية	رقم السورة	السورة
191	60	﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾	02	البقرة
412	157	﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾		
431	191	﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ ﴿		
185	13	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فِتْنَةُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾	03	آل عمران
104	58	﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾		
104	59			
375	02	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	05	المائدة
255	03	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾		
-430	13	﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾		
431				
104	80	﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾	06	الأنعام
104	88	﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾		

458	187	﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾	07	الأعراف
376	63	﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾	08	الأنفال
431	36	﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾	09	التوبة
431	123	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾		
438	26-25	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَ يَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾	11	هود
30	44			
100	44			
418	45	﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾		
438	50	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾		
438	61	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾		
438	84	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾		

250	82	﴿وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ﴾	12	يوسف
401	86	﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾		
456	08	﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ	13	الرعد
		بِمِقْدَارٍ﴾		
436	28	﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾		
151	42	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	15	الحجر
155				
65	44	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ	16	النحل
		يَتَفَكَّرُونَ﴾		
149	81	﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾		
183	101	﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾		
22	81	﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	17	الإسراء
-218	29	﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾	18	الكهف
219				
426	61	﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ	20	طه
		خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾		

152	03	﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	21	الأنبياء
438	25	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾		
22	01	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	23	المؤمنون
399	36	﴿هَيِّهَاتَ هَيِّهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾		
430	96	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾		
255	12	﴿وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ﴾	27	النمل
355	06	﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾	28	القصص
309	15-14	﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾	31	لقمان
258	04	﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾	35	فاطر
331	32	﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾		
255	05	﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾	37	الصفات
431	35	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾		

418	43	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾	38	ص
66	86	﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾		
101	60	﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾	39	الزمر
430	34	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	41	فصلت
300	37	﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾	53	النجم
406	13	﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	55	الرحمان
198	09	﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾	61	الجمعة
31	01	﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	75	القيامة
399	54	﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾	78	النبأ
-403	18-17	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾	82	الانفطار
404		﴿		
39	18-16	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾	84	الانشقاق
40	17	﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾		

الفهارس العامة

407	17	﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَزْوَاجَهُمْ زُرُودًا﴾	86	الطارق
94	01	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	112	الإخلاص

- فهرس الأحاديث النبوية -

الصفحة	المصدر	راوي الحديث	نص الحديث
107	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أنس بن مالك	« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ... » «
116	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبي بكر	« إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ... »
125	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبو هريرة	« إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ... »
131	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري صحيح مسلم	أبي مسعود البدرى	« إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ ... »
137	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبي هريرة	« لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي ... » «
147	جمع النهاية في بداية	أبو هريرة	« يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ

	الخير و الغاية - صحيح البخاري		بِالنَّهَارِ ...»
161	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	عبد الله بن مسعود	« مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ...»
170	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ	« فَالْتُّلْتُ، وَالتُّلْتُ كَثِيرٌ ... »
193	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أنس بن مالك	« إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ ... »
198	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبي قتادة	« فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، ... »
205	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبي سعيد الخدري وأبي هريرة	« كُلُّ تَمَرٍ خَيْرٌ هَكَذَا ... »
218	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبو هريرة	« يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ الْقَلَمُ ... »

226	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	البراء بن عازب	« إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا ... »
234	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري صحيح مسلم	أبو هريرة	« إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّيْنَةِ ... »
262	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أنس بن مالك	« مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً ... »
269	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبو بردة	« عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ... »
282	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	عبد الله بن عباس	« أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ... »
290	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبو هريرة	« ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ... »
308	جمع النهاية في بداية	عبد الله بن	« الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا ... »

	الخير و الغاية - صحيح البخاري	مَسْعُودٍ	
338	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ	« إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً ... ».
349	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أَبُو هُرَيْرَةَ	« أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى ... »
361	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	ابْنِ مَسْعُودٍ	« لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ ... »
375	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	الثَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ	« تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ ... »
408	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أَبُو هُرَيْرَةَ	« الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ ... »
416	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ	« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... »

430	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبو هريرة	« أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ ... »
440	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	جابر بن عبد الله	« إِذَا اسْتَجَنَحَ اللَّيْلُ ... »
455	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	عبد الله بن عمر	« مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ... »
86	صحيح مسلم	أبو هريرة	«...وَأُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ »
411	صحيح مسلم	أبو هريرة	« إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ ... »
452	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أنس بن مالك	« اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ... »
452	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	عبد الله بن عباس	« أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ... »
453	صحيح مسلم	حذيفة بن اليمان	« إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... »

453	صحيح مسلم	عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ	« ضَعَّ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأْتَمُّ مِنْ جَسَدِكَ »
453	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبي ثعلبة الخُشَنِيّ	« أَمَّا مَا ذُكِّرَتْ مِنْ آتِيَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ ... »
454	جمع النهاية في بداية الخير و الغاية - صحيح البخاري	أبو موسى الأشعريّ	« مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ... »
459	صحيح البخاري صحيح مسلم	أبو هُرَيْرَةَ	« مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ... »
64	صحيح البخاري و سنن أبي داود	عبد الله بن زبير	« مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ».
80	صحيح البخاري	عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ	« بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ... »
81	صحيح البخاري	أبو موسى الأشعريّ	« مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »

- فهرس الشواهد الشعرية -

الصفحة	الشاهد الشعري	القافية
240	نظرةً فابتساماً فسلاماً * فكلّاماً فموعداً فلقاءً	الهمزة
61	مثل البهائم لا ترى آجالها * حتى تُساق إلى المجازر تُنحرُ خالط الناس بخلق واسع * لا تكن كلباً على الناس تهرّ	الراء
61	إن عشت تُفجع بالأحبة كلهم * وفناء نفسك لا أبا لك أفجع	العين
354	والفأ للترتيب باتصال * وثم للترتيب بانفصال	اللام
400	وإذا البلايل أفصحت بلغاتها * فأنف البلايل باحتساء بلايل	
304	فطلّقها فلست لها بكفء * وإلاّ يغل مفرق الحسام	الميم
60	اعتنم في الفراغ فضل زكوع * فعسى أن يكون مؤثك بعته كم صحيح رأيت من غير سقم * ذهبت نفسه الصحيحة فلتته	الهاء

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

01- الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، دار مصر للطباعة، مصر. (دط)، (دت).

02-اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط 1، 2007م .

03- الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، مصر، (دط)، (دت).

04- أدب الحديث النبوي، بكري الشيخ أمين، دار الشروق، بيروت، لبنان، القاهرة، مصر، ط 1401، 5هـ / 1981م.

05- الأدب النبوي، محمد بن عبد العزيز الخولي، عبد المجيد طعمه الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 4، 1423هـ / 2002م.

06- إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، القاهرة، ط 7، 1323هـ .

07- أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية (في الموطأ)، محمد سعيد عبد الله، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000م.

08- الاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، (د.ط)، 1423 هـ / 2002م .

09- إشكالات النص المداخلة أنموذجا دراسة لسانية نصية ، جمعان عبد الكريم، النادي الأدبي، الرياض المملكة العربية السعودية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 2009م .

10- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1421هـ / 2001م.

- 11- الأضداد، ابن الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/ 2006م .
- 12- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1425هـ/ 2005م.
- 13- إعراب الحديث النبوي، العكبري، تح علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة مصر، (دط)، (دت).
- 14- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، الخطابي، تح محمد بن سعد بن عبد الرحمان آل سعود، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1409هـ/ 1988م .
- 15- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
- 16- الأعمال الشعرية الكاملة الشوقيات، أحمد شوقي، باب النسيب، قصيدة "خدعوها " دار العودة، بيروت لبنان، ط1، 1988م .
- 17- الأقصى القريب في علم البيان، التنوخي، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1327هـ .
- 18- أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، ط1، 2003م/ 1423هـ.
- 19- انفتاح النص الروائي النص والسياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001م .
- 20- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (دط)، (دت).

- 21- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م/1424هـ .
- 22- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.
- 23- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، د ط، 1998م .
- 24- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، (دط)، (دت).
- 25- بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد عبده عوض، مركز الكتاب للنشر، القاهرة مصر، ط1، 2013م.
- 26- البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها، عبد الرحمان حسن حبنّكه الميداني، دار القلم دمشق سوريا، الدار الشامية بيروت، ط1، 1416هـ/1996م .
- 27- بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1981م .
- 28- البلاغة النبوية، محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة مصر، ط1، 1429هـ/2008م.
- 29- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003م .

- 30- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، عودة خليل أبو عودة، دار البشير عمان الأردن، ط1، 1411هـ/1991م.
- 31- البنى الأسلوبية في النص الشعري، دراسة تطبيقية، راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، دار الحكمة، لندن، بريطانيا، ط1، 2004م .
- 32- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي حمزة الأندلسي، تح وتع عادل أحمد إبراهيم، مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1434هـ/2013م .
- 33- بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، مركز صالح الثقافي بغيزة، المملكة العربية السعودية، 1411هـ.
- 34- البيان والتبيين، الجاحظ، تح وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، (دط)، (دت).
- 35- البيان والتبيين، الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، تح عبد السلام، محمد هارون، ط7، 1418هـ/1998م .
- 36- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، ابن حمزة الحسيني، مطبعة البهاء حلب سوريا، 1329هـ .
- 37- تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، يناير 1990م.
- 38- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قضاة العلماء من غير أهلها ووآريها، الخطيب البغدادي، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)

- 39- تأويلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ/2010م.
- 40- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، د ط، 1984م.
- 41- التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2005م.
- 42- التركيب والدلالة والسياق دراسات تطبيقية، محمد أحمد خضر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر 2005 م .
- 43- التصريح على التوضيح، الأزهرى، تح محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1421هـ/2000م .
- 44- التطبيق النحويّ عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، ط2، 1420هـ/2000 م .
- 45- تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- 46- تهذيب الأسماء واللغات، النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
- 47- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين المزي، تح بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
- 48- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، تح وتع: منصور علي عبد السميع، وثناء محمد سالم، ومحمد محمود القاضي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط2، 1434هـ/2013م.

- 49- جمع النهاية في بداية الخبر والغاية، ابن أبي جمرة، اعتناء أبو المنذر سامي بن أنور خليل جاهين، دار المنهاج، السعودية، ط1، 1422هـ/2001م .
- 50- جمع النهاية في بداية الخير والغاية، ابن أبي جمرة، تح: د .أحمد عبد الكريم نجيب، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط2، 1429هـ/2008م .
- 51- الجملة العربية، محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984م .
- 52- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ/2002م.
- 53- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1413هـ/1992م.
- 54- جواهر البخاري وشرح القسطلاني، مصطفى محمد عمارة، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت لبنان، د ط، 1424 هـ/2003 م .
- 55- جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ضبط و تع محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر، ط1، 1420هـ/1999م .
- 56- حاشية على مختصر ابن أبي جمرة للبخاري، محمد بن علي الشافعي الشنواني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1353هـ/1935م
- 57- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، دار اقرأ بيروت لبنان ، ط1، 1404هـ/1984م .
- 58- الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، أضواء السلف، الرياض المملكة العربية السعودية، ط2، 1417هـ/1997م .

- 59- الحديث النبويّ مصطلحه بلاغته كتبه، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، ط4، 1401هـ/1981م.
- 60- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط1، 1967م.
- 61- الحوار في الحديث النبويّ تراكيبه وصوره، عيد محمد شبايك، دار حراء، القاهرة، مصر، (دط)، (دت).
- 62- الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1431هـ/2010م.
- 63- الخطاب الطلبي في الحديث النبويّ الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، هناء محمود شهاب، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ط1، 1435هـ/2014م .
- 64- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسين بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط1، 1426هـ/2005م .
- 65- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- 66- ديوان الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال، تقديم شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط2، 1411هـ/1990م.
- 67- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق سوريا، (دط)، (دت).
- 68- روح المعاني، الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

- 69- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (دط)، 2000م.
- 70- سنن أبي داود" من الكتب الستة موسوعة الحديث الشريف، إشراف ومراجعة صالح عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض السعودية .
- 71- السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المناع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.
- 72- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط وصالح السمر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- 73- سيرة الإمام البخاري (سيد الفقهاء وإمام المحدثين)، عبد السلام المباركفوري، نقل وتعليق: عبد العليم بن عبد العظيم البستوي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، السعودية، ط1، 1422هـ .
- 74- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1349هـ .
- 75- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد بن أحمد الحلاوي، تح محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية القاهرة، مصر، (دط)، (دت).
- 76- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، تح عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ/1992م .
- 77- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، دار مصر للطباعة، مصر، ط20، 1400هـ/1980م.

- 78- شرح الكافية، الإستراباذي، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م.
- 79- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر السعودية 1425هـ .
- 80- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة - مصر، 2004م.
- 81- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ضبط وتعليق أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، السعودية، (دط)، (دت).
- 82- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2004م.
- 83- شرف كفاية المتحفظ تحرير الرواية في تقرير الكفاية، محمد بن الطيب الفاسي، تح: علي حسين التواب، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، ط1، 1403هـ/1983م.
- 84- صحيح البخاري ترق وترت محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1430 هـ / 2010 م .
- 85- صحيح مسلم، عناية أبو قتيبة نظر محمد الفارابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ/2006م .
- 86- صحيح مسلم، شرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة مصر، ط1، 1347هـ/1929م .

- 87- الصناعتين في الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط1، 1371هـ/1952م.
- 88- طبقات الحنابلة، أبو الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تح: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، السعودية، ت 1999م.
- 89- ظاهرة الاستبدال في نحو الجملة ونحو النص، عرفة عبد المقصود عام، شبكة الألوكة. www.alukah.net.
- 90- عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، تح وتق سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1414هـ/1994م.
- 91- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية القاهرة مصر، (دط)، (دت).
- 92- علم الحديث، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
- 93- علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط1، 1413هـ/1993م.
- 94- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ/2000م.
- 95- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، (دط)، (دت).
- 96- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: تر سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001.

- 97- علم لغة النص، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، مصر، ط2، 1430هـ/2009م.
- 98- علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط15، 1984م.
- 99- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، تح عبد الله محمود عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- 100- عون الباري لحل أدلة البخاري، أبي الطيب حسن علي الحسيني القنوجي البخاري، كتاب الجمعة، الحديث العاشر، دار الرشيد، حلب، سوريا، (دط) (دت).
- 101- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تخرج هاني الحاج، المكتبة التوفيقية للطباعة القاهرة، مصر، ط3، 2012م .
- 102- فن كتابة القصة، فؤاد قنديل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، يونيو، 2002م.
- 103- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1414هـ- 1994م .
- 104- في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1432هـ/2011م.
- 105- في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1434هـ/ 2013م .
- 106- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

- 107- الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبدیع، عیسی علی العاکوب، علی سعد الشتیوی، الجامعة المفتوحة، 1993م.
- 108- کتاب البدیع، ابن المعتز، تح عرفان مطرجی، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بیروت لبنان، ط1، 1433هـ/2012م.
- 109- کتاب التعريفات، الشریف الجرجاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بیروت، لبنان، ط1، 1425هـ/2005م.
- 110- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تع ونص محمد شرف الدين ورفعہ بیلکة الکیلسی، دار إحياء التراث العربي، بیروت، لبنان، (دط)، (دت).
- 111- كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تح علي حسين البوّاب، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ/1997م .
- 112- الكليات، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بیروت-لبنان، ط2، 1419هـ/1998م.
- 113- لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، (دط)، 1415هـ/1995م.
- 114- لسان العرب، ابن منظور، اعت وتص أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادة العبدی، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بیروت، لبنان، ط3، 1419هـ/1999م.
- 115- لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، (دط)، (دت).

- 116- لسانيات النص عرض تأسيسى، كريستن آدمستيك، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، ط1، 2009م .
- 117- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م.
- 118- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، 1994م.
- 119- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة القاهرة، مصر، ط2، دت .
- 120- مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، تق يحي مراد، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007.
- 121- مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة، اعتناء أبو المنذر سامي بن أنور خليل جاهين، دار المنهاج، السعودية، ط1، 1422هـ/2001م.
- 122- مختصر صحيح البخاري وبهامشه شرح الشنواني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، (دط)، (دت).
- 123- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008م.
- 124- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نخلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1408هـ/1988م.
- 125- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هانيه من و ديتر فيهفيجر، تر: فالخ بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، (دط)، (دت).

- 126- مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنيك، تر وتع، سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ/ 2003م.
- 127- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان.
- 128- مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند، دريسلر، إلهام أبو غزالة، علي خليل الحمد، مركز نابلس للكسور، مطبعة دار الكتاب، ط1، 1413هـ/ 1992م.
- 129- معاني الأبنية العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط2، 1428هـ/ 2007م .
- 130- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر .
- 131- المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، ط1، 2010م .
- 132- معجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، دار الشريفة مطبعة الرهان الرياضي الجزائري، (دط)، (دت).
- 133- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/ 1992م.
- 134- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام نوال عكاوي، مر أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2، 1417هـ/ 1996م .
- 135- المعجم المفصل في فقه اللغة، مشتاق عباس معن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ/ 2001م .

- 136- المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، على توفيق الحمد، ويوسف جميل الزعبي، دار الأمل، إربد الأردن، ط2، 1414هـ/1993م.
- 137- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات في إحياء التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1972م.
- 138- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1425هـ/2004م.
- 139- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو بالاشتراك مع بان ميشال آدام وآخرون، تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مر صلاح الدين الشريف، دار سيناتر/المركز الوطني للترجمة تونس، 2008م.
- 140- معرفة أنواع علم الحديث، ابن الصلاح، تح: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 141- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1411هـ/1991م..
- 142- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1424هـ/2003م.
- 143- مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ/1987م.
- 144- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية سوريا، ط4، 1430هـ/2009م.

- 145- مقاييس اللغة، ابن فارس، تح وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1399هـ/1979م.
- 146- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تح: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، ط1، 2004م.
- 147- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط29، 1986م.
- 148- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، تق وتح علال الغازي، مكتبة المعارف الرباط المغرب، ط1، 1401هـ/1980م.
- 149- منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط4، 1964م.
- 150- المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة مصر، ط1، 1347هـ/1929م.
- 151- موجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور، المطبعة التونسية، تونس، ط1، (د ت).
- 152- موسوعة بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد عبده عوض، مركز الكتاب للنشر، القاهرة مصر، ط1، 2013م.
- 153- نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/1992م.
- 154- نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، أريد -الأردن، (د.ط)، 1435هـ/2004م.

- 155- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.
- 156- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، (دت) .
- 157- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م.
- 158- النص والخطاب (قراءة في علوم القرآن)، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، علي حسن، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/2009م.
- 159- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند تر تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ/1998م.
- 160- النظر الفسيح عن مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، دار سحنون للنشر والتوزيع ط3، 1433هـ/2012م.
- 161- نظرات لغوية في السنة النبوية، حنفي أحمد بدوي، مؤسسة الانتشار العربي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2015م.
- 162- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2004م.
- 163- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، إش وتق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، ط1، 1989م.
- 164- هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة مصر، ط1، 1407هـ/1986م .

165- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د.ط)، 1951م .

166- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

الرسائل و الأطروحات الجامعية:

01- التأويل النحوي في الحديث الشريف، أطروحة دكتوراه، فلاح إبراهيم نصيف الفهدي، جامعة بغداد، كلية الآداب والدراسات العليا، 1427هـ/2006م.

02- الحذف والتقدير في صحيح البخاري دراسة نحوية دلالية مذكرة ماجستير، سهام رمضان محمد الزعبوط، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب قسم اللغة العربية، 2010م/1431هـ.

03- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير "التحرير والتنوير" أطروحة دكتوراه، إبراهيم علي الجعيد، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية قسم البلاغة والنقد، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م.

الدراسات والمقالات المنشورة في المجلات:

01- " أثر الروابط في البناء النصي"، فايز احمد محمد كومي، مجلة علوم اللغة دراسات علمية محكمة، كتاب دوري، جامعة عين شمس، مصر، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، مصر، مج 11، ع 3، 2008 م.

02- " أثر العطف في التماسك النصي في ديوان علي صهوة الماء للشاعر مروان جميل محيسن دراسة نحوية دلالية"، خليل عبد الفتاح حماد وحسين راضي العايدي، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث

الإنسانية، شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية - غزة، مج20، ع2، يونيو 2012م .

03- "أثر مصطلح الحديث في حفظ ثقافة الأمة الإسلامية" د. عماد الدين الرشيد، مجلة "التراث العربي"، اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا، ع115، 1430هـ/2009م .

04- "الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند اللغويين"، محمد صالح شريف عسكري، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، طهران إيران، السنة الثالثة عشرة، ع2، 1431هـ.

05- "التكرار في الحديث النبوي الشريف"، د أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، مج26، ع1+2، 2010.

06- "التكرار في طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة وظيفية أسلوبية لأسلوب من أساليب الإقناع في الخطاب النبوي"، د فوزي سهيل نوال، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج7، ع(1/أ)، 1433هـ/2011م.

07- "التماسك النصي في الحديث النبوي الشريف"، د عبد العزيز فتح الله عبد الباري، شبكة الألوكة أفاق الشريعة دراسات شرعية علوم الحديث، الموقع الإلكتروني

<http://www.alukah.net/sharia/0/8019> تاريخ 31 /05 /2015
12:34.

08- "التماسك النصي في الدرس العربي"، عيسى جواد الوداعي لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجزء الأول، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب - جامعة ابن زهر، المغرب، ط1، 1434هـ/2013م.

- 09- "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً"، نادية رمضان النجار، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، مج9، ع2.
- 10- "عندما تسافر النظرية - لسانيات النص نموذجاً -"، حافظ إسماعيلي علوي، لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجزء الأول، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب - جامعة ابن زهر، المغرب، ط1، 1434هـ/2013م.
- 11- "مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص"، رشيد عمران، لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجزء الأول، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب - جامعة ابن زهر، المغرب، ط1، 1434هـ/2013م.
- 12- "مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري، نموذجاً"، عاصم شحادة علي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، مج36، ع2، 2009م.
- 13- "نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي"، عبد المهدي هاشم الجراح، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم والآداب، جامعة العلوم والتكنولوجيا، إربد، الأردن، مقال مج33، ع1، 2006م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

شكر وعرفان

مقدمة.....أ

الفصل التمهيديّ

- أولاً: مفاهيم نصّية.....13

أ - النصّ والجملة والخطاب13

1 - النصّ13

2- مفهوم الجملة.....21

3- مفهوم الخطاب24

4- أوجه الاختلاف بين الجملة والنصّ25

5- العلاقة بين النصّ والخطاب.....26

ب- الدراسات النصّية عند القدامى والمحدثين28

1- مفهوم نحو النصّ وعوامل تأسيسه28

2- المعايير النصّية34

3- علاقة نحو الجملة ونحو النص37

ج- الاتّساق النصّي38

- ثانياً: الإمام البخاري وكتابه "الجامع الصحيح"48

- أ- ترجمة للإمام "البخاري" 48
- 1- مولده ونسبه 48
- 2- نشأته وعلمه 49
- 3- شيوخه وتلاميذه 52
- 4- مصنفاته 54
- 5- زهده وورعه 56
- 6- بعض أقواله وما قيل فيه 58
- ب - تعريف كتاب "الجامع الصحيح" 61
- 1- تعريف الحديث النبوي الشريف ومكانته 61
- 2- تسمية الكتاب وموضوعه 69
- ثالثا: ابن أبي جمرة وكتابه "المختصر" 71
- أ- تعريف ابن أبي جمرة 71
- ب- شروح واختصارات كتاب "صحيح البخاري" 73
- ج- تعريف كتاب "جمع النهاية في بداية الخير والغاية" 75

الفصل الأول: الإحالة في أحاديث الكتاب

- توطئة 83
- المبحث الأول: مفهوم الإحالة وأصنافها 85

85	أولاً- مفهوم الإحالة.....
89	ثانياً- عناصر الإحالة.....
90	ثالثاً- أنواع الإحالة.....
95	رابعاً - وسائل الإحالة.....
104	المبحث الثاني: حضور الإحالة في الحديث النبوي ودورها الدلالي والأسلوبي.....
104	- نصّ الحديث الأول.....
104	- المعنى الإجمالي للحديث.....
105	- صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث النبوي.....
113	- نصّ الحديث الثاني.....
113	- المعنى الإجمالي للحديث.....
115	- صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث النبوي.....
122	- نصّ الحديث الثالث.....
122	- المعنى الإجمالي للحديث.....
123	- صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث النبوي.....
128	- نصّ الحديث الرابع.....
128	- المعنى الإجمالي للحديث.....
128	- صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث النبوي.....

134	- نصّ الحديث الخامس
134	- المعنى الإجماليّ للحديث
135	- صُورُ الإحالات وأثرها في الحديث الشريف
143	- نصّ الحديث السادس
144	- المعنى الإجماليّ للحديث
144	- صُورُ الإحالات وأثرها في الحديث الشريف
157	- نصّ الحديث السابع
157	- المعنى الإجماليّ للحديث
158	- صُورُ الإحالات وأثرها في الحديث الشريف
166	- نصّ الحديث الثامن
166	- المعنى الإجماليّ للحديث
167	- صُورُ الإحالة وأثرها في الحديث

الفصل الثاني: الاستبدال في أحاديث الكتاب

178	توطئة.....
179	المبحث الأول: مفهوم الاستبدال وأصنافه
179	أولاً - مفهوم الاستبدال
185	ثانياً - أنواعه.....

187	ثالثا - دور الاستبدال في تماسك النص
189	المبحث الثاني: حضور الاستبدال في الحديث النبوي ودوره الدلالي والأسلوبي
189	- نصّ الحديث الأول
189	- المعنى الإجمالي للحديث
190	- صُورُ الاستبدال وأثره في الحديث النبوي
194	- نصّ الحديث الثاني
194	- المعنى الإجمالي للحديث
195	- صُورُ الاستبدال وأثره في الحديث النبوي
201	- نصّ الحديث الثالث
201	- المعنى الإجمالي للحديث
202	- صُورُ الاستبدال وأثره في الحديث النبوي
214	- نصّ الحديث الرابع
214	- المعنى الإجمالي للحديث
215	- صُورُ الاستبدال وأثرها في الحديث
222	- نصّ الحديث الخامس
222	- المعنى الإجمالي للحديث
223	- صُورُ الاستبدال وأثرها في الحديث

230	- نصّ الحديث السادس
230	- المعنى الإجماليّ للحديث
232	- صُورُ الاستبدال وأثره في الحديث النبويّ
الفصل الثالث: الحذف في أحاديث الكتاب	
242	توطئة.....
244	المبحث الأول: مفهوم الحذف وأصنافه
244	أولاً- تعريف الحذف
249	ثانياً- أنواع الحذف
252	ثالثاً- شروط الحذف
254	رابعاً- فوائد الحذف ودوره في اتّساق النصّ
257	المبحث الثاني: حضور الحذف في الحديث النبويّ ودوره الدلالي والأسلوبي
257	- نصّ الحديث الأول
257	- المعنى الإجماليّ للحديث
258	- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبويّ
264	- نصّ الحديث الثاني
264	- المعنى الإجماليّ للحديث
265	- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبويّ

277	- نصّ الحديث الثالث
277	- المعنى الإجماليّ للحديث
278	- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبويّ
285	- نصّ الحديث الرابع
285	- المعنى الإجماليّ للحديث
286	- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبويّ
302	- نصّ الحديث الخامس
302	- المعنى الإجماليّ للحديث
304	- صُورُ الحذف وأثره في الحديث النبويّ

الفصل الرابع: الوصل في أحاديث الكتاب

321	توطئة
323	المبحث الأول: مفهوم الوصل وأصنافه
323	أولاً- مفهوم الوصل (Junction)
326	ثانياً: أصناف الوصل
328	ثالثاً: دور الوصل في اتساق النص وجمالية أسلوبه
331	المبحث الثاني: حضور الوصل في الحديث النبويّ ودوره الدلاليّ والأسلوبيّ
331	- نصّ الحديث الأول

- 331 - المعنى الإجماليّ للحديث
- 332 - صُورُ الوُصلِ وأثره في الحديث النبويّ
- 342 - نص الحديث الثاني
- 342 - المعنى الإجماليّ للحديث
- 343 - صور الوصل وأثره في الحديث النبويّ
- 354 - نص الحديث الثالث
- 354 - المعنى الإجماليّ للحديث
- 356 - صُورُ الوُصلِ وأثره في الحديث النبويّ
- 367 - نص الحديث الرابع
- 367 - المعنى الإجماليّ للحديث
- 368 - صُورُ الوُصلِ وأثره في الحديث النبويّ

الفصل الخامس: التكرار في أحاديث الكتاب

- 383 المبحث الأول: مفهوم التكرار وأنواعه
- 388 ثانياً: أنواع التكرار
- 393 ثالثاً - أثر التكرار في التماسك النصيّ
- 400 المبحث الثاني: حضور التكرار في الحديث النبويّ ودوره الدلاليّ والأسلوبيّ
- 400 - نص الحديث الأوّل

400	- المعنى الإجماليّ للحديث
401	- صور التكرار وأثره في الحديث النبويّ
408	- نصّ الحديث الثاني
408	- المعنى الإجماليّ للحديث
411	- صُورُ التَّكرارِ وأثره في الحديث النبويّ
422	- نصّ الحديث الثالث
422	- المعنى الإجماليّ للحديث
424	- صُورُ التَّكرارِ وأثره في الحديث النبويّ
432	- نصّ الحديث الرابع
432	- المعنى الإجماليّ للحديث
435	- صُورُ التَّكرارِ وأثره في الحديث النبويّ
446	- نصّ الحديث الخامس
446	- المعنى الإجماليّ للحديث
449	- صُورُ التَّكرارِ وأثره في الحديث النبويّ
380	الخاتمة.....
458	الفهارس العامة.....
481	- فهرس الشواهد الشعرية.....

فهرس الموضوعات

470..... قائمة المصادر والمراجع

484..... فهرس الموضوعات